دكتور بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية في عصر النهضة





٢٠٢٢م

دكتور بهاء الأمير

اليهود والحركات السرية في عصر النهضة



٢٠٢٢م



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

عنوان الكتاب: اليهود والحركات السرية في عصر النهضة

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢٢م

٤٦٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- اليهود ــ تاريخ

٢- الجماعات الضاغطة الصهيونية

أ – العنوان ٩٥٦,٩٠٣

تدمك: 978.977.94.0812.5

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٢٢/٢٧٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، ما أراده كان قدراً مقدوراً، وما يشاء الإنسان إلا ما شاءه، وما شاءه صار أمراً مفعولاً، والصلاة والسلام على المصطفى المختار نبياً ورسولاً، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعوهم منهجاً وسلوكاً.

وبعد،

قلت في بعض كتبي من قبل، إنه صار عندي اعتقاد منذ زمن، وترسخ مع الوقت، أن الكتب هي التي تختارني، ولست أنا الذي اختارها، أو أن الله عز وجل يختار كلاً منا للآخر.

والكتاب الذي بين يديك نموذج على ذلك، فبعد أن انتهيت من كتاب: الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، كنت أنوي العودة إلى جمال الدين الأفغاني، لاستكمال كشف حقيقته وسبر أغواره التي لم يصل إليها أحد ممن كتبوا عنه، ويستوي في ذلك من مدحوه ومن ذموه، وكنت قد كتبت أبواباً في بيان أصوله وخفايا سيرته وتفسير غرائب سلوكه، ثم تركته في موضع من سيرته، إلى أول الآتين من الخلف، لأنه لا يمكن إدراك حقيقة الأفغاني وغايته مما كان يفعله في مصر، إلا بإدراك حقيقة أول الآتين من الخلف والمسار الذي شقه ودفع بلاليص ستان فيه، لأن ما كان يفعله الأفغاني هو تطوير هذا المسار والانتقال إلى الخطوة التالية فيه.

ولكن لأن أمر الله كان قدراً مقدوراً، فقد انتهت نيتي بالعودة إلى جمال الدين الأفغاني، بأن عدت إلى أسرة دي مديتشي، والمسافة بينهما في الزمان مئات السنين، ولكن المسافة بينهما في التكوين والغايات والأسلوب ومخالفة الغلاف لما فيه، صِفر، وهو في حقيقته هي.

وكنت قد كتبت منذ بضع سنوات أبواباً، ضمن كتاب المحفل والمعمل، وهو كتاب لم يرد الله أن أتمه، عن حركة الروزيكروشان، وصلة أسرة دي مديتشي بها، وكان محورها البرهان

على فرضية لا سابق لها، وهي أن أسرة دي مديتشي في إيطاليا، هي التي كانت خلف تكوين حركة الروزيكروشان، بينما مؤرخو الحركات السرية في الغرب، ومؤرخو حركة الروزيكروشان نفسها، على أنها نشأت في ألمانيا وليس في إيطاليا، وأن مؤسسيها مجهولون.

وهذه الأبواب من كتاب المحفل والمعمل، هي الأبواب الأولى من هذا الكتاب الذي بين يديك، والتي عنوانها معاً: حركة الروزيكروشان.

ولاستكمال براهين صلة أسرة دي مديتشي بحركة الروزيكروشان، كان لابد من العودة إلى منظمة فرسان الهيكل، ثم إلى سيرة اليهود والمرابين في إيطاليا، وإلى بنوكها، بعد الحروب الصليبية، وهي البنوك الأولى في العالم كله، ووريثة الشبكة البنكية التي أقامتها فرسان الهيكل في كاتدرائياتها ومقراتها.

وقد أسهبنا في سيرة المرابين اليهود في إيطاليا وبنوكها الأولى، لأن هذه هي اللحظة التي شهدت تغيير مسار أوروبا، ثم العالم كله من بعدها، وتم فيها إدخال الربا والبنوك الربوية في أنسجة المجتمعات، وتحويلها إلى نظام عام يمتزج بالسلطة ويتحكم في مكونات المجتمع وجميع مناحي الحياة.

وأما أسرة دي مديتشي، فوصولها إلى السلطة في فلورنسا، وسيطرتها ببنكها على اقتصاد أوروبا، كانت هي اللحظة التي أثمرت فيها النقلة التاريخية التي نقل بها المرابون اليهود والحركات السرية تمركزهم ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب، وحل المزيج القبالي العلماني المنحل الذي يموله ويضخه ويرعاه هؤلاء المرابون والحركات السرية محل العقائد ومسألة الألوهية، وما يرتبط بها من فهم للوجود والحياة، ومن معايير وقيم وأخلاق.

ولحظة وصول أسرة دي مديتشي إلى السلطة في فلورنسا وإيطاليا، وتغييرها لمسار الغرب كله، هي اللحظة التي تساويها في الشرق لحظة وصول أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، محمد علي باشا، إلى السلطة في مصر، وتغييره لمسار الشرق، بإعادته مزيج اليهود والحركات السرية المالي القبالي العلماني المنحل إلى الشرق مرة أخرى، وإحلاله

محل الإسلام وموازينه وأهل حله وعقده، ليمهد بذلك الشرق للمشروع اليهودي ويضع أساسات الدولة البني إسرائيلية، كما مهدت أسرة دي مديتشي بما فعلته الغرب لأن يركبه اليهود وبنوكهم ثم يقفزوا به على الشرق.

وإذا كانت لحظة وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في الشرق، هي نفسها لحظة وصول أسرة دي مديتشي إلى السلطة في الغرب، فكذلك الحملة الفرنسية على مصر والشرق، كانت هي التي فتحت بوابة عودة اليهود الأخفياء والحركات السرية إلى الشرق، كما أن الحملات الصليبية كانت البوابة التي انتقلوا من خلالها من الشرق إلى الغرب.

وأسرة دي مديتشي هي الوريث الكامل لمنظمة فرسان الهيكل، والتي آل إليها ميراثها في كل شئ، التجارة والربا والشبكة البنكية، وبث القبالاه وإحياء العقائد الوثنية، وإشاعة الإلحاد والإباحية، وتكوين الحركات السرية، وتغليف ذلك كله في غلاف الكاثوليكية ومعاونة كنيستها وإمدادها بالمال، بالضبط كما أن أول الآتين من الخلف هو الوريث الكامل لحملة الماسوني نابليون بونابرت على الشرق، في غلاف نهضته وتمدينه.

وقد أخبرناك من قبل، أن كُتبنا كلها نهر واحد، فبعضها جسمه، وبعضها روافده، وبعضها فروع منه، وبعضها خريطة من أعلى لمساره كله، من منبعه إلى مصبه، ولا يمكن فهم ما في أحدها واستيعابه إلا بقراءتها كلها أو الاطلاع عليها معاً، والتعامل معها على أنها جميعاً أبواب في كتاب واحد.

وكتبنا جميعها، التي هي في حقيقتها كتاب واحد، تتعقب الحركات السرية عبر التاريخ، ودورها في صناعة أفكاره وأحداثه الكبرى، ورسم مساره الذي سار فيه، وفي قلبها وعقلها الطائفة من بني إسرائيل التي أخبر الإله في بيانه الخاتم إلى البشرية، أنها تسعى إلى تضليل البشر وإفسادهم، لأن هذه هي وسيلتها لامتطائهم وامتلاك زمامهم، ودفعهم ودفع الأحداث والتاريخ نحو غايتها.

وإذا رجعت إلى هذه الكتب، فستجد أنها تغطي نشاط اليهود والحركات السرية وآثارها، في زمن الإغريق وأساطيرهم، وفي الهند وهندوسيتها وحركاتها الباطنية قبل الميلاد، وفي أوروبا إبان الحروب الصليبية، وهي لحظة انتقال تمركز اليهود والحركات السرية ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب، وفي إسبانيا والبرتغال والكشوف الجغرافية بعد الحروب الصليبية، وفي بريطانيا في اللحظات المحورية الفاصلة من تاريخها الحديث، وهي اللحظات التي صنعتها وصارت بها مطية للمرابين اليهود وبنوكهم وللماسونية والحركات السرية، وفي فرنسا قبيل الثورة الفرنسية وإبانها وبعدها، وفي الولايات المتحدة منذ أن كانت مستعمرات إلى القرن العشرين، وفي ألمانيا منذ القرن الثامن عشر حتى النازية، وفي بلاليص ستان منذ الحملة الفرنسية، وفي عهد أول الآتين من الخلف وخلفائه، وفي النصف الأول من القرن العشرين، وفي الخليج والهند منذ القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، وفي المغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر.

ثم كان هذا الكتاب الذي بين يديك، ليغطي نشاط اليهود والحركات السرية في إيطاليا، في عصر النهضة، وهي النقلة المحورية التالية بعد انتقالهم من الشرق إلى الغرب مع الحروب الصليبية، وهي النقلة التي غيروا فيها مسار إيطاليا وأوروبا كلها.

وثمة فترات في التاريخ، أو في بعض البلدان، ما زالت مفقودة في هذه الكتب، ولم أتعرض لنشاط اليهود والحركات السرية فيها بعدُ، ومنها بلاليص ستان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي حقبة جمال الدين الأفغاني، وفي أواسط القرن العشرين والنصف الثاني منه، وهي حقبة ثاني الآتين من الخلف، وقد تعرضنا لها في كتاب: الوحي ونقيضه ولكن بإيجاز.

ومن أهمها أيضاً مسار اليهود والحركات السرية ونشاطهم في الشرق، بعد ظهور الإسلام، وقبل أن ينتقل تمركزهم ومجال حركتهم ونشاطهم الرئيسي إلى الغرب مع الحروب الصليبية، وهذه المسألة تحتاج إلى تجلية، وبيان سبب تأخيرنا لها.

فآثار اليهود، أو الطائفة من اليهود التي نتعقبها، والحركات السرية التي تدور حولهم، في الشرق وبلاد الإسلام هائلة، وتشمل العقائد والأفكار والأخلاق والسياسة والحركات والدول، ومن هذه الآثار الفتنة الكبرى، والإسماعيلية والقرامطة والنصيرية وحركة الحشاشين، والدولة العبيدية الفاطمية، وألف ليلة وليلة وإخوان الصفا، والفِرق الباطنية، وترجمة الفلسفة الإغريقية.

ورغم هذه الآثار الهائلة، فقد قدَّمنا عليها تتبع مسار اليهود والحركات السرية، منذ الحروب الصليبية وانتقال تمركزهم ونشاطهم إلى الغرب، لأن إسقاط دولة الإسلام التي بدأت بالدولة النبوية، وتكوين بلاليص ستان وجميع ما شهدته وتشهده في تاريخها، منذ الحملة الفرنسية، وحتى هذه اللحظة التي تقرأ فيها هذا الكلام، وكذلك إنشاء الدولة البني إسرائيلية وتمددها، هو من آثار مسار اليهود والحركات السرية في الغرب، وتحويله بالبنوك وهذه الحركات إلى مطية، امتلكوا مقاليدها، ثم قفزوا به على الشرق، وبدأوا في غلافه الجزء المرئي والظاهر على سطح الأرض من مشروعهم الساري عبر التاريخ، ويتوارثونه ويتوارثون تطويره خطوة خطوة، وهم ينتقلون من أمة إلى أمة، ومن زمن لآخر.

ويجب أن ننبهك هنا إلى خلط يقع فيه كثير من العوام، ومن المتعالمين الذين لا علم لهم بعالم السر والخفاء، ويصرون في الوقت نفسه على الإدلاء بدلوهم فيما لا يفقهون فيه، خصوصاً بعد أن أتاح الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة لأي أحد أن يصنع مدونة أو صفحة أو قناة يخاطب فيها عموم الناس، فيضع عليها صورة له تُظهر جانباً من وجهه ومقطعاً من قفاه، وتتجمع حوله كتل من العوام الهائمة، فيتوهمَ أنه قد صار بذلك من كبار العلماء والمفكرين وفحول المحققين.

وهؤلاء العوام والمتعالمون يخلطون بين عالم السر والخفاء وبين الغيب، ويتوهمون أن السر وحركاته وما يفعله اليهود عبر التاريخ غيب مطلق، ويتساءلون: كيف تعرف ما تعرفه عنهم وهي أسرار؟

واليهود وما يفعلونه عبر التاريخ، والحركات السرية وما يتعلق بها، سر، لأن عموم البشر يجهلونها، ولأنه غير مسموح في الأوساط الأكاديمية ولا في التعليم والإعلام أن تكون جزءاً

من وعي البشر وطريقة فهمهم لأحداث العالم ومساره وإلى أين يتجه ومن الذي يمسك بمقاليده ويوجهه في الحقيقة، لأن المسار لن يكتمل ويصل إلا غايته إلا بخفائه على عموم البشر، وهو سر ولكنه ليس غيباً[١].

وكُتُبنا وما كتبناه فيها عن اليهود والماسونية والحركات السرية، نموذج على ذلك، فهذه الكتب التي زادت على العشرين كتاباً، مطبوعة، وموجودة على شبكة الإنترنت، ورغم ذلك فكل ما كشفناه فيها ما زال سراً، لأنه لن يسمح له بأن يصب في تيار المعرفة العامة، ولا أن يدخل في مناهج التعليم وموضوعات الإعلام، ولا أن يكون جزءًا من مكونات وعي البشر وبناء أذهانهم ونفوسهم وفهمهم لما يدور أمامهم ومِن حولهم، وسوف يتفق على إبعاده واستبعاده أهل السلطة ومَن يعارضونهم، والعلمانيون والإسلاميون، ومطايا اليهود وأعداؤهم.

ويرتبط بهذا التنبيه تنبيه آخر، وهو أن عموم الناس، لا يدركون خصائص تدبيرات اليهود والحركات السرية، وسمات عالم السر والخفاء، وليس في مقدورهم أن يدركوها ويفهموها، لأن الفرق بين التاريخ التقليدي السلس الذي يكتبه المؤرخون الأميون، ويتتبعون فيه ظواهر الأحداث ومن تصدروا مشاهدها، وبين عالم السر والخفاء، الذي ننقب فيه عن كواليس الأحداث ومطابخها، ومن كانوا يديرون مشاهدها مختبئين خلف من يصدرونهم فيها من الواجهات، وعن الأفكار التي تربط بين الأحداث على اختلاف أماكنها وأزمنتها، وعن الغاية التي تتجه إليها هذه الأفكار ويُسفر عنها اتصال الأحداث، الفرق بينهما هو بالضبط مثل الانتقال من الكون المرئي وعالم الطبيعة الظاهرة لكل أحد، ويتعامل معها الجميع بحواسهم، وتبدو لهم بسيطة سهلة، إلى ميكانيكا الكم، أو عالم الجسيمات الدقيقة المعقد وسلوكها الملئ بالغرائب والمتناقضات، وهذه الجسيمات الدقيقة بتعقيداتها وغرائبها ومتناقضاتها غير المرئية، هي نفسها التي تُكوِّن الأجسام المرئية، وتصنع حركتها الظاهرة لعموم الناس، وتبدو بسيطة سهلة لا غرائب فيها ولا متناقضات.

õ) لمعرفة كيف تظهر المعلومات عن الماسونية والحركات السرية، ويُعرف دورهم في صناعة الأحداث والتدبير لها، ارجع إلى دراستنا: مصادر الدراسات الماسونية، وهي منشورة على الإنترنت.

وعالم السر والخفاء، مثل عالم الكَمّ، يحتاج إلى بصيرة قادرة على النفاذ من الظواهر إلى ما خلفها، ورؤية ما لا يراه الآخرون، وإلى عقول خلاقة تمتلك قدرات فائقة على الفهم والتفسير وكشف الروابط غير المرئية بين الأشخاص والأحداث المرئية، لكي يمكنها إدراك كيف أنتجت الأفكار والغرائب والمتناقضات والصراعات المحجوبة في الكواليس والمطابخ الأحداثَ الظاهرةَ التي يرصدها المؤرخون الأميون ويسجلونها في تاريخهم التقليدي السلس.

وعالم السر والخفاء يحتاج قبل ذلك إلى صبر وجلد وعزم ومثابرة، ولا يصلح لأن يتعامل معه ولا لأن يفهمه كل أحد، خصوصاً الطراز الذي يضع عناوين مثيرة جوفاء على ما يكتبه أو يقوله، وبوصلته جذب كتل العوام وزيادة أعداد المشتركين والمشاهدين والمعجبين، لتزيد أرباحه من الإعلانات.

وعالم السر والخفاء، لا ينحصر في الماسونية وحدها، كما يتوهم هذا الطراز، ويوهمون من يسعون لاجتذابهم، بل هو دوائر متعددة، تتداخل معاً، وبعض رجال عالم السر والخفاء قد ينتسبون لإحدى هذه الدوائر، أو بعضها، أو ينتسبون لها جميعاً في وقت واحد، فالماسونية دائرة، وغيرها من الحركات السرية دائرة أخرى، واليهود الأخفياء دائرة ثالثة، وهم أشد هذه الدوائر خفاءًا وسرية وغموضاً والتواءًا، وأعمقها أثراً في الأحداث والتاريخ، وجُل الذين غيروا الشرق وصنعوا بلاليص ستان لتكون محضناً للدولة البني إسرائيلية، مِن دائرة اليهود الأخفياء، وليسوا من دائرة الماسونية والحركات السرية.

ولأن عالم السر والخفاء مثل عالم الكمّ، فكُتُبنا نكتبها من أجل تسجيل ما كشفناه من تعقب اليهود والحركات السرية في طول التاريخ وعرض الدنيا، ونُتيحها على شبكة الإنترنت، من أجل حفظها، وأن يعثر عليها يوماً ما مَن هو أهل لها، ولكن هذه الكتب وما فيها هو في الحقيقة من قبيل الكلام الذي يُضن به على غير أهله.

وربما كان هذا الكتاب مناسبة، لأن نعرفك بفرق آخر بيننا وبين المفسرين التقليديين وعلماء الإسلام عموماً، بخصوص منهج التعامل مع القرآن، فغايتهم وما يسعون إليه تفسيره في نفسه وفهمه، أما نحن فنسعى إلى أن نفهمه ونفهم به، والله عز وجل أخبرنا في بيانه إلى

خلقه أنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ (النساء: ١٧٤)، والمفسرون في كل العصور كانوا يرون هذا النور، وينظرون نحوه، ويفكرون فيه، وجهدهم مُوَجَّه نحو دراسته وفهمه، بينما نحن نراه ونرى به، وننظر إليه وننظر من خلاله، ونفكر فيه ونفكر به، ونسعى إلى فهمه وفي الوقت نفسه نُسلطه على التاريخ والواقع والأشخاص والأحداث والأفكار، ونفهمه ونفهمها بواسطته ونزِنُه ونزِنُها بميزانه.

وكتابنا هذا الذي بين يديك، لن تجد فيه سوى آيتين من القرآن، أو ثلاثة، ولكنه كله وبكل ما فيه، نتاج تسليط نور القرآن على التاريخ، ورؤيته وفهمه من خلال هذا النور، ومنهجنا فيه، وفي كتبنا كلها، ليس التنقيب عن الأشخاص، وهو منهج الأميين، الذين لا يدركون أن حدثاً ما له صلة باليهود إلا إذا رأوا في صدارته شخصاً معقوف الأنف ويرتدي زي الحاخامات، أو رأوا بياناته ووثائقه عليها توقيع حاييم وموشيه، ومختومة بنجمة داوود، واليهود أنفسهم يعرفون أن هذه هي أدمغة الأميين، ولذا يكون جزءٌ من تدبيرهم في أي عمل، الظهور فيه بغير أسمائهم الحقيقية وهوياتهم، أو الاختباء خلف الأميين وتصديرهم.

منهجنا هو تعقب أفكار اليهود وسلوكهم وآثارهم، وما يفضي إليه ما يفعلونه من غاياتهم، وهو منهج الوحي، الذي عرَّفك بموقع بني إسرائيل من البشرية ومسارها، وبسماتهم النفسية وأفكارهم وسلوكهم وغاياتهم وخصائص تدبيرهم، دون أن يشغلك باسم أحد منهم، ولو مجرد واحد، لتفهم من ذلك أن إدراك صلة أي حدث ببني إسرائيل واليهود، يكون بتعقب هذه الأفكار والسلوك والغايات والخصائص، وليس بالبحث عن الأسماء، ولا حتى عن الأنساب.

ويترتب على هذا المنهج فرق فيصل بيننا وبين المؤرخين التقليديين الذين يؤرخون لليهود، وكذلك مؤرخي الماسونية والحركات السرية، فهؤلاء وأولئك يتعاملون مع اليهود والحركات السرية على أنها مسألة مغلقة على نفسها، أو كأنها نفق يسيرون داخله، ووعيهم وبحثهم محصور تحت سقفه وبين جدرانه، ولا يدركون الرابط بين ما يرونه في هذا النفق وبين تاريخ العالم وما شهده من أحداث، ومسيرة البشر والوجهة التي تتجه إليها، ولذا فجُل ما يشغلهم

ويوجهون له عنايتهم متى تكونت المحافل وأين، ومَن الذين كانوا مِن أعضائها، وما كان فيها من طقوس سرية، وما صاحبها من رموز مثيرة.

أما نحن فنتعامل مع اليهود والحركات السرية على أنها مسألة مفتوحة على تاريخ العالم ومسار البشرية، ولذا نتعقبهم، لا داخل النفق، بل في طول التاريخ وعرض الدنيا ومختلف البلدان والشعوب، وننقب عن أفكارهم وآثارهم في أحداثها السياسية، وفي منظوماتها العقائدية والأخلاقية، ومناهجها الاجتماعية، وتطور العلوم الطبيعية، وما حفلت به من آداب وأعمال فنية.

ولم يبق إلا أن تعلم أن هذا الكتاب الذي بين يديك، هو كله تمهيد لكتاب آخر، لا يمكن أن تفهمه وتستوعب ما فيه وتتقبله إلا إذا مررت أولاً على هذا الكتاب، وهذا الكتاب الآخر هو كتاب الكون والقبالاه والحركات السرية، وكيف كان تغيير شكل الكون وتبني النظام الشمسي أثراً من آثار العقيدة الشمسية القبالية التي أحيتها وبثتها أسرة دي مديتشي وصنعت بها الأعلام الذين صنعوا عصر النهضة في مختلف المجالات.

ولله الحمد أولاً وآخراً،

دكتور بهاء الأمير

٧ جمادى الآخر ١٤٤٣هـ/١٠ يناير ٢٠٢٢م

حركة الروزكروشان

أصل الروزيكروشان وإشهارها

الروزيكروشان أو منظمة الصليب الوردى Rosen Cruetz/Rosicrucian، هي إحدى الحركات التي انحدرت من فرسان الهيكل، وظهرت في ألمانيا من الفرسان الذين فروا إليها من البلاد المجاورة.

في كتابها: الجمعيات السرية والحركات الخفية Secret Societies And Subversive Movements، تقول مؤرخة الحركات السرية، البريطانية نِستا وبستر Nesta Webster:

"الصليب الوردي مأخوذ من صليب فرسان الهيكل الأحمر، وميرابو Mirabeau، كان من الماسون، وعضواً في الإليوميناتي، وكان في موضع يسمح له باكتشاف حقائق الحركات السرية في ألمانيا إبان إقامته فيها، يقول ميرابو في كتابه: "تاريخ مملكة بروسيا Histoire de La Monarchie Prussiene: "الروزيكروشان في القرن السابع عشر هي التنظيم القديم الوحيد الذي ينحدر من فرسان الهيكل مباشرة"، ودي كانتيلو De Canteleu أكثر وضوحاً، فيقول: "الفرسان الذين فروا من فرنسا واختفوا، هم الذين كونوا تنظيم الروزيكروشان، الذي انتشر في القرن الخامس عشر في بوهيميا وسيلسياBohemia And Silesia"[١].

والمعلومات عن أصول حركة الروزيكروشان أو الصليب الوردي وكيف تكونت، نادرة ومصادرها شحيحة، وكل ما هو معروف عن نشأتها جاء من وثيقتين تم طبعهما في مدينة كاسل Kassel، في ألمانيا، سنة ١٦١٤م، وسنة ١٦١٥م، وهما: إشهار أخوية الصليب الوردي Fama Fraternetatis Rosae Crucis، واعترافات الصليب الوردي Confessio Rosaecrusis، ولا يُعرف من الذي كتب الوثيقتين ولا الجهة التي أصدرتهما.

---

1) Nesta Webster: Secret Societies And Subversive Movements, P89-90, Boswell Printing & Publishing Co., Ltd, London, 1924.

ومن المثير والطريف أن تعلم أن أصول حركة الصليب الوردي الألمانية جاءت من دمشق ومصر وفاس العربية!

في وثيقة إشهار أخوية الصليب الوردي أن مؤسس الأخوية الذي ترمز له الوثيقة بحرفي RC، وهما اختصار اسمه الرمزي: الصليب الوردي المسيحي Christian Rusen Cruetz، دخل الدير وهو في الخامسة من عمره، لوفاة والديه، ثم لازم في سنوات صباه وبواكير شبابه الأخ PAL، وتعلم الإغريقية واللاتينية وما هو متوارث في الأديرة من فنوان التداوي والممارسات العلاجية.

وعزم الأب الروحي للصليب الوردي في الدير على الرحلة إلى أورشليم للحج، فاصطحبه معه، وفي قبرص مات الأب الروحي، فقرر الصليب الوردي المسيحي أن يلتحق بسفينة متجهة إلى دمشق، ليتم رحلة الحج إلى أورشليم، وفي دمشق:

"ساقته المصادفات إلى الالتقاء بحكماء دمشق Wise Men of Damasco، فأطلعوه على ما يفعلونه من أعاجيب عظيمة، وما كُشف لهم من أسرار الطبيعة، فاهتدى الصليب الوردي بروحه النبيلة إلى أن مكانه في دمشق وليس في أورشليم، فتلقفه حكماء العرب، وكان إذ ذاك في السادسة عشرة من عمره، وجعلوه واحداً منهم، فعلموه العربية وكشفوا له أسرارهم وعلموه فنون الطب وخوافي الرياضيات، وبعد ثلاث سنوات بينهم أجازوه بما علموه من علوم، وأرسلوه إلى إخوة لهم في مصر فأخذ منهم أسرار علوم الفلك المصرية القديمة وتلقى عنهم تعاليم هرمس وأسرار ديانته، ومن مصر أرسلوه إلى إخوانهم في المغرب، فعبر البحر المتوسط كله في اتجاه الغرب إلى فاس، واستكمل حكماء العرب تعليمه وإرشاده، فعلموه السحر والفلسفة والقبالاه المشحونة بديانتهم[õ] Defiled With Their Religion، وبعد عامين عبر الصليب الوردي المسيحي المضيق من المغرب إلى إسبانيا، وفيها التقى بالألومبرادوس/منظمة النور الإسبانية Alumbrados، فأطلع الأخوية على

õ) **تعلم من ذلك أن حكماء العرب الذين تتكلم عنهم الوثيقة، والذين هم في الحقيقة مصدر فلسفة حركة الروزيكروشان وتعاليمها ونظامها، ومن صنعوا مؤسسها، ليسوا سوى اليهود!**

ضلال الكنيسة وخطأ كل ما تعتقده وتتبناه من فلسفات وعلوم وفنون، وبعد رحلاته الشاقة المليئة بالمصاعب والآلام، عاد الصليب الوردي إلى ديره الذي خرج منه في ألمانيا، وقد عزم على تكوين جمعية كالتي عاش وتعلم فيها بين العرب، ينتظم أعضاؤها حوله في دائرة هو مركزها، ويحكمها نظام صارم، فتقوم على نشر الحكمة والعلوم في أوروبا، وتعمل ما وسعها الجهد على أن تحوز كميات وفيرة من الذهب والفضة والمعادن النفيسة، تهبها للملوك والأمراء من أجل تسيير شؤون بلادهم، وأيضاً لأغراضهم الشخصية، لكي يكون هؤلاء الملوك والأمراء عوناً للجمعية ويصدرون ما تحتاجه ويوافق غاياتها من تشريعات"[١]

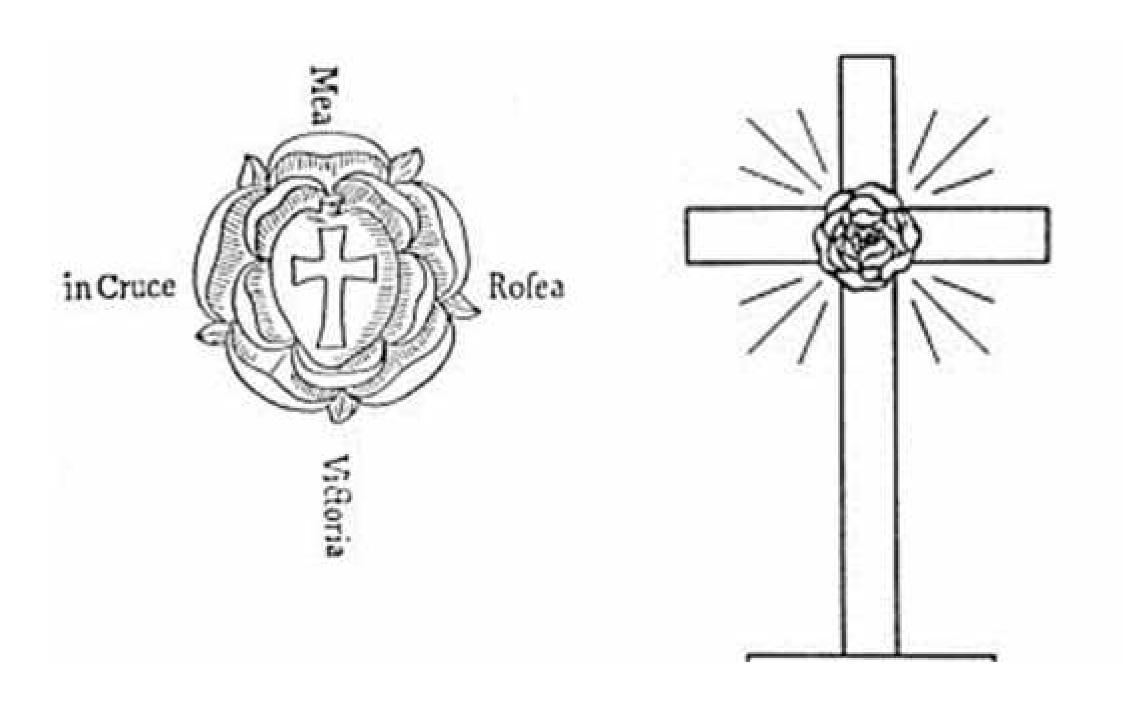
وفي ديره في ألمانيا تمكن الصليب الوردي من جذب ثلاثة من إخوانه الرهبان الذين كانوا رفقاء صباه، وهم الأخ JO، والأخ JA، والأخ GV، فعرَّفهم بما حازه من علوم واطلع عليه من أسرار، وهكذا تكونت بالأربعة حركة الروزيكروشان أو جمعية الصليب الوردي.

وبعد أن صار الأربعة ثمانية، انطلقوا، كلٌ في اتجاه لنشر أفكار الجمعية، بعد أن كتبوا ميثاقاً يتعاهدون فيه على ستة أشياء، وهي:

"**أولاً: أن لا يكشف أي منهم هويته الحقيقية، فلا يعرف عنه أحد سوى أنه يعالج المرضى ويهب العلاجات دون مقابل من أجل رضا الرب، ثانياً: ألا يرتدي أحد منهم زياً مميزاً أو يضع شارة ملفتة، بل يرتدي من الثياب ما يشيع في البلد الذي ينزل فيه وكأنه واحد من أهلها، ثالثاً: أن يلتقوا مرة كل عام في اليوم الذي افترقوا فيه، في منزل سبيريتوس Spiritus، ومن لا يستطيع الحضور يرسل تفسيراً لغيابه، رابعاً: أن يبحث كل أخ منهم عن شخص واحد يحبه ويأتمنه، فيعرفه بسره ليكون خليفته بعد موته، خامساً: أن الصليب الوردي، أو الصليب والوردة، هو اسم جمعيتهم وشعارها، سادساً: أن يظل أمر الأخوية سراً مكتماً، فلا يعرف عنها أحد شيئاً لمائة سنة على الأقل"**[٢].

---

1) Fama Fraternitatis Or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, P2-6, Translated And Prefaced By: Eugenius Philalethes Printed by F. M. For Giles Calvert, London, 1653.
2) Fama Fraternitatis,P14-15.



شعار حركة الروزيكروشان، الصليب الوردي، أو الصليب والوردة

أم العلوم الطبيعية ومحضن علمائها

والروزيكروشان أو أخوية الصليب الوردي هى توأم الماسونية، والفرق بينهما أن الروزيكروشان، كما علمت من وثيقة إشهارها، أشد خفاءًا وأمعن في السرية وأكثر انغلاقاً، وعلى خلاف الماسونية التي تحشد أكداساً من البشر في درجاتها الدنيا، فإن منظمة الصليب الوردي لم يكن مسموحاً لأحد أن ينضم إليها ويترقى فيها إلا بعد اختبارات متعددة، ولعشرات السنين بعد تكوينها وإنشائها لم يكن يُعرف شئ عن حركة الروزيكروشان، بل ولا يُعرف أنه يوجد تنظيم بهذا الاسم أصلاً.

ورغم ازدهار حركة الروزيكروشان وانتشارها في بلدان أوروبا كافة، وتغلغلها في جميع مناحي الحياة في المجتمعات الأوروبية، ورغم جاذبية أفكارها وخلابة المزيج الذي صنعته، وجذبها للصفوة والنابهين في أغلب بلاد أوروبا وفي مختلف المجالات، فقد ظل الإمعان في الخفاء والتشدد في قبول الأعضاء من التقاليد العريقة للحركة، كما يقول ماجاس إنكوجنيتو[1] Magus Incognito، أحد أعضائها في كتابه: العقيدة السرية للروزيكروشيان The Secret Doctrine of The Rosicrucians:

"**هذا التنظيم غير المعروف ينتسب إليه أعضاء في جميع مجالات الحياة، ومن كل البلاد، ولكن يحرم على أعضائه أن يُظهروا لعموم الناس هويتهم الروزيكروشانية Never Announce Themselves As Rosicrucians، ولا يمكن لأحد أن يدخل في التنظيم ويصير من أعضائه إلا بطريقة واحدة، هي أن يقدم ثلاثة من أعضاء التنظيم القدامى طلباً**

---

[1]) ماجاس إنكوجنيتو Magus Incognito هو الاسم الرمزي الذي كان يكتب به الخيميائي وعضو الروزيكروشان في أوائل القرن العشرين، وليم أتكينسون William Walker Atkinson .

لترشيحه للعضوية مصحوباً بتزكيتهم له، على أن يكون قد مر على عضوية هؤلاء الأعضاء أنفسهم في التنظيم ثلاث سنوات على الأقل"[١].

ثم إليك الأستاذ الأعظم لحركة الروزيكروشان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، يعرفك بأحد الفروق الرئيسية بين الماسونية وأختها حركة الروزيكروشان، ألا وهو المجالات التي تركز كل منهما نشاطها فيها، وتبث أفكارها وتعاليمها في النابهين من أهلها.

يقول ويت في الباب الذي عقده للصلات بين الماسونية والروزيكروشان والفروق بينهما من كتابه: التاريخ الحقيقي للروزيكروشيان The Real History of The Rosicrucians، منتصراً للحركة التي هو أستاذها الأعظم:

"**والماسونية، كما يقول المنتسبون إليها، هي منظومة من الأخلاق والعقائد المخبأة في لغة رمزية Allegory والمصورة في رموز Symbols، ولم يحدث في أي فترة من تاريخها أن كانت جمعية للدراسات العلمية والبحوث التجريبية المتعلقة بالطبيعة، والتي هي الغاية الأولى لأخوية الروزيكروشان، ولم يحدث أبداً أن زعمت الماسونية أنها تمتلك الأسرار العليا للخيمياء والسحر، أو أي خبرات تتعلق بالفلك والطب، بل ولم يبدُ منها مطلقاً أي اهتمام بهذه الموضوعات والعلوم**"[٢]

فالماسونية هي أم النظريات الاجتماعية في الغرب وحاضنة الفلاسفة ومحضن الساسة وصانعة الثورات، وحركة الروزيكروشان هي أم العلوم الطبيعية ومحضن علمائها.

حركة الروزيكروشان، هي المهد الحقيقي للعلوم الطبيعية في الغرب وصانعة علماء الطبيعة وحاضنتهم، وتعاليمها وفلسفتها وطقوسها ورموزها وتكوين أعضائها بوتقة تمتزج فيها

---

1) Magus Icognito: The Secret Doctrine of The Rosicrucians, P10, Advanced Thought Publishing company, Chicago, 1918.
2) Arthur Edward Waite: The Real History of The Rosicrucians, P403, George Redway, London, 1887.

العلوم الطبيعية بالقبالاه، والكيمياء بالخيمياء، وعلم الفلك بالتنجيم، ورصد النجوم والكواكب بتعاليم هرمس وحكمته، والحساب باستطلاع الغيوب، وصعود أعضائها في المجتمعات وبثهم لأفكارها في المدارس والجامعات بإخفاء هوياتهم وتمويه صلتهم بها، وقد جمعت الحركة في تكوينها وفي مجالات نشاطها كل ما سبقها من تراث الحركات السرية عبر العصور وفي كل الأمم، مصر القديمة واليهود والإغريق والهند.

وكل علماء الطبيعة، ومن أرسوا مناهج العلوم ووضعوا قواعدها وتقاليدها وحددوا وجهتها وحكموا مساراتها، في كل المجالات تقريباً، في عصر النهضة وما بعدها، نبتوا في محاضن حركة الروزيكروشان، وتم تكوينهم في محافلها بالمزيج الذي يمتزج في بوتقتها.

وأعضاء الأجيال الأولى من حركة الروزيكروشان، أغلبهم مجهولون، بسبب ميثاق السر والكتمان الشديد الذي قامت عليه الحركة، واتفاق مؤسسيها، كما علمتَ من وثيقة إشهارها، أن ينحصر نشاطها في بث الأفكار ممزوجة بممارسة الطب وتقديم العلاجات وتطوير العلوم، والسعي إلى تغيير المجتمعات من خلالها، والسعي لاجتذاب من يجندونه بهذه الأفكار، دون هيكل تنظيمي ولا درجات ولا مراتب، ولا اجتماعات منظمة، ولا طقوس ولا رموز، سوى الصليب والوردة.

ومن أشهر العلماء الذين عُرف انتماؤهم لحركة الروزيكروشان في أجيالها الأولى، وذَكرهم مؤرخو حركة الروزيكروشان ، مثل آرثر إدوارد ويت، وماجاس إنكوجنيتو، ولويس سبنسر، وأفردوا لبعضهم مساحات كبيرة عن أعمالهم وآثارهم وتراثهم في الحركة:

"الطبيب والجراح توماس ليناكري Thomas Linacre (١٤٦٠م-١٥٢٤م)، مؤسس الكلية الملكية للأطباء في انجلترا، والطبيب والصيدلي والمنجم الألماني ثيوفراستوس بومباستوس فون هوهنهايم Theophrastus Bombastus Von Hohenheim الشهير باسمه الرمزي باراسيلسوس Paracelsus (١٤٩٣م-١٥٤١م)، وهو أول من يُنسب إليه الكلام عن السموم وتصنيف العقاقير في الغرب، والفلكي والمنجم الفرنسي الشهير نوستراداموس Nostradamus (١٥٠٣م-١٥٦٦م)، والمنجم والفلكي والقبالي

الإيطالي جوردانو برونوGiordano Bruno (١٥٤٨م-١٦٠٠م)، وهو أول من تبنى نموذج الكون المفتوح في الغرب، والفلكي والخيميائي الدانمركي تيخو براهي Tycho Brahe (١٥٤٦م-١٦٠١م)، والمنجم والفلكي والخيميائي يوهانس كبلر Johannes Kepler (١٥٧٠م-١٦٣٠م)، أحد آباء الكون الشمسي، والذي سنعرفك به تفصيلاً في كتابنا: الكون والقبالاه والحركات السرية، والرياضي والمنجم والخيميائي الإنجليزي جون دي John Dee (١٥٢٧م-١٦٠٨م)، وهو أول من نقل كتب إقليدس كاملة إلى الإنجليزية، وكان صاحب أضخم مكتبة في انجلترا وبيته بمثابة الجامعة الثالثة في انجلترا بعد أوكسفورد وكمبردج، وهو أيضاً مستشار الملكة إليزابيث الأولى الخاص ومنجمها، والسير إلياس أشمول Elias Ashmole مؤسس متحف أوكسفورد للعلوم، وهو الذي قام بالاشتراك مع السير روبرت موراي Robert Moray بتأسيس الجمعية الملكية البريطانية، والاثنان من الماسون وأعضاء الروزيكروشان في الوقت نفسه".

وإذا كان قد أثار عجبك ودهشتك، أو استنكرت، أن يكون هؤلاء الأعلام اللامعون، الذين غيروا مسار الغرب، ووضعوا أسسه وكونوا تاريخه، من أعضاء حركة الروزيكروشان السرية المجهولة التي لا يعرف أغلب البشر عنها شيئاً ولم يسمعوا باسمها، فاحبس أنفاسك وإليك ما هو أشد إثارة وأكثر غرابة.

مارتن لوثر Martin Luther، مؤسس المذهب البروتستانتي، وُلد سنة ١٤٨٣م، ومات سنة ١٥٤٦م، وهو كما ستعلم من وثائق حركة الروزيكروشان، الزمن الحقيقي لتأسيسها وبداية نشاطها، وثمة قرينة باقية على صلة مارتن لوثر بحركة الروزيكروشان.

فاسم حركة الروزيكروشان معناه الصليب الوردي، أو الوردة والصليب Rose And Cross، وهو نفسه رمز الحركة وشعارها، والرمز الأصلي القديم للحركة عند إشهارها كان يُرسم في صورة صليب أبيض يحوي في وسطه، في موضع التقاء يديه وجسمه، وردة حمراء، أو في صورة وردة حمراء في وسطها صليب أبيض داخل قلب.

وهذا الشكل الأخير هو نفسه شعار مارتن لوثر ورمزه، فشعار لوثر هو الصليب والوردة، وهو في صورة وردة بيضاء تحيط وريقاتها بصليب في وسطها داخل قلب أحمر.

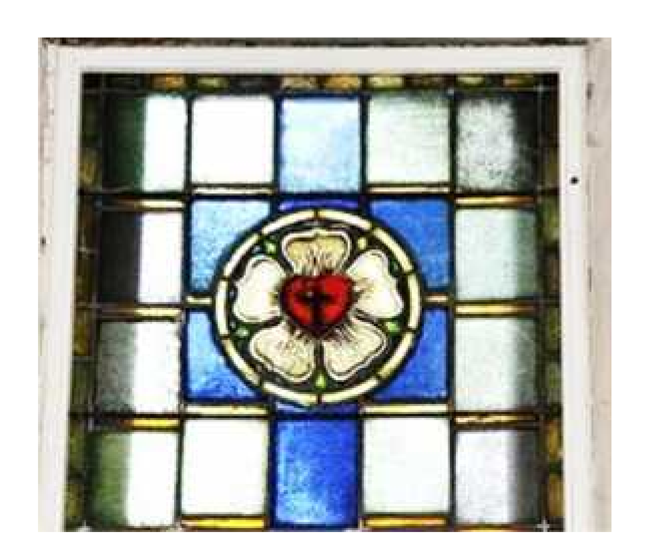
وشعار لوثر ما زال محفوظاً منقوشاً على زجاج إحدى نوافذ كنيسة كوبشتاد Cobstadt، في تورنجن Thuringen، في ألمانيا.

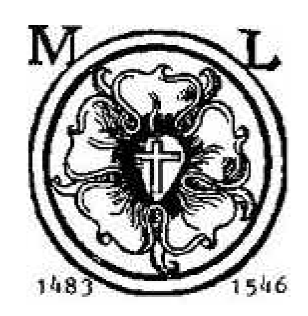
فإليك شعار حركة الروزيكروشان، وشعار مارتن لوثر على زجاج كنيسة كوبشتاد، لتقارن بينهما وتتيقن.





شعار حركة الروزيكروشان





شعار مارتن لوثر على زجاج كنيسة كوبشتاد

خلف حركة الروزيكروشان

إذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، فستجد فيه أن الرواية الرسمية التاريخية لتكوين منظمة فرسان الهيكل، تقول إن المنظمة كونها تسعة رجال، جميعهم في الأربعينيات من العمر، وأن الهدف الرسمي من تأسيسها كان حماية طرق الحج وقوافل الحجاج المسيحيين في رحلتهم من شواطئ البحر المتوسط إلى أورشليم، وستعرف أن هؤلاء التسعة لم يكونوا سوى واجهة لمجموعة من الأسر المتحالفة معاً والمترابطة بالمصاهرات وعلاقات العمل الطويلة، وأنهم كونوا فرسان الهيكل لكي تكون وسيلة صعودهم في العالم الكاثوليكي والسيطرة على مقاليده ونقل النفوذ والسلطة الفعلية في داخله من الملوك والأمراء إلى المنظمة، ومن ثم إليهم، ومن أجل الاقتراب من غايتهم التاريخية، أورشليم والهيكل.

فهذه الأسر لم تكن سوى مجموعة من أسر اليهود الأخفياء Crypto Jews التي تعيش في المجتمعات بهوية مزدوجة، وتسعى من خلال الهوية الظاهرة، وتغليف أنفسها في عقائد البلاد التي توجد فيها وثقافتها وسلوكها، إلى الترقي والصعود نحو مناطق النفوذ وامتلاك المال وأدوات التأثير على السلطة، لكي يكون ذلك أداة إذابة عقائد هذه المجتمعات وغاياتها، وتوجيهها نحو المسار الذي تتحقق به غايات الهوية المخفية والحقيقية لهذه الأسر اليهودية، ولو بعد مئات السنين وآلافها!

وقصة منظمة فرسان الهيكل هذه، هي القصة التقليدية الكلاسيكية في تكوين الحركات السرية كلها، فكل منظمة أو حركة سرية يتم تدوين روايةٍ عن تكوينها ومن كونوها مغلفة بالغموض والإثارة، لتكون هذه الرواية الرسمية الدم الكذب الذي يُصدَّر للتاريخ ومن يؤرخونه، لكي تضلل من يتتبع المنظمة وينقب خلفها بالرواية المثيرة عن حقيقة ما حدث، وعن الفَعَلة الحقيقيين الذين كونوها، فيظلون بذلك في الخفاء، وخفاؤهم هو أكبر مصادر قوتهم، لأنه الساتر الذي يواصلون من خلفه عملهم، والغلاف الذي يتوارثون داخله توجيه التاريخ إلى غايتهم، بعيداً عن الرقباء ومن يرصدون.

فإليك الآن نموذجاً، نعرفك فيه بحقيقة حركة الروزيكروشان/الصليب الوردي، وبالفاعل الحقيقي من خلفها.

بعد أن عرض الخلاف بين مؤرخي حركة الروزيكروشان حول صحة الرواية التي ترويها وثيقة إشهارها، عن كيف تكونت الحركة، يعقب الأستاذ الأعظم لحركة الروزيكروشان آرثر إدوارد ويت بقوله:

"**من البيِّن أن قصة الصليب الوردي المسيحي، مؤسس المنظمة في وثيقة إشهارها، ليست حقيقة تاريخية Not Historically True، وأن الجمعية لا يمكن أن تكون قد نشأت بهذه الطريقة التي ترويها وثيقة الإشهار، فليس من المعقول أن يُنشئ شاب في الحادية والعشرين من عمره منظمة بهذه الكفاءة والقوة والتنظيم**"[١].

وفي تاريخه الحقيقي للروزيكروشان، لم يقدم ويت بديلاً لرواية نشأة الحركة في وثيقة إشهارها التي رفضها وأنكرها.

فإليك فرضيتنا التي لم يسبقنا إليها سابق، لا في الشرق ولا في الغرب.

ومفتاح فرضيتنا سؤالان، الأول: إذا كانت قصة الراهب الألماني مختلقة، وفي رأينا أنها تلفيق بين الحقيقة والاختلاق، فمن الذي نقل القبالاه والخيمياء والتنجيم وعقيدة هرمس وتعاليمه، التي تكونت بها الحركة وصارت مزيجها وصِبغة جميع من تكونوا فيها، إلى أوروبا، ومِن أين أتى مَن نقلها بمصادرها، ولم يكن لها وجود في أوروبا من قبلُ؟

والسؤال الثاني: من أين أتى التمويل الذي تكونت به الحركة وجندت أعضاءها، وكانت تنفق منه عليهم لكي يتوغلوا في المجتمعات في غلاف علاج المرضى بلا مقابل، وعلى التعليم وإنشاء المدارس، وهو التمويل الذي بلغ من الضخامة أن كان في خطة إنشاء الحركة منذ البداية أن تغدق منه على الملوك والأمراء وتشتريهم به، كما نصت وثيقة إشهار الحركة،

---

1) The Real History of The Rosicrucian, P220.

والتمويل هو حجر الزاوية في الحركات السرية، ومصدر هذا التمويل هو الفاعل الحقيقي من خلفها؟

ومن هذين السؤالين، تعلم أن المؤسس الحقيقي لحركة الروزيكروشان يجمع بين أمرين، الأول أنه هو الذي نقل القبالاه وتعاليم هرمس والتنجيم والعلوم من الشرق إلى الغرب، والثاني امتلاكه لأموال طائلة تمكنه من تمويل تكوين الحركة والإنفاق عليها، ومن شراء الأمراء وذوي النفوذ من أجل فتح الطريق لها.

فهاك هو.

تقول مؤرخة عصر النهضة والأستاذة في تاريخه في جامعة لندن، فرانسيس ييتس Frances Yates، في الفصل الأول من كتابها: جوردانو برونو وتعاليم هرمس Giordano Bruno And The Hermetic Tradition، وهو الفصل الذي عنوانه: هرمس مثلث العظمة Hermes Trimegestus:

"**في سنة ١٤٦٠م أرسل كوسيمو دي مديتشي Cosimo de' Medici، حاكم فلورنسا، حملة من أتباعه إلى الشرق واليونان، من أجل التنقيب عن مخطوطات الحكمة والعلوم القديمة والعودة بها إلى فلورنسا ، وقد تمكن أحد الرهبان، وهو ليوناردو دي بستويا Leonardo de Pstoia، من العثور على متون هرمس Corpus Hermeticum، والعودة بها إلى دي مديتشي الكبير، الذي أمر المترجم والمنجم مارسيليو فتشينو Marsilio Ficino أن يتفرغ لترجمتها من الإغريقية إلى اللاتينية**[1]".

والبؤرة الرئيسية التي جمع فيها ومن خلالها كوسيمو دي مديتشي بين القبالاه وتعاليم هرمس والأفكار الوثنية، وجعلها معملاً للمزج بينها، وأداة تكوين أجيال من الناشئة بهذا

---

1) Francis Yates: Giordano Bruno And The Hermetic Tradition, P12, Routledge And Kegan Paul, London, 1964.

المزيج، ليصبحوا هم بعد ذلك أداة نشر هذا المزيج في مدن إيطاليا كلها وبثه في جميع جامعاتها، هي الأكاديمية الأفلاطونية، التي أقامها ووضع مارسيليو فتشينو على رأسها.

والأكاديمية الأفلاطونية، هي مدرسة نظامية أقامها كوسيمو دي مديتشي في قصره، لتعليم فلسفة أفلاطون الوثنية، ومتون هرمس والعقيدة الشمسية، والتعاليم القبالية، ومارسيليو فتشينو هو الذي عهد إليه كوسيمو بترجمة المخطوطات التي جلبها له مبعوثوه للبحث عنها في الشرق، ثم كان فتشينو هو الذي تولى تدريسها وشرحها لتلاميذ الأكاديمية، الذين تشربوها وتكونوا بها، ثم ترجموها في أعمالهم في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفنية، وصنعوا بها عصر النهضة، وسوف نزيدك بذلك كله بياناً وتفصيلاً في باب: عصر النهضة القبالي.

أما في هذا الموضع، فما نريدك أن تعرفه، أن الأكاديمية الأفلاطونية، حسب فرضيتنا، لم تكن سوى المقر التأسيسي والمحفل الأول لحركة الروزيكروشان، أو الجمعية التي تخبرك القصة الرمزية في وثيقة إشهار الحركة أن مؤسسيها أقاموها لنشر الحكمة والعلوم في أوروبا كلها.

وكوسيمو دي مديتشي، والراهب ليوناردو دي بستويا وبقية مبعوثيه، الذين جلبوا له متون هرمس والفلسفة الوثنية والأساطير الإغريقية وكتب التنجيم إلى أوروبا، ومارسيليو فتشينو الذي ترجمها وأقام له كوسيموالأكاديمية الأفلاطونية لتعليمها ونشرها، والأكاديمية نفسها، هم جميعاً نصف قصة الراهب الألماني في وثيقة إشهار حركة الروزيكروشان.

وأما نصفها الثاني، النصف القبالي، فهو لورنزو دي مديتشي وجيوفاني بيكو ديلا ميراندولا.

وجيوفاني بيكو ديلا ميراندولا Giovanni Pico della Mirandola، ولد سنة ١٤٦٣م، في آخر سنة من حياة كوسيمو دي مديتشي وحكمه لفلورنسا ، لأسرة نبيلة تتصل بقرابة لكونتات مدينة ميراندولا Mirandola في إقليم مودينا Modena ، شمال إيطاليا وبالقرب من

فلورنسا ، وتعلم اللاتينية والإغريقية، ثم انتقل سنة ١٤٨٠م إلى جامعة بادوا، ولازم القبالي اليهودي إيليا ديل مديجو Elijah Del Medigo، وتعلم منه العبرية وتلقى القبالاه.

وفي سنة ١٤٨٤م، استقر المقام بديلا ميراندولا في فلورنسا في رعاية حاكمها لورنزو دي مديتشي Lorenzo de Medici، أو لورنزو العظيم Lorenzo Il Magnifico، حفيد كوسيمو مؤسس الأسرة، ولازم مارسيليو فتشينو في الأكاديمية التي يعلم فيها متون هرمس والفلسفة الأفلاطونية، ثم صار شريكاً في إتمام المهمة التي بدأها فتسينو وكوسيمو دي مديتشي.

وتحت رعاية لورنزو دي مديتشي، كتب ديلا ميراندولا تسعمائة أطروحة Theses، عن الدين والفلسفة والعلوم والطبيعة والسحر والتنجيم، ووضع مقدمة أو مدخلاً لهذه الأطروحات عنوانها: De Hominis Dignitate، أو خطبة عن كرامة الإنسان.

وفي سنة ١٤٨٦م رحل ديلا ميراندولا إلى روما ليعرض أطروحاته وخطبته عن كرامة الإنسان على الملأ فيها، وليتحدى من يرغب أن يناظره في أفكارها، ويعرض استقدام من شاء منهم مناظرته من أي مكان إلى روما على نفقته الخاصة!

وانتهى التحدي بتكوين البابا إنوسنت الثامن Innocent VIII لجنة لمراجعة أطروحات ديلا ميراندولا، فأصدرت تقريراً باحتواء ثلاث عشرة أطروحة منها على أفكار تدعو للهرطقة والإلحاد، وأنها ليست سوى استنساخ للأفكار والفلسفات الوثنية Pagan Philiosphy، فكتب ديلا ميراندولا دفاعاً Apology عن أطروحاته، وأهداه إلى لورنزو دي مديتشي، وبعد أن فر فترة إلى فرنسا، عاد إلى فلورنسا ليعيش في حماية لورنزو، إلى أن مات سنة ١٤٩٤م وهو في الحادية والثلاثين من عمره، وقد صارت تعاليمه وأطروحاته أحد المكونات الأساسية للتعليم في أكاديمية دي مديتشي، ثم في جامعات إيطاليا كلها، وأحد الأركان الرئيسية لعصر النهضة.

وخطبة ديلا ميراندولا عن كرامة الإنسان وما تحويه من أفكار، هي عند مؤرخي عصر النهضة، مانفيستو هذا العصر ومفتاحه.

فإليك ماذا يكون مانيفستو عصر النهضة، وماذا تكون فحواه، ومصدره الحقيقي ومن أين أتى به بيكو ديلا ميراندولا.

تقول مؤرخة عصر النهضة والأستاذة في تاريخه، فرانسيس ييتس، في الفصل الذي خصصته لديلا ميراندولا وأفكاره، من كتابها: جوردانو برونو وتعاليم هرمس، إنه بالرغم من أن اليهود لم يطردوا من إسبانيا نهائياً إلا بعد سنة ١٤٩٢م[ا]، فإن اضطهاد السلطات الكاثوليكية لهم، جعل أعداداً غفيرة منهم تفر قبل ذلك إلى فرنسا وإيطاليا، ومن أفكار هؤلاء اليهود:

"**أقام بيكو أفكاره وأطروحاته على التعاليم القبالية التي طورها يهود إسبانيا في العصور الوسطى، فقد تلقى بيكو القبالاه مباشرة من القبالي اليهودي الإسباني فلافيوس ميثريداتِس Flavius Mithridates، والربي إيليا ديل مديجو وآخرين غيرهم، وقد زودوه بالكتب والمخطوطات اللازمة، وهو ما أدى إلى انغماس بيكو في التقاليد الباطنية وفنون السحر اليهودي، خصوصاً تقنيات ممارسة السحر عبر قوة الحروف والأعداد، وهي التقنيات التي ابتكرها في القرن الثالث عشر الربي والقبالي الإسباني أبراهام أبو العافية Abraham Abulafia، ثم انتقلت إلى إيطاليا في بدايات القرن الرابع عشر، على يد تلميذه الربي جوزيف بن أبراهام جيكاتيلا Joseph Ben Abraham Gikatilla**"[١]

فالمصدر الأساسي، ليس لأفكار ديلا ميراندولا وتعاليمه، بل لأفكار عصر النهضة وكتابات جميع مفكريه في إيطاليا وما حولها من البلدان، كما تقول ييتس، هم يهود إسبانيا Spanish Jews، وعصر النهضة كان إيطالياً في مكانه وغلافه، ويهودياً إسبانياً في حقيقته وفحواه.

õ) **١٤٩٢م هي سنة سقوط مملكة غرناطة، وخروج العرب من آخر ممالكهم في الأندلس.**

1) Giordano Bruno And The Hermetic Tradition, P94.

وأشهر أساتذة ديلا ميراندولا، وأكثرهم تأثيراً فيه، وعقله وكل ما أنتجه من أطروحات وأفكار، لم يكن سوى ثمار البذور التي بذروها فيه، إيليا ديل مديجو، وفلافيوس ميثريداتِس، ويوهنان أليمان، وسنزيدك بهم بياناً وتفصيلاً، هم أيضاً، في باب: عصر النهضة القبالي.

وبيكو ديلا ميراندولا، الذي مزج الأفكار الوثنية والقبالاه بالعقيدة المسيحية، هو عند مؤرخي الحمار الغربي مؤسس القبالاه المسيحية!!

فإليك ماذا تكون هذه القبالاه التي يصفونها بأنها مسيحية، ومن أي مزيج كونها ديلا ميراندولا.

يقول نيكولاس جودريك كلارك Nicholas Goodrick-Clarke، أستاذ الباطنية والمعتقدات الخفية في الغرب Western Esotericism، في جامعة إكستر البريطانية Exeter، في كتابه: التعاليم الخفية في الغرب The Western Esoteric Traditions:

"بيكو كوَّن أطروحاته وتعاليمه، بما فيها تلك التي عن المسيحية، من المزاوجة بين تعاليم هرمس المصرية والقبالاه اليهودية، فقد كان هذا الشاب المتحمس يعتقد أنه لا يمكن فهم المسيحية وعقيدة الخلود الإلهية من غير النصوص العبرية والتقاليد القبالية اليهودية، وأطروحاته القبالية الاثنتان والسبعون تؤكد على فهم الديانة المسيحية على أساس من الحكمة العبرية Hebrew Wisdom"[١].

وكما ترى، الراهب الألماني الشاب، مؤسس حركة الروزيكروشان في وثيقة إشهارها، الذي نقل القبالاه وفنون السحر إلى أوروبا، ومزجها بالعلوم وبتعاليم هرمس التي جلبها دي بستويا وترجمها فتشينو، ليس في الحقيقة سوى الإيطالي بيكو ديلا ميراندولا، والمؤسس الحقيقي للحركة هو من خلف هؤلاء جميعاً، أسرة دي مديتشي.

---

1) Nicholas Goodrick-Clarke: The Western Esoteric Traditions, P43-44, Oxford University Press, 2008.

فإذا أردت أن تتيقن من أن ديلا ميراندولا، هو نفسه الراهب الالماني، فإليك البرهان من ديلا ميراندولا نفسه.

جمع ديلا ميراندولا أطروحاته التسعمائة في مجموعات، حسب موضوعها أو مصدرها، وجعل مصدر كل مجموعة عنواناً لها، فإليك عناوين بعض أطروحاته التسعمائة:

"إحدى وأربعون أطروحة من ابن رشد.

Forty One Conclusions According To Averroes

اثنتا عشرة أطروحة من ابن سينا.

Twelve Conclusions According To Avicena

إحدى عشرة أطروحة من الفارابي.

Eleven Conclusions According To Alfaraby

أربع أطروحات من الربي إسحق الناربوني.

Four Conclusions According To Isaac of Narbonne

أربع أطروحات من الربي أبو مارون البابلي.

Four Coclusions According To Abumaron The Babylonian

ثلاث أطروحات من موسى المصري.

Three Conclusions According To Moses The Egyptian

خمس عشرة أطروحة من أفلوطين.

Fifteen Conclusions According To Plotinus

أربعون أطروحة من رياضيات فيثاغورس.

Fourteen Conclusions According To The Mathematics of Pythagoras

عشر أطروحات من عقيدة هرمس مثلث العظمة المصري

Ten Conclusions According To The Ancient Doctrine of Mercury Trimegistus The Egyptian

أربع وسبعون أطروحة من العقيدة السرية لحكماء القبالاه العبرية، الذين يجب دائماً إجلالهم وتوقير ذكراهم.

Forty Seven Cabalistic Conclusions According To The Secret Doctrine of The Hebrew Cabalistic Wisemen, Whose Memory Should Always Be Honored

ثمانون أطروحة فلسفية من آرائي الخاصة.

Eighty Philosophical Conclusions According To My Own Opinion"(١)

ويغنيك عن أن تعرف تفاصيل هذه الأطروحات وما تحويه، نص الدعوة التي تم توجيهها في روما لحضور عرض ديلا ميراندولا لأطروحاته، والتي تم وضعها كمقدمة للطبعة الأولى من الأطروحات، التي طبعت لأول مرة في روما سنة ١٤٨٦م، ثم في كل ما تلاها من طبعات وترجمات:

"إليكم تسعمائة أطروحة تختص بالجدل Dialectical، والأخلاق Moral، والفيزياء Physical، والميتافيزيقا Metaphysical، واللاهوت Theological، والسحر

---

1) Stephen Alan Farmer: Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P251, 265, 296, 273, 275, 279, 297, 335, 341, 345, 373, Medieval & Renaissance Texts & Studies, Printed In USA, 1998.

Magical، والقبـالاه Cabalistic، وتحتـوي علـى خلاصـة آرائـه وآراء حكمـاء الكلـدان والعرب والعبريين والإغريـق والمصـريين واللاتـين، وسـوف يعرضـها ويناقشـها أمـام عمـوم الناس بيكو ديلا ميراندولا، كونت كونكورديا"[١].

وإليك برهاناً آخر على أن فلورنسا هي البؤرة التي تكونت فيها حركة الروزيكروشان، فهذا هو وصف تيموثي فريك وبيتر غاندي، في كتابهما: متون هرمس وحكمة الفراعنة المفقودة، لفلورنسا في عهد أسرة دي مديتشي، وآثارها في أوروبا كلها:

"لقد وصلت المعارف القديمة إلى فلورنسا في وقت سعيد الطالع في التاريخ ... وحمل دارسو التعاليم الجديدة ذلك التراث الجديد القديم، وابتُعثوا كسفراء ينشرون الاستنارة أينما حلوا، فقد ترك ريوكلين[õ]، أبو الإصلاح ومعلم لوثر وإرازموس، فلورنسا ، وبذر أول بذور الإصلاح البروتستانتي، وأسس توماس ليناكري كلية الجراحين الملكية في لندن، ويدين الرياضي نيكولاس ألكوسي والطبيب باراسيلسوس والمعماري برونيليسكي والفلكي توسكانيللي، الذي ألهمت خارطته كرستوفر كولمبس، بالفضل في استلهامهم للنهضة الفلورانسية ويقظة روح الحكمة القديمة"[٢].

وكما ترى، البوتقة التي تكون فيها المزيج الذي صنع حركة الروزيكروشان، والبؤرة التي انساب منها، ليست ألمانيا، بل فلورنسا في عهد أسرة دي مديتشي، والسفراء الذين ذكر فريك وغاندي أنهم تكونوا في معامل أسرة دي مديتشي في فلورنسا ، ثم انطلقوا منها ليغيروا كل شيء في أوروبا، العقائد والعلوم والفنون والآداب والتاريخ والجغرافيا، تم صناعتهم بالمزيج نفسه، ومن المواد نفسها التي تكونت بها حركة الروزيكروشيان وقامت عليها.

---

2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P211.

õ) صحة اسمه بالألمانية: ريوشلين، وسوف نعرفك به وبدوره في نقل القبالاه من فلورانسا إلى ألمانيا، في باب: عصر النهضة القبالي.

٢) تيموثي فريك وبيتر غاندي: متون هرمس وحكمة الفراعنة المفقودة، ص٢٠، ترجمة: عمر الفاروق محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

فالآن إليك فرضيتنا التي لا سابق لنا فيها صريحة، وهما فرضيتان مترابطتان معاً.

الجزء الأول من فرضيتنا، أن فلورنسا وأسرة دي مديتشي هي المؤسس الحقيقي لحركة الروزيكروشان، الذي جمع خليط العقائد والأفكار التي تكونت بها، وهي التي كانت تمول الحركة وتنفق عليها، وأكاديميتها هي المعمل الذي تكون فيه أعضاؤها، والمركز الذي كانوا يدورون من حوله، كما جاء في وثيقة إشهار الحركة.

والجزء الثاني من فرضيتنا، أن أسرة دي مديتشي ليست سوى إحدى أسر اليهود الأخفياء، بالضبط مثل مجموعة الأسر التي كونت منظمة فرسان الهيكل وكشفنا لك حقيقتها في كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية.

وقد تعترض: كيف تكون أسرة دي مديتشي في فلورنسا الإيطالية هي التي خلف حركة الروزيكروشان، والحركة ظهرت في ألمانيا؟

ونقول لك: إنه من الشائع في تاريخ الحركات السرية، بل ومن المعتاد، وهو الأصل في سيرة أغلب الحركات السرية، أن يكون المركز الذي يظهر فيه نشاط الحركة السرية وتُسفر فيه آثارها غير المكان الذي تكونت وأنشئت فيه، فالإليوميناتي أو منظمة النور البافارية تكونت في ألمانيا، وآثارها ظهرت في ثورة الماسون في فرنسا، والماسونية والحركات السرية كلها أصولها في الشرق، بينما مجال عملها ونفوذها الرئيسي وأكبر إنجازاتها في الغرب.

في حلقة المخطوط العبري، من حلقات عالم السر والخفاء، عرَّفناك بكتاب تبديد الظلام أو أصل الماسونية، الذي طبعه سنة ١٩٢٩م، عوض الخوري، وهو مسيحي كاثوليكي من لبنان، وكان سكرتيراً لبرودانتي دي موريس، رئيس البرازيل، من سنة ١٨٩٤م إلى سنة ١٨٩٨م.

والكتاب في أصله مخطوط كتبه في القرن الأول الميلادي، تسعة من اليهود في زمن هيرودس أجريبا، ملك اليهودية من قِبل الرومان، وهو أحد التسعة، وفيه قصة تأسيسهم لجمعية سرية لمناهضة أتباع المسيح، وأحفاد هؤلاء التسعة يتوارثون المخطوط جيلاً بعد جيل،

ويضيف كل منهم إليه ما حدث في زمنه من أحداث بارزة بخصوص الجمعية التي أسسها آباؤهم، وهي التي تحولت، حسب رواية المخطوط، إلى الماسونية.

فإليك هذه الفقرة من كتاب تبديد الظلام أو أصل الماسونية، تعرف منها ليس فقط أن إيطاليا هي البؤرة التي تكونت فيها حركة الروزيكروشان، بل وأن مركز الحركات السرية ومقر قيادتها في جميع أنحاء العالم، صار في عصر أسرة دي مديتشي وزمن تكوين منظمة الروزيكروشان، في إيطاليا، بين أحضان الفاتيكان وفي مركز الكاثوليكية!

يقول إبدون أدونيرام، حفيد أحفاد أدونيرام، أحد المؤسسين التسعة:

"ضن علينا أجدادنا بذكر اسم مؤسس هيكل/محفل رومية، ولكننا علمنا أنه من ذرية حيرام أبيود، وبما أن هذا الهيكل أدرك شأواً بعيداً من الانتصار، وعاد على الجمعية بجم الفوائد، نشط الخلفاء التسعة لإنشاء هياكل في غيرها من الممالك ... وكان مرجع هياكل كل مملكة إلى هيكل العاصمة الأول، ومرجع الهياكل كافة إلى الهيكل الرئيسي الأعلى في أورشليم إلى منتصف الجيل الثالث عشر، غير أن ازدهار هيكل رومية وخدماته الجُلى اضطر عمدة الهيكل الأعلى أن يتنازلوا له بموجب قرار مسجل في سنة ٥١٦٦ (١١٦٦م)، فقلدوه الرئاسة العليا لجميع هياكل الغرب، فشدد كل التشديد في رومية التكتم، ومنع في الأخص أن تُعقد الاجتماعات الخفية إلا في الهياكل الخفية تماماً، أي تحت الأرض"[١].

ومن التاريخ الذي قرأته في كتاب تبديد الظلام، ١١٦٦م، تعرف أن انتقال مركز قيادة الحركات السرية من الشرق إلى الغرب، كان في عصر منظمة فرسان الهيكل، إبان الحروب الصليبية، وأن عصر أسرة دي مديتشي الذي تلاه ليس في حقيقته سوى عصر نهضة هذه الحركات السرية في الغرب وامتلاكها لناصيته وسيطرتها على مقاليده.

وهو ما ستتيقن منه وأنت تواصل رحلتك معنا.

---

١) الأستاذ عوض الخوري: تبديد الظلام أو أصل الماسونية، ص١٨٠-١٨١، مطبعة الاجتهاد، بيروت، ١٩٢٩م.

وقد تعترض اعتراضاً آخر فتقول: كيف تكون أسرة دي مديتشي هي المؤسس الحقيقي لحركة الروزيكروشان، والحركة ظهرت كما في وثيقة إشهارها في أوائل القرن السابع عشر، سنة ١٦١٤م، بينما ذروة قوة أسرة دي مديتشي وازدهار بنكها وثرواتها كان في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والنصف الأول من القرن السادس عشر؟

وهنا نذكرك بأن وثيقة اشهار الحركة تنص على أن مؤسسيها اتفقوا على كتمان أمرها وعدم اعلان وجودها إلا بعد مرور ١٠٠ سنة على الأقل من تأسيسها، فإذا طرحت هذه السنوات المائة من تاريخ ظهور وثيقة الإشهار، فستجد نفسك في أوائل القرن السادس عشر.

وفي وثيقة اعترافات الروزيكروشان Confessio Fraternitatis of The Rosaecrusis، التي ظهرت لأول مرة في كاسل Kassel، في ألمانيا، سنة ١٦١٥م، وهي وثيقة حركة الروزيكروشان الثانية، بعد وثيقة إشهار الأخوية، التي ظهرت قبلها بسنة، أنه:

"**وسوف نكشف هنا ما حدث في العالم منذ وُلد أبونا المسيحي Our Christian Father، سنة ١٣٧٨م، وحتى وفاته، وعمره مائة سنة وست (١٠٦ سنة)، وما الذي تركه لمن جاؤوا بعده من آبائنا**"[1].

فعلى ذلك، تكون حياة المؤسس الرمزي لحركة الروزيكروشان، بين سنة ١٣٧٨م، وسنة ١٤٨٤م، وهو عصر أسرة دي مديتشي في فلورنسا، وذروة ازدهار بنكها، وتحالفها مع بابوات الكنيسة الكاثوليكية، وتمويل بنكها للخزانة البابوية.

---

1) Confessio Fraternitatis Or The Fame And Confession of The Fraternity of The Rosie Cross, P43, Translated By: Eugenius Philalethes, Printed By: T. M. For Giles Calvert, London, 1653.

ثاني الآتين من الخلف

وقد تعترض اعتراضاً ثالثاً فتتساءل: ولماذا تنشئ أسرة دي مديتشي حركة سرية، وقد كانت تحكم فلورنسا حكماً مطلقاً ويمكنها أن تفعل ما تريده من خلالها؟

فإليك الإجابة مرة أخرى من قصة تأسيس الجمعية السرية في المخطوط العبري، أو كتاب تبديد الظلام، فهيرودس أجريبا اشترك في تأسيس الجمعية، وكان رئيسها، واجتماعاتها تُعقد بين المؤسسين التسعة في قصره، ثم يجعلون نشاطها بعيداً عنه، وكأنه لا يعرفها ولا علاقة له بها، رغم أنه ملك اليهودية المطلق، ويمكنه أن يُصدر ما شاء من أوامر وقرارات، ويجبر الجميع على تنفيذها.

ذلك أن الأوامر والقرارات تأتي من أعلى، وهي مظهر السلطة، وقد يقابلها الناس بالجفاء والعصيان، أما الجمعية أو الحركة السرية، فهي ذراع غير مرئية، تتولى تغيير المجتمع بالوجود داخله والعمل فيه واجتذاب أفراده، وتمهده لأن يكون محضناً للأوامر والقرارات القادمة من أعلى، فيستقبلها بارتياح وينفذها طواعية.

وقبل ذلك، فتكوين حركة سرية، لتكون جناحاً غير مرئي للسلطة، يعمل في المجتمع من أسفل، سمة من سمات اليهود، خصوصاً الأخفياء، ومن خصائص تدبيرهم، في كل زمان ومكان يصلون فيه إلى السلطة.

فهاك نموذجاً قريباً منك، تعلم منه أن اليهود الأخفياء في جميع البلدان والعصور نسخة نفسية وذهنية واحدة، وهيرودس أجريبا في القرن الأول الميلادي، هو نفسه أسرة دي مديتشي في القرن الخامس عشر، وهما معاً ثاني الآتين من الخلف في بلاليص ستان في القرن العشرين، الذي وحد الحركات الشيوعية، وأطلقها في بلاليص ستان، لتكون أداته في إفسادها، وإذابة ما بقي من عقائدها وأخلاقها، رغم أنه كان يحكمها حكماً مطلقاً بالحديد والنار.

في سنة ١٩٤٧م، قام اليهودي الفرنسي الإيطالي هنري كورييل، بدمج حركتين شيوعيتين من الحركات والتنظيمات الشيوعية العديدة التي أنشأها اليهود في بلاليص ستان، في النصف الأول من القرن العشرين، وهما الحركة المصرية للتحرر الوطني، حمتو، وتنظيم إسكرا، ومعناها الشرارة بالروسية، وكون منهما الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، حدتو، وكان لكل عضو في التنظيم اسم حركي، والاسم الحركي لكورييل اليهودي الإيطالي الفرنسي هو: يونس!

واليهودي هنري كورييل، مؤسس حركة حدتو الشيوعية في مصر، والحزب الشيوعي السوداني، هو ابن المرابي دانيال نسيم كورييل، صاحب بنك الرهونات فى القاهرة ومؤسسه، وكان يقوم بإقراض المصريين الأموال بالربا في مقابل رهن ما يمتلكونه من أملاك أو أشياء نفيسة، ثم يستولي عليها عند تراكم الديون وفوائدها وعجزهم عن السداد، كالمعتاد!

والثروة التي كنزها المرابي اليهودي دانيال كورييل من نهب أموال المصريين والاستيلاء على ممتلكاتهم، هي التي وظفها ابنه هنري كورييل في تكوين الحركات الشيوعية والإنفاق عليها، وكالمعتاد أيضاً.

ويقول الشيوعي وعضو حركة حدتو، رفعت السعيد، في المجلد الثالث من تاريخه للحركة الشيوعية في مصر:

"... كل هذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد للتنظيمات اليسارية أمراً ممكناً، رغم خطورة ذلك في صفوف الجيش، وهكذا أتيحت الفرصة كي ينشأ ويتعزز قسم الجيش بمنظمة حدتو، وأُعطي اسماً سرياً، هو: قسم الأحذية"[١]!!

وثلاثة من هؤلاء الأحذية، كانوا من مؤسسي تنظيم الضباط الأحرار، وهم خالد محي الدين قائد سلاح الفرسان، ويوسف صديق من السلاح نفسه، وأحمد حمروش من المدفعية.

---

١) دكتور رفعت السعيد: تاريخ الحركة الشيوعية، ج٣، ١٩٤٠م-١٩٥٠م، ص١٦٤، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧م.

يقول رفعت السعيد:

"كان خالد محي الدين يحرر معظم المنشورات للضباط الأحرار، وبرنامج الضباط الأحرار كتبه أحمد فؤاد وخالد محي الدين، ووافق عليه جمال عبد الناصر ... وأول منشور للضباط الأحرار طُبع لدى شخص مدني كان صديقاً لأحد الضباط، ثم ما لبث تنظيم الضباط الأحرار أن اعتمد على حدتو اعتماداً كاملاً في طبع منشوراته ونشراته"(١).

وإليك ما أخفاه عنك عضو حركة حدتو الشيوعي رفعت السعيد، يخبرك به الشيوعي جيل بيرو، رفيق هنري كورييل، وعضو حركة حدتو أيضاً، في سيرته لكورييل: هنري كورييل رجل من طراز فريد:

"وخالد محي الدين "كان يحرر كل بيانات الضباط الأحرار، وكانت تسحبها مطبعة حدتو السرية، وكانت تصل إلى مقر الحزب الشيوعي الفرنسي نسخة من كل بيان، بإيعاز من هنري كورييل"(٢)!

والحِذاء أحمد حمروش، المسؤول السياسي في قسم الأحذية، في حركة حدتو، وأحد المؤرخين الرسميين لثورة يوليو، له كتاب في بضع مجلدات ضخمة، عنوانه: قصة ثورة ٢٣ يوليو، وهو مطبوع في الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهي مؤسسة حكومية تتبع وزارة الثقافة المصرية.

وفي الجزء الثاني من المجلد الأول من كتابه، وعنوانه: مجتمع جمال عبد الناصر، يقول أحمد حمروش إنه بعد إصدار ثاني الآتين من الخلف لميثاقه الوطني، سنة ١٩٦٢م، بدأ العملَ من أجل تكوين تنظيم سياسي يقوم بدور الطليعة لقيادة الاتحاد الاشتراكي، وتم تسميته: التنظيم الطليعي.

---

١) تاريخ الحركة الشيوعية، ج٣، ص١٦٦-١٦٧.

٢) المؤرخ الشيوعي جيل بيرو: هنري كورييل رجل من طراز فريد، ص٢٣٤، عربه وقدم له: كميل داغر، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.

وفي يونيو سنة ١٩٦٣م عقد ثاني الآتين من الخلف اجتماعاً حضره علي صبري، مدير المخابرات العامة، ثم نائب رئيس الجمهورية والأمين العام للاتحاد الاشتراكي لاحقاً، وسامي شرف سكرتير ثاني الآتين من الخلف، ومحمد حسنين هيكل، رئيس تحرير صحيفة الأهرام، وأحمد حمروش، وقد أصبح مدير مؤسسة المسرح والموسيقى، وأحمد فؤاد، رئيس بنك مصر، وهو عضو حدتو الذي كتب برنامج الضباط الأحرار، وكان ثاني الآتين من الخلف يعرفه وعلى علاقة به من قبل الثورة، لأنه كان يسكن بالقرب منه.

وفي الاجتماع: "**طلب عبد الناصر من كل واحد من الحاضرين أن يتصل بمجموعة من الذين يثق فيهم، وأن يشكل منهم خلايا، ولا يتجاوز عدد أفراد كل خلية عشرة أفراد ... وقال لأحمد فؤاد إنه يريد تنظيماً منضبطاً مثل التنظيمات الشيوعية، وأنه لا يوجد خلاف كبير مع الماركسية في التوجهات الاقتصادية والاجتماعية، واشترط عبد الناصر أن يكون التنظيم سرياً، وألا يُقبل الأعضاء فيه إلا بعد عرض الأسماء عليه للموافقة عليهم**"(١).

ويقول الحذاء أحمد حمروش، في كتابه: نسيج العمر، وهو مذكراته وسيرته الذاتية:

"**حضر لي أحمد فؤاد، الذي كانت صلته طيبة ومستمرة مع جمال عبد الناصر، وأبلغني خلال شهر مايو ١٩٦٣م، بأن عبد الناصر ينوي تشكيل حزب سري، هو تجسيد لما جاء في الميثاق، الذي صدر في مايو ١٩٦٢م، وكان مجال التجنيد لنا واسعاً من الأصدقاء والزملاء اليساريين الذين فُتحت لهم أبواب المعتقلات على دفعات ... فارق شاسع بين التجنيد لتنظيم سري مقاوم للنظام والسلطة، والتجنيد لتنظيم تابع للسلطة، لمسنا إقبالاً طيباً من بعض الذين أغلقت عليهم أبواب المعتقلات، وانضم إلينا بعض الذين كانوا ينتمون إلى تنظيمات شيوعية مختلفة، كما انضم إلينا عدد كبير من المثقفين الذين لم يكونوا منتمين إلى تنظيمات سابقة، وبعد ذلك طلب جمال عبد الناصر أن نتصل رسمياً بقيادة التنظيمات**

---

١) الأستاذ أحمد حمروش: قصة ثورة يوليو، ج١، ص٦١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

الشيوعية لعقد حوار معها من أجل الوحدة في تنظيم واحد، وبدأنا الاتصال فوراً بالتنظيمين الرئيسيين، الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو)، والحزب الشيوعي المصري"[١]!

وثاني الآتين من الخلف، كما ترى، كان رئيس بلاليص ستان بالقوة بالجبرية من أعلى، وموحد التنظيمات الشيوعية ورأسها من أسفل.

وبالفعل تم تكوين لجنة قيادة من أحمد حمروش وأحمد فؤاد، وانضم إليهما الشيوعي محمد عبد المعبود الجبيلي، رئيس هيئة الطاقة الذرية في عهد ثاني الآتين من الخلف، وبدأوا في إعداد خريطة كاملة بأعضاء حدتو الرئيسيين في القاهرة والإسكندرية والأقاليم، تلاها الاتصال بهم لتكوين الخلايا التي طلبها ثاني الآتين من الخلف، وتسكينها في التنظيم الطليعي لتكون أداته في فرض ميثاقه الاشتراكي.

والخلايا الشيوعية التي تم تكوينها لتكون نواة التنظيم الطليعي وقيادة الاتحاد الاشتراكي، هي التي غزت كل شيء في مصر، وتم تسكينها في مؤسسات الدولة، وتسريبها في أنسجة المجتمع، ووضع مقاليده ومفاتيح توجيهه في يدها.

فهذه الخلايا الشيوعية، ومن تم تربيتهم فيها بعد ذلك، هم الذين تم وضعهم على رأس مؤسسات الدولة وبثهم في طبقاتها، وصاروا نجوم الثقافة والآداب والفنون، ورؤوس مؤسساتها، والمسيطرين على المؤسسات الصحفية والإعلامية، ووضعت خطط لتسريبهم في الجامعات والقضاء والجيش والشرطة والأزهر، ولفتح الطرق لهم للوصول إلى قيادتها ومناطق التأثير فيها، وما زالوا هم ومن تكونوا على أيديهم يسيطرون على مفاتيح بلاليص ستان ويتوارثونها بينهم.

وقد تسأل متعجباً: ولماذا يوحد ثاني الآتين من الخلف التنظيمات الشيوعية بالذات ويطلقها في بلاليص ستان ويضع مقاليدها بين أيدي أعضائها؟!

---

١) الأستاذ أحمد حمروش: نسيج العمر، ص١٤٨-١٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

والإجابة، أولاً: لأنه ثاني الآتين من الخلف، وهو في ذهنه ونفسه وتكوينه، كما أخبرناك، هيرودس أجريبا وأسرة دي مديتشي، وثانياً: لأنه كان عضواً في حركة حدتو، التي كونها اليهودي هنري كورييل، واسمه الحركي في الحركة: موريس!!

فإذا أصابتك صدمة ولم يصدق عقلك أن من أرضعوك حب ثاني الآتين من الخلف، استغفلوك كغيرك من الأميين، فإليك ما يخبرك به الشيوعي وعضو حركة حدتو وعضو تنظيم الضباط الأحرار وعضو مجلس قيادة ثورة يوليو، ومؤسس حزب التجمع التقدمي الوحدوي، الحِذاء خالد محي الدين، في مذكراته وكتابه: والآن أتكلم، الذي نشره مركز الأهرام للترجمة والنشر، التابع لمؤسسة الأهرام، وهي مؤسسة حكومية، وأعادت الدولة طبعه في مشروع مكتبة الأسرة ومهرجان القراءة للجميع، الذي تشرف عليه وزراة الثقافة المصرية، والطبعتان صدرتا في عهد حسني مبارك.

يقول الحِذاء خالد محي الدين في كتابه:

"كانت حدتو تطبع منشوراتنا كما قلت، وكان عبد الناصر لفرط حرصه يتسلمها بنفسه من مسؤول اتصال خاص في الموعد المحدد، وفي المساء كانت سيارة صغيرة تقف على كورنيش النيل بالروضة قبل قصر المانسترلي، وأمام عجلة القيادة شاب أسمر طويل يرتدي ملابس مدنية اسمه: موريس، ووفق الاتفاق كان شاب أرمني بعيد عن الشبهات يمتلك محلاً لإصلاح الراديو في شارع الروضة اسمه: ملكون ملكونيان، وهو واحد من كوادر حدتو الموثوق بهم، يقترب من السيارة ليسلم موريس لفافة، ولم يكن ملكون يعرف من هو موريس، ولا ماذا في اللفافات التي سلمها مراراً له، وبعد قيام الثورة شاهد ملكون صورة موريس تملأ الصحف، وأيقن أنه أسهم إسهاماً تاريخياً في إنجاح الثورة"[1].

---

١) **الأستاذ خالد محي الدين: والآن أتكلم، ص٩٩-١٠٠، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.**

أسرة دي مديتشي

والآن قد رأيت بعض براهين فرضيتنا، وهي أن أسرة دي مديتشي هم الذين جلبوا القبالاه وتعاليم هرمس والسحر والفلسفة الوثنية والتنجيم، وصنعوا بها المزيج الذي تكونت به حركة الروزيكروشان أو الصليب الوردي، وهم وأتباعهم مارسيليو فتشينيو وبيكو ديلا ميراندولا، هم في الحقيقة الراهب روزن كرويتس في قصة تكوين الحركة الرمزية في وثيقة اشهارها.

فإليك من سيرة أسرة دي مديتشي ما تعرف منه بقية براهين فرضيتنا، وهي أنها الطرف الوحيد في أوروبا، إبان تكوين الحركة وبدء نشاطها، الذي كان يمتلك المال والثروة الهائلة التي يمكن بها تمويل إنشاء مثل هذه المنظمة، والإنفاق على أعضائها، وعلى شراء الأعوان والأنصار من الأمراء لها، وشراء كرادلة الفاتيكان والبابوات، بل وصناعتهم، وتمتلك أيضاً النفوذ والسلطة الكافية لحماية الحركة وأعضائها.

وتعرف منه كذلك هوية أسرة دي مديتشي الحقيقية، وكيف وصلت إلى عرش فلورنسا ، وماذا فعلت فيها، وماذا فعلت في الغرب كله من خلالها.

وأول ما نعرفك به عن أسرة دي مديتشي، وهو من القرائن على صلتها بحركة الروزيكروشان ، اسمها، فدي مديتشي De Medici، ليس اسم الأسرة الحقيقي، بل هو لقب اشتُهرت به الأسرة، ولا يُعرف من أين جاءها أو اكتسبته، ومتى بدأت في استخدامه، وكان بعض أعلامها يضيفونه إلى أسمائهم، وأشهر هؤلاء مؤسس بنك الأسرة جيوفاني دي بيتشي، الذي أضاف دي مديتشي إلى اسمه، ليصبح اسمه جيوفاني دي بيتشي دي مديتشي Giovanni di Bicci de Medici، ثم مع صعود نفوذ الأسرة ووصول كوسيمو دي مديتشي إلى حكم فلورنسا ، أسقط وأسقطت معه الأسرة كلها اسمها الحقيقي، دي بيتشي، وصار لقبها الرسمي دي مديتشي.

ومديتشي، لقب أسرة دي مديتشي الرسمي، هو جمع لكلمة مديكو الإيطالية Medico، ومعناها الطبيب، فالترجمة الحرفية لاسم أسرة دي مديتشي هو أنها أسرة الأطباء، رغم أنه لا علاقة لها فعلاً بالطب، وليس من أعلامها أطباء.

وفي تاريخه لأسرة دي مديتشي The Medici، يقول المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج George Frederick Young، إنه:

"بسبب هذا اللقب شاعت قصة إبان حكم أسرة دي مديتشي لفلورنسا ، أنها في الأصل أسرة من الأطباء، وأن الكُرات التي في درع الأسرة وشعارها هي الأقراص التي كانت تصنعها، ولكن جميع أجيال الأسرة المعروفة قبل زمن جيوفاني دي بيتشي، كانوا من التجار ورجال البنوك، وليسوا من الأطباء، وقد أسهم في انتشار هذه الأسطورة أن كوسيمو، أكبر أبناء جيوفاني دي بيتشي، أعلن وضع نفسه والأسرة كلها تحت رعاية اثنين من القديسين الأطباء، هما القديس كوسمو St. Cosmo، والقديس دميان St. Damian، ولذا كان من الشائع رسمهما في اللوحات التي تُهدى لكوسيمو دي مديتشي، أو ترسم من أجله"[1].



شعار أسرة دي مديتشي

1) George Frederick Young: The Medici, Vol. I, P20, John Murray, London, 1913.

فهل يذكرك اتخاذ أسرة دي مديتشي للقب الأطباء وما يوحي به من سمو، غلافاً للأسرة، دون أن يكونوا فعلاً من الأطباء، أو لهم صلة بالطب، هل يذكرك بشيء؟

نعم، ونهنئك، فقد وصلتَ وحدك إلى أن دي مديتشي، أو أسرة الأطباء، ليسوا سوى أعضاء حركة الروزيكروشان الأوائل، الذين تخبرك قصة تأسيس الحركة الرمزية في وثيقة إشهارها، أنهم اتفقوا على التوغل في المجتمعات ونشر أفكارهم والمزيج الذي كونوه من القبالاه والعقائد الوثنية وزعزعة الكنيسة به، في غلاف أنهم أطباء ويعالجون المرضى بلا مقابل، وأن اشتغال هؤلاء الأعضاء في القصة الرمزية بالطب رمز لأسرة الأطباء دي مديتشي.

وإليك ما يزيدك يقيناً بصحة ما وصلتَ إليه، فالطب وممارسته، ليس لقب أسرة دي مديتشي فقط، فمارسيليو فتشينو، رأس أكاديمية دي مديتشي الأفلاطونية، وهي عندنا محفل حركة الروزيكروشان الأول، كان أبوه ديوتِفيتشي Diotifici طبيباً، ودخل في خدمة كوسيمو دي مديتشي، وقد أصبح حاكم فلورنسا المطلق، وصار طبيبه الخاص، ثم وجَّه ابنه فتشينو لدراسة الطب، إلى أن انتبه كوسيمو دي مديتشي إلى ذكائه وقدراته، فقرر أن يوظفه في مشروعه لنشر تعاليم هرمس والفلسفة الأفلاطونية في إيطاليا، فلم يكمل فتشينو دراسة الطب.

والطب هو أيضاً لقب أحد آباء عصر النهضة، وأشهر أساتذة بيكو ديلا ميراندولا، فمديجو، في اسم القبالي اليهودي إيليا ديل مديجو، هو أحد الطرق التي كانت تنطق بها كلمة مديكو الإيطالية، وهو ما يخبرك به صريحاً المؤرخان اليهوديان جوتهارد دويتش Gotthard Deutsch، وماكس شلوزنجر Max Schloessinger، في بداية دراستهما في الموسوعة اليهودية عن أسرة ديل مديجو، يقولان:

"**ديل مديجو = ديل مديكو Del Medigo = Del Medico**"[١].

---

1) Gotthard Deutsch And Max Schloessinger: Delmedigo, The Jewish Encyclopedia, Vol. IV, P506, Funk And Wagnells, New York, London, 1905.

فمعنى اسم إيليا ديل مديجو هو إيليا الطبيب، رغم أنه، مثل أسرة دي مديتشي، كان متفلسفاً قبالياً، ولم يكن طبيباً، ولا مارس الطب مطلقاً.

فرسان الهيكل

وسيرة أسرة دي مديتشي الحقيقية، هي سيرة أموالها وبنكها، الذي كان أداتها الرئيسية في الوصول إلى حكم فلورنسا وإقليم توسكانيا، وتسلطت من خلاله على الكنيسة والبابوية، وسيطرت على الاقتصاد والتجارة والحياة العامة في إيطاليا كلها، وفي ما يجاورها من وسط أوروبا، ونشرت فيها القبالاه والعقائد الوثنية، والإلحاد والإباحية، عبر الأكاديمية الأفلاطونية، ورعايتها للآداب والفنون.

فإليك أربعة من الباحثين الإيطاليين في شؤون المال والاقتصاد، من أربع جامعات إيطالية مختلفة، يعرفونك بموقع أسرة دي مديتشي وبنكها من أوروبا في عصر النهضة، في دراستهم الأكاديمية، التي نشرت في عدد شهري نوفمبر وديسمبر، من مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال الدولية International Business & Economics Research Journal، وكان عنوان الدراسة: نظرة حديثة على بنك دي مديتشي، الإدارة وأنظمة المحاسبة في أول مجموعة بنكية في أوروبا A Modern Look At The Banco De' Medici, Governance And Accountability Systems In Europe's First Bank Group.

يقول الباحثون الأربعة، وهم ماركو فَتسيني Marco Fazzini، ولويجي فيتشي Luigi Fici، وأليساندرو مونتروني Alessandro Montrone، وسيموني تيراتساني Simone Terzani:

"وسَّعت أسرة دي مديتشي تدريجياً أنشطتها البنكية دولياً، بتأسيس فروع، ليس فقط في مدن الأسواق الإيطالية الكبرى، مثل روما وفينيسيا وميلانو ونابولي، بل وأيضاُ بتأسيس فروع في جميع المراكز التجارية الكبرى في أوروبا، مثل لندن وجنيف وبروج وليون، وكان مقر البنك الرئيسي في فلورنسا ، واسمه: تافولا دي فِرنتسي Tavola di Firenze، ومعناه: طاولة فلورنسا، هو المسؤول عن التنسيق بين الفروع المختلفة لإتمام الصفقات

الدولية، وخلال القرن الخامس عشر، صار بنك دي مديتشي ممول التجارة الدولية والبابوات والملوك والحروب والأحلاف"[١].

وقبل أسرة دي مديتشي وبنكها، وبدلاً من الانطلاق في الزمان إلى الأمام، نغوص بك في أغواره عائدين إلى الخلف، فأسرة دي مديتشي وبنكها، الذي تكون على تخوم عصر النهضة، وكان ظهور هذا العصر من آثاره، لم تكن سوى وريثة للبنوك والنظام البنكي الذي ظهر في إيطاليا، أواخر الحروب الصليبية، وهي البنوك والنظام البنكي التي يعدها كثير من مؤرخي الاقتصاد والبنوك، النظام البنكي الأم في أوروبا، والذي ولدت من رحمه البنوك والشبكات البنكية في أوروبا كلها، وكانت جميعها محاكاة له.

في بداية الباب الخاص بتاريخ البنوك في إيطاليا، من كتاب: تاريخ البنوك في جميع الأمم الرائدة A History Of Banking In All The Leading Nations، الذي قام على وضعه مجموعة من خبراء المال والاقتصاد، وأشرفت على تحريره وأصدرته مجلة التجارة والبيانات التجارية The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin، في أربعة مجلدات سنة ١٨٩٦م، يقول بيير دي إسار Pierre Des Essars:

"من المتفق عليه أن إيطاليا هي الوطن الأم للبنوك Native Country of Banks، ويشهد لذلك أن لغة البنوك قائمة على المصطلحات الإيطالية"[٢].

ويؤكد لك ما قاله بيير دي إسار عن سيطرة المصطلحات الإيطالية على لغة البنوك والتعاملات البنكية عبر التاريخ، أن تعلم أن كلمة: بنك، التي دخلت في لغات أوروبا كلها، على أنها اسم لمؤسسات التمويل والإقراض بالربا، هي كلمة بانكا Banca الإيطالية، ومعناها

---

1) Marco Fazzini, Luigi Fici, Alessandro Montrone, Simone Terzani: A Modern Look At The Banco De' Medici, Governance And Accountability Systems In Europe's First Bank Group, International Business & Economics Research Journal, Volume 15, Number 6, November/December 2016, P271.

2) Pierre Des Essars: Banking In Italy, In: A History of Banking In All The Leading Nations, Vol. III, P153, Published BY The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin, In 4 volumes, Beaver Street, New York, 1896.

طاولة، أو منضدة، لأن مؤسسي البنوك الأولى في إيطاليا، كانوا يمارسون أعمالهم ويقومون بعمل حساباتهم، وهم جالسون خلف طاولة أو منضدة.

فإليك مؤرخ البنوك، ومدير بنك لندن ووستمنستر London And Westminster، في القرن التاسع عشر، جيمس جلبرت James Gilbart، يخبرك في كتابه: تاريخ البنوك وأسسها The History And Principles of Banking، من أين جاء اسم البنوك، وصلة اليهود به:

"وكلمة بنك Bank مأخوذة من كلمة بانكا Banca الإيطالية، وهي منضدة كان اليهود في أسواق لومبارديا يجلسون خلفها، من أجل تحصيل الفواتير وحساب الأموال"[١].

والآن نفاجئك، بأننا سنتقدم بك خطوة أخرى، في أغوار الزمان وإلى الخلف، وليس إلى الأمام، فشبكة بنوك إيطاليا نفسها، ليست في الحقيقة وطن البنوك الأم، ولا أول نظام بنكي في العالم، كما تخبرك موسوعة تاريخ البنوك، بل هي وريثة أول شبكة بنكية في تاريخ الغرب والعالم.

ولن تدرك حقيقة أسرة دي مديتشي وبنكها، وحقيقة البنوك الإيطالية ومَن خلفها، وكيف تكونت، ومن أين أتت بالأموال التي تكونت بها، إلا إذا عدت إلى هذه الشبكة البنكية الأولى، وعلمت كيف ظهرت ونمت وكنزت أموال أوروبا وثرواتها على مدى قرنين من الزمان، وسيطرت من خلالها على اقتصاد دول أوروبا وسياساتها في الغرب، وعلى ممالكها وإماراتها الصليبية في الشرق، ثم كيف اختفت هذه الأموال والثروات فجاة، وإلى أين ذهبت.

والوطن الأم الحقيقي للبنوك، وأول نظام وشبكة بنكية لحفظ الأموال والثروات، وللرهن والتمويل والإقراض بالربا، في تاريخ أوروبا والعالم كله، هي منظمة فرسان الهيكل.

---

1) James William Gilbart: The History And Principles of Banking, P7, Longman, London, 1834.

إذا ذهبت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، فستعرف أن تسعة من الرهبان الفرسان، أنشأوا سنة ١١١٨م، إبان الحروب الصليبية، وتحت رعاية مملكة أورشليم الصليبية، منظمة عسكرية كاثوليكية، هدفها المعلن حراسة طرق الحج من سواحل يافا إلى أورشليم ، وحماية الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا ويتعرضون للإغارة ونهب أموالهم وأمتعتهم، وكان مقر قيادة المنظمة ومركزها في المسجد الأقصى.

وفي سنة ١١٣٩م أصدر البابا إنوسنت الثاني Innocent II، مرسوماً بابوياً: Omni Datum Optimum، منح فيه فرسان الهيكل حق المرور عبر حدود الممالك والإمارات والمقاطعات الأوروبية كافة بحرية تامة ودون دفع ضرائب عبور، ونص فيه على استثناء فرسان الهيكل من الالتزام بالقوانين المحلية في كافة أنحاء أوروبا، وعلى أن المنظمة وفرسانها لا يخضعون لأي سلطة سوى سلطة أستاذها الأعظم، وأنه ليس لأحد أن يُساءل الأستاذ الأعظم أو يحاسبه سوى البابا نفسه، وهي امتيازات لم يكن يمتلكها في حينه أحد في أوروبا كلها، لا الجيوش ولا الرهبان ولا النبلاء، ولا حتى ملوك دول أوروبا وأمراؤها.

ومع الوقت صارت منظمة فرسان الهيكل أقوى كيان في أوروبا وفي الأرض المقدسة، فهي فرق عسكرية مقاتلة في الحروب الصليبية، وحاميات عسكرية تحرس طرق الحج المسيحية وتوفر الحماية للحجاج، وهي أسطول ينقل الحجاج والبضائع بين موانئ أوروبا والأرض المقدسة، وهي طائفة بناء ومعمار تشيد الكنائس والقلاع، وهي بنوك ومؤسسات مالية تتولى الإقراض وحماية الودائع وصرف الشيكات وبطاقات الائتمان، وهي شركات عابرة للدول تصدر البضائع وتستوردها وتنتقل بها وبالأموال في حرية ودون سلطة لأحد عليها، وهي مؤسسة دبلوماسية تتوسط بين ملوك أوروبا وأمرائها وتشترك في فض النزاعات بين القوى الأوروبية.

وما يعنيك هنا من سيرة منظمة فرسان الهيكل، عدة أمور يجب أن تصحبها معك وأنت تعود من كتابنا اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، وتواصل رحلتك معنا في الكتاب الذي بين يديك.

فأما الأمر الأول، أنه بحلول عام ١١٥٠م كانت مهمة فرسان الهيكل ونشاطها الرئيسي، قد تحول من حماية الحجاج إلى حماية أموالهم وثرواتهم وأمتعتهم، فقد كانت طرق الحج المسيحي، سواء إلى روما أو إلى الأرض المقدسة، طويلة ومحفوفة بالمخاطر وعرضة للإغارات، وكانت مصدر قلق دائم ومتاعب لا تنتهي للكنيسة ولحراسها، ومع الوقت طَوَّر فرسان الهيكل مهاراتهم، ليصبح استثمار الأموال والنفائس وإدارة المزارع والضياع وتربية الخيول وإقراض الأموال وتجارة البضائع أحد أبرز أنشطتهم، بل نشاطهم الأساسي الذي تدور كل الأنشطة الأخرى حوله ومن أجله، وصار العدد الأكبر من فرسان الهيكل وكل بناء المنظمة التحتي موجهاً إلى المعاملات المالية والأنشطة الاقتصادية والتجارية.

وأنشطة فرسان الهيكل الاقتصادية ومعاملاتهم المالية والتقنيات التي طوروها للاستثمار شديدة التنوع والابتكار، ومارسوا من خلالها جميع أنشطة البنوك والمؤسسات النقدية الحديثة، وهذه البنوك والمؤسسات قد ورثتها في الحقيقة عن المنظمة.

كان النبلاء وأبناء الأسر الأوروبية الأرستقراطية المتجهون إلى الأرض المقدسة للمشاركة في الحروب الصليبية يتغيبون عن بلادهم سنوات طويلة، فيكون فرسان الهيكل لهم بمثابة بنك أو شركة استثمارية، يضع النبيل أو الثري ثروته كلها تحت سيطرة فرسان الهيكل في بلده لحمايتها، ويفوضهم في حراسة أعماله وضياعه وإدارتها حتى عودته، فإذا مات في القتال أو لم يعد، نقل فرسان الهيكل ثرواته وأملاكه وأعماله إلى ورثته الذين اختارهم لوراثته، أو إلى المنظمة نفسها إن رغب في ذلك.

وأقام فرسان الهيكل ما يشبه الشبكة البنكية داخل أوروبا، وبينها وبين الأرض المقدسة، وعبر الطرق الممتدة بينهما، فإذا أراد أوروبي الحج إلى الأرض المقدسة، يذهب إلى أقرب مقر لفرسان الهيكل أو كنيسة لهم في بلده، ويُودع فيها أموالاً أو مجوهرات أو ما يشاء من نفائس تغطي تكاليف الرحلة إلى الأرض المقدسة ذهاباً وإياباً، وما يحتاجه من نفقات، وفي مقابل ذلك يعطيه مقر فرسان الهيكل ما يشبه الصك أو خطاب ضمان بما وضعه من أموال، أو بصِفة ما تركه من نفائس وقيمته، وفى أثناء الرحلة الطويلة إلى الأرض المقدسة يقدم

الحاج الصك أو خطاب الضمان عند كل مرحلة في رحلته إلى مقر فرسان الهيكل أو كنيستهم التي توجد فيها، ليمنحوه ما يشاء من مال، ثم يقومون بتسجيل ما منحوه في الصك، وعندما يعود الحاج إلى بلده يقدم الصك إلى المقر أو الكنيسة التي أودع فيها أمواله ونفائسه لتتم تسوية حسابه وإعادة ما بقي له من أموال، مع إنزال أشد العقاب به عند الخداع أو المماطلة.

ومع الوقت وارتفاع النفوذ وكثرة الأموال والثروات وازدهار الكنائس والمقرات، تطورت نشاطات فرسان الهيكل، لتتحول إلى بنوك استثمارية وشركات عابرة للدول والشعوب والبحار، فبعد توفير نفقات الحج خلال الطرق إلى الأرض المقدسة بشبكتهم البنكية، انخرط فرسان الهيكل فى تمويل التجارة ونقل البضائع.

وأنشأ الفرسان من أجل ذلك أسطولاً حربياً تجارياً يتكون من ثماني عشرة سفينة، قاعدته في جزيرة مايوركا Majorca في البحر المتوسط، ويتحرك بحرية تامة بين موانى إسبانيا وإيطاليا وفرنسا والأرض المقدسة وجزر البحر المتوسط، ولم تكن أي دولة أوروبية في حينه تملك أسطولاً بمثل سرعته وكفاءته، ولا بمثل قدرة الفرسان على حمايته والحركة والقتال به.

وبعد خمسين عاماً من تكوينها، كانت فرسان الهيكل قد تحولت إلى بنوك ومؤسسات مالية عابرة للدول، وشركات تجارية واستثمارية عابرة للبحار، وتمارس جميع أنواع الأنشطة المالية والتجارية، وتفوق ثروتها بمراحل ثروة جميع ممالك أوروبا.

وأحد أبرز أنشطة فرسان الهيكل المالية التي ابتدعوا فيها، الإقراض بالربا أو الفوائد، وهو ما جلب لها أموالاً طائلة وضاعف ثرواتها أضعافاً مضاعفة.

فمع ممارسة المنظمة لأنشطتها البنكية والاستثمارية والتجارية، وانفرادها بحرية الحركة بين ممالك أوروبا وإماراتها ومقاطعاتها، وبينها وبين الأرض المقدسة، تراكمت لديها أصول مالية هائلة، وأحد وجوه توظيف هذه الأصول كان إقراضها لمن هو بحاجة إلى المال.

وبمرور الوقت وازدياد الخبرة وكثرة المقترضين، صار إقراض المنظمة للمال وأخذ الفوائد أو رهن أرض المقترض أو بعض أملاكه نظاماً متكاملاً، هو الذى ينفرد وحده تقريباً بتمويل مختلف أنواع ألأنشطة التجارية والصناعية والمعمارية والحربية في أوروبا.

فكانت منظمة فرسان الهيكل تقرض التجار لشراء البضائع ونقلها بين دول أوروبا وبينها وبين الأرض المقدسة، وتقرض الأمراء والنبلاء لتمويل بناء القصور، وتقرض الملوك لتمويل بناء القلاع والحصون ولتجهيز حملاتهم الحربية ولتصريف أمور ممالكهم، وتقرض القساوسة والأساقفة لتمويل بناء كنائسهم وكاتدرائياتهم، وتقرض الجميع لتمويل الأنشطة الصليبية الحربية والمدنية في الأرض المقدسة، ومنذ النصف الثاني للقرن الثاني عشر ومنظمة فرسان الهيكل هي الممول الحقيقي لمختلف الأنشطة الصليبية في الأرض المقدسة، بما فيها الحملات الحربية.

وأشهر قرض قدمته منظمة فرسان الهيكل، وإن لم يكن أكبره، هو إقراضها ملك فرنسا لويس التاسع Louis IX حين وقع في الأسر إبان معركة المنصورة أثناء الحملة الصليبية السابعة، فقد أقرضته فرسان الهيكل ثلاثين ألف باوند لإكمال الفدية اللازمة لإطلاق سراحه، وقدرها مائتا ألف باوند.

والمشكلة التي واجهت فرسان الهيكل في أنشطتهم الخاصة بالقروض، هي تحريم الكنيسة للإقراض بالربا تحريماً قاطعاً وإنزالها العقاب بمن يمارسه، وقد تغلب فرسان الهيكل على هذه العقبة بحل مبتكر، وهو إقراض المال في مقابل أخذ أجرة على الإقراض تضاف إلى رأس المال المقترض، فالحل الذى ابتكرته المنظمة لكي لا تقع تحت طائلة التحريم وعقوبات الكنيسة، هو تغيير اسم المال الذي تأخذه من المقترض زائداً على القرض من فائدة Interest إلى أجرة Rent، وهو ما غضت الكنيسة الطرف عنه لأن أموال فرسان الهيكل كانت ضرورة لتمويل الأنشطة الصليبية من جهة، ولأن الكنائس نفسها كانت تقترض من فرسان الهيكل لتمويل منشآتها من جهة أخرى.

ومن أجل ضمان حقوقها المالية، ورد القرض مع الفوائد التي تتراكم عليه، كانت المنظمة تشترط رهن بعض أملاك المقترض، قصوراً كانت أو أراض أو مجوهرات، فإذا عجز المقترض عن رد القرض آلت ملكية الشيء المرهون إلى فرسان الهيكل.

وأشهر عملية رهن في تاريخ المنظمة، عندما اضطر ملك انجلترا هنري الثالث Henry III للاقتراض من فرسان الهيكل لتمويل حملته الحربية ضد سيمون دي مونتفورت Simon de Montfort، ورهن في مقابل القرض مجوهرات التاج البريطاني في مقر فرسان الهيكل في باريس.

ولم تكن المنظمة تقرض الكنيسة وأساقفتها والملوك والنبلاء فقط، بل وتقدم مقراتها القروض أيضاً لسكان القرى والمدن الصغيرة، وهو ما مكنَّهم من ممارسة التجارة ومنح بعض المال للأمير أو الإقطاعي الذي يتبعونه في مقابل حرية الحركة والتنقل بين القرى والأسواق، ومع الوقت أصبحوا يملكون من المال ما يمكنهم من دفع مبالغ أكبر في مقابل امتيازات أكبر وأكثر.

وبالشبكة البنكية التي أقامها فرسان الهيكل في مدن أوروبا وعلى امتداد طرقها الرئيسية، وفي الأرض المقدسة، وبما كانت تقدمه من قروض للتجارة، وبالحاميات العسكرية التي أقامتها عبر جميع طرق أوروبا، وشبكة الطرق الآمنة التي تكونت وربطت أجزاء القارة الأوروبية ووصلت بين شعوبها والمدن الرئيسية فيها، اختل التوازن بين أمراء الإقطاع وبين سكان القرى والبلدات الصغيرة.

وبدأ التجار في التجمع داخل المدن والقرى، وانضم إليهم أهل الحِرف ممن أدى رواج التجارة وأوساط التجار إلى ازدهار حرفهم، ونظموا أنفسهم في روابط وتجمعات، وبما جنوه من أرباح التجارة ونقل البضائع وبما يقدمونه للإقطاعي من أموال، تمكنوا من استمالته للموافقة على بناء أسوار لقراهم وبلداتهم، ثم ازدهرت هذه لتتحول إلى مدن، وداخل أسوار المدن الناشئة تكونت مجتمعات جديدة عمادها التجارة والصناعة والحِرف والصيرفة.

ثم سنت هذه المجتمعات الجديدة داخل مدنها المسورة لنفسها قوانين جديدة مستقلة عن تشريعات أوروبا القديمة، صاغها لها من ظهروا في كل مدينة وداخل كل مجتمع ناشئ من المشرعين، حتى سُمى القرن الثالث عشر في أوروبا بعصر المشرعين Le Siecle des Juristes.

وأقام فرسان الهيكل خارج أسوار مدن التجارة والحرف والمال الجديدة المرتبطة بهم أبراجاً لتكون حصوناً للمدينة، ومع الوقت صارت هذه الأبراج المقامة على أطراف المدن والبلدات الأوروبية وعبر الطرق، مقاراً لنزول التجار أثناء حركتهم، وأماكن للالتقاء وعقد الصفقات وتبادل البضائع وتسديد الأموال، واكتسبت الطبقة الجديدة التي تكونت اسمها من هذه الأبراج ليصبح: أهل الأبراج أو البورجوازية Bourgeoisie.

وبأموالهم تمكن التجار من شراء حق إنشاء ميليشيات مسلحة، لحماية أبراجهم ومقار عملهم، واستقلالُ مدن التجار والحِرف والصُناع والطبقة البورجوازية الناشئة اقتصادياً وتشريعياً، واكبه تلقائياً النزوع نحو الاستقلال الإداري والسياسي، فتكونت في كل مدينة منها طبقات من عموم أهلها يمولها التجار، وتدور مصالحهم ومنافعهم حولهم، وتتولى تنظيم شؤون المدينة وما حولها من قرى في نطاقها الجغرافي.

وعند حل منظمة فرسان الهيكل، كانت أوروبا قد تغيرت، فاضمحلت سلطة الملوك والنبلاء والأمراء، وتقلص سلطان الكنيسة وانزوى أساقفتها في أديرتهم، وحلت طبقات التجار التي تكونت حول فرسان الهيكل، وترتبط تجارتهم بها وبمقراتها وتمويلها لهم وحمايتها لتجارتهم عبر الطرق التي تمر فيها، حلوا محل هؤلاء جميعاً، وصاروا، كما يصفهم ول ديورانت في قصة الحضارة:

"هم المسيطرون على الحياة البلدية والاقتصادية، ونقابات التجار في كل الحكومات المحلية التي تكونت هيئات ذات حكم ذاتي، وفي أغلب الأحيان كانت الحكومة المحلية هي ونقابة التجار هيئة واحدة"[١].

وأما الأمر الثاني الذي نريدك أن تصحبه معك وأنت تواصل رحلتك معنا، فهو أن منظمة فرسان الهيكل كانت تغلف نفسها في غلاف أنها منظمة كاثوليكية، غرضها كما نصت في لائحة تكوينها معاونة البابا والكنيسة الكاثوليكية، وبهذا الغلاف حازت المنظمة نفوذها وامتيازاتها، ولكن المنظمة خلف هذا الغلاف كان لها عقائد وطقوس خاصة تناقض المسيحية وتنقضها، ولا يُقبل أي عضو في المنظمة، ولا يترقى من درجة إلى درجة، إلا بممارستها واختباره فيها، وهذه الطقوس تشمل إنكار ألوهية المسيح وإهانته، والبصق على الصليب والتبول فوقه، وإنكار جميع القديسين، وممارسة الشذوذ الجنسي بصورة جماعية ومنظمة، وممارسة طقوس وثنية، وعبادة رأس حجري اسمه بافوميت Baphomet، ووثن العذراء السوداء Black Virgin، وإقامة الطقوس والشعائر لها.

وفي يوم الجمعة ١٣ أكتوبر سنة ١٣٠٧م، أصدر ملك فرنسا فيليب الرابع أمراً باعتقال جاك دي مولاي Jacque de Molay، الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل، وسجنه مع سبعين من قيادات المنظمة في فرنسا في حصن شينو Chinon، وبدأ في محاكمتهم.

وفي السنة نفسها، أصدر البابا كليمنت الخامس Clement V مرسوماً بابوياً: Postoralis Praeeminentiae، يأمر فيه جميع الملوك والأمراء المسيحيين في أوروبا باعتقال فرسان الهيكل ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم والتحفظ عليها، ثم محاكمتهم لإدانتهم أو تبرئتهم من التهم الموجهة إليهم.

---

١) المؤرخ الأمريكي وِل ديورانت: قصة الحضارة، ج١٥، ص١٢٦، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، ١٩٧٥م.

وفي ١٦ أكتوبر سنة ١٣١١م، وبناءاً على تقرير اللجنة البابوية، اتخذ مجمع فيينا المقدس Council Of Vienne، قراراً بحل منظمة فرسان الهيكل، وفي ٢٢ مارس سنة ١٣١٢م أصدر البابا كليمنت الخامس مرسوماً بابوياً: Vox In Excelso، بحل المنظمة، وأتبعه بمرسوم آخر: Ad Providam يصادر فيه ممتلكات منظمة فرسان الهيكل ويحولها إلى منظمة فرسان إسعاف القديس يوحنا Hospitellars of Saint Jhon.

وليس هذا ما نريدك أن تصحبه معك وأنت عائد إلينا من كتاب: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، بل أن تعلم أن الفرسان الذين اعتقلهم الملك فيليب الرابع في فرنسا ثم حوكموا وأدينوا، لا يتجاوز عددهم بضع عشرات، وفي أوروبا كلها لا يتجاوزون بضع مئات، بينما كان عدد فرسان الهيكل في بلدان أوروبا المختلفة، حوالي خمسين ألفاً، وحين اعتقل المعروفون من قادة فرسان الهيكل وبدأت محاكماتهم، اختفى الباقون جميعاً، ولا يعرف أحد من المؤرخين أين ذهبوا بالضبط، ولا ما هو مصيرهم، فالمنظمة حلت نفسها تلقائياً مع بدء اعتقال بعض قادتها، واختفى فرسانها المقاتلون المحترفون، ومعهم جهازها المالي والإداري، خبراء المال والأعمال البنكية والأنشطة التجارية.

ومع اختفاء الفرسان وخبراء المال والتجارة، اختفت وثائق المنظمة وثرواتها، فحين صدر أمر البابا بالتحفظ على مقرات فرسان الهيكل وكنائسهم التي ظلت تمارس مختلف أنواع الأنشطة المالية والبنكية والتجارية لقرنين من الزمان، كان كل ما فيها قد اختفى، فلم يعثر أحد أبداً على أموال أو ثروات، بل ولا على أرشيف أو سجلات لأرصدة فرسان الهيكل، ولا لمعاملاتهم المالية وأعمالهم التجارية التي كانت تنتشر عبر القارة الأوروبية كلها، وتغطي مختلف أوجه الحياة اليومية فيها، وتدور فيها أموال طائلة بيعاً وشراءاً وتمويلاً وإقراضاً.

ومع اختفاء فرسان الهيكل، واختفاء أموالهم وثرواتهم، واختفاء وثائقهم، اختفى أسطولهم، الذي لم يكن له نظير في أوروبا، وفي تقرير قُدم للبابا كليمنت الخامس أن الأسطول كان راسياً بسفنه الثمانية عشرة في ميناء لاروشيل La Rochelle، على الساحل الأطنلطي لفرنسا

حتى يوم ١٢ أكتوبر ١٣٠٧م ، وفي اليوم التالي حين صدرت أوامر الملك فيليب الرابع باعتقال قادة فرسان الهيكل، كان الأسطول قد اختفى بسفنه وبحارته وفرسانه!

وثالث ما نريدك أن تعود به إلينا من كتاب: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، أنه بعد سقوط منظمة فرسان الهيكل في أوروبا، ومعقلهم الرئيسي في مقاطعة لانجدوك Languedoc، جنوب فرنسا، انفجرت المنظمات والحركات السرية في أوروبا كلها، واجتاحتها جمعيات السحر التي تقوم على عبادة الشيطان والتقرب إليه بتدنيس شعائر المسيحية وقلب طقوسها وإهانة رموزها، وأن الماسونية في اسكتلندا وانجلترا كانت امتداد فرسان الهيكل في هذه البلاد.

وأما أهم ما نريدك أن تعود به من كتاب: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، فهو أنه كان خلف تكوين منظمة فرسان الهيكل، ونواتها وقلبها، مجموعة من أسر اليهود الأخفياء، الذين كان انتسابهم للكاثوليكية وكنيستها، ليس سوى غلاف يختبئون خلفه، ويعملون من خلاله على توجيه الطعنات للكنيسة وتقويضها وإذابة العالم الذي تقف على رأسه، وفرسان الهيكل لم تكن سوى خنجر غرسوه في قلبها.

من فرسان الهيكل إلى بنوك إيطاليا

اليهود والربا والبنوك

اليهود والربا:

والآن جاء أوان أن نعود بك إلى إيطاليا، وعودتنا بك إليها من خلال فرسان الهيكل وما صرتَ تصحبه معك، فالمزيج الذي صنعته منظمة فرسان الهيكل، وتمتزج فيه ممارسة التجارة والتمويل والإقراض بالربا، مع القبالاه والعقائد الوثنية، والإلحاد والإباحية، في غلاف الدفاع عن الكاثوليكية ومعاونة كنيستها، انساب في وجود المنظمة وبنفوذها في بلدان أوروبا كلها، إبان الحروب الصليبية، ولكنه ظهر واضحاً في إيطاليا، وبعد حل منظمة فرسان الهيكل واختفاء كل ما يتعلق بها، تدفق هذا المزيج عبر البنوك الإيطالية، وبلغ ذروته مع أسرة دي مديتشي وأكاديميتها الأفلاطونية، وكان هو نفسه المزيج الذي صنعت به حركة الروزيكروشان وعصر النهضة.

وشبكة البنوك الإيطالية التي يرى مؤرخو الاقتصاد أنها النظام البنكي الأم في العالم، لم تكن سوى الوريث الأول والمباشر للشبكة البنكية التي أقامتها منظمة فرسان الهيكل في مقراتها عبر بلدان أوروبا، وإيطاليا إبان الحروب الصليبية كانت هي نفسها أكبر معاقل منظمة فرسان الهيكل وأماكن تمركزها في أوروبا، بعد فرنسا، ومقرها الرئيسي في إيطاليا كان في أحضان الكنيسة وبابواتها، كما يخبرك مؤرخ الحركات السرية توماس كيتلي Thomas Keightley، في الباب الذي خصصه لفرسان الهيكل، من كتابه: الحركات السرية في العصور الوسطى Secret Societies of The Middle Ages، يقول كيتلي:

"لم تكن توجد بلدة في شمال شبه الجزيرة الإيطالية ووسطها، إلا ولفرسان الهيكل مقر فيها، ومقرهم الرئيسي والأعظم في إيطاليا، كان على تلة أفنتين Aventine Hill، في روما"[1].

---

1) Thomas Keightley: Secret Societies of The Middle Ages, P251, Charles Knight & Co., London, 1837.

ونبدأ معك من الربا وكنز الأموال، وهو مصدر قوة اليهود الحقيقية، وأداتهم الرئيسية، الصرحاء منهم والأخفياء، ولا يمكنهم التوغل في أي مجتمع والسيطرة على مقاليده، إلا بعد أن يدخله الربا ويستقر فيه، كما سترى.

كانت الكنيسة الكاثوليكية تحرم الربا على المؤمنين بالمسيحية في كل عصورها، ولكنها بدأت في التشديد على هذا التحريم منذ أوائل القرن الثاني عشر، وكانت منظمة فرسان الهيكل، كما علمتَ، تلتف على هذا التحريم بتسمية الربا أو الفائدة أجرة.

وفي سنة ١١٧٩م، أصدر البابا ألكسندر الثالث Alexander III، في مجمع لاتران الثالث Council of Lateran، مرسوماً بحرمان من يمارسون الربا، وأنه لن يتم إجراء قداس ولا طقوس دفن مسيحية لمن يمارسونه عند موتهم، وفي سنة ١٣١١م، نص مرسوم مجمع فيينا المقدس Council of Vienne، الذي أصدره البابا كليمنت الخامس Clement V، على أن ممارسة الربا تعد هرطقة، وسيعامل من يمارسها على أنه مهرطق وخارج عن الإيمان المسيحي.

والكنيسة الكاثوليكية، كانت تحرم الربا وتشدد في تحريمه، وتنزل العقوبات بمن يمارسه، وفي الوقت نفسه تستثني من ذلك كله اليهود!

وكان خلف استثناء الكنيسة لليهود، وسماحها لهم بالربا أو الإقراض بفائدة، سببان، أولهما: أن الكنيسة كانت بحاجة لمن يخفف العبء عن خزانتها، بتوفير المال للفقراء، وللحجاج إلى الأماكن المقدسة، ومنها روما والكنيسة نفسها، ولحكومات المدن وحكامها، وللتجار، وللنبلاء والأثرياء الباحثين عن الرفاهية والكماليات، ولأساقفة الكنيسة وقساوستها، وللبابوية نفسها.

والسبب الثاني: أن اليهود، أو مجموعة أسر يهودية، كانت هي الطرف الوحيد الذي يملك الثروات والأموال التي تمكنها من إقامة بيوت للتمويل وإقراض هذه الأطراف جميعها في وقت واحد.

يقول مؤرخ البنوك، الأمريكي نوبل هوجسون Noble Foster Hoggson، في كتابه: البنوك عبر العصور Banking Through The Ages:

"أثرُ مراسيم الكنيسة على ثروات اليهود كان مثيراً Curious، فالتحريم لم يمس اليهود، ومالت المراسيم إلى الإبقاء عليهم كوكلاء للتجارة وممولين للملوك وحكام الأقاليم، وكانت نتيجة ذلك أن صار في إمكان التجار الإسرائيليين إقراض الأموال بفائدة للأمراء في العديد من البلدان والأقاليم في غرب أوروبا، بينما المسيحيون لا يمكنهم ذلك"[١].

وما أوجزه مؤرخ البنوك هوجسون، يفصله لك مؤرخ اليهود، اليهودي البريطاني سيسيل روث Cecil Roth، في الباب الذي خصصه لبيوت الربا Loan Banks، من كتابه: تاريخ يهود إيطاليا The History of The Jews of Italy، يقول روث:

"لم تمس مراسيم الكنيسة وجزاءاتها اليهود، ولم يكن في مقدورها أن تمسهم، بسبب حاجتها إلى أموالهم، ولأن الشرط الأول فيمن يُقرض الأموال، هو أن يكون بحوزته هذه الأموال، وأن يكون معروفاً ومتاحاً لكل من يريدون الاقتراض، واليهود، أو بعض اليهود، جمعوا ثروات كبيرة عبر القرون، من العمل بالتجارة، وكانوا أبرز التجار، وهكذا رضي الجميع، الفقراء لأنهم وجدوا من يوفر لهم المال في الأزمات، والأثرياء الذين وجدوا من يمول مظاهر الفخامة والكماليات التي يريدونها، والمدن التي وجدت من يوفر لها نفقاتها ويمول أنشطتها، والكنيسة التي زادت مواردها من الضرائب التي تفرضها على بيوت المال، واليهود الذين صار بإمكانهم الحياة، والرواد الذين كانوا خلف هذا التطور الاقتصادي هم يهود روما، ومن روما زحف الممولون اليهود إلى مدن وسط إيطاليا وشمالها، ووجَّه المرابون الذين كانوا يمارسون الربا سراً Secret Usurers، الدعوات إلى اليهود للقدوم إلى مدنهم وبلداتهم، ودخلوا معهم في مفاوضات ليكونوا شركاء لهم ويعملوا من خلالهم، ومع الوقت صار الممول اليهودي Jewish Loan Banker في كل منطقة علماً بارزاً

---

1) Noble Foster Hoggson: Banking Through The Ages, P50-51, Dodd, Mead And Co., New York, 1926.

من أعلامها، ويوازي في شهرته طبيبها، والربي يحيل Rabbi Yeheil، أصبح المدير المالي للبابا ألكسندر الثالث[õ]"[١].

والربي يحيل، الذي أصبح مدير مالية الكنيسة، كما يصفه مؤرخ اليهود، اليهودي الألماني هينريش جريتز Heinrich Graetz، في كتابه: تاريخ اليهود:

"كان يعيش في بيزا Pisa، ويسيطر على سوق المال في إقليم توسكانيا Tuscany، وكان المسيحيون يصفونه بأنه صانع مال بلا قلب Heartless Money Maker، ولكنه كان ذا قلب نبيل، ومستعداً دائماً لمعاونة الفقراء والمحتاجين بذهبه، وكان له اهتمام كبير بالآداب العبرية، وصديقاً حميماً للربي إسحق أبرافانيل"[٢].

فهل يذكرك ما قاله مؤرخ اليهود اليهودي، بما أخبرك به المخطوط العبري، من أن نشاط اليهود والحركات السرية وتمركزهم انتقل إبان الحروب الصليبية من الشرق إلى روما، واستقر بين أحضان كنيستها؟!

وبعد ذلك تنبه، إلى أن مؤرخ اليهود، يخبرك أنه قد تكونت حول المرابين اليهود في كل مدينة أو منطقة في إيطاليا، طبقة من غير اليهود، ترتبط أعمالها وأموالها باليهود وبنوكهم، فهي تحالفهم، وتعمل في كنفهم، ولا يمكنها العمل إلا من خلالهم، لأنه ليس مسموحاً لأحد بالإقراض بفائدة سوى اليهود.

ومما قاله سيسيل روث، نريدك أن تنتبه أكثر، ليس إلى اليهود الصرحاء، بل إلى اليهود الأخفياء، الذين تراهم في كل عصر، يعيشون مع اليهود ويعملون مع اليهود وبينهم،

õ) الربي المرابي يحيل، كان معاصراً لاثنين من البابوات، وليس منهما البابا ألكسندر الثالث، والبابوان هما: بولس الثاني Paul II، وسكستوس الرابع Sixtus IV.

1) Cecil Roth: The History of The Jews of Italy, P106-107, 111, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1946.

2) Heinrich Graetz: History Of The Jews, Vol. IV, P286, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1894.

ويتحالفون معهم ويصاهرونهم، وهم مثلهم في سمتهم وسلوكهم، وإذا خرج اليهود خرجوا معهم، وإذا عادوا كانوا في ركابهم، ولا تعنيهم المسيحية وتعاليمها، ولا الكنيسة ومراسيمها، فهم يهود في كل شيء، ما عدا الأسماء التي يتغلفون فيها، ومن خلال هذا الغلاف يسرون في شرايين المجتمعات وأعصابها، ويسيطرون على مفاتيحها ومقاليدها، ويتسللون إلى مواقع السلطة وجيوشها، ثم يوجهونها في اتجاه غايات اليهود، وهم يرفعون شعارات العمل على تقدمها ونهضتها.

وأشهر أسرة من هذا الطراز في القرن العشرين، أسرة روكِفلر، وأشهرها في الزمان الذي نحدثك عنه الآن، أسرة دي مديتشي.

وما أخبرك به مؤرخ اليهود اليهودي سيسيل روث، يؤكده لك الباحث الإيطالي لويجي بسكالي Luigi Pascaliy، في دراسته الأكاديمية: البنوك والتطور، التجمعات اليهودية في إيطاليا إبان عصر النهضة، والوضع الاقتصادي الحالي Banks And Development, Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic .Performance

يقول لويجي بسكالي :

"خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر، صار النشاط الرئيسي لليهود في إيطاليا هو العمل كمقرضين للأموال، وأسهمت ثلاث عوامل في دفع كتل من اليهود، نحو تأسيس البنوك والعمل في إقراض الأموال ... وثالثاً: أن بعض الأسر اليهودية في وسط إيطاليا كانت تعمل بالتجارة خلال العصور الوسطى، وكونت ثروات كبيرة، وتملك من رؤوس الأموال ومن الخبرات في العمل بالمال، ما يمكّنها من العمل كمقرضين للأموال، ومع بداية القرن الخامس عشر كان نشاط اليهود في التمويل والإقراض بالربا، قد صار ظاهرة عامة، وامتد جغرافياً إلى كل مكان في إيطاليا، وطورت التجمعات اليهودية أسواقاً شاملة للتسليف Complex Credit Markets، وصار يهود إيطاليا يستمدون وجودهم وحياتهم من

العمل في إقراض الأموال بالربا، وفي معظم مدن شمال إيطاليا كان الربيون هم أنفسهم أصحاب بيوت المال"[١].

وكما صار معتاداً عبر القرون، وفي كل مكان من العالم، بدأت بيوت المال اليهودية في إقراض الأموال بفائدة قليلة، تغري جميع مكونات المجتمعات وطبقاتها في إيطاليا بالاقتراض، الكنيسة وفروعها في كل بلدة، وحكومات المدن، والتجار، والنبلاء والأثرياء الباحثين عن الرفاهية والكماليات، وأصحاب الحرف، والفقراء، ومع مرور الوقت، صار الاقتراض وبيوت المال جزءاً من أنسجة المجتمعات ونظام حياتها، ويعتمد اقتصادها وتمويل أنشطتها عليها.

يقول سيسيل روث:

وفي تقرير رسمي لحكومة مدينة بولونيا Bologne، في القرن الثالث عشر: "عموم الناس مضطرون للاقتراض من اليهود، من أجل تلبية احتياجاتهم المستمرة Their Continuous Needs"، وفي خطاب رسمي رفعته حكومة فلورنسا إلى البابا: "المدن الكبيرة مثل مدينتنا، لا يمكنها تدبير شؤونها من غير اليهود"[٢].

ثم كانت الخطوة التالية، وكالمعتاد أيضاً، أن زادت بيوت الإقراض من الفائدة على ما تقرضه، حتى زادت في بعض الأحيان على ٥٠% من قيمة القرض، مما اضطر الكنيسة، سنة ١٢١٥م، إلى:

---

1) Luigi Pascaliy: Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P7-8, Universitat Pompeu Fabra And Barcelona, March 23, 2012.
2) The History of The Jews of Italy, P111-112.

"إصدار مرسوم في مجمع لاتران المقدس، يحرم على اليهود الإقراض بفائدة عالية وغير معتدلة High And Immoderate Interest، ويسمح لهم ضمناً بالإقراض بفائدة معقولة Normal Interest"[١].

وفي الوقت نفسه، سمحت الكنيسة للأمراء وحكام المدن والأقاليم، بدعوة الممولين والمقرضين اليهود للتوطن في مدنهم وأقاليمهم، وتركت لكل أمير أو حاكم أن يوقع اتفاقية مع هؤلاء المرابين، تُلزمهم بمعدل فائدة معتدل، وفي الوقت نفسه تمنحهم ضمانات تحميهم وميزات تغريهم بالقدوم إلى المدينة أو الإقليم والاستقرار فيه وفتح مقرات للتمويل والإقراض.

وبناءًا على سماح الكنيسة، كما يقول المؤرخ اليهودي هينريش جريتز:

"وجه الأمراء ومجالس الشيوخ، في العديد من المدن الإيطالية، دعوات لليهود، وقدَّموا لهم امتيازات Privileges، لكي يؤسسوا بيوتاً للمال في مدنهم، وأعلن أسقف مانتوفا/مانتوا Mantua، باسم البابا، أن اليهود يمكنهم القدوم والإقراض بفائدة، كذلك قامت التجمعات اليهودية في كل مدينة بوضع ضوابط لحماية أصحاب البنوك من المنافسة غير الشرعية Illegal Competition، وهدد الربيون بمعاقبة أي فرد في المجتمع اليهودي يقرض الأموال بفائدة دون تصريح"[٢].

والاتفاقيات التي أباحت الكنيسة لأمراء المدن والسلطات المحلية في كل إقليم، أن يعقدوها مع المرابين اليهود، اشتهرت في تاريخ المال والاقتصاد باسمها الإيطالي: كوندوتا Codotta، ومعناها العقد أو التعاقد، وكانت شروط هذا التعاقد تختلف في بعض التفاصيل من مدينة أو إقليم لآخر، ولكنها متشابهة في عمومها، وكل شروطها تدور حول مسألتين، الأولى: إغراء المرابين اليهود بالاستقرار في المدينة أو المنطقة وإقامة بيوت للتمويل والإقراض، والثانية: وضع ضوابط للإقراض، وحد لسعر الفائدة.

---

1) Banks and Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P8.
2) A History of The Jews of Italy

فهاك خلاصة شروط الكوندوتا، من كتاب: تاريخ يهود إيطاليا للمؤرخ اليهودي سيسيل روث، ومن باب التمويل والإقراض، من كتاب: اليهود في عالم عصر النهضة The Jews In The World of The Renaissance، لأستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو، ومؤرخ اليهود، اليهودي البولندي الأمريكي، موشيه شولفاس Moses Avigdor Shulvass:

"إحدى الخصائص المميزة للكوندوتا أنها لم تكن ترخيصاً حكومياً بمنح الحقوق لليهود، ولكنها كانت بوضوح اتفاقية ثنائية بين الطرفين Bilateral Agreement، وكانت الكوندوتا تُلزم فرداً أو مجموعة من اليهود، أن ينشئوا مركزاً للتمويل والرهونات Pawnshop، أو أكثر من مركز، من أجل الإقراض والتسليف، وتحدد وثيقة التعاقد عدد السنوات التي تكون فيها الكوندوتا سارية، وكانت مدة الكوندوتا أحياناً قصيرة، لا تتجاوز ثلاث سنوات، وأحياناً طويلة، وتصل إلى عشرين سنة، وبعد انتهاء مدة العقد يتم تجديد الكوندوتا بالشروط نفسها، أو بشروط جديدة، وكثير من عقود الكوندوتا كانت تسمح بنقل التعاقد من شخص إلى آخر، ولأن الممول والمقرض اليهودي كان ذا أهمية كبرى، فقد كان يطلب لنفسه في الكوندوتا حقوقاً حصرية، ليس من حق الطرف الآخر إلغاءها، وقد أسهمت الإجراءات اليهودية الداخلية في تنظيم العمل بالكوندوتا، ثم في سنة ١٥٥٤م، نص بيان المجمع اليهودي الذي انعقد في فيرارا Ferrar، على أنه: "إذا وجد في أي مدينة أو منطقة يهوديٌ يملك بيتاً للتمويل وحقوقاً حصرية للإقراض بفائدة، فإنه يحرم على أي يهودي آخر أن يعمل في الإقراض في نفس المكان إلا بإذن من اليهودي صاحب الحقوق الحصرية"، وبعض المقرضين اليهود كان يشترط في الكوندوتا انتقال حق التعاقد بعد موته إلى ورثته، وكانت شروط الكوندوتا تنقسم إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تتعلق ببنك الإقراض والتسليف، مثل كمية الأموال التي ستوضع في البنك وتكون متاحة للإقراض، ومعدل الفائدة، ومواصفات الأشياء التي تصلح كرهن، ومتى يكون من حق المقرض أخذها لنفسه وبيعها، وكان معدل الفائدة في الكوندوتا يختلف من مدينة لأخرى، وحسب قيمة المبلغ الذي تم اقتراضه، وفي معظم عقود الكوندوتا كانت الفائدة السنوية على القرض تتراوح بين ٢٠% و٢٥%، وفي حالات قليلة كانت تصل إلى ٤٠% أو ٤٥%،

وفي حالات أخرى لم تزد عن ١٥%، والمجموعة الأخرى من شروط الكوندوتا كانت تتعلق بحفظ الحقوق الشخصية والدينية لصاحب البنك والمقرض اليهودي ومن يعملون معه، وبعض عقود الكوندوتا منحت اليهود حقوقاً واسعة Extensive Rights، منها حق حمل السلاح"(١)، "وكان من حقوق المقرض اليهودي في أغلب عقود الكوندوتا، ذبح الحيوانات للطعام حسب الشريعة اليهودية، والحصول على ترخيص بإقامة كنيس ومدفن خاص باليهود، وحقه في عدم العمل في يوم السبت والأعياد اليهودية، وبعض الكوندوتا منحت المقرض اليهودي حق المواطنة رسمياً في المكان الذي أقام بنك الإقراض فيه، وحق ممارسة التجارة، وهكذا فتح الممولون والمقرضون البوابات واسعة أمام اليهود ليستوطنوا المناطق التي تمت دعوتهم لإقامة بيوت الإقراض فيها"(٢).

وهذا هو وصف بيوت التمويل والإقراض الأولى التي أقامها المرابون اليهود، بعد أن فتحت لهم الكوندوتا أبواب المدن والأقاليم في كل مكان من إيطاليا:

"وعدد العاملين في الأنشطة التي يقوم بها كل مركز للإقراض، كان كبيراً نسبياً، وفي المدن المتوسطة كان منزل صاحب البنك يُؤوي نحو ثلاثة وثلاثين شخصاً، وفي المدن الكبيرة كان العدد أكبر، وكان يعمل مع مدير البنك أو صاحبه أقاربه وأصدقاؤه، ومعهم أبناؤهم، والمدرسون الذين يعلمون هؤلاء الأبناء، وجزار شرعي Ritual Slaughterer، لإعداد اللحم طبقاً للشريعة اليهودية، ورجل دين لإقامة الطقوس الدينية، ومن ثَم فحتى حين تحتكر أسرة واحدة حق التمويل والإقراض بفائدة، فإنها تصبح نواة لمجتمع يهودي منظم، ثم عقد الممولون اليهود في المدن والمراكز المختلفة اتفاقيات للعمل معاً، وعند بداية القرن الخامس عشر كان اليهودي مردخاي Mordecai، المعروف باسم أنجلو Angelo، يمتلك بنكاً للإقراض في روما، وكان في الوقت نفسه شريكاً لاثني عشر بنكاً آخرين في توسكانيا ووسط إيطاليا، وفي بادوا وتوسكانيا مدت بيوت التمويل والإقراض

---

1) Moses Avigdor Shulvass: The Jews In The World of The Renaissance, P122-125, Translated From Hebrew By: Kose Elvin, E. J. Brill, Leiden, 1973.
2) The History of The Jews of Italy, P112.

نشاطها وعملياتها إلى ما خلف الألب، خصوصاً إلى فرنسا وانجلترا، وهكذا ازدهرت التجمعات اليهودية في إيطاليا شمال روما، وصنعت تاريخاً جديداً، ووضعت أصول الاقتصاد الحديث"(١).

وهكذا تكونت البنوك والشبكة البنكية والأسر البنكية في إيطاليا، وهي التي يعدها مؤرخو المال والاقتصاد البنوك الأولى في العالم، وأم جميع الشبكات البنكية التي تكونت بعد ذلك، وهي في الحقيقة ليست كذلك، فهذا الشرف، كما أخبرناك، من حق منظمة فرسان الهيكل، وكاتدرائياتها وأديرتها ومقراتها هي حقاً البنوك الأولى والشبكة البنكية الأم في العالم، وبنوك إيطاليا وأسر المرابين اليهود التي كونت هذه البنوك هي وريثها الأول والمباشر.

وبنوك إيطاليا وأسر المرابين اليهود التي كونتها، هي التي انحدرت منها، مع حركتها وانتقالها من بلد لآخر، بنوك العالم كلها، وانساب مع حركتها ونقلاتها المزيج الذي عرفناك به، والذي يمتزج فيه الربا وكنز الأموال والثروات، بتكوين الحركات السرية، وبث القبالاه والأفكار الباطنية، وازدهار الإلحاد والعلمانية، وانتشار الآداب المنحلة والفنون الإباحية.

فهاك نموذجاً تعرف منه، أن الماضي الذي يتوهم الأميون أنه انتهى وانقطعت آثاره، ما زال حياً، وهو الذي صنع الحاضر ويتدفق فيه، وأن ما حدث في عصر النهضة هو نفسه ما حدث ويحدث في زمانك، وأن من كانوا خلف ذاك هم أنفسهم من خلف هذا، وتدرك أن المرابين اليهود وبنوكهم في إيطاليا، كانوا الوصلة بين منظمة فرسان الهيكل التي ورثوا شبكتها البنكية، وبين بنوك العالم كلها التي تفرعت من الشبكة البنكية الإيطالية.

إذا ذهبت إلى كتابينا: الوحي ونقيضه، والنازية واليهود والحركات السرية، فستعرف أن نظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، ليس سوى شبكة بنكية خاصة، تكونت باندماج عدة مجموعات بنكية، أصولها في أوروبا، ومالكوها جميعاً يهود، والذي صاغ القانون المنظم لعمل نظام الاحتياط الفيدرالي وحدد سلطاته وقدمه للكونجرس الأمريكي، سنة ١٩١٣م، وأول مدير

---

1) The History of The Jews of Italy, P111-112.

لبنك نيويورك المركزي في النظام، الذي يملك حق إصدار الدولار وتحديد قيمته، هو اليهودي باول واربورج Paul Warbourg، صاحب بنك واربورج، الذي تحول بعد ذلك إلى بنك منهاتن.

وباول واربورج ليس أمريكياً، بل هاجر إلى الولايات المتحدة من هامبورج في ألمانيا، سنة ١٩٠٢م، وبعد هجرته غيَّر لقب أسرته من فاربورج الألمانية إلى واربورج ليمنحه وقعاً إنجليزياً، كما هي عادة اليهود عبر التاريخ كله، أن يغيروا أسماءهم وألقابهم مع حركتهم من بلد إلى آخر، ليتوافق الاسم الجديد مع البلد الذي يحلون فيه، ويبدون وكأنهم من أهله الأصلاء.

وبينما كان باول واربورج على رأس بنك نيويورك المركزي في الولايات المتحدة، كان أخوه ماكس فاربورج Max Warburg، على رأس بنك أسرة فاربورج Warburg & Co في هامبورج.

ومرة أخرى أسرة فاربورج ليست ألمانية، بل هاجرت إلى هامبورج في القرن السابع عشر، وأسست فيها الفرع الألماني من الأسرة، وهجرة هذا الفرع إلى ألمانيا، كانت من فينيسيا، التي يمتد تاريخ الأسرة فيها لثلاثة قرون قبل أن يهاجر بعض فروعها إلى ألمانيا، واسم الأسرة في إيطاليا كان ديل بانكو Del Banco، وهو أيضاً ليس اسمها الحقيقي، ومعناه أصحاب البنوك، وحين هاجرت الأسرة إلى ألمانيا في القرن السابع عشر، استقرت في بلدة فاربورج التي تقع على نهر ديمل Diemel، على أطراف دوقية هِسن/هِسه Hessen/Hesse، في إقليم وستفاليا/فستفاليا Westphalia، فغيرت الأسرة اسمها إلى اسم البلدة، كالمعتاد.

فأسرة واربورج إيطالية، وكانت إحدى أسر المرابين التي كونت بنوك إيطاليا الأولى، وتسيطر على التجارة وحركة المال فيها، ثم هاجر فرع منها إلى هامبورج في القرن السابع عشر، وكون بنكاً وأسرة بنكية في ألمانيا، ليهاجر بعض أفراد هذا الفرع الألماني في القرن العشرين، ويكون بنكاً وأسرة بنكية في الولايات المتحدة، ثم صار أحد أفرادها على رأس نظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي.

وبقي أن تعلم أن الكنيسة ومدن إيطاليا وأقاليمها فتحت أبوابها للمرابين اليهود، لكي يؤسسوا بنوكاً أو بيوتاً للتمويل والإقراض من أجل تلبية احتياجات الأمراء وسلطات المدن، ومعاونة الفقراء، ولكن كانت هذه هي الصورة التي وصلت إليها.

يقول الباحث الإيطالي لويجي بسكالي في دراسته الأكاديمية عن التجمعات اليهودية وبنوكها في عصر النهضة:

"في أوائل القرن الخامس عشر، كان عدد اليهود المقرضين للأموال بفائدة، في مدن إيطاليا المختلفة، خمسمائة على الأقل، ومع انهيار اقتصاد عموم الناس Economic Depression of The Masses، بسبب الحروب التي اجتاحت مختلف مناطق إيطاليا، في الوقت الذي ازدهرت فيه أعمال المرابين، وارتفع مستوى معيشتهم، نمت مشاعر العداء لليهود، وتزعم هذه الحركة الرهبان الفرنسيسكان Franciscans، الذين صاروا يعتقدون أن إغلاق بيوت الإقراض اليهودية سوف يخلص المجتمع من جميع أمراضه Would Heal All Social Ills، وكذلك عموم الناس صاروا يعتقدون أن بيوت الإقراض تدفع البلاد نحو الخراب"[١].

والصورة التي وصلت إليها إيطاليا على تخوم عصر النهضة، ويختلط فيها الربا بعلو اليهود وسيطرتهم على الاقتصاد وكنزهم للأموال والثروات، وتسلطهم على السلطة والحكام، وبسوء أحوال عموم الناس، وبالحروب التي لابد أن تبقى نيرانها متقدة لكي تظل دورة الإقراض والربا وكنز الأموال دائرة، الصورة التي وصلت إليها إيطاليا، هي نفسها الصورة التي تكررت بعد ذلك عبر التاريخ، في كل مكان انتقل إليه المرابون اليهود وبنوكهم، وهي نفسها الصورة التي صار إليها العالم كله في القرن العشرين، بعد أن غزا هؤلاء المرابون وبنوكهم بلدان العالم كلها، ثم توحدوا هم وبنوكهم في صندوق النقد والبنك الدولي، وهما في الحقيقة ليسا سوى النسخة الحديثة والعصرية من منظمة فرسان الهيكل.

---

1) Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P9.

واحتكار التجارة:

والآن ننتقل بك إلى الخطوة السابقة، وهي كيف كون هؤلاء المرابون اليهود ثرواتهم التي أسسوا بها بيوت الربا والبنوك الأولى في إيطاليا، وفي العالم كله.

إذا رجعت إلى ما نقلناه لك عن المؤرخ اليهودي البريطاني، سيسيل روث، فستجده يخبرك أن هؤلاء المرابين كانوا أصلاً من التجار، وكونوا ثرواتهم التي أسسوا بها هذه البيوت أو البنوك الأولى من سيطرتهم على التجارة في مدن إيطاليا كلها.

يقول سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"**واليهود، أو بعض اليهود، جمعوا ثروات كبيرة عبر القرون، من العمل بالتجارة، وكانوا أبرز التجار**"[١].

وهو ما أخبرك به أيضاً الباحث الإيطالي لويجي بسكالي، في دراسته الأكاديمية: البنوك والتطور، التجمعات اليهودية في إيطاليا إبان عصر النهضة والوضع الاقتصادي الحالي:

"**بعض الأسر اليهودية في وسط إيطاليا كانت تعمل بالتجارة خلال العصور الوسطى، وكونت ثروات كبيرة**"[٢].

وما أخبرك به روث وبسكالي، يعرفك به صريحاً وبتفاصيله، المؤرخ اليهودي البريطاني وسكرتير الجمعية التاريخية اليهودية في انجلترا، إسرائيل أبراهامز Israel Abrahams، في البابين اللذين خصصهما لعمل اليهود بالتجارة والمهن التي كانوا الأبرز فيها، من كتابه: الحياة اليهودية في العصور الوسطى The Jewish Life In The Middle Ages، يقول أبراهامز:

---

1) The History of The Jews of Italy, P107.
2) Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P7.

"والرابطة السحرية Magic Bond، بين اليهود المتناثرين في أركان العالم الأربعة، جعلتهم يبحثون عن منافذ جديدة للتجارة، وجعلت التجار اليهود في إيطاليا وشرق المتوسط، في غاية النشاط، ومتفوقين على نظرائهم من الديانات الأخرى، ولذا كان اليهود يحتلون الصف الأول Foremost Part في التجارة الدولية، وكان لعملياتهم التجارية أثر كبير في وصل الغرب بالشرق، وفي جميع المواني ومراكز التجارة في البحر المتوسط، كان التجار اليهود يتجمعون بأعداد كبيرة، وكذلك في المعارض والأسواق، ولا شك في صحة ما قرره مستر لِكي Lecky، من أن: "اليهود كانوا يحتكرون النشاط التجاري الدولي لعدة قرون"، وعبر عملهم وخبراتهم في التجارة أمدوا أوروبا بما تحتاجه من البضائع وأدوات الصناعة، إلى أن ظهرت مدن إيطاليا التجارية، واتبعت أساليب اليهود Jewish Methods"[1].

فاليهود سادوا التجارة الدولية وكادوا يحتكرونها، مع انقطاع العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، إبان الحروب الصليبية، وقبلها، لأنهم الفئة الوحيدة التي كانت توجد وتتحرك دون عوائق هنا وهناك، وترابط في مراكز التجارة وموانى البحر المتوسط شماله وجنوبه، وهم على بعثرتهم مترابطون بالديانة واللغة العبرية، وبالعمل والمصاهرات، والتجارة عمل مشترك بينهم.

وهو ما تؤكده لك الباحثة الأمريكية جولي لي مِل Julie Lee Mell، في أطروحتها التي حصلت بها على الدكتوراة من جامعة كارولينا الشمالية North Carolina، وكان عنوانها: الديانة والاقتصاد في أوروبا قبل العصر الحديث، اليهود وثورة التجارة في العصور الوسطى Religion And Economy In Pre Modern Europe, The Medieval Commercial Revolution And The Jews، تقول جولي مِل:

---

1) Israel Abrahams: The Jewish Life In The Middle Ages, P21-214, 240, The Macmillan Company, London, New York, 1919.

"المعلومات والبيانات تقطع بسيطرة اليهود على تجارة البحر المتوسط لفترات طويلة، وعقود الكومِّندا Commenda Contracts[õ]، في القرن الثالث عشر، تثبت وجود اليهود بكثافة في تجارة الموانى الصاعدة، وفي التنظيمات الجديدة للعمل، وفي مؤسسات التمويل، التي تحويها الكومِّندا، وكذلك أثرهم في المؤسسات السياسية والقانونية التي صدقت على هذه العقود، وبإيجاز عقود الكومِّندا تعطينا صورة دقيقة عن اليهود الذين تحولوا للعمل بالتجارة، وصاروا في قلب الثورة التجارية"[١].

وأما ما أخبرك به المؤرخ اليهودي إسرائيل أبراهامز، من أن التجار الذين ظهروا على تخوم الحروب الصليبية وإبانها في المدن الدول في إيطاليا، ومنها فينيسيا، كانوا يحاكون في عملهم وتجارتهم أساليب التجار اليهود، فهو يفتح الباب لسؤال، وهو: التجارة ليست علماً نظرياً يتم تعليمه بالكلام أو بقراءة الكتب، بل هي عمل له أساليب وخبرات وأسرار، ولا وسيلة لأن يُحصِّلها أحد إلا بأن ينقلها إليه ويدربه عليها من يحوزها، ومن خلال العمل وممارسة التجارة فعلياً.

فأنت أمام ثلاث فرضيات نترك لك أن تختار واحدة منهما، فالفرضية الأولى: أن التجار اليهود هم الذين علموا أهل المدن في إيطاليا التجارة ونقلوا إليهم خبراتها وأسرارها، لكي ينافسوهم، والفرضية الثانية: أن تجار المدن الإيطالية لم يكونوا سوى طبقات خارجية تدور

õ) عقود الكومِّندا Commenda: ظهرت لأول مرة في إيطاليا، في القرن الحادي عشر، وهي عقود شركة تجارية بين الممول أو صاحب المال Socius Stans، فرداً كان أو مجموعة، وبين التاجر أو التجارSocius Procertans، الذين يجلبون البضائع من بلدان أخرى، وتكون في الغالب من مدن البحر المتوسط، وفي عقد الكومِّندا يتم تسجيل شروط الشركة، مثل أسماء الشركاء وصفاتهم، ومبلغ التمويل، ونوع البضاعة، ونسبة الربح، ويتم تسجيلها لدى السلطات المحلية في المدينة التي يتم إبرامها فيها، لضمان حقوق الشركاء.

1) Julie Lee Mell: Religion And Economy In Pre Modern Europe, The Medieval Commercial Revolution And The Jews, P233-234, A Dissertation Submittted To The Faculty of The Univesity of North Carolina, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy, Chapel Hill, North Carolina, 2007.

حول نواة من اليهود، وهم قلبها ومحركها، كما هو الشان في بيوت الربا والبنوك عبر التاريخ كله، من فرسان الهيكل إلى صندوق النقد والبنك الدولي، والفرضية الثالثة: أن تجار المدن الإيطالية هؤلاء، كانوا هم أنفسهم من اليهود، سواءًا كانوا من الصرحاء أو من الأخفياء الذين لا فرق بينهم وبين اليهود الصرحاء سوى في الأسماء التي يتغلفون فيها.

وإليك اليهوديين مارستيلا بوتشيني Maristella Botticini، أستاذة الاقتصاد في جامعة بوكوني Bocconi، في ميلانو، وزيفي إكشتَين Zvi Eckstein، أستاذ الاقتصاد في جامعة تل أبيب، يعرفانك في دراستهما الأكاديمية: من مزارعين إلى تجار، الشتات وتحول اليهود التلقائي إلى الديانات الأخرى From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora، إليك بوتشيني وإكشتين يفسران لك تحول اليهود إلى العمل بالتجارة، ولماذا سيطروا عليها وكانوا أبرز التجار عبر التاريخ، وتعرف منهما أيضاً ما يساعدك في اختيار الإجابة الصحيحة على السؤال الذي فتح أبوابه المؤرخ اليهودي البريطاني إسرائيل أبراهامز.

يقول بوتشيني وإكشتين إن ٨٠% من اليهود في إسرائيل الكبرى Eretz Israel/الشام وفي العراق وفارس، كانوا يعملون في الزراعة حتى القرن الثاني الميلادي، ومنذ القرن الثاني فرض الربيون على كل أب أن يعلم أولاده، وأقاموا مدارس ملحقة بالكنيسات، وصار ذلك من تقاليد الديانة اليهودية، وأصبح اليهود الذين يشتغلون بالزراعة يستثمرون أموالهم في تعليم أولادهم.

ومع تكون الإمبراطورية المسلمة، أقيمت مدن جديدة، وتحضر الشرق كله، وشجع الحكام المسلمون إقامة المدارس، وقاموا برعايتها، وعند نهاية القرن الثامن كان يوجد نظام تعليمي واسع من المدارس الأولية لأبناء المسلمين في جميع البلدان الإسلامية.

وفي الوقت نفسه، ومع ازدياد الحاجة إلى المهن التي ترتبط بالتعليم والمهارات الخاصة، ازدهر التعليم بين اليهود ازدهاراً كبيراً، وأقاموا مدارس في المدن والبلدات، وفي القرن الثامن كان جميع اليهود في الشرق متعلمين تعليماً أولياً، ويعرفون العبرية والعربية والحساب على الأقل.

وواكب ازدهار التعليم بين اليهود، اتجاه أبناء المزارعين إلى ترك الزراعة والعمل في المهن التي يوظفون فيها تعليمهم والمهارات التي اكتسبوها، وعلى رأسها التجارة، لأن عائدها يكافئ ما استثمروه في التعليم، ويمكنهم من مواصلة تعليم أبنائهم من الأجيال التالية، ولأن اليهود بعد الشتات صاروا لا يميلون للاستقرار طويلاً في المجتمعات الزراعية خارج أرض إسرائيل.

ومع اتجاه اليهود إلى العمل بالتجارة، تحركوا من أرض إسرائيل/الشام والعراق وفارس، وانتشروا في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي، فاستقرت مجموعات منهم في مدن مصر وشمال إفريقيا وإسبانيا/الأندلس، وأقاموا شبكة بريدية Mailing Network، تربط بينهم في مختلف البلدان ويتواصلون من خلالها، ومع الوقت زادت نسبة من يعملون بالتجارة من اليهود زيادة كبيرة، وفي إسبانيا المسلمة/الأندلس خصوصاً، هيمن اليهود الذين استقروا فيها على التجارة المحلية، وكادوا يحتكرون التجارة الدولية Gained Almost A Monopoly In International Trade.

وفي القرن التاسع الميلادي، بدأ اليهود في الهجرة من بلاد الإسلام إلى أوروبا الكاثوليكية في جماعات وبأعداد كبيرة، واتجهوا إلى المدن الكبيرة والمواني، وانخرط في هذه الهجرة التلقائية عدد كبير من التجار وأصحاب رؤوس الأموال وأرقى اليهود تعليماً، تقول مارستيلا بوتشيني وزيفي إكشتَين:

"وفي هجرة اليهود التقائية إلى أوروبا الغربية المسيحية، منذ القرن التاسع وحتى القرن الثالث عشر، تناقض مثير Striking Contrast، فغيرُ المسلمين في كل مكان من الإمبراطورية المسلمة، بما فيها إسبانيا المسلمة، كان يمكنهم التنقل بحرية والاستقرار في أي مكان والعمل في أي مهنة، دون الحاجة إلى مراسيم أو تصاريح خاصة، طالما أنهم يؤدون الضريبة، وهذه الضريبة كانت ٣,٤ درهم شهرياً، وهي تساوي ٥% من دخل المدرس، ولا تشكل أي عبء على التاجر اليهودي، بينما كان الاستقرار في أي بلد في

أوروبا يحتاج إلى موافقة الملك أو الأمير أو الأسقف، وإلى مراسيم وتصاريح خاصة، تحدد لليهودي ما هو مسموح به، وما هو ممنوع عليه"[١].

وإليك ما سكت عنه أساتذة الاقتصاد اليهود، بوتشيني وإكشتَين، وهو تفسير هجرة التجار اليهود من بلاد الإسلام، إلى بلدان أوروبا، رغم حريتهم في التنقل وممارسة التجارة أو أي مهنة يرغبون فيها دون قيود ولا تضييق، وتكوينهم لثروات كبيرة في بلاد الإسلام، وفي الوقت نفسه التضييق والقيود المفروضة عليهم في أوروبا الكاثوليكية، وحاجتهم إلى مراسيم وتصاريح خاصة، تختلف في ما تبيحه لهم وما تمنعهم منه، من منطقة إلى أخرى.

وتفسير ذلك، أن اليهود تجاراً أو غير تجار، ليس المال والثروة هو غايتهم الحقيقية ولا النهائية، كما يتوهم كل من يتتبعهم، بل هو وسيلتهم للتوغل في أنسجة المجتمعات والسيطرة على مقاليدها وصبغها بالصبغة التي يريدونها، من أجل توجيهها إلى المسار الذي يصل بها وبالعالم كله إلى الغاية اليهودية، ألا وهي العودة إلى الأرض المقدسة، وإعادة الدولة اليهودية والهيكل، وخضوع أمم الأرض كلها طواعية لهم، وحينئذ فقط يتركون إيقاد نيران الحروب ويحل السلام في العالم.

وهي عقيدة اليهود الدفينة وغاية التاريخ اليهودي كله، وتجدها صريحة على لسان إشعياء في السفر المسمى باسمه:

"وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. ٣ وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ،

---

1) Maristella Botticini And Zvi Eckstein: From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora, P19, 21, Working Paper No. 27-2005 ,The Foerder Institute For Economic Research And The Sackler Institute of Economic Studies, Tel Aviv University, 2005.

وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ. ٤ فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ"[١].

والتجارة وتكوين الثروات لا يمكنها الوصول باليهود إلى السيطرة على المجتمعات وامتلاك مقاليدها والتسلط على السلطة فيها، إلا بوقوعها في مصيدة الربا وتراكم الديون وفوائدها، عبر إشاعة الترف واللهو، ودفعها للإسراف، وإيقاد نيران الحروب.

وبلاد الإسلام قبل العصر الحديث، مهما علا فيها اليهود وكونوا الثروات، لا يمكنهم التوغل في أنسجة مجتمعاتها، ولا صبغها بالصبغة التي يريدونها وتُسهل حركتهم فيها والسيطرة على مقاليدها، لأنه لا مكان فيها للربا، وإذا وُجد فَسِراً وفي أضيق نطاق، ولا يجرؤ المرابي على الإعلان عنه، فضلاً عن التفاخر به، ولا مجال لأن يتحول إلى مؤسسات ونظام عام للمجتمع.

ذلك أن في الإسلام بدائله لذلك كله، وما يحمي مجتمعاته من الوقوع بين أنياب اليهود ومخالبهم، ولأن عقيدة الإسلام وروحه أن المال لله عز وجل والإنسان مستخلف فيه، وأن المال يجب أن يكون دائراً في المجتمع، وسارياً في أنسجته، وأن يتوزع على جميع مكوناته، من خلال توظيفه في الأعمال التي تعود بالنفع العام وتعمل فيها طبقاته المختلفة، كالزراعة الصناعة والتجارة نفسها، ومن خلال الزكاة والأوقاف والصدقات وتوزيع الأموال مع الميراث، وليس أن تمتصه طبقة أو فئة وتُخرجه من أنسجة المجتمع وتكنزه بعيداً عنه، ثم تتسلط به عليه.

فإليك نموذجاً، تعرف منه أن الربا لا مكان له في عالم الإسلام، ولا حاجة له به، لأن المال داخل المجتمع، وليس خارجه ولا فوقه ولا مفصولاً عنه، والتجار جزء من نسيجه، وأهل الحل والعقد قوامون، بقوة الإسلام وشريعته، على حركة المال وعلى المجتمع كله، وعلى الدولة نفسها، ويضبطون الجميع بميزان الإسلام.

---

١) إشعياء: ٢: ٢-٤.

روى المقريزي المؤرخ في كتابه: السلوك لمعرفة دول الملوك، في حوادث سنة ٦٩٩هـ، أنه بعد انكسار جيش مصر أمام المغول في وقعة الخزندار أو مرج المروج، قرب حمص، أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فور عودته إلى القاهرة باستدعاء صُناع السلاح وجمع الأموال والخيل والسلاح وحضور الجند من كل مكان في مصر، من أجل إصلاح الجيش وتقويته استعداداً للكر على المغول، واستخرج نائب الحسبة مجدي الدين عيسى فتوى العز بن عبد السلام للسلطان سيف الدين قطز قبل معركة عين جالوت، والتي أفتاه فيها بجواز أخذ دينار من كل شخص للإنفاق على المقاتلين وعدة القتال، ولما طلب الناصر محمد بن قلاوون من الفقهاء إفتاءه بفتوى العز بن عبد السلام لكي يجمع المال من عموم الناس، لم يوافق فقيه مصر وقاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المشهور بابن دقيق العيد، وقال لهم:

"لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائرُ الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم ورآه، وحلف كل منهم أنه لا يملك سوى هذا، وكان ذلك ليس بكاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد، وأما الآن فيبلغني أن كلاً من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلي، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر، وقام عنهم ... وتقرر أن يؤخذ من الأمراء والتجار والأغنياء ما يمكن أخذه من كل منهم بحسب قدرته، ففُرض على كل أمير وتاجر وغني من عشرة دنانير إلى مائة دينار، وطُلب من أعيان التجار مالاً على سبيل القرض، فتم جمع مبالغ كبيرة، تم بها شراء السلاح وتجهيز الجيش للقتال، دون أن ترتفع أسعار الأقوات أو تشح في الأسواق"[١].

وأضف إلى ذلك، أن السمت العام لبلاد الإسلام كلها، السلطة والمجتمعات، هو تجنب الإسراف، والإقلال من اللهو والترف، واللهو فيها للترويح عن النفس وبقدر ذلك، وليس سمة الحياة وصبغتها الغالبة علي كل شيء فيها، وكذلك الحرص على الستر، والبعد عن البهرجة

١) المؤرخ أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص٣٢٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

والتفاخر والاستعراض بالمال والممتلكات، والقاعدة والأصل ألا يشتري الإنسان إلا ما يحتاجه وما يملك ثمنه، لا أن يغريه أي أحد بالاستدانة لشراء ما لا يحتاجه، كما فعل اليهود في الغرب، ثم في العالم كله من خلال الغرب.

وفي الوقت نفسه الذي فتح فيه الأمراء والحكام في أوروبا بلادهم للتجار اليهود، لكي يجلبوا لهم الكماليات ووسائل الترف من كل مكان في العالم، وليقرضوهم من المال ما يدفعونه لهم ثمناً لهذه الكماليات والوسائل، وما يقيمون به القصور ويملأونها بفاخر الأثاث والتحف واللوحات والتماثيل، وما يشنون به الحروب على بعضهم، فكان ذلك أداة اليهود في التسلط عليهم جميعاً وعلى بلدانهم، في الوقت نفسه، كانت هذه هي الثروة التي تركها الناصر صلاح الدين الأيوبي، وهذه هي سيرته مع الأموال، وهو سلطان مصر والشام والحجاز واليمن، وقاهر الصليبين، وفاتح بيت المقدس.

يقول القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرته لصلاح الدين:

"**مات رحمه الله، ولم يحفظ ما وجبت به عليه الزكاة، وأما صدقة النفل فإنها استنفذت جميع ما ملكه من الأموال، فإنه ملَك ما ملَك ومات ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصيرة، وجرماً/ديناراً واحداً صورياً، ولم يخلف مِلكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئاً من أنواع الأملاك**"[(١)].

وهذا هو جزء من وصف الحافظ ابن كثير في كتابه: البداية والنهاية، للسلطان الظاهر بيبرس، مؤسس دولة المماليك وأعظم سلاطينها، وقاهر المغول: "**وكان مقتصداً في ملبسه ومطعمه، وكذلك جيشه**"[(٢)].

---

١) القاضي بهاء الدين بن شداد: النوادر اليوسفية والمحاسن السلطانية، ص٣٤، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢) الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، ج١٧، ص٥٣٢، تحقيق: دكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

المرابون اليهود والحركات السرية من الشرق إلى الغرب:

اليهود انتقلوا إلى أوروبا من عالم الإسلام، رغم عملهم بالتجارة وثرواتهم التي كونوها فيه، لأنهم يبحثون عن مجتمعات يمكنهم فيها تحويل هذه الثروات إلى أداة للسيطرة عليها وتسييرها نحو ما يريدون، عبر إدخالها في مصايد القروض، وأوروبا كانت هي هذه المجتمعات، لأن ارتباط هذه المجتمعات بالمسيحية ارتباط ظاهري، ويقتصر على مجموعة من العقائد والتصورات المعزولة عن الحياة ولا علاقة لها بها، ولا شريعة حقيقية يتحقق بها نظام عام للمجتمع في كل مناحيه، وتعيد توزيع الثروات في داخله، كالتي في الإسلام.

وما ينبغي أن تعلمه بعد ذلك، أن انتقال قطاع كبير من اليهود، والتجار وأصحاب الأموال منهم خصوصاً، من بلاد الإسلام إلى أوروبا الكاثوليكية، لم يكن عفواً ولا حركة تلقائية، كما أخبرك اليهوديان بوتشيني وإكشتَين، بل كان قراراً من رؤوس اليهود وقادة الحركات السرية، مع اندلاع الحروب الصليبية وما واكبها من التقاء الغرب والشرق، بنقل تمركزها ومجال حركتها ونشاطها الرئيسي من الشرق إلى الغرب.

وهو ما تجده صريحاً فيما نقلناه لك من قبل عن المخطوط العبري:

"ضن علينا أجدادنا بذكر اسم مؤسس هيكل/محفل رومية، ولكننا علمنا أنه من ذرية حيرام أبيود، هذا الهيكل أدرك شأواً بعيداً من الانتصار وعاد على الجمعية بجم الفوائد ... وكان مرجع هياكل كل مملكة إلى هيكل العاصمة الأول، ومرجع الهياكل كافة إلى الهيكل الرئيسي الأعلى في أورشليم إلى منتصف الجيل الثالث عشر، غير أن ازدهار هيكل رومية وخدماته الجُلى اضطر عمدة الهيكل الأعلى أن يتنازلوا له بموجب قرار مسجل في سنة ٥١٦٦ (١١٦٦م)، فقلدوه الرئاسة العليا لجميع هياكل الغرب، فشدد كل التشديد في رومية التكتم، ومنع في الأخص أن تعقد الاجتماعات الخفية إلا في الهياكل الخفية تماماً، أي تحت الأرض"[١].

---

١) الأستاذ عوض الخوري: تبديد الظلام أو أصل الماسونية، ص١٨٠-١٨١.

وانتقال مركز الحركات السرية من مكان إلى آخر، عبر التاريخ كله، سواءاً من بلاد الإسلام إلى أوروبا، أو من بلد إلى بلد داخل أوروبا نفسها، أو من أوروبا إلى الشرق مرة أخرى في العصر الحديث، كان يرافقه حركة أصحاب الأموال من اليهود، والقبالاه والعلمانية، وشيوع الترف واللهو، والميل إلى الإسراف والبهرجة والاستعراض، ونشوب الانقسامات والنزاعات بين جميع أطراف المجتمع، السلطة وعموم الناس، والرجال والنساء، والآباء والأبناء، والأغنياء والفقراء.

وما أخبرك به المخطوط العبري، تؤكده لك رواية حبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك Albert Pike، عن نشأة منظمة فرسان الهيكل، وأنه من خلالها انتقلت قيادة الحركات السرية من الشرق إلى الغرب.

يقول بايك في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry، إنه كانت توجد في الشرق منذ ظهور المسيحية، كنيسة أو طائفة سرية، اسمها كنيسة يوحنا المعمدان، وتقوم عقيدتها على التراث الشفوي اليهودي، أو القبالاه، ويحمل الحبر الأعظم لهذه الكنيسة السرية لقب: المسيح Christos، وعند اندلاع الحروب الصليبية وتأسيس منظمة فرسان الهيكل:

"كان الحبر الأعظم لطائفة يوحنا المعمدان ورئيس كنيستها اسمه ثيوكليتس Theoclets، وقد تعرف ثيوكليتس على هوج دي بايان/بايون Hugues de Payens، ونشأت بينهما صداقة عميقة، وأطلع ثيوكليتس دي بايان على أسرار كنيسته وتعاليمها وطقوسها وغاياتها، ثم نصَّبه خلفاً له على رئاسة الطائفة وحبراً أعظم لكنيستها، وهكذا كانت نشاة تنظيم فرسان الهيكل من أجل معارضة كنيسة روما، وعلى أن القبالاه عقيدة قادته"(١).

1) Albert Pike: Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P817, Prepared For The Supreme Council of The Thirty Three Degree For The Southern Jurisdiction of The Uunited States And Published By Its Authority, Charleston, 1871.

وهكذا انتقلت قيادة الحركات السرية، عبر فرسان الهيكل ومؤسسها وأول أستاذ أعظم لها، هوج دي بايان، أو في الحقيقة عبر أسر اليهود الأخفياء التي تقف خلفه وخلفها، من الشرق إلى الغرب، ليصبح مكانَ تمركزها ومجالَ نشاطها الرئيسي، إلى أن تمكنت من ركوبه وتحويله إلى آلة، مفاتيحها وأزرارها في أيديها، ثم وثبوا به مرة أخرى على الشرق، حيث غاية اليهود ومحل مشروعهم التوراتي.

ونعود بك إلى الخطوة التالية، بعد انتقال قسم من التجار اليهود من بلاد الإسلام إلى بلدان أوروبا، تقول بوتشيني وإكشتَين:

"**مع الوقت صار اليهود هم التجار المحليين، وعبر البلدان، ومقرضي الأموال، وجامعي الضرائب، وممولي الحكام، والمسؤولين عن الخِزانات الملكية، وأصبح وجودهم ضرورة لتوفير المال والبضائع والكماليات، ولتطور الاقتصاد، إلى درجة أن الحكام المحليين في أوربا الغربية صاروا يتنافسون في جذب اليهود للتوطن في مدنهم وبلداتهم، ومنحوهم امتيازات واسعة، وحين قام بنجامين من توديلا Benjamin Of Tudela برحلته، سنة ١١٧٠م، كان اليهود في إسبانيا أقلية ثرية، وكانوا كذلك يشكلون الطبقة الثرية في فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا وتركيا وشمال إفريقيا، وكانوا قادرين على التواصل في كل مكان بالعبرية رغم اختلاف لغاتهم المحلية**"(١).

وهنا تكون قد علمت كيف سيطر اليهود على التجارة في بلدان أوروبا، واحتكروا التجارة الدولية بينها وبين بلاد الإسلام، بتفرقهم في بلدان الشرق والغرب مع ترابطهم، وتكوينهم شبكات للعمل في التجارة تغطي هذه البلدان كلها، وتكون قد فهمت كيف حازوا باحتكار التجارة الثروات وصاروا الطبقة الثرية في إيطاليا وألمانيا وانجلترا وفرنسا، وهي الثروات التي كونوا بها في المرحلة التالية بيوت الربا، ثم البنوك.

---

1) From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora, P22, 24.

والآن إليك هذه الظاهرة، التي واكبت تحول اليهود من العمل بالزراعة إلى التجارة، وهجرتهم داخل عالم الإسلام، ثم منه إلى أوروبا، وتفسر لك أساليب اليهود التي كان التجار في مدن إيطاليا يمارسون من خلالها التجارة، وسيطروا بها على حركتها في حوض البحر المتوسط الأوروبي.

تقول أستاذة الاقتصاد اليهودية الإيطالية مارستيلا بوتشيني، وأستاذ الاقتصاد اليهودي الإسرائيلي إكشتَين زيفي:

"وزيادة التعليم بين اليهود، وتحولهم من العمل بالزراعة إلى التجارة، ثم هجرتهم، واكبها تحول بعض اليهود عن اليهودية إلى ديانات أخرى، وبعض هؤلاء الذين غيروا ديانتهم من اليهود، كانوا من الأثرياء والتجار والأطباء وقادة اليهود البارزين، وكان تحول التجار اليهود إلى المسيحية في أوروبا، مرتبطاً بالتفاوت بين الضرائب المفروضة على التاجر اليهودي وغير اليهودي، فإذا ارتفعت الضرائب المفروضة على التجار اليهود عن تلك المفروضة على التجار غير اليهود ارتفاعاً ملحوظاً، أو وجد التاجر أن الديانة عائق أمامه، يلجأ التجار اليهود ممن ارتباطهم باليهودية ضعيف إلى التحول إلى الديانة الأخرى، وفي الشرق زادت ظاهرة تحول اليهود عن اليهودية في العراق وفارس مع الغزو المغولي، سنة ١٢٢٠م، وفي مصر وسوريا تحت حكم المماليك، بسبب عودة الاقتصاد الزراعي والرعوي مرة أخرى Farming And Pastoral Economies"[1].

ومرة أخرى، نفسر لك ما سقط من أساتذة الاقتصاد اليهود، أو يتعمدون حجبه، فقسم من اليهود، خصوصاً التجار وأصحاب الأموال، كانوا يتحولون عبر التاريخ كله، إلى ديانة البلدان التي يحلون فيها ظاهرياً، ليس فقط لتجنب الضرائب المرتفعة أو ما يلاقونه من تضييق بسبب الديانة، بل ليكون ذلك غلافاً يتمكنون من خلاله من التسلل إلى دوائر السلطة والعروش

---

1) From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora, P17, 26.

والجيوش، والمواقع التي لا يمكن لهم أن يصلوا إليها بهوياتهم الصريحة من خلال التجارة وبيوت الربا والبنوك، وعلى رأس هذه المواقع الكنيسة الكاثوليكية والعرش البابوي.

البنوك الأولى في العالم

بنك فينيسيا:

والآن إليك نموذجاً على كيف وبأي طريقة تكونت البنوك في إيطاليا، ومَن الذين كانوا خلفها، من سيرة البنك الذي يعده مؤرخو المال والاقتصاد أول بنك رسمي في تاريخ العالم.

يقول مؤرخ البنوك ومدير بنك لندن ووستمنستر في القرن التاسع عشر، جيمس جلبرت:

"**وأقدم بنك في العالم، هو بنك فينيسيا، الذي تم تأسيسه سنة ١١٥٧م**"[١].

فهاك أولاً قصة تأسيس بنك فينيسيا، أو بنك مونت فيكيو Monte Vecchio، كما صار يعرف لاحقاً عند مؤرخي الاقتصاد التقليديين، الذين يتتبعون المال والبضائع والسفن والمباني والمنشئات والأسواق، والشيء الوحيد الذي ينسونه ولا ينتبهون إليه ولا يبحثون عنه، هو البشر ومن يكونون.

يقول جيمس جلبرت:

"**كانت الدولة قد تورطت في الديون، بسبب الحروب الطويلة، وكوَّن الدائنون شركة بامتيازات خاصة Peculiar Privileges، لإدارة الديون وتدبير طرق سدادها**"[٢].

وفي تفصيل ما أجمله جلبرت، يقول مؤرخ الاقتصاد والبنوك، الأمريكي ريتشارد هيلدريث Richard Hildreth، في كتابه: تاريخ البنوك The History of Banking:

"**وأول مؤسسة تمارس أعمال البنوك، ويمكن أن نسميها بنكاً، تم تأسيسها في فينيسا في القرن الثاني عشر، فمع تورط الدولة في الحروب، ونقص مواردها، صارت مضطرة**

---

1) The History And Principles of Banking, P9.
2) The History And Principles of Banking, P9.

للاقتراض، بفائدة سنوية قدرها ٤% من قيمة المبالغ التي قدمها كل من اشتركوا في أموال القرض، وتم تخصيص عائدات بعض المنافع العامة لتسديد القرض وفوائده، وأُنشئت مؤسسة اسمها غرفة القروض Chamber of Loans، لإدارة المنافع العامة التي تم تخصيص إيراداتها لسداد القرض، ولمتابعة أعمالها، وضمان السداد في المواعيد المحددة"[١].

ونكاد نراك تعبث بشعر رأسك وأنت تهمس لنفسك: لقد رأيتُ هذا الفيلم من قبل.

نعم، فقصة تورط حكومة فينيسيا في الديون وتأسيس بنكها، أول بنك في العالم، قصة مكررة في كل مكان من العالم يحل فيه مَن سنعرفك بهويتهم عما قليل، وإذا قرأت كتبنا السابقة، فستجد السيناريو الذي قرأته الآن، هو نفسه وبالضبط، سيناريو تكوين بنك انجلترا في القرن السابع عشر، وبنك فرنسا في القرن التاسع عشر، ونظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي في القرن العشرين، وهو نفسه سيناريو توريط بلاليص ستان في الديون في عهد الخديو إسماعيل واستيلاء بنوك اليهود على مواردها العامة، تمهيداً للمشروع اليهودي، وهو نفسه السيناريو الذي يتكرر الآن في بلاليص ستان مرة أخرى وتدور وقائعه أمامك.

وهذه بقية قصة تأسيس بنك فينيسيا، يقول ريتشارد هيلدريث:

"وأدخلت غرفة القروض في أعمالها شراء الحوالات والكمبيالات Bill of Exchange، وبيعها، ولأن الغرفة صارت تحظى باحترام كبير، ولا محل للشك فيها وهي تحت حماية الدولة وتدير المنافع العامة، فقد اكتشفت أن وضع اسمها على الفواتير يزيد من قيمتها، وكانت الغرفة تملك فوائض أموال كبيرة، فبدأت في توظيف هذه الأموال واستثمارها، وأصبحت مع الوقت مختصة بإقراض الأموال على أوراق التجارة Mercantile Paper، وهو اليوم فرع كبير من أعمال البنوك الحديثة، وبدأ تجار فينيسيا في وضع أموالهم في الغرفة، لحفظها في أمان، وهكذا صارت الغرفة تمارس وظيفة الإيداع، وهو الفرع الثاني من

---

1) Richard Hildreth: The History of Banking, P5, Hillard, Gray And Co., Boston, 1837.

أعمال البنوك الحديثة، وكانت الغرفة تقوم بنقل الأموال بين الحسابات المختلفة للدافعين والمدفوع إليهم، وبهذا أمكن تجنب مخاطر عدِّ كمية كبيرة من العملات، وكذلك مخاطر نقلها من مكان في المدينة لآخر، وفي البداية كان وضع التجار لأموالهم في الغرفة ونقلها بينهم اختيارياً وبرغبتهم، ثم صار إجبارياً بقانون أصدرته الدولة، فأصبح مفروضاً على كل تاجر أن يفتح حساباً في البنك، وأن يكون سداد الفواتير والكمبيالات، وإجراء جميع المعاملات المالية، في البنك، وهو ما مهد لابتكار أوراق النقد وتداولها، وهي الفرع الثالث من أعمال البنوك الحديثة، والشيكات التي نستخدمها اليوم في البنوك ليست سوى تعديل طفيف في ما ابتكره بنك فينيسيا، وظل بنك فينيسيا بلا منافس، حتى أوائل القرن الخامس عشر"[١].

وإليك خاتمة قصة بنك فينيسيا، وهي أيضاً الخاتمة التقليدية لجميع قصص تكوين البنوك عبر التاريخ.

كانت فينيسيا تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ومع اندلاع الحروب الصليبية، سنة ١٠٩٩م، صارت المدينة دولة منفصلة تسيطر على مقاليدها مجموعة من أسر التجار الثرية، وظلت تسيطر عليها قرون عدداً.

فهذا هو وصف المؤرخ الأمريكي وأستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins ، فريدريك لين Frederic Lane، في كتابه: فينيسيا جمهورية بحرية Venice a Maritime Republic، للطبقة الحاكمة لفينيسيا منذ القرن الثاني عشر:

"**وكانت تتربع على قمة المجتمع حوالي عشرين أو ثلاثين أسرة كبيرة، تجمع بين القوة السياسية والثروة الطائلة Outstanding Wealth، وظلت هذه الأسر تسيطر على مقاليد فينيسيا عدة قرون، ويأتي بعدهم نحو مائة أسرة أخرى كانوا في صف النبلاء، وكان**

---

1) The History of Banking, P6-7.

أغلب النبلاء من التجار، وكانت هذه الأسر تحتكر عضوية مجلس الدوقات الحاكم، وهيئات التشريع والقضاء، ومواقع القيادة في الأسطول"[١].

وفي سنة ١١٤٣م، أي في ذروة الحروب الصليبية، كونت هذه الأسر مجلساً للحكماء Consilium Sapientium، لحكم المدينة، يرأسه دوجي أو دوق Doge، والدوجي أو الدوق ينتخبه أعضاء مجلس الحكماء من بينهم، وفي سنة ١١٧٢م غيروا اسم المجلس إلى مجلس الدوقات، أو المجلس الكبير Maggior Consiglio.

فإليك فريدريك لين Frederic Lane، يعرفك بمجلس حكماء فينيسيا وصفة أعضائه، وما الذي فعلوه:

"واللحظة الحاسمة، كانت سنة ١١٧٢م، حين عاد الدوجي فيتالي الثاني ميكيل Vitale Michiel II بالأسطول الذي كان يقوده ضد بيزنطة، وتشاجر معه أعضاء مجلس الدوقات، الذين صاروا القوة المسيطرة على فينيسيا طوال القرن التالي، وأصروا أنه يجب عليه أن يتبع ما يتفقون عليه ولا يخالفه، وهم سباستيانو زياني Sebastiano Ziani، وابنه بييترو Pietro، وإنريكو دندالو Enrico Dandolo، وابنه رانييري Ranieri، وكونوا لجنة رسمية يكون من حقها وحدها اختيار الدوجي، فضمنوا بذلك أن يكون الدوجي الذي ستختاره اللجنة أحدهم أو من مجموعتهم، وأول رجلين تم اختيارهما ليكونا من أعضاء هذه اللجنة هما أغنى رجلين في فينيسيا على الإطلاق، وهما سباستيانو زياني نفسه، وأوريو ماستروبييرو Orio Mastropiero، وقبلها بعدة سنوات، عندما رهنت الجمهورية الموارد العامة في سوق الريالتو Rialto Market، من أجل اقتراض مبلغ هائل من المال من بعض التجار، كان سباستيانو زياني وأوريو ماستروبييرو، قد أسهم كل منهما وحده

---

1) Frederic Lane: Venice A Maritime Republic, P151, The Johns Hopkins University Press Ltd., Baltimore And London, 1973.

بسُدس قيمة المبلغ المطلوب، ومعظم أعضاء اللجنة كانوا من الممولين الذين أسهموا في هذا القرض، وكان زياني قد كون ثروته الهائلة من التجارة في الشرق"[١].

وكما ترى، التجار الأثرياء الذين أقرضوا الدولة، وسيطروا على مواردها ومنافعها العامة، وكونوا بنك فينيسيا، صاروا هم وأبناؤهم حكام فينيسيا خلال سنوات، وسباستيانو زياني، الذي أسهم بسُدس قيمة القرض الذي طلبه الدوجي فيتالي الثاني ميكيل، لتمويل حملته ضد بيزنطة، ثم صار من مؤسسي بنك فينيسيا، أصبح رئيس مجلس الدوقات، وأول دوجي لفينيسيا، بعد الإطاحة بالدوجي فيتال ميكيل، سنة ١١٧٢م.

وبعد وفاة زياني، سنة ١١٧٨م خلفه في منصب الدوجي أوريو ماستروبييرو، الذي أسهم هو الآخر بسُدس قيمة القرض، وكان رفيقه في تأسيس بنك فينيسيا، وبعد وفاته سنة ١١٩٢م، خلفه في منصب الدوجي ثالثهم إنريكو دندالو، وظل في المنصب إلى وفاته سنة ١٢٠٥م، فخلفه بييترو، ابن سباستيانو زياني، إلى سنة ١٢٢٩م.

وأما من أين أتى تجار فينيسيا بالأموال الطائلة التي أقرضوها لحكومة فينيسيا، والأموال التي أقاموا بها البنك وصاروا يقرضونها للتجار ولعموم الناس، والتي وصلت بهم إلى حكم فينيسيا، فقد أخبرك البروفسور فريدريك لين، أنهم كونوا ثرواتهم من التجارة في الشرق، فإليك التفاصيل.

فينيسيا، أو بالإيطالية فينيتسيا Venezia، مدينة في شمال إيطاليا، تتكون من عشرات الجزر الصغيرة، تفصل بينها قنوات مائية وتربطها الجسور، وتطل على بحر الأدرياتيك، الذي ينفتح على البحر المتوسط، الذي يصل الغرب بالشرق، وهو ما جعلها مع اندلاع الحروب الصليبية مركزاً للتجارة، والناقل الرئيسي لها بين شواطئ المتوسط الأوروبية، ومملكة أورشليم والإمارات الصليبية في شواطئ المتوسط الجنوبية.

---

1) Venice A Maritime Republic, P92,

يقول مؤرخ الاقتصاد والبنوك، نوبل هوجسون، في الباب الذي خصصه لفينيسيا وبنكها الأول، من كتابه: البنوك عبر العصور:

"وكانت الحروب الصليبية، هي التي فتحت الطريق أمام فينيسيا وتكوين ثروتها الإمبراطورية Imperial Wealth، وخلال الحملة الأولى والثانية والثالثة، كانت فينيسيا، مع منافستها جنوة، تسيطر على وسائل نقل جنود الرب، التي تواجه المسلمين، وتجني من ذلك أرباحاً كبيرة، ولذا بدأت مستوطنات فينيسيا في الانتشار في الشرق، وصار لها مراكز في صيدا وصور، ومع الحملة الرابعة وصلت فينيسيا إلى ذروة مجدها وعظمتها، حين عقد الدوجي داندالو اتفاقاً مع الصليبيين لنقل ٤٥٠٠ فرس، و٩,٠٠٠ فارس، و٢٠,٠٠٠ جندي بمعداتهم، إلى الشرق، خلال سنة، في مقابل ٨٥,٠٠٠ عملة فضية من عملات كولونيا Cologne، ونصف ما يستولون عليه، وعندما حان وقت السداد عجز الصليبيون، فوافق دندالو على تأجيل السداد، إذا قام الصليبيون بقمع تمرد منطقة زارا Zara ضد فينيسيا، وبعد أن أتم الصليبيون المهمة، وفي مقابل تنازله عن السداد، تمكن دندالو من تحويل الحملة الصليبية بأكملها في اتجاه القسطنطينية، التي كانت قد هزمت فينيسيا قبلها بثلاثين سنة، وبتحريض منه اقتحم الصليبيون عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ونهبوها، سنة ١٢٠٤م، واستولت فينيسيا على أجزاء واسعة من الإمبراطورية، وتحولت إلى قوة أوروبية كبرى، ثم صار لفينيسيا عدة أساطيل تعمل كلها في التجارة، فأسطول تانا Tana Fleet، يبحر إلى البحر الأسود للتجارة مع روسيا والطرطر Tartars، والأسطول السوري، للتجارة في آسيا الصغرى، والأسطول الروماني الذي يتاجر مع اليونان ويتوغل حتى رومانيا، والأسطول المصري، الذي يرسو في الإسكندرية، وأسطول فلاندرز Flanders، الذي يبحر عبر مضيق جبل طارق، للتجارة مع بروج Bruges، وكان أصحاب البنوك هم من يقومون بتمويل هذه التجارة الواسعة"[1].

---

1) Banking Through The Ages, P57, 59.

وإليك هذه الطرفة:

"**وعند نهاية القرن الرابع عشر، كان البنك الذي قدم القرض للحكومة يَحصل سنوياً على ٢٠٠,٠٠٠ (مائتي ألف) دوكا ذهبية Ducats، من أرباح التجارة، سداداً لفوائد القرض**"[١].

فالدولة في فينيسيا، عند نهاية القرن الرابع عشر، كما ترى، كانت ما زالت تسدد فوائد الدين الذي اقترضته في منتصف القرن الثاني عشر، والذي كان من المفترض أن تنتهي من سداده بعد اثنتي عشرة سنة!

وما أخبرناك أنه طرفة، ليس سوى جزء تقليدي في قصة الديون وإنشاء بنوك الربا المكررة عبر التاريخ وفي كل الأمم.

والآن إليك ما لم يخبرك به مؤرخو الاقتصاد والبنوك، ولا البروفسور لين، أستاذ تاريخ العصور الوسطى، والمتخصص في تاريخ فينيسيا.

وأول ما هو محجوب في روايتهم لقصة تجار فينيسا، وإقراضهم لحكومتها، وتأسيسهم لبنكها، هو منظمة فرسان الهيكل، التي لم يذكروها، ولو بإشارة، رغم أن زمان القرض وتأسيس البنك، سنة ١١٥٧م وما بعدها، هو ذروة عصر فرسان الهيكل، وسيطرتهم على التجارة وتمويلهم للتجار، داخل أوروبا، وفي الأرض المقدسة في الشرق، وبينهما.

وفي هذه الحقبة ما كان لأي تاجر أو مجموعة من التجار أن تمارس التجارة وتجني منها الثروات، إلا إذا كانوا من فرسان الهيكل أو متحالفين معها ويعملون من خلالها، ليس فقط بسبب امتلاكها فوائض أموال كبيرة، أو الامتيازات التي منحها لها البابا، وأعفاها بها من الرسوم والضرائب، ومنحها حق المرور بين البلدان دون الخضوع للسلطات المحلية في كل بلد، ولكن أيضاً لأن مقاتلي فرسان الهيكل كانوا نخبة الجيوش الصليبية، وأقوى الفرق فيها،

---

1) Banking Through The Ages, P60.

ولأن المنظمة كانت هي التي تقوم بحراسة طرق الحج والتجارة وحماية التجار، وكاتدرائياتها ومقراتها تنتشر عبر هذه الطرق، في أوروبا، ومن البحر المتوسط إلى الإمارات الصليبية في الشرق، وهي مهمتها الأولى والوظيفة التي أنشئت من أجلها، وتحتكرها، واكتسبت صيتها من خلالها.

وكان أسطول منظمة فرسان الهيكل يجوب البحر المتوسط، ولا تنقطع حركته بين موانيه الشمالية والجنوبية، ثم استولت المنظمة على جزيرة قبرص، سنة ١١٩١م، وتمركزت فيها، فلم يعد بإمكان أي قوة أوروبية أو حملة تجارية عبور البحر المتوسط من أوروبا إلى الإمارات الصليبية إلا بالتوافق مع فرسان الهيكل.

وعندما أصدر البابا كليمنت الخامس مرسومه بحل منظمة فرسان الهيكل، سنة ١٣١٢م، كان الأستاذ الأعظم للمنظمة في قبرص، بييترو كاديللي دي كاسترو جيرا Pietro Cadelli de Castro Gyra، من أعضائها في فينيسيا.

وقد أخبرناك من قبل، أنه لم تكن توجد مدينة ولا بلدة في إيطاليا، إلا وكان لفرسان الهيكل فيها مقر، أما فينيسيا فكان لفرسان الهيكل فيها ثلاثة مقرات، وهي: كنيسة سان جيوفاني فرسان الهيكل San Giovanni de Tempio، وكنيسة سانتا ماريا دي برولو Santa Maria de Brolo، وكنيسة سان ماركو San Marco.

وعن أهمية هذه المقرات، وموقعها من فينيسيا، تقول دكتورة إلينا بلومو Elena Bellomo، وهي باحثة إيطالية في جامعة القلب المقدس الكاثوليكية Università Cattolica del Sacro Cuore، ومتخصصة في تاريخ الحروب الصليبية والتنظيمات العسكرية الكاثوليكية في العصور الوسطى، في كتابها الأكاديمي الذي أصدرته بالإيطالية، وكان عنوانه: تنظيم فرسان الهيكل في شمال غرب إيطاليا من سنة ١١٤٢م إلى سنة ١٣٣٠م (1142 –1330) The Templar Order In North West Italy:

"وتتجلى أهمية مقرات فرسان الهيكل، في أنها كانت المكان الذي تعلن فيه المراسيم البابوية، وتُفض فيه النزاعات، وتُجرى المفاوضات بين القناصل والسفراء، وتعقد الاتفاقيات، وتقام الاجتماعات لحل مشاكل المجتمع العامة، وتتم المصالحات بين عموم الناس وقادة المجتمع Societas Populi"(١).

وفي أربعينيات القرن الثالث عشر، نشب نزاع عسكري بين فينيسيا وجنوة، بسبب الخلاف حول مناطق النفوذ والتجارة في المدن الصليبية جنوب البحر المتوسط، تقول إِلينا بِللومو:

"وفي هذا الموقف المعقد، اختار فرسان الهيكل الانحياز إلى فينيسيا، وساندوها بقوة، وأثناء الصدام وضع فرسان الهيكل المناطق التابعة لفينيسيا تحت حمايتهم، وضمنوا للفينيسيين وحلفائهم حرية الحركة التي تمكنهم من هزيمة أعدائهم ... وفي سنة ١٢٦٧م وقَّع فرسان الهيكل اتفاقية مع جنوة، وبعدها قام التنظيم العسكري The Military Order بالتوسط بين جنوة وفينيسيا لمنع الصدامات بينهما"(٢).

وقبلها، الحملة الصليبية الرابعة التي حول دوجي فينيسيا وكبير تجارها وأحدد مؤسسي بنكها، إنريكو دندالو، مسارها من مصر، كما كان مرسوماً لها، إلى عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، فاستولت عليها ونهبتها، سنة ١٢٠٤م، وكان دندالو نفسه من قادتها، هذه الحملة كانت توافقاً بين دندالو وفرسان الهيكل، والمنظمة هي التي قامت بالتجهيز لها في فينيسيا، كما تخبرك إِلينا بِللومو:

"وكان دور فرسان لومبارديا Lombardia، في التجهيز للحملة الصليبية الرابعة حاسماً، خاصة قيامهم بحشد القوات في فينيسيا، وكانوا هؤلاء الفرسان تابعين لقادتهم في شمال غرب إيطاليا، والأستاذ الأعظم الإقليمي لفرسان الهيكل، باروتسيو Barozio، انضم للحملة، وكان هو الذي حمل إلى البلاط البابوي نبأ الاستيلاء على القسطنطينية، مسلحاً

---

1) Elena Bellomo: The Templar Order In North West Italy (1142 –1330), P265, Translated By: Gruppo Logos, Brill, Leiden, Boston, 2008.
2) The Templar Order In North West Italy (1142 –1330), P52-53.

بمجموعة من الأشعار، ومجموعة أخرى من النفائس، التي أهدى بعضها للبابا، واحتفظ ببعضها الآخر للتنظيم"[١].

فهل أدركت الآن أين المشكلة ولماذا تضيع الحقيقة ويختفي الفعلة الحقيقيون وتغيب آثار ما فعلوه، ولماذا يتشوه التاريخ، وما يصلك منه ليس هو ما حدث فعلاً، بل قد يكون من وسائل تحريف ما حدث، وإخفاء ما لا يراد له أن يصل إلى عموم البشر، وصرفهم عن إدراك المسار الذي يتكون من تتابع الأحداث وتوالدها، والذي يسفر بإدراكه الفاعل خلفها، ومَن يتجه المسار الذي يتكون منها إلى غايته؟

لأن المؤرخين التقليديين أدمغتهم مفككة، ويرون الأحداث متناثرة ومبعثرة في الأزمنة والأمكنة، ولا يدركون الرابط بينها، وليس في وعيهم أن ثمة رابطاً بينها أصلاً، ولأنهم يتتبعون ما تشهده مسارح الأحداث دون التنقيب في كواليسها، ولأن كلاً منهم يرى من الأحداث ما يخصه أو تخصص فيه فقط، ويطرح ما عداه، فمؤرخو الاقتصاد لا يرون سوى المال والبنوك، ومؤرخو التاريخ العام يتتبعون الأحداث وهي عندهم الفاعل، ولا يرصدون مِن البشر في هذه الأحداث إلا الأسماء والمناصب، ويغيب عنهم التساؤل عن هوياتهم ومَن يكونون بالضبط وما هي دوافعهم وغاياتهم وارتباطاتهم غير المنظورة في الأحداث، وإذا قابلهم في هذه الأحداث يهود أو رجال الحركات السرية، توهموا أن وجودهم فيها عارض ولا علاقة له بصناعتها وما تفرزه، ومؤرخو الحركات السرية يصفون محافلها وطقوسها، ويرصدون أعضاءها ومَن اشترك منهم في الأحداث، دون إدراك صلة هذه الأحداث وما تسفر عنه بغايات هذه الحركات السرية والمسار الذي تريده للعالم، ودون الانتباه إلى الرابط بين غاية هذه الحركات وغاية اليهود مِن أعضائها ومِن غير أعضائها، ومؤرخو اليهود يتتبعونهم في التاريخ، وهم يتوهمون أن هؤلاء اليهود يسيرون في نفق، ولا علاقة لما يدبرونه بما يحدث، ولا صلة لغاياتهم بالمسار الذي تسير فيه الأحداث، ومن ثَم فوعي هؤلاء المؤرخين وبحثهم محصور تحت سقف هذا النفق وبين جدرانه، ولا يتطلعون إلى شئ خارجها.

---

1) The Templar Order In North West Italy (1142 –1330), P44-45.

فإليك جانباً آخر أسقطته رواية مؤرخي البنوك والمؤرخين التقليديين، من قصة تجار فينيسيا، وإقراضهم لحكومتها، وتأسيسهم لبنكها، ثم استيلائهم على مقاليد السلطة فيها، وهو الجانب الذي مر بك، وأنت تقرأ قصة المرابين اليهود الذين انفردوا بتأسيس بيوت الربا والإقراض بفائدة في إيطاليا، إذ علمتَ أن هؤلاء المرابين كانوا أصلاً من التجار، وكونوا ثرواتهم التي أسسوا بها هذه البيوت أو البنوك الأولى من سيطرتهم على التجارة في مدن إيطاليا كلها.

وما حدث في فينيسيا، وتأسيس بنكها وأول بنك في العالم، ليس سوى القصة نفسها، واليهود في فينيسيا إبان تأسيس البنك، كانوا هم التجار ومن كنزوا الثروات من التجارة، وهم أصحاب بيوت الربا ومقرضو المال، والفئة الوحيدة التي تملك من الأموال ما يمكنها من إقراض الدولة وإدخالها في مصيدة الديون.

فأما التجارة، فيقول المؤرخ اليهودي البريطاني سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"وحين قام بنجامين من توديلا برحلته، كان يوجد في فينيسيا عدد من اليهود المهاجرين الذين يعملون بالتجارة، وهناك تقرير آخر يحدد عددهم سنة ١١٥٢م، ويقول إنهم كانوا ١٣٠٠، ولكن هذا التقرير غير موثوق به Unauthentic"[١].

وفي أحد سلسلة كتبه عن المجتمعات اليهودية عبر التاريخ، وهو كتاب: فينيسيا Venice، يقول سيسيل روث:

"في القرن العاشر هاجرت مجموعتان من التجار واستقرت في فينيسيا، والمجموعة الأولى قدمت من ألمانيا عبر جبال الألب، والمجموعة الثانية من مناطق شرق المتوسط التابعة للإمبراطورية البيزنطية، والمجموعتان، خصوصاً الثانية، قِسم منها كان من اليهود ... وفي القرن الحادي عشر، توثقت روابط فينيسيا مع التجمعات اليهودية المستقرة منذ

---

1) The History of The Jews of Italy, P76.

زمان طويل بامتداد سواحل دالماشيا Dalmatian Coast، بعد أن صارت فينيسيا القوة الأبرز في دالماشيا"[١].

وما قاله روث، هو نفسه ماتجده عند أستاذ الاقتصاد، في جامعة رودس Rhodes، في جنوب إفريقيا، اليهودي ماركوس أركِن Marcus Arkin، في كتابه: وجوه التاريخ الاقتصادي اليهودي Aspects of Jewish Economic Histor:

"**إحدى نتائج اندلاع الحروب الصليبية، كانت تحول مراكز الاقتصاد والتجارة، من مدن الشرق الأدنى، إلى المدن الإيطالية، لتصبح بؤرة الاقتصاد في عالم البحر المتوسط، ومن بين مدن البحر المتوسط جميعها، ظلت فينيسيا بطبيعتها العالمية Cosmopolitan Atmosphere، توفر بيئة مفضلة وجاذبة للتجار اليهود المغامرين، وفي الحقيقة كان يهود فينيسيا في وضع متميز Peculiar Position، رغم أن التجار اليهود كانوا نشيطين في جميع مدن بحر الأدرياتيك، ورغم أن اليهود في فينيسيا، الذين يُقدر عددهم في منتصف القرن الثاني عشر بعدة آلاف، وكانوا مقيمين بصفة دائمة، لم يكونوا يُصنفون كمواطنين"**[٢].

وبعد الحملة الصليبية الرابعة، التي نهبت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، سنة ١٢٠٤م، وكانت كما علمتَ، تحالفاً بين منظمة فرسان الهيكل ودوجي فينيسيا وكبير تجارها وأحد مؤسسي بنكها، إنريكو دَندالو، يقول روث:

"**وبعد ما يسمى بالحملة الصليبية الرابعة، زادت أعداد اليهود زيادة كبيرة، في فينيسيا والمناطق في أوروبا التي وقعت تحت نفوذها، وكذلك في جزر شرق المتوسط، وظل اليهود**

---

1) Cecil Roth: Venice, P8, 10, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1930.
2)) Marcus Arkin: Aspects of Jewish Economic History, P47-48, Varda Books, USA, 2002.

في هذه المنـاطق تحت حمايـة سفارة فينيسيا فـي القسطنطينية Venetian Bailo، حتى بعد أن تمكنت الإمبراطورية البيزنطية من استعادتها"[١].

وقد نقلنا لك سابقاً عن أستاذي الاقتصـاد اليهوديين، مارستيلا بوتشيني، وزيفـي إكشتَين، أنـه:

وكـان تحـول التجـار اليهـود إلـى المسيحية فـي أوروبـا، مرتبطـاً بالتفـاوت بـين الضـرائب المفروضـة علـى التـاجر اليهـودي وغيـر اليهـودي، فـإذا ارتفعت الضـرائب المفروضـة علـى التجار اليهود عن تلك المفروضة على التجار غير اليهود ارتفاعاً ملحوظاً، أو وجد التـاجر أن الديانـة عائق أمامـه، يلجأ التجـار اليهود ممن ارتبـاطهم باليهوديـة ضـعيف إلـى التحـول إلى الديانـة الأخرى"[٢].

فإليك ما يفسر لك لماذا لا تجد تحديداً لأسماء التجـار اليهود فـي فينيسيا، أو مَن يكونـون بالضبط مِن بين تجارها، رغم أنـهم كانوا في قلب مجموعات التجار التـي هاجرت إلـى فينيسيا واستقرت فيها، ورغم أنـه في فينيسيا وفـي إيطاليا عمومـاً، كما يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث:

"**منذ القرن العاشر، صـار لفظ اليهـودي والتـاجر فـي أغلـب الأحيـان مترادفين Almost Synonymous"**[٣].

وهو ما يؤكده مؤرخ الاقتصـاد وأستاذه، اليهودي ماركوس أركِن:

"**وفـي أقاليم البحـر المتوسط، كان التجار اليهود يحتكرون التجارة الدوليـة، بسبب العداوة بـين الغـرب المسيحي والشـرق المسـلم، إلـى درجـة أن كلمتـي يهـودي Judaeus، وتـاجر**

---

1) Venice, P10.
2) From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora, P17, 26.
3) Venice, P12.

Mercator، كانتـا متـرادفتين، كمـا يظهـر مـن الوثـائق الكارولنجيـة Carolingian Documents"[١].

وفي القرن العاشر نفسه، الذي بدأ فيه تدفق التجار اليهود من ألمانيا وشرق المتوسط إلى فينيسيا، يقول روث:

"في سنة ٩٤٥م، أصدر مجلس الشيوخ The Senate في فينيسيا، مرسوماً بمنـع نقل التجار اليهود على السفن المبحرة إلى مياه الشرق، والمثير أن المرسوم يبين من جانب آخر إلى أي مدى وصل نفوذ اليهود في التجارة الدولية"[٢].

وبعد ثلاثة قرون من المرسوم، يقول روث:

"دخل عنصر آخر في المسألة، فالمجتمعات تم تنظيمها على أسس دينيـة متزايـدة، والنظام الإقطاعي جعل من المستحيل على اليهود أن يستمروا فـي العمل بالزراعة، وغَيرة التجار ونقاباتهم أدت إلى التضييق على التجار اليهود، ومنعهم من الصعود إلى مواقع الإدارة في هذه الروابط، والمهنة الوحيدة التي ظلت مفتوحة أمامهم بلا تضييق، هي مقرض المال Money Lender"[٣].

وما قاله روث، تأكيد لسيطرة اليهود على التجارة رغم التضييق عليهم رسمياً، لأن مَن يقرضون الأموال إنما أسسوا بيوت الربا بالثروات التي كنزوها من التجارة.

فها قد وصلت إلى المحطة التالية، ألا وهي بيوت الربا والإقراض بفائدة في فينيسيا.

فإليك هذا التقرير الذي أرسله حاكم منطقة ريتيمو Retimo، التابعة لفينيسيا، إلى مجلس الدوقات الحاكم، في القرن الثالث عشر، ويعطيك صورة متكاملة، عن سيطرة التجار اليهود

---

1) Aspects of Jewish Economic History, P44.
2) Venice, P8.
3) Venice, P12.

على التجارة في فينيسيا، وتأسيسهم لبيوت الربا، بما جنوه من احتكار التجارة، وقد نشر نص التقرير مؤرخ الاقتصاد، اليهودي ماركوس أركِن، في كتابه: وجوه التاريخ الاقتصادي اليهودي:

يقول التقرير:

"أهل ريتيمو يشكون من أن اليهود لا يكتفون بالأرباح التي لا تحصى Incalculable Profit، التي يجنونها من الربا Usuries، وكذلك عوائد سيطرتهم على التجارة، إلى درجة أنه يمكن القول إن اليهود هم سادة المال والرجال في هذه المنطقة Lords of The Money And of The Men، بل يتعدى هؤلاء اليهود ذلك إلى امتلاك جميع الأكشاك والمحلات والمخازن في ميدان ريتيمو، وكذلك تلك المحيطة بالميدان وفي المناطق القريبة منه، مما يتسبب في ضرر كبير لأهل ريتيمو، ويدفعهم إلى الفقر والحاجة، لأن هؤلاء اليهود هم وحدهم مَن يبيعون بضائعهم ويُصَرِّفونها، بينما تركد البضائع عند مواطنينا ولا يستطيعون بيعها، ولا يجدون عائداً، لأنه لا يمكنهم امتلاك شيء من هذه المحلات"[١].

وكانت فينيسيا، بعد أن أباحت الكنيسة للسلطات المحلية في كل مدينة، إبرام عقود الكوندوتا مع المرابين اليهود، في القرن الثاني عشر، قد أبرمت عقوداً مع هؤلاء المرابين في بلدة مِستري Mestre، التي يتركزون فيها، لإقراض أهل فينيسيا وحكومتها، ثم، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث:

"في سنة ١٣٦٦م، تنازلت فينيسيا عن مِستري، لفيرونا Verona، مقابل المال، فقام مجلس الحُكم في فينيسيا بدعوة المرابين في مستري، للقدوم والاستقرار في فينيسيا، مقابل بعض الامتيازات، وأبرم معهم عقوداً جديدة ليمارسوا نشاطهم فيها"[٢].

---

1) Aspects of Jewish Economic History, P48.
2) Venice, P17.

وإليك المؤرخ اليهودي الألماني، هينريش جريتز، يخبرك بهذا الشرط الطريف الذي اشترطته مدينة رافينَّا Ravenna، لكي تقبل الانضمام إلى فينيسيا، بعد خمسين عاماً من استقرار المرابين في مدينة فينيسيا:

"اليهود، كأصحاب رؤوس أموال، كانوا يُستقبلون بحفاوة في إيطاليا، وعندما رغبت رافينَّا في الانضمام إلى فينيسيا، كان أحد شروط الاتفاق، أن ترسل فينيسيا عدداً من اليهود الأثرياء Wealthy Jews، ليفتحوا بنوكاً في رافينَّا لإقراض المحتاجين"(١).

وبقي من فينيسيا وقصة بنكها وأول بنوك العالم، إقراض التجار والمرابين اليهود للدولة نفسها، فإليك المؤرخ اليهودي البولندي الأمريكي، وأستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو، موشيه شولفاس، في كتابه: اليهود في عالم عصر النهضة، يخبرك صراحة بهوية مَن كانوا يقرضون دولة فينيسيا وحكوماتها:

"كان جميع اليهود في فينيسيا، مضطرين للعمل في بيوت التمويل، لتوفير الأموال المطلوبة منهم لإقراض المسيحيين، وفي الحقيقة كان اليهود يوفرون الأموال اللازمة لإقراض الدولة كلها The Entire State"(٢).

بنك جنوة:

ومن فينيسيا إلى جنوة، وقد صارتا مع فلورنسا ، مركز ثورة الاقتصاد والتجارة والبنوك، في إيطاليا وفي أوروبا كلها، كما يخبرك الباحثان الإيطاليان: ميكيل فراتيانّي Michele Fratianni، وفرانكو سبنيللي Franco Spinelli، من جامعتي إنديانا الأمريكية Indiana، وبرِشا الإيطالية Brescia، في دراستهما التي نشرت في المجلة الأوروبية لتاريخ الاقتصادEuropean Review of Economic History، التي تصدرها جامعة كمبردج،

---

1) History Of The Jews, Vol. IV, P285.
2) Shulvass: The Jews In The World of The Renaissance, P126.

وكان عنوان الدراسة: المدن الدول الإيطالية وتطور التمويل Italian City-States And Financial Evolution، يقول فراتيانّي وسبنيللي:

"من بين جميع مدن إيطاليا، كانت فينيسيا وجنوة وفلورنسا ، هي التي قدحت شرارة الثورة التجارية، أواخر القرون الوسطى، وصارت رائدة التطور الاقتصادي والرأسمالي At The Frontier of Economic Development And Capitalism، ومراكز التجارة الدولية والبنوك"(١).

وبنك جنوة، أو بنك القديس جورجو Banco di San Giorgio، هو ثاني أقدم بنوك العالم، بعد بنك فينيسيا، يقول مؤرخ البنوك، الأمريكي نوبل هوجسون، في الباب الذي خصصه لبنك القديس جورج، من كتابه: البنوك عبر العصور:

"بنك القديس جورج St. George، الذي كان يتحكم في مناطق واسعة من سواحل شمال غرب إيطاليا، هو أحد أقدم بنوك العالم، وأطولها عمراً، وقد أنشئ بطريقة مؤسسية، وكان يدار بكفاءة ومهارة، ونال من الامتيازات، ما مكنه من الاستمرار في عمله عبر سبعة قرون"(٢).

والخطوة الأولى في تأسيس بنك القديس جورج، هي نفسها وبالضبط التي رأيتها في تأسيس بنك فينيسيا، وتسبقها في الزمان، رغم أن تأسيس بنك جنوة تأخر بضع سنوات عن بنك فينيسيا، يقول الباحثان الإيطاليان فراتيانّي وسبنيللي، في دراستهما عن: المدن الدول الإيطالية وتطور التمويل:

"بداية الدَين العام الطويل، تعود إلى سنة ١١٤٩م، بالنسبة لجنوة، وإلى سنة ١١٦٤م، بالنسبة لفينيسيا، وفي الحالتين منح مقرضو الأموال الدولة مبالغ طائلة من المال، رغم

---

1) Michele Fratianni, Franco Spinelli: Italian City-States And Financial Evolution, European Review of Economic History, 10, P261, Cambridge University Press, 2006.
2) Banking Through The Ages, P64.

عدم وجود دلائل قاطعة بأن الضرائب وعوائد الممتلكات العامة ستكفي للسداد، وكان اسم القرض في جنوة كومبري Compere، وفي فينيسيا مونتي Monti"[(١)].

وتفسير ما قاله فراتيانّي وسبنيللي، هو ما أخبرناك به من قبل، من أن المرابين ومن كونوا البنوك عبر التاريخ، وغزوا بها بلدان أوروبا جميعها، لم يكن غرضهم في الحقيقة الربح، بل تحويل الديون وفوائدها التي يعلمون أنها ستتوالد وتتراكم وتعجز الدول عن سدادها، إلى امتيازات وسلطة ونفوذ وسيطرة على حركة المجتمعات وتوجهاتها.

وليست الخطوة الأولى في قصة بنك جنوة، هي وحدها نظير الخطوة الأولى في قصة بنك فينيسيا، بل القصة كلها وبجميع عناصرها، هنا هي نفسها هناك، من أول المرابين وبيوت الربا، وكيف كونوها من الثروات التي كنزوها من سيطرتهم على التجارة الدولية، وهوية هؤلاء المرابين والتجار.

فهاك قصة بنك القديس جورج في جنوة موجزة، قبل أن نتوقف بك عند الشيء الذي يتميز به عن بنك فينيسيا.

يقول مؤرخ البنوك، الأمريكي نوبل هوجسون:

"**في سنة ١١٤٧م، بدأت الحملة الصليبية الثانية، وفي السنة التالية كانت الخطوة الأولى في تأسيس البنك، حين تعاقدت حكومة جنوة على أول قرض رسمي، وكان اقتراض المال في مقابل عوائد الجمارك، وشكل ممولو القرض مجلساً لحماية مصالحهم، واتفقوا على أن كل مائة ليرة من القرض Lire، تصبح لوجو Luogo، أو سهماً Share، وأي عدد من الأسهم يمتلكه فرد واحد من المقرضين، يشكل عموداً Column، في كتاب الكورتلاريو Cortulario، الذي سجلوا فيه القرض، وتضاف إليه الفوائد والقروض الجديدة، وكان اسم المجلس: ممولو القديس جورج Compere of St. George، وفي**

---

1) Italian City-States And Financial Evolution, European Review of Economic History, 10, P262.

المائة سنة التالية تعددت قروض الدولة من المجلس، ومن ثَم تعقدت عملياته، وفي سنة ١٢٥٢م تم تكوين مؤسسة لإدارة المجلس والقروض، وتعد هذه السنة هي التاريخ الرسمي لتأسيس البنك"[١].

ويقول الباحثان الإيطاليان فراتيانّي وسبنيللي:

"والذين اشتركوا في تأسيس بنك القديس جورج، ومالكو أسهمه، كانوا عدداً كبيراً من الممولين، بعضهم من جنوة، وبعضهم الآخر أجانب من خارجها ... ومن أجل ضمان السداد وضعت الدولة عدة مدن ومناطق تحت إدارة البنك، منها ميناء كافا Caffa وكورسيكا Corsica، وكان البنك مستقلاً رسمياً عن الحكومة، ولكن واقعياً كانت مالية كل منهما مربوطة بالآخر The Fortunes of One Were Tied To Those of The Other"[٢].

وأما ما يتميز به بنك جنوة عن بنك فينيسيا، ونتوقف بك عنده، فهو اسمه.

يقول نوبل هوجسون:

"واسم البنك يدل على أصوله في القرون الوسطى، عندما كان يجب على كل مشروع إنساني أن يوضع تحت رعاية قديس، حتى لو كانت الكنيسة لا ترحب بهذا العمل، والقديس جورج عسكري روماني شجاع، من كبادوكيا Cappadocia، أصبح مسيحياً، وقتله الإمبراطور دقلديانوس Diocletian، سنة ٣٠٣م، وصارت روحه ملهمة لرجال البنوك في جنوة"[٣].

---

1) Banking Through The Ages, P65-66.
2) Italian City-States And Financial Evolution, European Review of Economic History, 10, P263, 264.
3) Banking Through The Ages, P64-56.

وروح القديس جورج ليست هي التي ألهمت المرابين اليهود ورجال البنوك في جنوة، كما يخبرك مؤرخ البنوك الذي تحول عنها وعن الاقتصاد إلى الرومانسية والشعر، بل روح فرسان الهيكل، فالذي لم يخبرك به مؤرخ البنوك، وربما كان لا يعرفه، هو أن القديس جورج كان رمز منظمة فرسان الهيكل وراعيها، وهو عندها نموذج لفارس الهيكل أو الراهب المقاتل، وشعار منظمة فرسان الهيكل الشهير، الصليب الأحمر المربع متساوي الأذرع على أرضية بيضاء، هو صليب القديس جورج.

والصليب الأحمر، صليب فرسان الهيكل والقديس جورج، هو نفسه شعار سيموني بوكانِجرا Simone Boccanegra، الذي أصبح سنة ١٣٣٩م، رئيس مجلس الدوقات وأول دوجي/دوق لجنوة، وكذلك شعار عمه جوجليلمو بوكانِجرا Guglielmo Boccanegra، الذي سبقه سنة ١٢٥٧م، وكان أول كابتن أو رئيس للعوام Capitano del Popolo، في جمهورية جنوة، بعد أن قاد بهؤلاء العوام تمرداً أطاح فيه بمجلس القناصل الذي كان يحكم جنوة، ونقل به السلطة من أسر النبلاء الذين يمثلهم القناصل، إلى أسر التجار، وخلفه في منصب كابتن جنوة، أخوه نيكولو بوكانِجرا Niccolò Boccanegra، وجوجليلمو بوكانِجرا هو أيضاً الذي بنى قصر القديس جورج Palazzo San Giorgio، الذي صار مقر بنك القديس جورج منذ بنائه في القرن الثالث عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر[1].

وتاريخ أسرة بوكانجرا في جنوة، يبدأ مع بداية الحروب الصليبية، وكانت قبلها من أسر التجار في حوض البحر المتوسط، ولكن لا يُعلم على وجه التحديد أين كانت قبل أن تنتقل إلى جنوة، حيث صارت من أسر التجار ثم المرابين، وهي إحدى الأسر التي أقرضت حكومة جنوة، واشتركت في تأسيس بنك القديس جورج وتمتلك أصوله، والصليب الأحمر شعار الأسرة كلها.

فهل تيقنت أن قصة جنوة وبنكها، هي نفسها قصة فينيسيا وبنكها؟!

---

1) Theodore Bent: Genoa, How The Republic Rose And Fall, P56, 62, 236, Kegan Paul And Co., London, 1881.

فلورنسا

بؤرة المرابين وفرسان الهيكل واليهود الأخفياء

بؤرة المرابين

وفلورنسا هي المدينة الدولة التي آلت إليها ثروات مدن إيطاليا كلها، بعد فينيسيا وجنوة، وصارت معقل الربا والمرابين وبنوكهم، كما يخبرك مؤرخ البنوك، ومدير بنك لندن ووستمنستر في القرن التاسع عشر، جيمس جلبرت، في كتابه: تاريخ البنوك وأسسها:

"رغم أن ثورة التجارة بدأت في فينيسيا وجنوة، وتم تأسيس بنوك عامة فيها، إلا أن قطاع البنوك والعمليات البنكية على وجه الخصوص وقع بين أيدي أهل فلورنسا Fallen Into The Hands of The Florentine ... والمعاملات المالية في جميع ممالك أوروبا صارت تتم من خلال بنوك فلورنسا، وكثير من هذه الممالك عهدت لها بتحصيل الموارد العامة وإدارتها"[١].

ويقول مؤرخ البنوك، الأمريكي نوبل هوجسون، في كتابه: البنوك عبر العصور:

"ومنذ القرن الثالث عشر، أصبحت فلورنسا عاصمة المال والفنون والثقافة في أوروبا Financial, Artistic And Intellectual Capital of Europe"[٢].

والمال والفنون والثقافة، التي يخبرك مؤرخ البنوك في فخر، أن فلورنسا صارت عاصمتها، هي في حقيقتها مزيج الربا والعلمنة والقبالاه والانحلال، الذي أخبرناك أنه يسير في ركاب اليهود والحركات السرية حيث ساروا، ويحل معهم أينما حلوا

وفلورنسا، أو بالإيطالية فِرنتسي Firenze، مدينة في وسط شبه الجزيرة الإيطالية، وهي عاصمة إقليم توسكانيا، أو توسكانا بالإيطالية Toscana، وتقع شمال شرق روما، وعلى بعد مائتين وخمسة وثلاثين كيلومتراً منها.

---

1) The History And Principles of Banking, P7, 8.
2) Banking Through The Ages, P72.

وكانـت فلورنسـا منـذ القـرن التاسـع المـيلادي جـزءاً مـن مركيزيـة توشَّـا Tuscia، ضـمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي سنة ١١٣٨م، تمردت أسر النبلاء في فلورنسا، وانفصلوا بها، وحولوها مع القرى والبلدات المجاورة لها إلى كوموني/كوميونـة Comune، أو ما يشبه الجمهوريـة، يحكمهـا سـينيوريا Signoria، أو مجلـس للسـيادة، يمثـل أسـر النـبلاء، ويـرأس المجلس جونفالونييري أو قائد Gonfaloniere، ينتخب من بين أعضائه.

وقد علمت من قبل، أن الكنيسة الكاثوليكية، كانت تحرم الإقراض بفائدة على المسيحيين، ولكنها أباحته منذ القرن الثاني عشر لليهود، وسمحت للأمراء والأساقفة بدعوتهم وتوقيـع عقود معهم للاقتراض منهم، فانتشر المرابـون اليهـود فـي كل مكـان من إيطاليا، وأقاموا فـي مدنها وبلداتها بيوتاً للتمويل وإقراض الأمراء والمجالس الحاكمة للمدن والأساقفة وعموم النـاس، وأنـه، كما يخبرك المؤرخ اليهودي سيسيل روث:

"الـرواد الـذين كـانوا خلـف هـذا التطـور الاقتصـادي هـم يهـود رومـا، ومـن رومـا زحـف الممولـون اليهـود إلـى مـدن وسـط إيطاليـا وشـمالها، ووجَّـه المرابـون الـذين كـانوا يمارسـون الربـا سـراً Secret Usurers، الـدعوات إلـى اليهـود للقـدوم إلـى مـدنهم وبلـداتهم، ودخلـوا معهم في مفاوضات ليكونوا شركاء لهم ويعملوا من خلالهم ... وفـي بـادوا وتوسكانيا مدت بيـوت التمويـل والإقـراض نشـاطها وعملياتهـا إلـى مـا خلـف الألـب، خصوصـاً إلـى فرنسـا وانجلترا، وهكذا ازدهرت التجمعات اليهودية في إيطاليا شمال رومـا، وصـنعت تاريخـاً جديداً، ووضعت أصول الاقتصاد الحديث"[١].

وفي كتابه: اليهود في عالم المسيحية الغربية في العصور الوسطى، من سنة ١٠٠٠م إلى سنة ١٥٠٠م The Jews of Medieval Western Christendom, 1000-1500، يقول أستاذ العبرية والدراسات اليهودية في جامعة نيويورك، اليهودي روبرت تشازان Robert Chazan، إن هؤلاء اليهود الذين تحركوا من روما إلى وسط إيطاليا وشمالها، كانوا يتميزون بسلوك غريب وصفة فريدة، فهاك هي:

---

1) The History of The Jews of Italy, P106-107.

"دراسة التجمعات اليهودية في إيطاليا، في هذه الفترة، تُظهر خاصية فريدة لليهود في شمال إيطاليا ووسطها، فكما لاحظ البروفسور ميكيل لوتساتي Michele Luzzati: "أكثر سلوك لليهود في شمال إيطاليا ووسطها غرابة، ليس مجرد حركتهم الدائبة جغرافياً من مكان لآخر، بل ما يمكن أن نسميه بداوتهم الكاملة Outright Nomadism، أو الترحال الدائم Itinerism، وهؤلاء اليهود هم نسل العائلات المهاجرة من روما وجنوب إيطاليا، ولم تكن هذه العائلات اليهودية تتحرك من مدينة أو بلدة إلى أخرى مرة واحدة فقط، بل تغير مكان إقامتها عدة مرات في حياتها، ومن ثَم تنتسب إلى أربع أو خمس مدن أو بلدات في وقت واحد"[١].

وما لم يخبرك به البروفسور اليهودي روبرت تشازان، وهو تفسير ما قاله وما نقله عن البروفسور لوتساتي، أن هذه الحركة الدائبة للعائلات اليهودية من مدينة أو بلدة لأخرى، وحرصها على الانتساب لكل بلدة تقيم فيها بعض الوقت، هو وسيلة لطمس الهوية وإخفاء الأصول، ولتضليل من يحاول أن يتتبعها، إذ هو يعني ببساطة أن كل مدينة أو بلدة تنتقل إليها إحدى هذه العائلات اليهودية، أو بعضها، لن تعرف عنها سوى أنها من أهل البلدة التي جاءت منها، وبذلك تُفقد آثارها ولا تُعرف أصولها، ولا يدرك أحد أنها غريبة عن هذه البلدات كلها، وأنها يهودية، إلا إذا أرادت هي أن يُعرف عنها ذلك.

وإليك المؤرخ الأمريكي وأستاذ تاريخ عصر النهضة، في جامعة كورنيل الأمريكية Cornell، جون ناجمي John Najemy، يخبرك في كتابه: تاريخ فلورنسا من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٥٧٥م A History of Florence, 1200-1575، بصفة أسر التجار الذين أطاحوا بالسينيوريا، أو مجلس السيادة، وحكم النبلاء في فلورنسا، في القرن الثالث عشر، وتكونت منهم طبقة الحكم الجديدة:

---

1) Robert Chazan: The Jews of Medieval Western Christendom, 1000-1500, P127, Cambridge University Press, London, 2007.

"والنخبة الجديدة التي تكونت في منتصف القرن الثالث عشر، جعلت فلورنسا عملاق أوروبا الاقتصادي، وسيطرت على الحياة في الجمهورية طوال القرنين التاليين، ومن ثَم فالقرن الثالث عشر كان زمان بروز هذه الأسر الثرية الصاعدة، وتكوين المؤسسات وإرساء الممارسات التي مكنتها من هذه السيطرة، خصوصاً ترابطها بالأنساب والمصاهرات، وبالتعاون والاشتراك في العمل، الذي مكَّنها من الاحتفاظ بالموارد المادية، وكانت هذه الأسر الثرية التي كونت النخبة الجديدة تتخذ ألقاباً Surnames لتعرف بها وتكون علامة على مكانتها، وبعض هذه الألقاب مأخوذ من اسم مؤسس الأسرة، وبعضها الآخر من أسماء الأماكن المحيطة التي ظهرت فيها وقدمت منها"[١].

ونريدك الآن أن تضع ما أخبرك به البروفسور جون ناجمي، عن أسر التجار التي قدمت إلى فلورنسا من مدن وسط إيطاليا ثم استولت عليها، إلى جوار ما أخبرك به البروفسور روبرت تشازان، عن سلوك الأسر اليهودية الفريد والغريب في وسط إيطاليا وشمالها، في الزمان نفسه، وجُل هذه الأسر كما علمتَ كانوا من المرابين، ثم يأتي السؤال: هل يجعلك ما أخبرك به تشازان عن حركة اليهود وتنقلهم الدائب بين المدن وانتسابهم لها وتغييرهم لألقابهم في كل مدينة، هل يجعلك أقرب إلى إدراك هوية تجار فلورنسا، الذين اتخذوا ألقاباً لأسرهم من أسماء المدن والبلدات التي قدموا منها، ولا يعلم أحد من هم في الحقيقة، ولا أين كانوا قبلها.

وقد تتساءل: ولماذا يخفي التجار والمرابون اليهود في فلورنسا هويتهم وأصولهم، ويتعمدون تضليل من يبحث عنها، والكنيسة أباحت لهم الإقراض بالربا، وسمحت لسلطات المدن أن تدعوهم للإقامة فيها وتقترض منهم؟

والإجابة مرة أخرى فيما أخبرك به من قبل أستاذا الاقتصاد اليهوديان مارستيلا بوتشيني، وإكشتَين زيفي، أنه من سمات المرابين والتجار اليهود، أنهم إذا وجدوا أن الديانة عائق أمام تجارتهم وحركة أموالهم، تحولوا ببساطة إلى ديانة من حلوا بينهم من الشعوب، وفيما أخبرناك

---

1) John Najemy: A History of Florence, 1200-1575, P6-7, Blackwell Publishing, Oxford, 2006.

به من أن ذلك التحول الظاهري يسهل حركتهم في المجتمعات، ويفتح لهم الطريق إلى دوائر السلطة ومناطق النفوذ، التي تمكنهم من السيطرة على هذه المجتمعات.

فإليك المؤرخ اليهودي سيسيل روث، يخبرك في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا، بموقف انفردت به فلورنسا تجاه المرابين اليهود، من بين جميع المدن التي انتشروا من روما إليها، يقول روث:

"أما فلورنسا فكانت لها سمات فريدة ومثيرة، فقد اكتسب مواطنوها سمعة سيئة في أوروبا كلها، كمقرضي أموال جشعين، ولذا تم استبعاد الممولين اليهود رسمياً من بين جدران المدينة، ولكن في المناطق التابعة لفلورنسا كان المنع أقل صرامة، وفي القرن الثالث عشر وقَّعت كوميونة سان مِينياتو S. Miniato وكوميونة سان جيمنيانو S. Gimignano، اتفاقيات مع الممولين اليهود للاقتراض، بموافقة حكومة فلورنسا، تلتها بيشَّا Pescia، وأرِتسو Arezzo، وبراتو Prato، وفولتيرَّا Volterra، وبستويا Pistoia، وكاستليون Castiglion، ووصل عدد البلدات التابعة لفلورنسا ووقعت عقود كوندوتا مع بنوك الإقراض والممولين اليهود إلى ثلاثين، ورغم ذلك ظل المنع سارياً بقوة في فلورنسا نفسها، إلى سنة ١٤٣٧م، وفي هذه السنة وقعت حكومة فلورنسا اتفاقية مع مجموعة من الممولين اليهود، من سان مينياتو وفيرار وبادوا وبولونيا، لفتح بنك للإقراض في فلورنسا، تلتها اتفاقيات مع مجموعات أخرى"(١).

ويقول مؤرخ الاقتصاد، اليهودي ماركوس أركِن، في كتابه: وجوه التاريخ الاقتصادي اليهودي، عن اليهود الصرحاء:

"وفي فلورنسا، تعرض التجار اليهود لتضييق شديد، بسبب الفوائد التي يأخذونها على القروض On The Interest، دون تقدير للمخاطرة التي يتحملونها، فقُيدت إقامتهم في

---

1)The History of The Jews of Italy, P133-134.

المدينـة، وأُنكرت عليهم حقوق المواطنـة، وحُرم عليهم حمل السلاح، وتم استبعادهم من تجارة الجملة الأجنبية الهائلة في المدينة"[١].

وسماح حكومة فلورنسا للتجار والمرابين اليهود الصرحاء بدخول المدينة والعمل فيها، سنة ١٤٣٧م، وتوقيعها معهم لاتفاقيات إنشاء بيوت الربا، كان بعد وصول رأس أسرة دي مديتشي وبنكها، كوسيمو دي مديتشي، إلى رأس السلطة في فلورنسا.

---

1) Aspects of Jewish Economic History, P48.

نقابات المرابين وفرسان الهيكل

فإليك كيف تكونت النقابات واكتسبت النفوذ ثم أطاحت بحكم النبلاء ووصلت لحكم فلورنسا.

عن نقابات الحِرفيين والصُناع والعمال والتجار ورجال البنوك، وأسباب ظهورها في فلورنسا، يقول المؤرخ الأمريكي وأستاذ تاريخ عصر النهضة، في جامعة كورنيل الأمريكية، جون ناجمي في كتابه: تاريخ فلورنسا من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٥٧٥م:

"وكان ظهور هذه النقابات، من أجل حماية المصالح المشتركة لأهل المهنة أو التجارة، وبسبب رغبة التجار وأصحاب المهن الذين لا ينتمون إلى أسر النبلاء في حيازة القوة، ثم صارت هذه النقابات المؤسسات المركزية لعموم الناس Popolo's Central Institutions، ومن خلال هذه النقابات تمكن التجار والصُناع والحرفيون وأصحاب المحلات، الذين لا ينحدرون من أصول قوية، من تحقيق الأمان والنفوذ السياسي والهوية الثقافية، في مواجهة الأسر النبيلة، وفي بداية ظهورها لم تؤيدها حكومة الكوميونة ولم تعارضها، وكان تأسيس هذه النقابات قائماً على الحق القانوني لأعضاء أي مهنة في الاجتماع وتنظيم شؤونهم"[١].

وعن بداية هذه النقابات، يقول المؤرخ البريطاني، المتخصص في تاريخ عصر النهضة، إدج كومب ستيلي Edgcumbe Staley، في كتابه: نقابات فلورنسا The Guilds of Florence:

"وكان ظهور النقابات من آثار النزاع بين الجراندي/العظماء Grandi، وهم النبلاء، والبوبولاني/عموم الناس Popolani، وهم التجار، وكان النبلاء من نسل اللوردات التيوتون/الألمان القدماء Teuton Lords، وكثير من أسر النبلاء كانوا يمارسون التجارة

---

1) A History of Florence, 1200-1575, P40.

ويشاركون التجار، وبعض هؤلاء النبلاء تنازلوا عن ألقابهم النبيلة، وغيروا أسماءهم، وصاروا من البوبولاني/العوام، وضمهم التجار إلى جمعيات التجارة والصناعة التي أنشأوها، ومن أمثلة أسر الجراندي الذين صاروا من البوبولاني وأعضاء النقابات، أسرة تورنابوني Tornabuoni، وأسرة كافالكانتي Cavalcanti، وأسرة سيامبولي Ciampoli، و... و ... و ....، وتجمعت أسر النبلاء في كونسورتيري/اتحاد Consorterei، للدفاع عن مصالحهم، ولبناء قصور يقطنونها وقت السلم، وقلاع يتحصنون فيها في أوقات تمرد البوبولاني/عموم الناس، بينما نظم التجار أنفسهم في شركات Compagnie، وكل شركة تتكون من عدد من أسر التجار الذين يعملون في مجال مشترك، ومعهم أسر العاملين عندهم، وبالبحث في سجلات فلورنسا في القرن الثاني عشر وجدنا أسماء هؤلاء التجار والمجالات التي يعملون فيها: ..."[١].

وإليك هذه المعلومة لتضيفها إلى ما أخبرك به المؤرخ إدج كومب ستيلي، عن أسر النبلاء في فلورنسا الذين انخرطوا في التجارة، وصاروا شركاء للتجار، ثم مع نشوب النزاع بين النبلاء والتجار، تنازلوا عن ألقابهم النبيلة، وانخلعوا من طبقة النبلاء كلها، وانتقلوا باختيارهم إلى البوبولاني أو العوام، وصاروا من أعضاء النقابات وهي تصعد وتكتسب القوة والنفوذ.

في أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد Harvard، وكان عنوانها: مكافحة الربا، طرد مقرضي الأموال من أوروبا في العصور الوسطى من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٤٥٠م Banishing Usury, The Expulsion of Foreign Moneylenders In Medieval Europe, 1200-1450، يقول دكتور روان وليم دورين Rowan William Dorin، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة ستانفورد الأمريكية Stanford:

1) Edgcumbe Staley: The Guilds of Florence, P36-39, Methuen And Co., London, 1906.

"من بين آلاف السجلات والتقارير عن أنشطة مقرضي الأموال وتحركاتهم، أواخر العصور الوسطى، فإن كل ما يتعلق بهوية هؤلاء المقرضين وعالمهم الخاص غامض ومطموس Obscured، فسجلات أعمالهم فُقدت أو دُمرت، ويومياتهم ومراسلاتهم مع عائلاتهم لا وجود لها، واختفاء كثير من سجلات المقرضين الخاصة، تفسيره، كما يقول البروفسور ريناتو بوردوني Renato Bordone، في دراسته: عائلات لومبارديا وألمانيا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر Una Famiglia di Lombardi Nella Germania Renana Alla Seconda Metà del Trecento: "أن مقرضي الأموال كانوا يوظفون ثرواتهم في شراء ما يفتح لهم طريق الانتساب إلى طبقة النبلاء الإقطاعية في المناطق التي يوجدون فيها، وقد قام هؤلاء المقرضون والنبلاء الذين انحدروا منهم، بتدمير سجلاتهم العائلية، لكي يُخفوا أي أثر يدل على أصولهم وانتمائهم لطبقة التجار To Suppress Any Evidence of Mercantile Origins"[١].

ويقول المؤرخ اليهودي الأمريكي، وأستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو، موشيه شولفاس، في كتابه: اليهود في عالم عصر النهضة:

"في هذه الحقبة، كان يهود إيطاليا يستمدون حياتهم من الربا وبيوت الرهونات وإقراض الأموال، وعدد كبير منهم، من الرجال والنساء على السواء، تحولوا إلى المسيحية، وكان الدافع الرئيسي لهؤلاء المتحولين Conversos، رغبتهم في الانتماء إلى الطبقات العليا من الأميين Gentile Upper Class، والزواج منهم، ولا توجد أدلة على أنهم تعرضوا لضغوط أجبرتهم على هذا التحول، وقد صاروا مثل الطبقات العليا المسيحية، واتجهوا إلى تذوق الآداب والفنون ورعايتها"[٢].

---

1) Rowan William Dorin: Banishing Usury, The Expulsion of Foreign Moneylenders In Medieval Europe, 1200-1450, P36, Harvard University, July 2015.
2) The Jews In The World of The Renaissance, P210.

فتنبه ان المؤرخ اليهودي يخبرك أن المرابين اليهود في إيطاليا تحولوا إلى المسيحية، ليس إيماناً بها، ولا أنهم صاروا يمارسون طقوسها، بل هم تحولوا ظاهرياً، وفقط من أجل الدخول في الطبقات العليا، وهي طبقة النبلاء، لأن ثرواتهم لا تكفي وحدها لكي ينتسبوا إلى هذه الطبقة.

وهو ما يخبرك به صريحاً المؤرخ اليهودي البريطاني سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"**وفي العديد من المدن، إلى جانب اليهود الصرحاء Open And Declared Jews، كان يوجد كثير من المتعمدين الجدد، الذين ظلوا هم وأنسالهم يحتفظون سراُ بعقيدة آبائهم، ويمارسون طقوسها Adhering In Secret To Their Fathers' Creed And Practices، وكان أغلبهم من التجار، إلى درجة أن كلمتي تاجر ومعتنق جديد Neophyte، صارتا قي إيطاليا مترادفتين في كثير من الأحيان**"[1].

والآن لابد أن تكون قد أدركت أن كل ما يقابلك من سيرة المرابين وسلوكهم، وجُلهم في أوروبا عموماً وفي إيطاليا خصوصاً، كما علمت تفصيلاً، كانوا من اليهود، يخبرك بشئ واحد، هو وجود طائفة تسعى إلى كنز الأموال وحيازة الثروات، لكي تكون وسيلتها في السيطرة على جميع المجتمعات، وفي التسلل إلى المواقع التي تمكنها من التحكم في صبغتها وسماتها، وتحويل مسارها واتجاه حركتها نحو غايتها، وهذه الطائفة تفعل ذلك وهي تتعمد تضليل من تفترض أنه سيتتبعها، فتموه نفسها وتخفي هويتها وتطمس أي أثر يدل عليها، أو يكشف الروابط بينها، لكي لا يفطن أحد إلى ما يريدونه وما يدبرونه، ولكي لا يرى الأميون فيهم سوى أشخاص متناثرين ينتمون إلى بلاد مختلفة وشعوب متباينة ولا شيء يجمع بينهم، وسوى أفعال مبعثرة في الأمكنة والأزمنة، صنعتها الملابسات والظروف، ولا غاية لأحد من خلفها، وبذلك تتمكن هذه الطائفة من إتمام المسار والوصول إلى ما تريده.

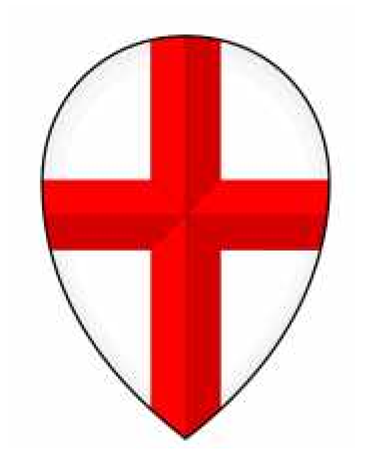
---

1) The History of Jews of Italy, P269-270.

فهذه واحدة، والثانية: يقول إدج كومب ستيلي، إن أسر التجار في فلورنسا اتخذوا درعاً وشعاراً عاماً يميزون به مؤسسات البوبولاني أو عموم الناس التي أنشأوها وضموا إليها الصناع والحرفيين والعمال، عن مؤسسات النبلاء، فنريدك أن تخمن ماذا كان هذا الدرع والشعار.

نعم، ونهنئك على انتباهك وفطنتك، إنه صليب فرسان الهيكل الأحمر، يقول ستيلي:

"وكان شعار البوبولو في فلورنسا Stemma del Popolo di Firenze، صليباً أحمر على أرضية بيضاء"[1].



شعار البوبولو، أو مؤسسات عموم الناس في فلورنسا Stemma del Popolo di Firenze

وكما ترى، آفة المؤرخين الأميين التي أخبرناك عنها من قبل، تتجلى أمامك في عبارة المؤرخ إدج كومب ستيلي، فهو يخبر من يخاطبهم في كتابه الحافل بالمعلومات والوثائق، أن شعار تنظيمات البوبولاني التي أنشأها التجار في فلورنسا، هو صليب أحمر على أرضية بيضاء، دون أن يعرفهم، ولو بإشارة، أن هذا هو نفسه شعار منظمة فرسان الهيكل، ودون أن يهتم بتفسير ما يعنيه ذلك، وفرسان الهيكل في الزمان الذي يتحدث عنه، كانت تسيطر على حركة المال والتجارة، وعلى المناخ العام في إيطاليا، وفي أوروبا كلها.

---

1) The Guilds of Florence, P32.

فإذا عدت إلى باب: فرسان الهيكل، الذي نقلناه لك عن كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، فستجد أن ما أخبرك به إدج كومب ستيلي، عن تجار فلورنسا ونزاعهم مع أسر النبلاء وتكوينهم للنقابات، هو نفسه وبالضبط وصف طبقات التجار والطريقة التي تكونت بها في كل مدينة وبلدة في أوروبا حول منظمة فرسان الهيكل، وصارت تجارتها وأعمالها ترتبط بمقراتها وتدور حولها، ثم كونوا روابط لينتزعوا بها السلطة والنفوذ من طبقة النبلاء الإقطاعية.

وقد كان لمنظمة فرسان الهيكل في فلورنسا مركزان، هما كنيسة سان جاكوبو San Jacopo، وكنيسة سانتا ماريا العذراء Santa Maria Vergine.

وفي زمان تكوين نقابات التجار وازدهارها وازدياد نفوذها في فلورنسا، كان الأستاذ الأعظم لمنظمة فرسان الهيكل في إيطاليا كلها من فلورنسا.

في كتابها الأكاديمي: تنظيم فرسان الهيكل في شمال غرب إيطاليا من سنة ١١٤٢م إلى سنة ١٣٣٠م، تقول دكتورة إلِينا بلومو :

"وفي سنة ١٢٥٦م، أصبح دالماتسيو دي فِنولار Dalmazio de Fenolar، الأستاذ الأعظم لتنظيم فرسان الهيكل في إيطاليا كلها Magister et Preceptor Domorum et Mansionum Militie Templi Per Totam Italiam، ونصَّب ألبرتو لومباردو Alberto Lombardo، قائد فرسان الهيكل في فلورنسا، أستاذاً أعظم إقليمياً للمنظمة في توشا Tuscia"[õ][1].

وليس ألبرتو لومباردو، الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل في توشا وحده، بل ودالماتسيو دي فِنولار، الأستاذ الأعظم للمنظمة في إيطاليا كلها، هو نفسه من فلورنسا.

õ) توشا Tuscia: في القرن الثالث عشر كانت إقليماً واسعاً في إيطاليا، يضم أقاليم أومبريا Umbria، ولاتزيو lazio، وتوسكانيا، التي تقع فلورنسا في وسطها.

1) The Templar Order In North West Italy (1142 –1330), P84.

أضف إلى ذلك، كما تقول دكتورة إلينا بلومو، في الباب الذي خصصته لعلاقة فرسان الهيكل بأسر النبلاء:

"السجلات المبكرة لفرسان الهيكل في شمال غرب إيطاليا، تكشف أن التنظيم بدأ في تجنيد الأعضاء Recruiting من الأسر الأرستقراطية المحلية منذ بداية تواجده في إيطاليا ... وهذه النماذج توضح أن الانضمام إلى فرسان الهيكل كان مسألة حيوية لبعض الأسر الأرستقراطية، لأن انضمام الذكور الأصغر سناً في الأسرة إلى تنظيم عسكري كان حلاً لتجنب تفتيت ثروة الأسرة وتوزيع ميراثها وممتلكاتها بين عدد كبير، وفي الوقت نفسه كان انضمام أحد أبناء الأسرة إلى التنظيم وصعوده إلى مرتبة قيادية، يمنحه ويمنح الأسرة كلها نفوذاً كبيراً"[١].

وهنا تكون قد علمتَ أن نقابات البوبولاني أو عموم الناس في فلورنسا، كانت في الحقيقة جزءًا من منظمة فرسان الهيكل أو امتداداً لها، وواجهة لأسر المرابين اليهود وطبقات التجار التي تكونت حول المنظمة وتتحالف معها.

وأول نقابة تظهر في فلورنسا، سنة ١١٩٠م، كانت نقابة تجار المنسوجات المستوردة Arte di Calimala، واسمها: كليمالا مأخوذ من اسم الشارع الذي تم تأسيسها فيه، وتلتها، سنة ١١٩٢م، نقابة تجار الصوف وصناع المنسوجات الصوفية Arte della Lana، ونقابة صناع الحرير Arte della Seta، ثم في سنة ١١٩٧م نقابة القضاة وكتاب العدل Arte dei Giudici e Notai، ونقابة الصيارفة وأصحاب بيوت المال والبنوك Arte del Cambio، ونقابة الأطباء والصيادلة Arte dei Medici e Spezial، ونقابة تجار الفراء[٢].

وأصبحت هذه النقابات السبع تعرف بالنقابات الكبرى Arti Maggiori، وأعضاؤها هم الطبقة العليا من عموم الناس Popolo Grasso، تمييزاً لها عن النقابات الوسطى، التي تكونت في النصف الأول من القرن الثالث عشر، والنقابات الصغرى، التي تكونت في

---

1) The Templar Order In North West Italy (1142 –1330), P129, 141.
2) The Guilds of Florence, P61.

النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وأعضاؤها هم الطبقى الدنيا من العوام Popolo Minute.

والنقابات الوسطى Arti Mediane هي: نقابة الجزارين وتجار المواشي Arte dei Beccai، ونقابة الحدادين Arte dei Fabbri، ونقابة صناع الأحذية والمصنوعات الجلدية Arte dei Calzolai، ونقابة البنائين والنقاشين Arte dei Maestri di Pietra e Legname، ونقابة تجار التجزئة للأقمشة والحرير Arte dei Linaioli e Rigattieri[1].

والنقابات الصغرى Arti Minori، هي: نقابة تجار الخمور Arte dei Vinattieri، ونقابة أصحاب الحانات والفنادق Arte degli Albergatori، ونقابة الدباغين Arte dei Galigai، ونقابة تجار الزيوت Arte degli Oliandoli، ونقابة صناع السروج ولوازم الخيول Arte dei Correggiai، ونقابة صناع الأقفال Arte dei Chiavaiuoli، ونقابة صناع الدروع والأسلحة Arte dei Corazzai، ونقابة النجارين Arte dei Legnaioli، ونقابة الخبازين Arte dei Fornai [2].

وكانت النقابات وسيلة لاحتواء أهل فلورنسا جميعاً وحشدهم، فكان من اللازم على كل رجل في فلورنسا بلغ سن السادسة عشرة، أن يكون مقيداً في إحدى النقابات وعضواً فيها، وإلا امتنعت أماكن العمل عن تشغيله، وسقطت حقوقه ولم يجد من يطالب بها أو يدافع عنه.

وكان أعضاء النقابات مرتبين في مراتب ودرجات، والترقي من درجة إلى أخرى، يكون بعد عدد محدد من السنوات، وبموافقة الدرجات الأعلى، فكان لنقابات التجار والبنوك والصيارفة مرتبتان، الأولى، هي الصبي أو المبتدئ Discipuli، والثانية: درجة السيد أو الأستاذ Maestri.

---

1) The Guilds of Florence, P46.
2) The Guilds of Florence, P61-62.

أما نقابات العمال والحرفيين:

"كان الترقي فيها له ثلاث درجات، الأولى: المبتدؤون أو المتدربون Garzoni: والثانية: العمال Levoranti، والثالثة: الأساتذة Maestri، وكانت المبتدئ أو المتدرب يمكث في الدرجة الأولى من خمس إلى سبع سنوات، وفي نهايتها يعمل عند أستاذه لمدة ثلاث سنوات، ويحصل على مكافأة سنوية، ويصبح اسمه: عامل عند الأستاذ Capo Lavoro، وبعدها يمنح العامل أستاذه رسوم دخول وانتماء Buana Entrate، ليعترف به، ويصبح أستاذاً في حرفته"[١].

فإذا كنت قد قرأت كتبنا السابقة، فلن تحتاج إلى أن نخبرك أن درجات الترقي في نقابات فلورنسا، هي نفسها درجات ماسونية البنائين المهنية Craft Masonry، التي ظهرت كامتداد لمنظمة فرسان الهيكل، وكانت ملحقة بمقراتها، ثم ورثتها، وكانت الفرع الوحيد من فرسان الهيكل الذي لم يتعرض للحل والمصادرة، وهي أيضاً الدرجات الثلاث التي تتكون منها المرتبة الرمزية في الماسونية Symbolic Freemasonry، وهي المرتبة المشتركة بين جميع مذاهب الماسونية وطقوسها، والتي ظهرت لأول مرة في اسكتلندا، في أعقاب حل منظمة فرسان الهيكل.

وهذه هي قمة هرم النقابات ورأس تنظيمها:

"كان لكل نقابة مجلس يحكمها ويدير شؤونها ويسيطر على أعضائها، وعلى رأس مجلس النقابة ثلاثة رؤساء، قنصل Consul، وهو ممثل النقابة في الحكومة العليا للكوميونة، ورأس أو سيد Capitudo، ويتولى تنظيم الشؤون الداخلية للنقابة، وقائد Gonfaloniere، يدير الشؤون المدنية والعسكرية الخارجية للنقابة"[٢].

---

1) The Guilds of Florence, P67.
2) The Guilds of Florence, P43.

ومنذ ظهرت النقابات، والتجار وأصحاب بيوت المال والبنوك، هم المسيطر الحقيقي عليها، إذ كان مسموحاً للشخص الواحد أن ينتسب لعدة نقابات في وقت واحد، وكان أصحاب بيوت المال والبنوك الناشئة، هم الفئة الوحيدة التي يمكنها ذلك، لأنهم مالكو المال ومن يمولون جميع التجارات والمهن الأخرى، وهم أصحاب المصانع والشركات والمحلات، والعمال وأصحاب المهن الأخرى يعملون عندهم، ولأنهم هم أنفسهم التجار، وكونوا بنوكهم من التجارة.

يقول إدج كومب ستيلي:

"ونقابة أصحاب البنوك والصيارفة، أصولها في النقابات الثلاث الكبرى، نقابة تجار المنسوجات المستوردة، ونقابة تجار الصوف وصناعه، ونقابة تجارة الحرير، فهؤلاء التجار الأثرياء كانوا بحاجة إلى أماكن آمنة Safe Depository، لحفظ رؤوس أموالهم ... وأصحاب البنوك في فلورنسا كانوا يتنافسون مع تجار نقابة المنسوجات المستوردة ونقابة تجارة الصوف ونقابة تجارة الحرير، ولكنها كانت منافسة ودية Friendly، وربما كان بينهم رابطة مثل نظام الماسونية System of Freemasonry، لأن كل واحد منهم، وجميعهم، كانوا يتاجرون في الصوف والحرير والمنسوجات، وفي الوقت نفسه يعملون في المال ويديرون العمليات المالية"[(١)].

وهؤلاء التجار وأصحاب البنوك الذين يتنافسون في ود، وبينهم رابطة غير مرئية، كما فطن إدج كومب ستيلي، كانوا مجموعة مترابطة من الأسر:

"وكانت شركات التجارة يملكها عدد من الأسر، وقد يشترك في الشركة الواحدة عشرون شخصاً أو أكثر، وجميعهم ينتمون إلى أسرة واحدة أو أسرتين، وفي سجلات فلورنسا قضية رُفعت أمام المحكمة، على شركة رينييري أردينجيللي Ranieri Ardinghelli، وكان عدد

---

1) The Guilds of Florence, P172, 174.

الشركاء في الشركة تسعة عشر شخصاً، أربعة عشر منهم من أسرة أردينجيللي، وخمسة من أسرة رينييري"[1].

وقبل أن تمر بضع سنوات على إنشائها، كانت النقابات الكبرى قد وصلت إلى السلطة، وصارت مقاليد فلورنسا في يد رؤسائها، فحتى أواخر القرن الثاني عشر، كما يقول المؤرخ الأمريكي وأستاذ تاريخ عصر النهضة، في جامعة كورنيل الأمريكية، جون ناجمي، في كتابه: تاريخ فلورنسا:

"كانت السلطة في الكوميونة تتركز في لجنة من القناصل، عددهم اثنا عشر قنصلاً، ويتم انتخابهم من أسر الصفوة Elite Families، وللقناصل مستشارون، وهؤلاء المستشارون من جمعيتين، جمعية تجار المنسوجات، وجمعية الفرسان Societas Militum، وفي بعض الفترات كان يوجد مجلسان، أحدهما عام ويتكون من ٣٠٠ شخص، والآخر خاص من ٩٠ شخصاً"[2].

ثم، يقول إدج كومب ستيلي:

"طبقاً لتاريخ أميراتو Ammirato، عن تنظيم حكومة فلورنسا، سنة ١٢٠٤م، كان على رأس الحكومة قنصلان عسكريان Military Consuls، يتلوهما رؤساء النقابات الثلاث الرئيسية، وهي نقابة تجار المنسوجات المستوردة، ونقابة أصحاب بيوت المال والبنوك والصيارفة، ونقابة تجار الصوف وصناع المنسوجات الصوفية، ثم يأتي مجلس الشيوخ، ويتكون من ستة شيوخ Senators، وبعده ضابط العدل، ثم اثنا عشر رجلاً من الأفاضل Buoni Uomini، فالمجلس العام، ويضم المواطنين البارزين، ومنهم المذكورون سابقاً، ثم المجلس الخاص، وبالإضافة إلى ذلك ستة مفتشين يقوم بتعيينهم رؤساء النقابات الثلاثة، لضبط أحياء المدينة الستة ورفع تقارير عن حالتها، وكان ممثلو النقابات هم الذين يملكون القوة ويسيطرون فعلياً على الشؤون العامة، من الناحيتين

---

1) The Guilds of Florence, P72.
2) A History of Florence 1200-1575, P64.

السياسية والاقتصادية، لأن الأعضاء الستة في مجلس الشيوخ، كان كل واحد منهم يمثل إحدى التجارات الست الكبرى، وفي الحقيقة كانوا هم أنفسهم قناصل النقابات، والاثنا عشر في مجلس الأفاضل كان تختارهم نقابات التجار أيضاً، وكان مجلسهم في مقر نقابة تجار المنسوجات المستوردة، وبالإضافة إلى ذلك كان من أجزاء الحكومة عدة مجالس فرعية، وأحدها وهو الثالث في المقام وترتيب السلطة، كان مجلس النقابات السبع الكبرى، ويتكون من رؤوس هذه النقابات، ويُظهر سلطة النقابات أنه في سنة ١٢٠٤م وقعت فلورنسا اتفاقية مع سيينا Siena، وكان قناصل النقابات الكبرى من التجار وأصحاب البنوك من الموقعين عليها"(١).

ثم كانت الخطوة التالية، في سنة ١٢٥٠م:

"صار من حق قائد كل نقابة أن يوظف مجموعة من المواطنين حاملي السلاح، ويكونوا تحت قيادته، لكي يستخدمهم في الدفاع عن النقابات وعن عموم الناس في أحياء المدينة، وكانت هذه المجموعات تسمى فرق الميليشيا Company of Militia، وكان عددها في مدينة فلورنسا عشرين فرقة، وفي المناطق التابعة لها من عشرة إلى عشرين"(٢).

ولأن النقابات لم تكن سوى واجهة للتجار وأصحاب بيوت المال والبنوك، وهم قلبها ومن يسيطرون فعلاً على جميع النقابات، وعلى أعضائها، لأنهم يعملون عندهم، فقد أصبح هؤلاء التجار وأصحاب البنوك هم السلطة الفعلية في فلورنسا، كما يخبرك صراحة مؤرخ البنوك، الأمريكي نوبل هوجسون:

"ونقابة أصحاب البنوك والعاملين فيها، كانت تسيطر على مدينة فلورنسا Controlled The City، عبر ممثليها في الحكومة"(٣).

---

1) The Guilds of Florence, P41.
2) The Guilds of Florence, P44.
3) Banking Through The Ages, P72.

وهاك أسماء بعض أسر التجار وأصحاب بيوت المال والبنوك، الذين كانوا أعضاء في حكومة فلورنسا ويسيطرون على مقاليدها، خلال القرن الثالث عشر، وأمام كل أسرة مجال عملها:

"كامبياتوري Cambiatori: أصحاب بنوك، بانكيري Banchieri: صيارفة، تافوليري Tavolieri: مقرضو أموال، بريستاتوري Prestatori: مقرضو أموال، فينِراتوري Feneratori: مرابون، أوسوراي Usurai: مرابون"(١).

ومع سيطرة التجار وأصحاب البنوك على اقتصاد فلورنسا، عبر بنوكهم وشركاتهم، وعلى سياساتها، عبر النقابات، ازدهرت أعمالهم، وامتد نشاطهم التجاري والتمويلي، وكونوا شبكة من البنوك والشركات تمتد عبر بلدان أوروبا كلها، وصارت فلورنسا هي مركز الاقتصاد والمسيطر على حركة المال والتجارة الأوروبية، كما يخبرك ريتشارد جولدث ويت Richard Goldthwaite، أستاذ تاريخ عصر النهضة، في جامعة جونز هوبكنز الأمريكية Johns Hopkins، في كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة The Economy of Renaissance Florence.

يقول جولدث ويت: "**ومركز فلورنسا في التمويل والتجارة الدولية، وقوتها الاقتصادية، كانت في شبكتها الخارجية Network Abroad، فمؤسساتها كانت تغطي غرب البحر المتوسط بأكمله، وشمال أوروبا، وفي البلدان النائية، كما في موانى التجارة الكبيرة، وكانت هذه المؤسسات مترابطة معاً، ومع مركزها في فلورنسا، وكانت هذه الشبكة تعمل في ثلاث مجالات رئيسية، هي التجارة، والبنوك، وفرع خاص من أعمال البنوك، هو تمويل الحكومات، ويمكن أن نسمي عصر سيطرة هذه الشبكة على الاقتصاد الدولي بعصر الفلورين The Era Florin**"(٢).

---

1) The Guilds of Florence, P172.
2) Richard Goldthwaite: The Economy of Renaissance Florence, P37, 48, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, 2009.

الفلورين دولار عصر النهضة والبصمة الخفية

والفلورين، مصدر سيطرة التجار وأصحاب البنوك على الاقتصاد والتجارة وحركة المال، في فلورنسا، وفي أوروبا كلها، ومظهر هذه السيطرة، هو العملة الذهبية التي أصدرها أصحاب البنوك والمسيطرون على نقابتها، سنة ١٢٥٢م، وكانت العملة قبلها في فلورنسا، وفي جميع مدن إيطاليا، من الفضة، وقد صار الفلورين الذهبي العملة الدولية والمسيطرة على الاقتصاد منذ إصداره، ولثلاثة قرون بعدها، وقوته ومنزلته من الاقتصاد وحركة المال خلال هذه القرون، تساوي قوة الجنيه الإسترليني في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ومنزلة الدولار الأمريكي في القرن العشرين.

يقول ريتشارد جولدث ويت:

"في سنة ١٢٧٣م، بعد عشرين سنة فقط من إصدار أول فلورين، أصبح العملة السائدة في روما، وأصدرت البابوية مرسوماً بأن يكون تحصيل عائداتها ومواردها بالفلورين، وعند نهاية القرن الثالث عشر كان الفلورين في كل مكان من أوروبا الغربية، خصوصاً في أسواق شامبانيا Champagne Fairs، ووصل إلى شرق المتوسط، وفي سنة ١٣٤٦م، أصدر ملك فرنسا مرسوماً بإقرار الفلورين كعملة رسمية في التعاملات المالية"[١].

وهنا نتوقف بك عند الفلورين، وقفة كالتي وقفناها بك عند بنك القديس جورج، وصليب فرسان الهيكل الأحمر.

فالفلورين في عصر النهضة، يشبه الدولار في القرن العشرين، ليس فقط في منزلته وموقعه من الاقتصاد العالمي، بل وأيضاً في أنه مثل الدولار يحمل رموزاً تكشف لك هوية أصحاب البنوك والتجار الذين أصدروه وكانوا خلفه.

---

1) The Economy of Renaissance Florence, P50.

وقبل أن نعرفك بما هو خبئ في فلورين فلورنسا، نعرفك أولاً بنقطة ضعف اليهود وقادة الحركات السرية، ألا وهي أنهم مولعون بترك بصمة خفية تخلد ما فعلوه، وينتشون بأنه لا أحد يدرك معناها، بل ولا يراها، إلا هم.

وهذه البصمة الخفية نقطة ضعفهم، لأنها تكون خفية في زمانها، ولكنها في الوقت نفسه أثرهم الذي يدل عليهم، ويكشف هويتهم، وتظل محفوظة عبر الزمان، إلى أن يأتي عقل قادر على النفاذ من غيوم القرون ورؤية ما حدث خلفها، وإعادة بنائه وفهمه على وجهه الصحيح، وتكون هذه البصمة مفتاحاً يضعه في موضعه، فتنفتح به دهاليز التاريخ، وتُخرج ما لا يراه ولا يدرك معناه المؤرخون التقليديون والأميون.

فأما الدولار، فإذا ذهبت إلى باب: مملكة اليهود والماسون، من كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، فستعلم أنه مستودع للرموز اليهودية والماسونية، وسوف تعرف تفاصيل هذه الرموز وما يعنيه كل منها.

وأما الفلورين، فقد وضع أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة جونز هوبكنز، ريتشارد جولدث ويت، صورته على غلاف كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة، ووصفه وصفاً تفصيلياً في بداية كتابه، فهاك وصفه:

"**الفلورين محفوظ في متحف بارجلو الوطني في فلورنسا Museo Nazionale del Bargello، ووجهه الأمامي يحمل زهرة الزنبق Fleur de Lis، رمز مدينة فلورنسا، ومنقوش عليه: فلورنتيا FL OR ENTIA، وعلى وجهه الخلفي صورة القديس يوحنا المعمدان Saint John The Baptist، القديس الراعي للمدينة، ومنقوش عليه: القديس يوحنا St. Johannes، وقطره ٢٠,٨ مم، ووزنه ٣,٤٨ جم من الذهب**"[١].

---

1)**The Economy of Renaissance Florence, PIV.**



وجه الفلورين الأمامي





الوجه الخلفي

فأما زهرة الزنبق، فإذا ذهبت إلى الترجمات العربية الرسمية للكتاب المقدس، الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية، فستجد وصفاً تفصيلياً لبناء هيكل سليمان، في سفر الملوك الأول، وفي الترجمات جميعها أن زهرة السوسن كانت جزءًا من زخارفه، فهاك نموذجاً في الترجمة البروتستانتية:

"١٣وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ وَأَخَذَ حِيرَامَ مِنْ صُورَ ... ١٥وَصَوَّرَ الْعَمُودَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، طُولُ الْعَمُودِ الْوَاحِدِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا. وَخَيْطٌ اثْنَتَا عَشَرَةَ ذِرَاعًا يُحِيطُ بِالْعَمُودِ الآخَرِ. ١٦وَعَمِلَ تَاجَيْنِ لِيَضَعَهُمَا عَلَى رَأْسَيِ الْعَمُودَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ مَسْبُوكٍ. طُولُ التَّاجِ الْوَاحِدِ خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَطُولُ التَّاجِ الآخَرِ خَمْسُ أَذْرُعٍ ... ١٩وَالتَّاجَانِ اللَّذَانِ عَلَى رَأْسَيِ الْعَمُودَيْنِ مِنْ صِيغَةِ السُّوسَنِّ ٢١وَأَوْقَفَ الْعَمُودَيْنِ فِي رِوَاقِ الْهَيْكَلِ. فَأَوْقَفَ الْعَمُودَ الأَيْمَنَ وَدَعَا اسْمَهُ «يَاكِينَ». ثُمَّ أَوْقَفَ الْعَمُودَ الأَيْسَرَ وَدَعَا اسْمَهُ «بُوعَزَ». ٢٢وَعَلَى رَأْسِ الْعَمُودَيْنِ صِيغَةُ السُّوسَنِّ ... 23 وَعَمِلَ الْبَحْرَ مَسْبُوكًا. عَشَرَ أَذْرُعٍ مِنْ شَفَتِهِ إِلَى شَفَتِهِ، وَكَانَ مُدَوَّرًا مُسْتَدِيرًا ... وَشَفَتُهُ كَعَمَلِ شَفَةِ كَأْسٍ بِزَهْرِ سُوسَنٍّ"(١).

---

١) سفر الملوك الأول: ٧: ١٣-٢٦.

ومن ترجموا الكتاب المقدس، من مختلف مذاهب المسيحية، ضعاف جميعاً في الترجمة، وفي علم النباتات، ولا يعرفون الفرق بين أنواع الزهور المختلفة، فحولوا زهرة الزنبق Lily إلى سوسنة Iris.

فإذا ذهبت إلى طبعة الملك جيمس من الكتاب المقدس، فستجد النص هكذا:

"**والتاجان اللذان على رأس العمودين على شكل زنبقة Lily ... وعلى رأس العمودين شكل زنبقة ... وشفة الكأس كزهور الزنبق Flowers of Lilies**"[1].

وإذا ذهبت الفولجاتا Biblia Vulgata، وهي الترجمة اللاتينية الكاثوليكية الرسمية للكتاب المقدس، والمستخدمة طوال العصور الوسطى وعصر النهضة، وحتى القرن السابع عشر، فستجد النص هكذا:

"**والتاجان في أعلى العمودين على شكل زنبقة Lilii Fabricata ... وفي أعلى العمودين صنع شكل زنبقة Opus In Modum Lilii ... وشفة الكأس كزهرة الزنبق Lilii**"[2].

فزهرة الزنبق، كانت جزءاً من تصميم العمودين بوعز وياكين، اللذين أقامهما حيرام في مدخل رواق الهيكل، وهما العمودان اللذان صار وضعهما في مدخل المحفل جزءاً من تصميمه الماسوني الرسمي، ولا يكون المحفل قانونياً في الماسونية إلا بوجودهما على هيئتهما الموصوفة في سفر الملوك الأول.

وإذا ذهبت إلى الترجمات العربية الرسمية الثلاث لسفر نشيد سليمان أو نشيد الأنشاد، فستجد العبارة التالية التي يقول مفسرو السفر إنها تصف منزلة أورشليم بين المدن:

---

1) Kings I: VII: 19, 22, 26, The Holy Bible, King James Version, Printed At London, By: Robert Baker, Printer To The Kings, Anno Domini 1611.
2) Regum I: 19, 22, 26, Biblia Sacra Vulgatae, P290, Friderici Pustet & Co., Ratisbonae et Romae, MCMXIV/1914.

"٢كَالسَّوْسَنَةِ بَيْنَ الشَّوْكِ كَذلِكَ حَبِيبَتِي بَيْنَ الْبَنَاتِ"[١].

ومرة أخرى إذا ذهبت إلى طبعة الملك جيمس، فستجد العبارة هكذا:

"As The Lily Among Thorns كالزنبقة بين الأشواك"[٢].

وفي الفولجاتا:

"Sicut Lilium Inter Spinas كالزنبقة بين الأشواك"[٣].

فزهرة الزنبق، كما ترى، رمز لأورشليم ولهيكل سليمان، ثم هي بعد ذلك درجة في تنظيم فرسان الهيكل، كما يخبرك مؤرخ الماسونية الرسمي والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ألبرت ماك كي Albert McKey، في موسوعته الماسونية:

"زنبقة الوادي Lily of The Valley: درجة جانبية في تنظيم فرسان الهيكل"[٤].

وقد تقول، ربما كانت هذه كلها مصادفات، ومن وضعوا زهرة الزنبق في الفلورين، لا يقصدون ذلك، بل ولا يعرفون هذه المعاني والرموز، وزهرة الزنبق كانت رمزاً لعدد كبير من الإمارات والممالك الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة؟

فأما الإمارات والممالك الأوروبية التي اتخذت زهرة الزنبق شعاراً لها، ووضعته في أعلامها وراياتها، فجميعها مثل فلورنسا، صنعت ذلك إبان الحروب الصليبية، بعد تكوين منظمة فرسان الهيكل، وانتقال نشاط اليهود والحركات السرية الرئيسي من الشرق إلى الغرب، وكذلك

---

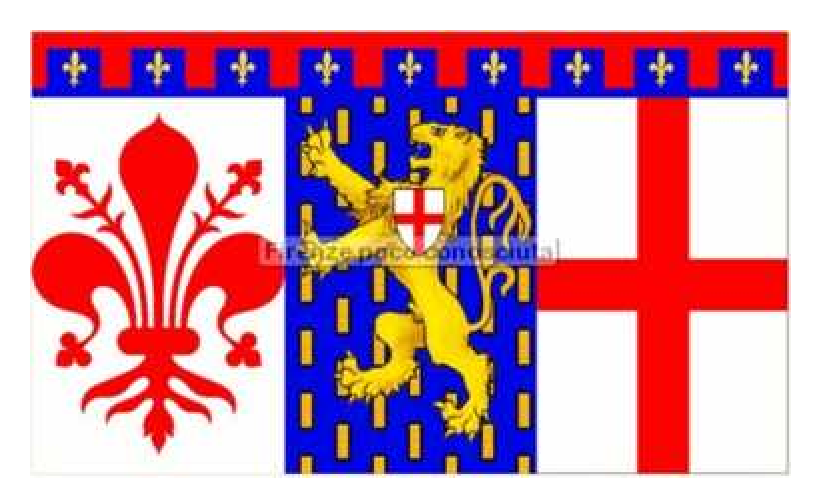
١) نشيد الأنشاد: ٢: ٢.

2) Song of Songs: II: 2, The Holy Bible, King James Version.
3) Canticum Salomonis: II: 2, Biblia Sacra Vulgatae.
4) Albert McKey: Encyclopedia of Freemasonry And Its Kindred Sciences, P448, Puplished By The Masonic History Company, New York And London, 1914.

صليب فرسان الهيكل الأحمر الذي دخل منذ القرن الثاني عشر في أعلام عدد من ممالك أوروبا وإماراتها، وعلى رأسها انجلترا.

وأول ظهور لزهرة الزنبق كشعار لفلورنسا وجزء من تصميم أعلامها، كان سنة ١١١٥م، وكانت زهرة بيضاء على خلفية حمراء، ثم تحولت سنة ١٢٥١م، بعد سيطرة نقابات التجار والبنوك على فلورنسا، وقبل إصدار الفلورين بسنة واحدة، إلى زهرة حمراء على خلفية بيضاء، لتصبح في حقيقتها تحويراً وشكلاً معدلاً من صليب فرسان الهيكل.

وبعض أعلام كوميونة فلورنسا الرسمية وشعاراتها، خلال القرن الرابع عشر، كانت تحوي صليب فرسان الهيكل وزهرة الزنبق الحمراء، متجاورين معاً.



علم فلورنسا سنة ١٣٤٠م، وفيه الصليب الأحمر وزهرة الزنبق معاً

وبعد ذلك إليك المصادفة الثانية، ألا وهي القديس يوحنا المعمدان، الذي وضعه من صنعوا عملة فلورنسا من التجار والمرابين وأصحاب البنوك على وجهها الخلفي، وهم الذين جعلوه راعياً لفلورنسا إبان الحروب الصليبية.

فإذا رجعت إلى ما نقلناه لك عن حبر الماسونية الأعظم ألبرت بايك، بخصوص نشأة منظمة فرسان الهيكل، وأنه من خلالها انتقل نشاط الحركات السرية الرئيسي وتمركزها من الشرق إلى الغرب، فستجد العبارة التالية، وقد أضفنا إليها ما كنا قد حذفناه منها:

"كانت توجد في الشرق منذ ظهور المسيحية، كنيسة أو طائفة سرية، اسمها كنيسة يوحنا المعمدان، وتقوم عقيدتها على القبالاه، ويحمل الحبر الأعظم لهذه الكنيسة السرية لقب: المسيح Christos، وقد تعاقب الأحبار العظام على رئاسة كنيسة القديس يوحنا والقيام على طائفته وأتباعه وبث تعاليمه وعقيدته عبر التاريخ، في سلسلة متصلة يقف في أولها يوحنا المعمدان نفسه، وعند اندلاع الحروب الصليبية كان الحبر الأعظم لطائفة يوحنا المعمدان ورئيس كنيستها اسمه ثيوكليتس Theoclets، وقد تعرف ثيوكليتس على هوج دي بايان/بايون Hugues de Payens، ونشأت بينهما صداقة عميقة، وأطلع ثيوكليتس دي بايان على أسرار كنيسته وتعاليمها وطقوسها وغاياتها، ثم نصَّبه خلفاً له على رئاسة الطائفة وحبراً أعظم لكنيستها، وهكذا كانت نشأة تنظيم فرسان الهيكل من أجل معارضة كنيسة روما، وعلى أن القبالاه عقيدة قادته، ومثل جميع الحركات السرية كان للتنظيم عقيدتان، الأولى مخفية ومقصورة على الأساتذة، وهي اليوحناوية Johannism، والثانية لعموم التنظيم، وهي الكاثوليكية الرومانية Roman Catholic"[1].

فيوحنا المعمدان، في عقيدة فرسان الهيكل، هو مؤسسها الأول وراعيها، وعقيدتها تستمدها من تعاليمه التي توارثتها وحفظتها الحركات السرية عبر العصور، إلى أن وصلت للمنظمة، ولذا فهو الرمز الأعلى لفرسان الهيكل، ثم للماسونية وحركة الروزيكروشان وجميع الحركات السرية التي انبثقت منها بعد حلها، ومن أدواتها في توجيه الطعنات للكنيسة الكاثوليكية.

والماسونية في بداياتها كانت تموه يوحنا المعمدان في يوحنا تلميذ المسيح وكاتب الإنجيل، لكي تضلل الكنيسة الكاثوليكية، يقول بايك:

---

1) Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P817.

"ويوحنا المعمدان هو أبو الغنوصيين Father of The Gnostics ... والماسونية تضع القديس يوحنا كاتب الإنجيل Saint John The Evangelist، ضمن رعاتها، بصحبة القديس يوحنا المعمدان Saint John The Baptist، لكي لا تثير شكوك روما، وبذلك تبدو قبالية ومسيحية في الوقت نفسه"[1].

ويقول ألبرت ماكي في الموسوعة الماسونية:

"في لائحة الماسونية في كولونيا Cologne، أنه قبل سنة ١٤٤٠م، كان الاسم الذي تعرف به جمعية الماسونية، هو أخوية يوحنا Joannaeorum Fratrum، وفي موضع آخر من اللائحة أن الماسونية هي الأخوية المكرسة ليوحنا Fratres Joanni Sacros، لأن يوحنا المعمدان هو مَثلهم الأعلى الذي يحاكونه ويسيرون على خطاه ... ويوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ كانا معاً رعاة الماسونية، ومحافلها مكرسة لهما، إلى أن قام د/هيمنج Dr. Hemming، بإحداث تغيير في الماسونية الحديثة، ووضع مكانهما موسى وسليمان"[2].

وكما ترى، أنت أمام مجموعة من الصدف المتعددة والمركبة، والتي بالصدفة أيضاً تدل كلها على شيء واحد، فالقديس جورج الذي اتخذه المرابون والتجار في جنوة راعياً لبنكهم الذي أنشأوه، وجعلوا اسم البنك على اسمه، هو راعي منظمة فرسان الهيكل، والشعار الذي وضعه المرابون والتجار في فلورنسا لجمعيات البوبولاني التي حشدوا فيها العوام، هو صليب فرسان الهيكل الأحمر، وزهرة الزنبق التي جعلوها شعاراً لفلورنسا ووضعوها على عملتهم الذهبية التي سيطروا بها على اقتصاد أوروبا، هي عند اليهود رمز لأورشليم والهيكل، واسم درجة في تنظيم فرسان الهيكل، ويوحنا المعمدان الذي وضعوه على وجه الفلورين الخلفي، هو في عقيدة منظمة فرسان الهيكل والحركات التي تفرعت منها مؤسسها وواضع تعاليمها وراعيها ونموذجها الأعلى.

---

1) Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P817, 818.
2) Encyclopedia of Freemasonry And Its Kindred Sciences, P370, 371.

حكومات التجار والمرابين

ونعود بك إلى سيرة النقابات في فلورنسا، وصراع التجار والمرابين مع طبقة النبلاء، من أجل استكمال سيطرتهم السياسية على فلورنسا، وإعادة تشكيل السلطة بما يتوافق مع مصالحهم وغايتهم، ودفع فلورنسا ثم دفع أوروبا كلها، في المسار الذي يريدونه.

منذ ثلاثينيات القرن الثالث عشر، كان الصراع على النفوذ والسلطة في فلورنسا، وفي مدن إيطاليا المختلفة، قد تبلور بين جانبين، الجبليني Ghibelline، وهم أسر النبلاء الإقطاعية، والجويلف Guelph، وهم التجار والمرابون وأصحاب بيوت المال، وفي سنة ١٨٤٨م اندلع نزاع مسلح بين الجانبين، فاستغاثت أسر النبلاء الجبليني بالإمبراطور فريدريك الثاني Frederick II، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وكان ساخطاً على التجار والمرابين الذين يزداد نفوذهم في كل مكان من إيطاليا، فأرسل فرقاً اجتاحت فلورنسا، وأخرجت الأسر البارزة من الجويلف، التجار وأصحاب بيوت المال، من المدينة، وبعد سنتين، سنة ١٢٥٠م، انتصر الجويلف على الجبليني في معركة مسلحة، في وادي أرنو Arno، في توسكانيا، وحين وصل النبأ إلى فلورنسا:

"**انطلقت جموع العوام في شوارع فلورنسا تطالب بحكومة يشكلها البوبولو/عموم الناس، وقام أوبرتي Uberti، بتكوين لجنة من الأفاضل، واجتمعوا في منازل أسرة أنكيوني Anchioni المحصنة، وفي ٢٥ أكتوبر ١٢٥٠م، أعلنوا الوجه الجديد للحكومة في فلورنسا، فقاموا بتأسيس فرق مسلحة لحفظ الأمن العام، ونصبوا كابتن/رئيساً لعموم الناس Capitano del popolo، ليكون الرئيس الأعلى للكوميونة، ومعه مجلس من ٢٤ عضواً، ومجلس الوجهاء Credentia، ويتكون من ستة ممثلين لكل حي، والسلطة السياسية والتشريعية الفعلية كانت في يد مجلس الحكماء Anziani، وهم اثنا عشر، اثنان من كل حي، ويختارهم رؤساء النقابات وقادة الفرق المسلحة، واستبعدت الحكومة**

الطبقة الحاكمة في الفترات السابقة، وقامت بدعوة أسر الجويلف للعودة، ثم زادت قوة الحكومة مع إصدار الفلورين الذهبي، الذي صار رمزاً لقوة فلورنسا وثروتها"[١].

وفي سنة ١٢٦٠م، هزمت مدينة سيينا Siena، وكانت تحكمها أسر النبلاء الجبليني، فلورنسا، في معركة مونتَبِرتي Montaperti، وأسقطت حكومة البوبولو، وطردت من المدينة عائلات التجار والمرابين الذين يتكون منهم مجلس الحكماء ومجالس الحكومة الأخرى، وعلى رأسها عائلات باردي Bardi، وروسي Rossi، وموتسي Mozzi، وسكالي Scali، ورغم ذلك:

"لم يتعرضوا لأصولهم واستثماراتهم بعيدة المنال Far Flung Investments، وحتى شركاتهم ظلت تدير أعمالها من فلورنسا، وكانت نقطة الضعف القاتلة في سلطة الجبليني، عدم قدرتهم على الحد من نفوذ رأس مال التجار داخل المدينة وخارجها"[٢].

وفي سنة ١٢٦٤م، نشب نزاع بين البابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، وبدت نذر الحرب بين كارلو دي أنجو Carlo d'Angiò، ملك نابولي وحليف البابا أوربان الرابع Urban IV، والإمبراطور مانفريد Manfred، ابن فريدريك الثاني، الذي انحازت إليه أسر النبلاء الإقطاعية في إيطاليا، وهاهنا:

"لم يكن كارلو دي أنجو يملك المال الكافي، وكان بحاجة لتوفير مبالغ كبيرة من المال بسرعة، فأرسل البابا ممثلين عنه إلى أصحاب البنوك في فلورنسا، ودارت بينهما مفاوضات سرية، للاتفاق على تمويل حملة كارلو أنجو، وطوال السنتين اللتين دارت فيهما المفاوضات لم تكن حكومة الجبليني في فلورنسا تعلم عنها شيئاً، ثم أرسل ١٨١ شخصاً من التجار وأصحاب البنوك، يمثلون ٢١ بنكاً وشركة كبرى، تعهداً بالولاء للبابا، ونذر أنفسهم وأموالهم لإسقاط حكم الجبليني في فلورنسا، والحد من سلطتهم في كل مكان من

---

1) A History of Florence 1200-1575, P67-68.
2) A History of Florence 1200-1575, P72.

إيطاليـا، وأهـم الشـركات والبنـوك الموقعـة علـى هـذا التعهـد: سـكالي، وموتسـي، وبـاردي، وروسي، وسبيني Spini، وشيركي Cerchi"[١].

وتم الاتفاق على أن:

"يمول أصحاب البنوك في فلورنسا حملة كارلو أنجو، من خلال قرض بفائـدة، يسدد بعد ذلك من الضرائب والعوائد التي تجمعها البابوية من كل مكـان فـي أوروبـا، خصوصـاً فرنسـا، وفـي كثير مـن الأحيـان كـان الأسـاقفة ومؤسسـات الكنيسـة يعجـزون عـن السـداد، فكـانوا يقترضـون مـن أصـحاب بنـوك فلورنسـا مـرة أخـرى، مبـالغ بمعـدل فائـدة أعلـى At Substantial Rates of Interest، ليسددوا لهم بها القروض السابقة ... وبعد انتصار كـارلو أنجو، صـار ملكـاً علـى صقلية وجميـع المدن فـي جنـوب إيطاليـا، ففتحهـا أمـام تجـار فلورنسا، ومنـح امتيـازات كبيرة لأصحاب البنوك الذين أقرضوه ومولـوا حملتـه ... وبعد كـارلو أنجو، ومـن أجـل الحفـاظ علـى امتيـازاتهم واحتكـارهم للتجـارة، أصبح أحد الأنشطة الرئيسية لأصحاب بنوك فلورنسا إقراض الملوك والأمراء والحكومات في أوروبـا، وفـتح خطـوط ائتمـان طويلـة لتمويلـهم"[٢].

ومرة أخرى، كما ترى، ما أمامك ليس سوى الفيلم الذي يتكرر عبر التاريخ في كل مكان ينصب المرابون شباكهم فيه وحوله، بأحداثه وأشخاصه ومؤلفيه ومخرجيه، ولا يتغير فيه سوى أسماء الممثلين فقط.

فإليك بقية الفيلم القديم المتجدد.

بعـد انتصـار كـارلو أنجـو، علـى الإمبراطوريـة الرومانيـة المقدسـة، فـي معركـة بنِفِنتـو Benevento، سـنة ١٢٦٦م، اجتمـع مجلـس الأفاضـل فـي فلورنسـا، فـي مقـر نقابـة تجـار المنسـوجات، واعترفـوا بشـركات الميليشـيا التـي أنشـأتها النقابـات، وبمجلـس ممثلـي النقابـات

---

1) A History of Florence 1200-1575, P73.
2) A History of Florence 1200-1575, P73, 74, 116.

Priorate of The Guilds، الذي كونته النقابات السبع الكبرى، وصارت النقابات تمثل البوبولو أو عموم الناس، وهي المتحدث باسمهم والمطالب بمطالبهم.

وفي السنة التالية، ١٢٦٧م:

"اختار مجلس الأفاضل ومجلس النقابات كارلو أنجو، ليكون بودستا فلورنسا Podesta[õ]، لمدة عشر سنوات، فمنح كارلو أنجو تسعاً من الأسر أصحاب الشركات التي أقرضته ومولت حملته، مرتبة الفروسية Knighthoods، وهكذا صار أصحاب البنوك وعمالقة التجارة لُب النخبة الجديدة، التي تكتسب قوتها من أنشطتها التجارية والمالية الدولية التي تصل إلى كل مكان في أوروبا والمتوسط، ومن نقابات فلورنسا التي يتكتل فيها التجار ومقرضو الأموال والصناع والحرفيون والعمال"[١].

وصار هذا هو هيكل السلطة في فلورنسا:

"الملك كارلو أنجو بودستا، وله مجلس خاص من المستشارين، عددهم اثنا عشر، ومجلس عام يتكون من مائة شخص من البوبولاني/عموم الناس، ومجلس من قناصل النقابات السبع الكبرى، وهو صاحب القرار النهائي Final Appeal في جميع المسائل السياسية والتجارية"[٢].

وبعد كارلو أنجو، دخلت فلورنسا في فترة من التقلبات في شكل السلطة وتكوين مجالس الحكومة، وتصالح الجويلف/التجار وأصحاب بيوت المال مع الجبليني/النبلاء تلبية لرغبة البابا نيكولاس الثالث Nicholas III.

وفي سنة ١٢٩٢م، اجتمع تسعة عشر شخصاً من قناصل اثنتي عشرة نقابة وأعضائها، لتشكيل مجلس جديد لممثلي النقابات Councel of Priorates، وتنازع فيه قناصل النقابات

õ) **بودستا Podesta: كلمة لاتينية معناها رأس السلطة.**

1) A History of Florence 1200-1575, P75-76

2) The Guilds of Florence, P44-45.

الوسطى والصغرى مع قناصل النقابات الكبرى، حول تشكيل المجلس وعدد أعضائه، وعدد ممثلي كل نقابة، وكيف يتم انتخابهم، وبعد عدة اجتماعات أخرى، تم الاتفاق على صياغة وثيقة لتنظيم الحقوق السياسية والتجارية في فلورنسا، وتم إقرارها قانوناً، في ١٨ يناير سنة ١٢٩٣م، وكان عنوانها مرسوم العدل Ordinamenti della Giustizia:

"وصاغها جيانو ديلا بِلا Giano Della Bella، الذي انحاز إلى البوبولو/عموم الناس، رغم أنه كان من النبلاء، من أسرة باتسي Pazzy، وكان المرسوم يتكون من أربع وعشرين مادة، كلها لحماية البوبولاني/عموم الناس من النبلاء، وأهم ثلاث مواد فيها، هي: ١-استبعاد الجرانـدي/النبلاء من الحكومة، ٢-إنزال عقوبة بالنبلاء الذين يتعرضون لأعضاء النقابات أو للبوبولاني/عموم الناس، ٣- منح جزء من السلطة للنقابات الوسطى والصغرى، وإدخالها في تشكيل الحكومة، وقبل المرسوم كان مسموحاً للنبيل أن يدخل مقر النقابة إذا كان عضواً فيها، وبعد إقرارها لم يعد مسموحاً له بالدخول إلا إذا تنازل رسمياً عن رتبته النبيلة أمام مجلس الدولة"[1].

ومرسوم العدل، كان في ظاهره، كما يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي، انحيازاً لعموم الناس، ويوازي في تاريخ فلورنسا، الماجنا كارتا Magna Carta[2] في تاريخ انجلترا، لكنه في حقيقته، كما يقول مؤرخ عصر النهضة، وأستاذ تاريخه، جون ناجمي:

"نص على تكوين اتحاد Consortium، من النقابات الإحدى والعشرين، وتمثيلها جميعاً فيه، وأن ما تتفق عليه النقابات يجب أن يوافق عليه الجميع Must Be Approved By All، وبذلك ربط الكوميونة باتحاد النقابات، وأصبحت الحكومة في

---

1) The Guilds of Florence, P50.

2) الماجنا كارتا Magna Carta: معناها الوثيقة العظمى، وهي مرسوم أصدره جون ملك انجلترا John of England، سنة ١٢١٥م، بعد تمرد قادته أسر البارونات النبيلة، وتعهد فيه بالحفاظ على حقوق الكنيسة، وحفظ حقوق النبلاء وحرياتهم، وعدم اعتقال أي شخص أو إنزال عقوبة به إلا إذا ارتكب جريمة طبقاً للقانون، وبعد محاكمته.

فلورنسا تستمد شرعيتها من رضا النقابات ... وكان علامة على ازدياد قوة الأسر الرأسمالية وحلولها محل أسر النبلاء الإقطاعية القديمة"[1].

أما جيانو ديلا بِلّلا، الذي قاد ثورة البوبولاني أو عموم الناس، ضد النبلاء في فلورنسا، وهو الذي صاغ المرسوم الذي أطاح بهم من النقابات، وأنزل بهم العقوبات، وتوسع في تحديد هذه الأسر، رغم أنه هو نفسه من النبلاء، ثم صار بعد إقرار المرسوم على رأس السلطة وقائد العدالة Gonfaloniere di Giustizia، جيانو ديلا بِللا كان هو وأسرته من التجار وأصحاب بيوت المال، وكان عضواً في نقابة تجارة المنسوجات المستوردة ونقابة البنوك والصيارفة، ودرعه وشعاره الشخصي، والذي جعله شعار منصب قائد العدالة، هو صليب فرسان الهيكل الأحمر.



بورتريه لديلا بللا، رسمه له في حياته فنان مجهول، وفيه يرتدي شعاره، صليب فرسان الهيكل الأحمر

ومع مطلع القرن الرابع عشر، كانت قوة التجار وأصحاب البنوك الاقتصادية ونفوذهم السياسي، في فلورنسا ومختلف مدن إيطاليا، وفي ممالك أوروبا وإماراتها، قد وصلت إلى ذروتها، وتجلت في تأسيس المحكمة التجارية، وتكوين إمبراطورية من الشركات والشبكات

---

1) A History of Florence 1200-1575, P83, 86.

التجارية والبنكية العملاقة والمترابطة، مقراتها في فلورنسا، وفروعها تنتشر في كل مكان من إيطاليا وأوروبا.

فأما المحكمة التجارية Universitas Mercatorum، أو المِركانتسيا Mercanzia، فقام بتأسيسها، سنة ١٣٠٨م، رؤساء النقابات الخمس الكبرى ذات النشاط الدولي، وهي نقابات: تجار المنسوجات، وأصحاب البنوك والصيارفة، وتجار الصوف، وتجار الحرير، والأطباء والصيادلة، وكان يديرها مجلس من خمسة مستشارين، يمثل كل منهم إحدى النقابات الخمس ويعينه قنصلها، وكان هذا هو الهدف من إنشائها وحدود سلطتها، كما يقول أستاذ تاريخ عصر النهضة، جون ناجمي:

"كانت محاكم النقابات، التي تم تأسيسها في القرن السابق، للفصل في دعاوى الممولين والتجار، لا يمتد نفوذها وأثر أحكامها خلف توسكانيا وإيطاليا، وفي أي قضية كانت سلطة كل نقابة تقتصر على أعضائها، فأنشأ تجار فلورنسا الدوليون المحكمة التجارية لزيادة نفوذهم السياسي، ولتكون أداة قضائية أقوى Stronger Judicial Apparatus، يمكنهم من خلالها الحفاظ على حقوق الدائنين الأجانب، وحماية أرصدة تجار فلورنسا وبنوكها في الخارج، ولم تكن مجرد محكمة، فقد صار لها سلطة على جميع النقابات، وعلى أهل فلورنسا جميعاً، وأهل المدن والأرياف التابعة لها، وسواءًا كانوا من أعضاء النقابات أو لا، ولم يكن لحكومة الكوميونة دور في تأسيسها سوى الاعتراف بها، وكانت عضوية لجان المحكمة تقتصر على النخبة الجديدة من التجار الدوليين Economic Oligarchy Elite، الذين يستوردون البضائع من خارج فلورنسا، أو يصدرونها منها، وأصحاب البنوك الذين يستثمرون الأموال في عمليات مالية أو في الإقراض، في أي مكان من العالم خارج فلورنسا، ولم يكن فيها مكان للذين تقتصر أنشطتهم التجارية والمالية على فلورنسا والمناطق التابعة لها"[١].

---

1) A History of Florence 1200-1575, P110-111.

والنخبة الجديدة، قلب النقابات الخمس الكبرى، والتي كانت المِركانتسيا أو المحكمة التجارية أداتها في السيطرة على فلورنسا وإيطاليا وأوروبا، هي:

"مجموعة من الشركات التجارية والبنكية العائلية Family Companies، التي نمت خلال القرن الثالث عشر، وتحولت في أوائل القرن الرابع عشر إلى إمبراطورية واسعة ومترابطة، وكل شركة يشترك في رأس مالها عشرة أشخاص أو اثني عشر أو خمسة عشر من أسرة واحدة، وفي بعض الأحيان يضمون إليهم بعض الشركاء من خارج الأسرة لزيادة رأس المال، وفي سنة ١٣٢٢م، كانت قائمة هذه الشركات العائلية المقيدة في المِركانتسيا ٢٦٤ شركة، يملكها ٦٥٠ شخصاً من الشركاء، ويمتد نشاطها واستثماراتها من لندن إلى شرق المتوسط، وأبرز هذه الشركات ..."[1].

وفي وصف هذه الشركات العائلية، يقول ريتشارد جولدث ويت، أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة جونز هوبكنز الأمريكية، في كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة:

"كان الشركاء في كل شركة، يديرون أنشطتها وأعمالها كأنها مشروع عائلي، ورغم التنافس السياسي بين هذه الشركات داخل الكوميونة، فإنها في أعمالها خارج فلورنسا كانت شبكة واحدة، والشركات الكبرى، مثل باردي Bardi، وبيروتسي Peruzzi وأكشَيولي Acciaiuoli، وجواداني Guadagne، كانت تعمل معاً وتنسق أعمالها مع الحكومات التي تتعامل معها، رغم ما يبدو بينها من خلافات سياسية ... وعلى سبيل المثال كان المؤرخ جيوفاني فيللاني Giovanni Villani شريكاً في شركة بيروتسي، بينما كان اثنان من إخوته شركاء في شركة بوناكورسي Buonaccorsi، وأخوه الثالث شريكاً قي شركة أكشيولي"[2].

---

1) A History of Florence 1200-1575, P112-113.
2) The Economy of Renaissance Florence , P70.

ومصـدر قـوة شـبكة شـركات فلورنسـا الدوليـة المترابطـة، أولاً: الفلـورين، وامتلاكهـا حـق إصداره، وقدرتها على توفير كميات كبيرة منه، وثبات وزنـه الذهبي، وضمانها لقيمته، وثانياً، كما يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي:

"خطابات الائتمـان أو الضمان المثيرة للإعجاب Letters Di Cambio، التـي صارت وسيلة لا غنى عنها في المعاملات الدولية لأصحاب البنـوك ومقرضـي الأموال، وكـان بدايـة استخدامها في فلورنسا سنـة ١٢٦٠م، ولكنـها ظهرت لأول مرة فـي فينيسيا عنـد منتصف القرن الثاني عشر، وكان نقل العملات يتعرض لمخاطر كبيرة، فوفرت كتب الضمان وسيلة سريعة وآمنة للتمويل ونقل الأموال إلـى أماكن بعيدة، فمثلاً إذا أرد مواطن من فلورنسا أن ينقل مبلغاً من المال إلـى أنتـويرب Antwerp، فـي شمال أوروبـا، فمـا عليـه إلا أن يـذهب إلى أحد التجار في نقابة تجار المنسوجات، أو الحرير، أو الصوف، فيعطيـه خطـاب ضمان إلـى وكيلـه فـي أنتـويرب، يصرف بمقتضـاه المبلـغ من هنـاك، وبهذه الخطابـات كانـت بنـوك فلورنسا توفر أموال القروض للملوك والأمراء من أرباحها في بلادهم"[١].

وإذا ذهبت إلى كتابنـا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ستعلم أن أول من أدخل تقنيـة خطابـات الائتمـان أو صـكوك الضـمان واستخدمها فـي أوروبـا، ليس فينيسيا، كما يقول إدج كومب ستيلي، بل منظمة فرسان الهيكل، وكانت مقراتها المسلحة والمنتشرة في كل مكـان وتحـرس جميـع الطـرق، فـي أوروبـا والأرض المقدسـة، هـي شبكة البنـوك الأولـى، وكـان يمكن للتاجر أو الحاج أن يودع مالاً في أحد مقراتها في فرنسا أو إيطاليا، ويأخذ صك ضمان يصرف به ماله في مملكة أورشليم أو أي بلد أوروبي آخر.

---

1) The Guilds of Florence, P186.

ربا ومرابون في كل مكان

وشبكة شركات فلورنسا كانت تجارية بنكية Merchant Banks، ونشاطها الرئيسي، خصوصاً خارج فلورنسا، كان الإقراض بالربا، وتوظيف أرباح التجارة في ذلك، وتوظيف الربا في السيطرة على الحكومات عبر وضع يدها على ماليتها.

يقول جون ناجمي:

"كانت القروض هي وسيلة الشركات للحصول على امتيازات التجارة، وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر صنع تجار فلورنسا أرباحاً هائلة، مكنتهم من تمويل خزانات ممالك أوروبا وإماراتها، وأحياناً كانت فلورنسا تبدو وكأن لها اقتصادان، اقتصاد دولي International، يقوم على الإقراض وتمويل الشركات والبنوك للحكومات، خصوصاً لندن ونابولي وشرق المتوسط، واقتصاد محلي Local، عناصره صناعة المنسوجات والعمال والحرفيون، وبلا شك كان ثَمة رابطة بين الاقتصادين"[١].

ويقول ريتشارد جولدث ويت:

"والجزء الأكبر من النشاط التمويلي لبنوك فلورنسا التجارية، كان مخصصاً لإقراض الحكومات في الأماكن التي تعمل فيها، وتشمل مجالس المدن ولوردات الإقطاع والأمراء والملوك والبابوات، ومن أجل ضمان السداد، كانت الشركة تأخذ رهناً، مثل المجوهرات، لكن في أغلب الأحيان كان الرهن في صورة امتيازات بإدارة مالية الدولة Administration of State Finances، وتحصيل الموارد العامة، مثل جمع الضرائب والجمارك والرسوم، واحتكار المناجم، وكانت إدارة الشركات لهذه الموارد تقوم على ابتكار طرق تحصيل الأموال، وليس تحفيز الأنشطة الاقتصادية"[٢].

---

1) A History of Florence 1200-1575, P117.
2) The Economy of Renaissance Florence , P231-232.

فهل يذكرك ما أخبرك به مؤرخ عصر النهضة، ريتشارد جولدث ويت، عن الشروط التي كان يقرض بها المرابون في فلورنسا، الملوك والأمراء والحكومات في القرن الرابع عشر بشئ؟

نعم، ونكرر لك التهنئة على وعيك وانتباهك، فهذه هي نفسها وبالضبط الشروط التي يفرضها صندوق النقد والبنك الدولي على الدول التي تقع في شباكه في القرن العشرين والحادي والعشرين.

وأكبر دولتين وقعتا في مصيدة صندوق نقد عصر النهضة وبنكه الدولي، في القرن الرابع عشر، كما أخبرك مؤرخوه وأساتذة تاريخه، هما نابولي داخل إيطاليا، ومملكة انجلترا خارجها.

فأما مملكة نابولي، فمنذ حملة كارلو دي أنجو، وانتصاره على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، سنة ١٢٦٦م، وهي تحكم صقلية وجميع مدن جنوب إيطاليا، ويقول ريتشارد جولدث ويت:

"بعد حملة كارلو أنجو، حازت شركات باردي وبروتسي وأكشَيولي، التي اشتركت في تمويلها، حق تحصيل بعض الموارد العامة في مملكة نابولي، مثل جمع الضرائب من النبلاء، والجمارك من المواني، وفي الوقت نفسه كانت تقوم بتحصيل الموارد البابوية، خصوصاً في فرنسا، ثم مع تراكم القروض وفوائدها، في عهد روبرت أنجو Robert Anjou، الذي امتد من سنة ١٣٠٩م إلى سنة ١٣٤٣م، سيطرت الشركات الثلاث على جميع موارد المملكة، وكان ذلك في البداية بالتنافس بينهم، ثم قاموا بعمل ترتيبات للتنسيق بينهم والعمل المشترك، وصار للشركات الثلاث ممثلون دائمون في الحكومة"[1].

وأما انجلترا، فكانت شركات فلورنسا وبنوكها تقرض ملوكها من الأرباح التي تجنيها من تجارة الصوف معها!

---

1) The Economy of Renaissance Florence , P233.

وكانت صناعة المنسوجات الصوفية في فلورنسا أرقى منها في انجلترا، فمنح ملوك انجلترا شركات فلورنسا امتيازاً باحتكار شراء الصوف وتصديره من انجلترا إلى مدن شمال أوروبا، في مقابل أن تقوم هذه الشركات بتمويل حروبهم وإقراضهم بفائدة تتراوح بين ١٥% و ٤٠% حسب مبلغ القرض.

يقول جون ناجمي، في كتابه تاريخ فلورنسا:

"وكانت شركة فريسكوبالدي Frescobaldi، التي بدأت عملها سنة ١٣٠٠م، أول شركة في فلورنسا تقرض انجلترا على نطاق واسع، في عهد الملك إدوارد الأول Edward I، ولكن كانت شركتا بيروتسي وباردي هما صاحبتا المشروع الضخم الذي قرن بين القروض وتجارة الصوف، وعندما اندلعت حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا، في ثلاثينيات القرن الرابع عشر، زاد احتياج إدوارد الثالث Edward III للأموال، فأقرضته بنوك فلورنسا مبالغ هائلة من أرباحها في تجارة الصوف، في مقابل زيادة امتيازاتها في التجارة، ويقدر مؤرخ فلورنسا فيللاني ديون التاج الإنجليزي المستحقة لشركتي باردي وبيروتسي سنة ١٣٣٩م، بمليون ونصف المليون فلورين ذهبي، وهو ما يساوي خمسة أمثال الدخل السنوي لكميونة فلورنسا"[١].

ويقول ريتشارد جولدث ويت، في كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة:

"وفي مقابل القرض الذي قدمته شركة فريسكوبالدي لإدوارد الأول، حصلت على عقود بإدارة مناجم الفضة، وتحصيل عوائد الأملاك الملكية، ورسوم المواني، وهي مصدر الدخل الأول للتاج، ثم حررها إدوارد الثاني من رقابة الخزانة، وصار تعاملها معه مباشرة، وبعد عدة سنوات، منح إدوارد الثالث شركتي باردي وبيروتسي حق تحصيل الضرائب والعوائد السنوية من العُمد Sheriffs والسلطات المحلية في المدن والبلدات"[٢].

---

1) A History of Florence 1200-1575, P117.
2) The Economy of Renaissance Florence , P232.

ولعلك تتبهت إلى أن بنوك فلورنسا مولت حرب انجلترا ضد فرنسا، في مقابل السيطرة على مواردها، في الوقت نفسه الذي كانت تقوم فيه بجمع الضرائب وعوائد الأملاك البابوية في فرنسا لتسديد القرض الذي أقرضته لملك نابولي كارلو أنجو مع فوائده المتراكمة.

بل وكانت شركات فلورنسا وبنوكها تسيطر على سك العملة ودارها في انجلترا وفرنسا المتحاربتين معاً، في وقت واحد، يقول جولدث ويت:

"**في سنة ١٢٧٩م، كان الفلورنسي بونفاشيو جلجاني Bonifacio Galgani، المسؤول الرئيسي عن سك العملة في انجلترا، وكان له وكلاء في جميع أقاليمها، ثم خلفه أبناؤه، وقد أصبحوا إنجليزاً Anglicized، إلى سنة ١٣٤٠م، وخلفهم فلورنسي متأجلز آخر، هو والتر باردي Walter de Bardi، ومنذ أوائل القرن الرابع عشر دخلت شركة فريسكوبالدي في إدارة دار سك العملة الملكية في انجلترا، بينما دخلت شركة بيروتسي في إدارة دار سك العملة الملكية في فرنسا**"[١].

وأكبر أسرتين من أسر الشركات والبنوك في فلورنسا، في النصف الأول من القرن الرابع عشر، كما رأيت، هما أسرة باردي، وهي الأولى، تليها أسرة بيروتسي، وهما من الأسر المسيطرة على التجارة في فرنسا، وعلى المحكمة التجارية أو المِركانتسيا في فلورنسا، وكانت فروعهما ونشاطهما يمتد من انجلترا وفرنسا وإسبانيا في غرب أوروبا، وبولندا في شرقها، وإقليم فلاندرز في شمالها، إلى ألمانيا وإيطاليا في وسطها وجنوبها، وإلى جزر قبرص ورودس ومايوركا في البحر المتوسط، وإلى القسطنطينية والإمبراطورية البيزنطية في اليونان وآسيا والصغرى.

فأما أسرة باردي، فقد ظهرت لأول مرة في فلورنسا في القرن العاشر، ولا يُعلم تاريخها قبل ذلك، ولا من أين قدمت إلى فلورنسا، ومنذ ظهورها وجميع أفرادها يعملون في التجارة، وهي إحدى الأسر التي أخبرناك عنها من قبل، وهي الأسر التي لم تكن من النبلاء، ثم دخلت في

---

1) The Economy of Renaissance Florence , P234-235.

طبقة النبلاء الإقطاعيين وصارت منهم بثرواتها التي كونتها من التجارة، ثم مع صعود النقابات وازدياد نفوذها في فلورنسا، انضمت إلى التجار وأصحاب بيوت المال، وصارت من البوبولاني/عموم الناس، وأصبح أفرادها الذين كونوا شركتها وبنكها من أعضاء نقابة البنوك والصيارفة وجميع نقابات التجارة المختلفة.

وأسرة باردي صارت من النبلاء في القرن الثالث عشر، حين اشترى بييرو دي باردي Piero di Bardi، أملاك كونتات ألبرتي Alberti، ومنها قلعة فيرنيو Vernio على مشارف فلورنسا، واشتروا معها لقب كونتات فيرنيو، مقابل ١٠,٠٠٠ فلورين ذهبي[١].

وبعد ظهور أسرة اليهود الأخفياء دي مديتشي، صارت أسرة باردي من حلفائها وأصهارها، وأشهر الزيجات بين الأسرتين، زواج كوسيمو دي مديتشي، رأس بنك الأسرة وحاكم فلورنسا، من كونتسينا دي باردي Contessina de Bardi، سنة ١٤١٥م، وأبوها جيوفاني دي باردي Giovani de Bardi، كان رئيس بنك باردي في روما، حيث مقر بنك دي مديتشي[٢].

وأما أسرة بيروتسي ، فلم تكن من أهل فلورنسا، وظهرت فيها لأول مرة عند منتصف القرن الثاني عشر، ومثل أسرة باردي، لا تُعلم أصولها ولا أين كانت قبل أن تظهر في فلورنسا، ومنذ ظهورها وأفرادها جميعاً يعملون في التجارة والصيرفة والأعمال البنكية، وصاروا من قادة نقابات البنوك والتجارة.

وقد اتخذت الأسرة اثنين من القديسين رعاة لها، وفي سنة ١٣١٠م، طلب رأس الأسرة، جيوفاني دي بيروتسي Giovanni di Peruzzi، من الرسام جوتو دي بوندوني Giotto di Bondone، أن يزين جدران كنيستهم Peruzzi Cappella، في بازيليكا سانتا كروس، أو

---

1) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Bardi Famiglia.
2) Janet Ross: The Lives of Early Medici, P10, Richard Badger Publishing, Boston, MCMXI/1911.

الصليب المقدس Santa Croce، التي بدأوا إنشاءها سنة ١٢٩٩م، بلوحات من الفريسكو تصور حياة هذين القديسين[1].

والقديسان اللذان اتخذتهما أسرة بيروتسي رعاة لها، من بين جميع القديسين في تاريخ المسيحية، هما بالمصادفة، يوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ.



لوحات الفريسكو التي تصور حياة يوحنا المعمدان على الجدار الشمالي لكنيسة بيروتسي، ورسمها الرسام جوتو بطلب من جيوفاني دي بيروتسي

1) Delphi Complete Works of Giotto (Illustrated), Delphi Classics, 2016.

فإذا رجعت صفحات إلى الخلف، إلى وصف الفلورين الذهبي، فستجد أن يوحنا المعمدان، هو الرمز الأعلى لمنظمة فرسان الهيكل، وفي عقيدتها أنه مؤسسها الأول وراعيها، وهو الرمز الأعلى للماسونية وحركة الروزيكروشان وجميع الحركات السرية التي انبثقت من فرسان الهيكل، والماسونية في بداياتها كانت تموه يوحنا المعمدان في يوحنا تلميذ المسيح وكاتب الإنجيل، لكي تضلل الكنيسة الكاثوليكية، وفي لوائح الماسونية أن اسمها قبل سنة ١٤٤٠م، أخوية يوحنا، لأن يوحنا المعمدان هو مثلهم الأعلى الذي يحاكونه ويسيرون على خطاه، ويوحنا المعمدان ويوحنا التلميذ كانا معاً رعاة الماسونية، ومحافلها مكرسة لهما.

وبمناسبة كنيسة أسرة بيروتسي، يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي، في كتابه: نقابات فلورنسا:

"ولم يكن في فلورنسا فئة أشد انتظاماً وحرصاً على حضور القداس وطقوس الكنيسة الأخرى، من أصحاب البنوك والصيارفة Bankers And Money Chargers"[١].

وفي الوقت نفسه، يخبرك مؤرخ البنوك نوبل هوجسون، أنه:

"كانت فوائد أصحاب البنوك في فلورنسا على القروض مرتفعة جداً، وفقاً لمعايير البنوك، مما كان يؤدي إلى سحق المدينين Crushing To The Debtor، ويبدو أن تحريم الكنيسة لذلك لم يكن يفرق معهم"[٢].

وما أخبرك به إدج كومب ستيلي ونوبل هوجسون معاً، يعرفك بإحدى سمات اليهود الأخفياء الأصيلة عبر التاريخ، من عصر النهضة في فلورنسا وإيطاليا، إلى عصر ثالث الآتين من الخلف في بلاليص ستان، ألا وهي الحرص على بناء بيوت العبادة الفخمة، كنائس أو مساجد، وتسميتها بأسمائهم، وأداء طقوس الديانة وشعائرها الظاهرة التي يراهم عموم الناس وهم يؤدونها، بينما هم في الوقت نفسه يطيحون بعقائد الديانة من نفوس هؤلاء العموم،

---

1) The Guilds of Florence, P180.
2) Banking Throughout The Ages, P74.

ويزيلونها من معمار السلطة، ويذيبون آثارها في المجتمع، ويهدمون قيمها وأخلاقها، ويبثون العلمنة والإلحاد، ويبسطون رعايتهم على الفسقة والزنادقة، ويواكب ذلك كله امتصاصهم للأموال وكنزها وتدويرها بينهم وبين الطبقات التي تدور من حولهم.

ونعود بك إلى انجلترا وديونها عند بنوك فلورنسا، فطول أمد الحرب مع فرنسا، استنزف موارد انجلترا، ولم تعد تكفي لسداد ديونها، وفي الوقت نفسه ارتفعت في الأربعينيات من القرن الرابع عشر أسعار الفضة مقابل الذهب في أوروبا كلها، وكانت ديون انجلترا عند شركتي باردي وبيروتسي، ٢٤٥ ألف جنيه إسترليني من الفضة، وتساوي مليون ونصف المليون فلورين ذهبي، فأدت زيادة أسعار الفضة إلى ارتفاع قيمة المطلوب من انجلترا سداده.

ويقول أستاذ الاقتصاد في جامعة مانشستر البريطانية، اليهودي إفرايم راسل Ephraim Russell، في دراسته: شركتا باردي وبيروتسي ومعاملاتهم مع إدوارد الثالث The Societies of the Bardi And The Peruzzi And Their Dealings With Edward III، ضمن كتاب: التمويل والتجارة إبان حكم إدوارد الثالث Finance And Trade Under Edward III، الذي أصدرته الجمعية التاريخية في جامعة مانشستر، إنه في يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٣٤٢م، أمر الملك إدوارد الثالث بتشكيل لجنة للتحقيق في جميع حسابات شركتي باردي وبيروتسي، وأنشطتهم التجارية والمالية، بما فيه المبالغ التي أقرضوها للملك، والموارد العامة التي يحصلونها لسداد الدين، وفي ٥ فبراير ١٣٤٤م، تم تشكيل لجنة نهائية لمراجعة نتائج تحقيقات اللجنة الأولى، وتقديم تقرير للملك والخزانة ومجلس الدولة، وبعدها بشهر:

"أصدر إدوارد الثالث، أوامر لعمدة لندن، وللسلطات في كل مدينة وبلدة، باعتقال وكلاء شركتي باردي وبيروتسي في انجلترا، ومصادرة ممتلكاتهما، وعرضهم على المحكمة العليا، لما قاموا به من تجاوزات وغش Trespasses And Deceits، ونص مرسوم الأمر على أن: "الملك عَلِم أن جامعي الموارد يأخذون الأموال لأنفسهم، ويستخدمونها في أغراضهم

الخاصة Devoting It To Their Own Uses، دون تقدير لحاجة الملك الماسة إلى المال بسبب الحرب، وهو السبب الذي اضطره للاقتراض بالربا من عدد من الدائنين"(١).

ويقول مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه، ريتشارد جولديث ويت، في كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة، إنه:

"قد أدت الأزمات المتزامنة في انجلترا ونابولي وفلورنسا، إلى سلسلة من الكوارث Disastrous Series، وإفلاس عدد كبير من الشركات في شبكة فلورنسا، مثل باردي وبيروتسي، و..."(٢).

وبعد هذه الأزمات، كما يقول جولدث ويت، أعادت شركة باردي تدوير أنشطتها، ونقلتها إلى أماكن أخرى، أهمها العاصمة البابوية(٣).

وفي انجلترا نفسها، لم تمض سنة على إصدار أوامره بإغلاق شركات فلورنسا في انجلترا واعتقال أصحابها، حتى كان الملك إدوارد الثالث قد أصدر عفواً عن أسرة باردي، وبدأ في مفاوضات معها لإعادة جدولة ديونه لديها وسدادها، اتباعاً لتقاليد التاج العريقة Ancient Prerogative of The Crown، التي تقضي بأن الملك يجب أن يكون قدوة للآخرين في تسديد ديونه، وفي عهد إدوارد الثالث صار جولتييرو دي باردي Gualtiero de' Bardi، المشرف على دار سك العملة الملكية، وكذلك تم جدولة ديون شركة بيروتسي(٤).

وإليك هذه الطرفة، يقول روان وليم دورين، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة ستانفورد الأمريكية، في أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد،

---

1) Ephraim Russell: The Societies of The Bardi And The Peruzzi And Their Dealings With Edward III, In: Finance And Trade Under Edward III, P125, Manchester University Press, 1918.
2) The Economy of Renaissance Florence , P242.
3) The Economy of Renaissance Florence , P242.
4) The Societies of The Bardi And The Peruzzi And Their Dealings With Edward III, In: Finance And Trade Under Edward III, P127-129.

وكان عنوانها: مكافحة الربا، طرد مقرضي الأموال من أوروبا في العصور الوسطى من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٤٥٠م، إنه في سنة ١٣٧٦م، بعد ثلاثين عاماً من مرسوم الملك إدوارد الثالث بإغلاق شركات فلورنسا التجارية البنكية:

"**تقدم أعضاء مجلس العموم ومواطنو لندن، بالتماس إلى الملك إدوارد الثالث، يطالبون بطرد التجار وأصحاب البنوك الطليان، وقالوا في التماسهم إن: "هؤلاء التجار اللومبارديون لا يمارسون سوى الربا والسمسرة، وكثير من هؤلاء المعروفين بأنهم لومبارد، هم في الحقيقة يهود Plusours de Eeux qi Sont Tenuz Lombardz Sont Juys**"[1].

وهنا يجب أن تضيف إلى معلوماتك أن الملك إدوارد الأول Edward I كان قد أصدر، في سنة ١٢٩٠م، مرسوماً بطرد جميع اليهود الصرحاء من انجلترا ومنع دخولهم إليها، بعد أن منع المرابين اليهود من الإقراض بالربا، في إثر اختلافه معهم حول شروط القرض الذي أراده، لتمويل حربه ضد ويلز، ولذا لم يكن مسموحاً لليهود بالوجود في انجلترا رسمياً، إلى أن أعادهم إليها كرومويل Cromwell، بعد ثورته التي أطاحت بالملك تشارلز الأول ثم أعدمته، سنة ١٦٤٩م، بعد محاكمة صورية، كان المدعي العام ضد الملك فيها إسحق دوريسلاوس Isaac Dorislaus، وهو برتغالي من يهود المارانو!

---

1) Banishing Usury The Expulsion of Foreign Moneylenders In Medieval Europe, 1200-1450, P342.

بنك فلورنسا وأول دين قومي في التاريخ

ومن انجلترا إلى فلورنسا ونسختها من الفيلم القديم المتجدد عبر التاريخ.

يقول مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه، جون ناجمي:

"كانت حكومة فلورنسا تمول حروبها باالاقتراض بفائدة، وبعض هذه القروض كان إجبارياً على المواطنين Prestanze، وكان يتم سدادها من دخل الكوميونة، وأحياناً كان تسديدها يحتاج إلى قرض آخر، وهناك قروض اختيارية من التجار الأثرياء وشركاتهم بفائدة ١٠%-١٥%، بضمان عوائد الكوميونة من الضرائب على التجارة الداخلة من بواباتها Gabelles، مع تشكيل لجان خاصة من الممولين أنفسهم، لوضع الترتيبات اللازمة لتحصيل الضرائب وأخذها تسديداً لقروضهم وفوائدها"(١).

والبرستانزا، أو القروض الإجبارية، كانت قروضاً طويلة الأجل تفرضها الكوميونة بفائدة ٥%، لتمويل الحروب، ولتسديد قروض الشركات والبنوك، وفي الحالتين كانت حكومة الكوميونة توقع عقداً مع أصحاب الشركات والبنوك لجمع القرض المطلوب، فيقوم هؤلاء بتشكيل لجان عديدة، عدة لجان لكل حي، من أجل تحديد المبلغ المطلوب من كل منزل إقراضه للحكومة إجبارياً، من خلال تقييم ممتلكات الأسرة ودخل الفرد، وكانت إجبارية على كل مواطن لا يقل دخله عن ٣٢٠ فلورين، وحدها الأدنى ١٠ فلورين عن المنزل، وحدها الأقصى ١٢٠ فلورين.

يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي:

"منذ سنة ١٣٠٧م، صار تمويل الكوميونة مرهوناً بأعضاء نقابة البنوك ونقابة المنسوجات، فتعاقدت الدولة مع شركات البنوك الرئيسية، ومنحتها السلطة الكاملة لجمع الأموال، وتحتفظ سجلات فلورنسا ببعض عقود البرستانزا/القروض الإجبارية، وهذا نص

---

1) A History of Florence 1200-1575, P120-121.

أحدها: "باسم الإله، آمين، هنا مسجَل كل الأموال التي تلقيتها، أنا تانو دي لوبو ديلا برونا Tano di Lopo Della Bruna، من أجل جيراردو لانفرِديني Gherardo Lanfredini، المسؤول عن خزانة كوميونة فلورنسا، وهي ٥٠ ألف فلورين ذهبي، تم جمعها بواسطة أربع شركات، هي بيروتسي وباردي وأكشيولي وسكالي، ويتم تسليمها كقرض للكوميونة، ٢٥ مارس ١٣٢٥م"[١].

والخمسون ألف فلورين التي فرضتها حكومة الكوميونة قرضاً إجبارياً على المواطنين، وجمعتها الشركات والبنوك، كانت:

"لتمويل حربها مع كوميونة لوكا Luca، التي اندلعت سنة ١٣٢٤م، و١٥ ألف فلورين منها، كانت لتسديد قرض قصير الأجل، كانت الكوميونة قد اقترضته من شركات بيروتسي وباردي وأكشيولي وسكالي"[٢]!!

فالشركات الأربع، كما ترى، وقعت عقداً مع الكوميونة لجمع قروض إجبارية من عموم الناس بفائدة ٥%، في مقابل تخفيض الضرائب على تجارتها من الملح والخمور الداخلة من بواباتها، لكي تسدد بهذه القروض الإجبارية القرض الاختياري الذي أقرضته للكوميونة بفائدة ١٥%!

وقبل هذا القرض الإجباري بسنة، سنة ١٣٢٤م، وفي شهر واحد، كانت الكوميونة، بسبب الحرب مع لوكا، قد اقترضت من البنوك والشركات ٤٨ ألف فلورين ذهبي، وفرضت برستانزا أو قرضاً إجبارياً على المواطنين قدره ٤١ ألف فلورين.

وبعد هزيمتها أمام لوكا، في معركة ألتوباشيو Altopascio، سنة ١٣٢٥م، لجأت فلورنسا إلى حليفها القديم روبرت أنجو ملك نابولي، فأرسل إليها ابنه كارلو دوق كالابريا Charle

---

1) The Guilds of Florence, P190-191.
2) A History of Florence 1200-1575, P121.

Duke of Calabria، فنصبته الكوميونة سيداً عليها Signore لعشر سنوات، فزاد الضرائب، وفرض باسم الكوميونة برستانزا أخرى قدرها ٦٠ ألف فلورين، لتمويل جيشه.

وفي سنة ١٣٣٦م، تجددت الحرب بين فلورنسا ولوكا مرة أخرى، واستمرت ثلاث سنوات، ومرة أخرى أيضاً:

"يقول فيلاني، إن حكومة فلورنسا صارت بحاجة شديدة إلى المال، فاتفقت عشرة من الشركات الكبرى على التعاون معاً وتمويل الحكومة، وكونوا لجنة منهم، قامت بتوفير ١٠٠ ألف فلورين، بفائدة ١٥%، ثلثها من شركاتهم نفسها، والباقي من المواطنين الذين فضلوا أن يكون إقراضهم للشركات وليس للكوميونة، ومنحت الحكومة الشركات السلطة لجمع الضرائب وبعض العوائد، لضمان السداد، ومن خلال لجنة العشرة سيطرة الشركات على مالية الكوميونة وسياساتها"(١).

ومع الانهيار الاقتصادي لحكومة الكوميونة، وزيادة الضرائب والقروض الإجبارية، ووطأتها على الطبقات الوسطى والدنيا في فلورنسا، قاد العمال وأسر أعضاء النقابات الصغرى تمرداً على الحكومة، وانضم إليهم بعض أسر الشركات الكبرى.

وانتهى التمرد سنة ١٣٤٣م، بتكوين حكومة من البوبولو/عموم الناس، للمرة الثالثة في تاريخ فلورنسا، فقامت بإحياء مرسوم العدل الذي أصدره جيان ديلا بِللا سنة ١٢٩٣م، وأنشأت مجلس التدقيق Scrutiny Council، لإدارة شؤون فلورنسا، وكان يتكون من ٢٠٦ أعضاء، يمثلون جميع النقابات الإحدى والعشرين، كبرى وصغرى، ويختارهم رؤساؤها، ومعهم مواطنون منتخبون من جميع الأحياء، وتم تعديل نظام مجلس ممثلي النقابات، لتمثيل جميع النقابات فيه(٢).

---

1) A History of Florence 1200-1575, P132.
2) A History of Florence 1200-1575, P138.

وفي سنة ١٣٤٤م، وكانت ديون حكومة فلورنسا قد بلغت ٨٠٠ ألف فلورين ذهبي، وعدد الشركات وبنوكها الدائنة للحكومة ٧٦ بنكاً، علقت حكومة البوبولو الفوائد المستحقة على جميع القروض، وكانت الفوائد إما أن تدفع مع الأقساط في وقتها، أو تضاف سنوياً إلى أصل الدين، وتخضع هي الأخرى للفائدة. وقررت الحكومة إنشاء مونتي للكوميونة[õ] Monte Comune، أو بنك عام، لتوحيد جميع الديون فيه، بفائدة ٥% فقط، على أن يكون رأس مال المونتي من الضرائب، ومن حصص الدائنين للحكومة، وكان من حق أي أحد أن يحتفظ بدينه أو يبيعه لآخر.

وفي أغسطس سنة ١٣٤٥م:

"سنت الحكومة قانوناً يدعو للاستثمار الاختياري في المونتي، ومن أجل توفير ٥٠ ألف فلورين، دعت الممولين إلى إقراضها، في مقابل ضمان سداد القرض الجديد، ودفع حصصهم في الدين القديم، وطرحت كميات من الفلورين في سوق المال، على أن يشتريها من يرغب بقيمة اسمية تقل عن قيمتها الحقيقية، ويحولها للإيداع باسمه في المونتي، فهُرع المضاربون Speculators إلى الاستثمار في المونتي، وكسبوا أرباحاً طائلة، فالمستثمر الذي يُودع ١٠٠ فلورين في المونتي كقرض جديد، تكون أرباحه بعد سنتين ٧٠ فلورين"[١].

وكانت هذه، كما يقول إدج كومب ستيلي:

" قصة تأسيس بنك فلورنسا الحكومي من القروض، ومونتي كوميونة فلورنسا والقروض التي تأسس بها، هو أول دَين قومي First National Debt يُعرف بهذا الاسم"[٢].

õ) مونتي Monte: كلمة إيطالية، معناها جبل أو تلة، وقد صارت اسماً للبنوك العامة في مدن إيطاليا، على أن معناها: تلة المال، أي: مكان جمع المال.

1) A History of Florence 1200-1575, P140.

2) The Guilds of Florence, P192.

وفي سنة ١٣٤٧م، ظهر وباء الطاعون Plague، أو الموت الأسود Black death، في صقلية، وانتشر منها إلى جنوب إيطاليا، ثم اجتاح إيطاليا كلها ومناطق واسعة من أوروبا، وكانت توسكانيا أكثر مناطق إيطاليا تضرراً منه، وبين شهري أبريل وأغسطس سنة ١٣٤٨م، مات حوالي ٦٠,٠٠٠ شخص، هم نصف سكان فلورنسا، ومنهم عدد كبير من أعضاء مجلس التدقيق ومجلس ممثلي النقابات، وفقدت حكومة البوبولو سيطرتها على شؤون فلورنسا، وعمت الفوضى.

ولأن مصائب قوم عند قوم فوائد، يقول جون ناجمي، في كتابه: تاريخ فلورنسا:

"كانت كارثة الموت الأسود فرصة لكي تستعيد أسر النخبة المالية سيطرتها على فلورنسا، فبعد زوال الرعب أنشأوا لجنة خاصة Bardia، من أعضاء نقابات التجار والبنوك، فأزالوا أسماء من ماتوا، وأعادوا تشكيل مجلس التدقيق، وقصروا عضوية النقابات الصغرى في مجلس النقابات على مقعدين فقط، وخفضوا عدد النقابات الصغرى من ١٤ نقابة إلى ٧، ولكنهم أعادوها مرة أخرى بعد سنتين"[١].

ويقول ريتشارد جولدث ويت، في كتابه: اقتصاد فلورنسا في عصر النهضة:

"بعد الموت الأسود، دخلت شبكة بنوك فلورنسا وشركاتها في مرحلتها الثالثة، وأشد مراحل تطورها قوة، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر توسعت تجارة شركات فلورنسا، ووصلت إلى كل مكان من إيطاليا، وإلى نورمبرج وألمانيا في وسط أوروبا، وإلى القسطنطينية وشرق أوروبا، وفرنسا وشواطئ المتوسط الغربية، وشبه جزيرة إيبيريا وشواطئ الأطلنطي، وفي قطاع التمويل أقامت الشبكة مراكز للتمويل في أوروبا، أكبرها أسواق المال والصرافة Exchange Market في جنيف، وفي ليون، وتتمثل قوة الشبكة

---

1) A History of Florence 1200-1575, P145.

في هذه المرحلـة فـي شركة فرانشيسكو داتينـي Francesco Datini، وشركة ألبيتسـي Albizzi"[١].

ثورة شيوعية:

وفـي سـنة ١٣٧٨م، انـدلعت ثـورة شيوعية ضـد النخبـة الماليـة الحاكمـة لفلورنسـا مـن أسـر الشركات والبنوك، يقول إدج كومب ستيلي:

"فـي سنة ١٣٧٧م، أعرب بييرو ديلـي ألبيتسي Piero Degli Albizzi، عن نوايا أسرته في تحويل الجمهورية إلى حكومة أوليجاركية Oligarchy، تحكمها النخبة الماليـة، وانضمت إليه أسرة ريتشي Ricci، وأسرة ستروتسي Strozzi، وبعض الأسر الأخرى ذات النفوذ، فرأت الطبقات الدنيا من البوبولو/عموم النـاس Popolo Minuto، أن ذلك يهدد مصالحها ويصادر حقوقها السياسية، ووجدت في سَلفِسترو دي مديتشـي Salvestro de Medici بطلها الحقيقي، رغم أن أسرته كانت بين أسر الصف الأول من الطبقة العليـا مـن البوبولـو Popolo Grasso ... وكـان سلفسـترو دي مديتشـي قائدَ العدالـة، فهـدد أنـه سيتقاعد من منصبه اعتراضاً على النخبة المالية، وبلغت الإثـارة ذروتهـا، حين نظر بنـديتو ديلـي ألبرتـي Bnedetto Delgi Alberti من نافذة قصر العدالـة، وهتف فـي الحشـود المجتمعة حوله: يحي البوبولو Viva Il Popolo"[٢].

وما لم يخبرك بـه إدج كومـب ستيلي، أنـه بينما كـان سلفسترو دي مديتشي علـى رأس ثورة العمال، وهو الذي قدح شرارتها، انضم ابن عمه فييري دي مديتشي إلى أسر التجار وأصحاب البنوك الذين اندلعت الثورة ضدهم.

---

1) The Economy of Renaissance Florence , P43.
2) The Guilds of Florence, P54, 55.

يقول جون ناجمي:

"في سنة ١٣٧٧م، زادت تعديات أسر التجار والبنوك على الحكومة، بقيادة بييرو ديلي ألبيتسي، وكارلو ستروتسي Carlo Strozzi، و... و...، وانضمت إليهم بعض الأسر الغنية القديمة، مثل باردي وروسي وباتسي، وأحد أهم أفراد أسرة دي مديتشي، فييري Vieri، عضو نقابة البنوك والصيارفة، الذي وضع نفسه على الطرف السياسي النقيض من ابن عمه سَلفسترو"[1].

ومرة ثانية، ما أخبرك به إدج كومب ستيلي وجون ناجمي معاً، يعرفك بسمة أخرى من سمات اليهود الأخفياء الأصيلة عبر التاريخ، وهي سمة أخبرناك من قبل أنها إحدى مكونات المزيج الذي يتحرك مع اليهود والحركات السرية، ويتوطن معهم حيث توطنوا، ألا وهي شيوع الانقسامات والنزاعات في المجتمع، وتحويل ما بين أطرافه كلها، من علاقات إلى مواجهات.

فإذا نزل اليهود أو رجال الحركات السرية في بلد، لا تمر بضع سنوات وإلا وتظهر فيه الخلافات والتحزبات، وترى في البلد الواحد أفراداً وأسراً من اليهود في قلب الطبقة الثرية ويمولون إنشاء الأحزاب الليبرالية، بينما أفراد آخرون، وربما كانوا من نفس الأسرة، يُهيجون الطبقات الفقيرة ويتزعمون الحركات الشيوعية، وهؤلاء وأولئك ليسوا أصلاً من هذا البلد، بل قدموا عليه من خارجه، ويتخفون خلف أسماء وألقاب تُوهم من يحتشدون تحت الشعارت التي يرفعونها، أنهم من أهل البلد الأصلاء.

وما بلاليص ستان في النصف الأول من القرن العشرين منك ببعيد.

وبؤرة الثورة الشيوعية، أو ثورة السيومبي/العمال في فلورنسا Ciompi Revolt، التي هاجمت بالأسلحة مجلس السيادة الحاكم، ومقار النقابات الكبرى، وقصور أسر التجار وأصحاب البنوك وشركاتهم، كانت العمال في نقابة الصوف والمنسوجات الصوفية، ثم انضم إليهم العمال والحرفيون وصناع الأحذية، من أعضاء النقابات الصغرى، وأسر العمال من

---

1) A History of Florence 1200-1575, P161.

غير أعضاء النقابات Sotto Posti، الذين انتقلوا إلى فلورنسا بعد الطاعون، بسبب سوء أحوالهم اقتصادياً، مع تدني الأجور وزيادة الضرائب، وبسبب تهميشهم سياسياً، وعدم حصول الأسر الوافدة على حق التصويت في شؤون الكميونة.

وأسفرت ثورة العمال في فلورنسا، التي استمرت من شهر يونيو إلى شهر أغسطس، سنة ١٣٧٨م، عن تنصيب ميكيل دي لاندو Michele di Lando، أحد عمال نقابة الصوف وقائدهم في الثورة، رأساً للسلطة وقائداً للعدالة Gonfaloniere di Giustizia، وإعادة تشكيل مجلس النقابات، ليتكون من ثلاث من النقابات السبع الكبرى، وثلاث من النقابات الأربع عشرة الصغرى، وثلاث من نقابات العمال الجديدة التي تم إنشاؤها، وحصول العمال والطبقات الدنيا من البوبولو على أغلبية مقاعد مجلس السينيوريا/السيادة ومجالس الحكومة المختلفة.

وأما سلفسترو دي مديتشي، فقد جعله ميكيل دي لاندو، من الفرسان، ومنحه عوائد جميع المحلات التي في المنطقة التجارية على جسر المدينة[١].

وبعد عدة أشهر، انتفض بعض العمال والطبقات الدنيا من البوبولو، وتزعموا حركة تطالب بأن يكون للمجلس الذي يمثلهم قوة فوق جميع مجالس الحكومة الأخرى، وبتوزيع الثروة في فلورنسا بين جميع مواطنيها بالتساوي، وتوزيع حصص مجانية من القمح على أهل المدينة جميعاً، ثم هاجم العمال الهائجون قصر العدالة، وهنا

"**استغاث قائد العدالة، ميكيل دي لاندو، بالنقابات، فأرسلت إليه الميليشيات التابعة لها، فقادها لاندو بنفسه ضد رفاقه السابقين، وهو يصيح: تحيا نقابات التجارة والبوبولو Long live The Trade Guilds And Popolo، وهكذا انتهت انتفاضة العمال**"[٢]!!

1) **A History of Florence 1200-1575, P164.**
2) **The Guilds of Florence, P58.**

وفي سنة ١٣٨٢م، وبعد صدامات مسلحة بين العمال وميليشيات النقابات، استعاد كبار التجار وأصحاب البنوك السيطرة على فلورنسا، وتم قصر منصب قائد العدالة وعضوية مجلس السيادة على أعضاء النقابات السبع الكبرى، وتقسيم المقاعد والأصوات في مجلس النقابات بالتساوي بين النقابات السبع الكبرى والأربع عشرة الصغرى، بعد إلغاء النقابات الثلاث الجديدة(١).

وبقي أن تعرف أن شعار نقابة الصوف والمنسوجات الصوفية في فلورنسا، أعاد تصميمه سنة ١٤٨٧م، الرسام والنحات الإيطالي أندريا ديلا روبيا Andrea della Robbia، ولا يُعرف ماذا كان بالضبط قبل ذلك، وشعار نقابة الصوف والمنسوجات الصوفية الذي صممه ديلا روبيا، كان دائرة من أوراق الشجر، في قلبها خروف، ترفرف بموازاة جسده راية فرسان الهيكل بصليبها الأحمر، رغم أن منظمة فرسان الهيكل كان قد مضى على حلها الرسمي ومصادرة مقراتها أكثر من قرن ونصف القرن!

وتصميم أندريا ديلا روبيا لشعار نقابة الصوف والمنسوجات الصوفية في فلورنسا، كان في عهد حكم أسرة دي مديتشي لفلورنسا، وحاكمها حينئذ لورنزو العظيم Lorenzo Il Magnifico، الذي أتم مشروع جده كوسيمودي دي مديتشي، في إعادة صناعة فلورنسا وإيطاليا، ثم أوروبا كلها، بالقبالاه والفلسفة الإغريقية، وتعاليم هرمس والعقائد الوثنية، والفنون المنحلة والآداب الإلحادية، وهو المزيج الذي تفجر في فلورنسا، ثم تدفق في العالم كله، وما زال ينساب غرباً وشرقاً، إلى يومك هذا.

وها هنا تكون قد أصبحت على تخوم أسرة دي مديتشي.

---

1) The Guilds of Florence, P58.



شعار نقابة الصوف في فلورنسا ، في عهد أسرة دي مديتشي

اليهود الأخفياء دي مديتشي

الأصول

وأسرة دي مديتشي، هي بيت القصيد الذي طفنا بك في سيرة التجار والمرابين اليهود في فلورنسا، وفي إيطاليا كلها، من أجل أن تكون قادراً على فهم سيرتها، وإدراك ما فيها من خفايا، واستيعاب فرضيتنا التي أخبرناك عنها، وهي أنها من اليهود الأخفياء، وأنها هي التي كانت خلف صناعة حركة الروزيكروشان.

واللحظة من تاريخ العالم التي وصلت فيها أسرة دي مديتشي إلى السلطة في فلورنسا، وسيطرت ببنكها على اقتصاد أوروبا، هي اللحظة التي أثمرت فيها النقلة التاريخية التي نقل بها المرابون اليهود والحركات السرية تمركزهم ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب، وهي اللحظة التي تغير فيها مسار إيطاليا وأوروبا، ثم العالم كله من بعدها، وحل المزيج القبالي العلماني المنحل الذي يموله ويضخه ويرعاه المرابون اليهود والحركات السرية محل العقائد ومسألة الألوهية، وما يرتبط بها من فهم للوجود والحياة، ومن معايير وقيم وأخلاق.

يقول مؤرخ الاقتصاد والبنوك، نوبل هوجسون، في كتابه: البنوك عبر التاريخ:

"فلورنسا أغنى مدن عصر النهضة، وكانت غنية في كل شيء، وفي الأسماء الكبيرة اللامعة، جوتو Giotto، مايكل أنجلو Michel Angelo، أندريا بيسانو Andrea Pisano، ديلا روبيا Della Robbia، ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci، ميكيافيللي Machiavelli، فاساري Vasari، تاسو Tasso، بوكاتشيو Boccaccio، جاليليو Galileo، ولكن جميع هذه الإنجازات المبهرة في المدينة كانت ثمرة رعاية أصحاب البنوك من آل دي مديتشي، وفقط أثينا في عهد بركليس Pericles[õ]، هي التي يمكن

õ) بركليس Pericles: سياسي وقائد عسكري إغريقي، كان رئيساً لاتحاد المدن الإغريقية، في القرن الخامس قبل الميلاد، وقادها للانتصار على اتحاد مدن أرخبيل البيلوبونيس Peloponnes، بقيادة مدينة إسبرطة Sparta، جنوب اليونان، وكان يقوم بتشجيع الفنون، خصوصاً التماثيل، وهو الذي شيد معبد

مقارنتها بفلورنسا في عهد لورنزو العظيم، أما من جهة التمويل وشؤون المال، فأسرة دي مديتشي لم يُسمع في تاريخ العالم من قبلُ بمثلها"(١).

ولحظة وصول أسرة دي مديتشي إلى السلطة في فلورنسا وإيطاليا، وتغييرها لمسار الغرب كله، هي اللحظة التي تساويها في الشرق لحظة وصول أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، محمد علي باشا، إلى السلطة في مصر، وتغييره لمسار الشرق، بإعادته مزيج اليهود والحركات السرية المالي القبالي العلماني المنحل إلى الشرق مرة أخرى، وإحلاله محل الإسلام وموازينه وأهل حله وعقده، ليمهد بذلك الشرق للمشروع اليهودي ويضع أساسات الدولة البني إسرائيلية، كما مهدت أسرة دي مديتشي بما فعلته الغرب لأن يركبه اليهود وبنوكهم ثم يقفزوا به على الشرق.

وإذا كانت لحظة وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في الشرق، هي نفسها لحظة وصول أسرة دي مديتشي إلى السلطة في الغرب، فكذلك الحملة الفرنسية على مصر كانت هي التي فتحت بوابة عودة اليهود الأخفياء والحركات السرية إلى الشرق، كما أن الحملات الصليبية كانت البوابة التي انتقلوا من خلالها من الشرق إلى الغرب(٢).

واسرة دي مديتشي هي وريثة منظمة فرسان الهيكل، والتي آل إليها ميراثها في كل شئ، التجارة والربا والشبكة البنكية، وبث القبالاه وإحياء العقائد الوثنية، وإشاعة الإلحاد والإباحية، وتكوين الحركات السرية، وتغليف ذلك كله في غلاف الكاثوليكية ومعاونة كنيستها وإمدادها بالمال.

البارثينون Parthenon، على تل الأكروبول Acropolis في أثينا، وكرسة لعبادة أثينا، ربة الحكمة في أساطير الإغريق، وراعية مدينة أثينا.

1) Banking Through The Ages, P71-72.

٢) إذا أردت معرفة تفاصيل ما قرأته عن الحملة الفرنسية ومحمد علي باشا وبراهينه، فارجع إلى كتابينا: أول الآتين من الخلف، وبذور المشروع اليهودي في الشام.

وأسرة دي مديتشي وريثة منظمة فرسان الهيكل في كل شئ، ما عدا شئ واحد، وهو الخطأ الذي وقعت فيه منظمة فرسان الهيكل وتعلمت منه أسرة دي مديتشي وتداركته، كما تداركته الماسونية وحركة الروزيكروشان، فهاك حبر الماسونية ألبرت بايك يخبرك بخطأ فرسان الهيكل:

"**تنظيم فرسان الهيكل كان يحمل بذور تحلله منذ بدايته، وكان يسعى إلى عمل عظيم، ولكنه لم يتمكن من تنفيذه، لأن روما إذ ذاك لم تكن تقهر، وفرسان الهيكل كانوا مقاتلين قادرين على حمل السلاح وخوض المعارك، ووجهوا عنايتهم لحيازة الثروة من أجل امتلاك العالم، وقد فعلوا ذلك، وامتلكوا في أوروبا وحدها أكثر من تسعين ألف ضيعة وإقطاعية Seignories، وكان طموحهم قاتلاً لهم، لأنهم أهملوا المؤسسات الاجتماعية والدينية التي كان هدفهم الإطاحة بها، وتغييرُ الأفكار هو التغيير الدائم، وتأسيس عقيدة جديدة هو النصر المبين**"[١].

خطأ منظمة فرسان الهيكل، أنهم اعتنوا عناية شديدة بجمع الثروات وكنز الأموال، وحيازة النفوذ السياسي والقوة العسكرية، وغفلوا عن التنظيمات الاجتماعية والتربوية والتعليمية التي تكون الأفكار والمعارف، وهو ما تداركته أسرة دي مديتشي وجميع الحركات السرية التي انحدرت من فرسان الهيكل، فجعلوا جبهتهم الرئيسية عقول البشر ونفوسهم، وكلُ ما يحوزونه من ثروة أو نفوذ، وما يقيمونه من مدارس وجامعات، وما يسيطرون عليه من آداب وفنون، وما يبتكرونه من سائط اللهو والترفيه، ليس سوى وسائل للوصول إلى هذه الجبهة، وإعادة بناء العقول والنفوس وتكوينها، وملئها بما يريدونه من أفكار ومعارف، ليكون كل ما تنتجه من أفكار ومعتقدات وسلوك وقيم وأخلاق وموازين، هو بالضبط ما يريدونه، وأصحابها يتوهمون أنهم هم الذي أرادوه!

---

1) Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, P819-820.

وقد أخبرناك قبلُ، أن مديتشي، لقب أسرة دي مديتشي الرسمي، هو جمع لكلمة مديكو الإيطالية Medico، ومعناها الطبيب، ومعنى لقب الأسرة، دي مديتشي، أسرة الأطباء، رغم أنه لا علاقة لها فعلاً بالطب، وليس من أفرادها أطباء.

ورغم أنها إحدى أشهر الأسر وأكثرها أثراً في التاريخ، وحكمت فلورنسا وتوسكانيا أكثر من ثلاثة قرون، وصاهرت عدداً كبيراً من الأسر الحاكمة في أوروبا، وكتب سيرتها عشرات المؤرخين، منذ زمانها وإلى يومك هذا، وبعض هؤلاء المؤرخين دَوَّن سيرتها تحت رعاية حكامها، فلقب الأسرة، أو اسمها الحقيقي، غير معروف، وكذلك أصولها، فلقب دي مديتشي، ليس سوى بديل لاسمها، ووسيلة لحجب أصولها.

ونيكولو ميكيافيللي Niccolò dei Machiavelli، مؤلف كتاب الأمير الشهير، كان يعيش في بلاط لورنزو العظيم، ويكلفه بمهام دبلوماسية، وله كتاب آخر عن تاريخ فلورنسا Istorie Fiorentine، وقد ألفه بطلب من البابا كليمنت السابع Clement VII، وأهداه له، والبابا كليمنت السابع هو جوليو دي مديتشي Giulio de’ Medici، ولورنزو العظيم عمه، وفي كتابه المفصل عن تاريخ فلورنسا، ذكر ميكيافيللي سيرة أفراد أسرة دي مديتشي وأعمالهم منذ ظهروا في فلورنسا، ولكنه لم يتعرض لأصول الأسرة التي يعيش في بلاط حكامها، ومن أين جاءت، بأي ذكر[1].

وأيضاً ليس معروفاً متى بدأ أفراد الأسرة في وضع لقب دي مديتشي أمام أسمائهم، ومَن أول من فعل ذلك منهم، واللقب صار يوضع في كتب التاريخ أمام أسماء أفراد الأجيال الأولى من الأسرة، رغم أنه لا يوجد ما يثبت أنهم كانوا يتلقبون فعلاً بهذا اللقب في زمانهم.

وإذا ذهبت إلى دراسة موسوعة ويكيبيديا الإيطالية، عن أسرة دي مديتشي، فستجدها تخبرك أن:

---

1) Niccolò dei Machiavelli: History of Florence, Translated With Introduction By: Hugo Albert Rennert, M. Walter Dunne Publisher, New York And London, 1901.

"الأسرة قدمت من منطقة موجِللو الريفية Mugello، وانحدرت من دكتور باتروني Medico di Potrone، الذي وُلد حوالي سنة ١٠٤٦م"[١].

وقد أخبرناك في كتب سابقة لنا، أن موسوعة ويكيبيديا اليهودية، تتعمد التزوير في موضوعات بعينها، وهي تعلم أنها صارت المقصد الأول للباحثين عن المعلومات، من العوام، ومن الباحثين، وكثيرٌ من هؤلاء الباحثين الكسالى ذوي الهمم الساقطة يكتفون بها، ويعدون ما تقوله حقائق يأخذونها وينقلونها دون مراجعة ولا تمحيص.

وما قالته موسوعة ويكيبيديا الإيطالية عن أصول أسرة دي مديتشي تزوير وتدليس، ولا أدلة عليه، ولذا تجنبته وأسقطته الطبعة الإنجليزية من الموسوعة في دراستها عن الأسرة[٢].

فأما أن سلف الأسرة أو جدها الأكبر كان طبيباً، ومنه اكتسبت لقبها، دي مديتشي/الأطباء، فتقول المؤرخة البريطانية جانيت روس Janet Ross، وهي متخصصة في تاريخ فلورنسا، في أحد كتبها عنها، وهو كتاب: حياة الأوائل من أسرة دي مديتشي Lives of The Early Medici، وقد ألفته من أرشيف الأسرة في مكتبة فلورنسا:

"الأصول التي تُنسب لها أسرة دي مديتشي متعددة، وليس من السهل تعقبها، وسط المعلومات والتقارير المتضاربة عنها، فيقول البعض إنها أسرة من أسافل العوام Very Dregs of The People، وأن الجد الأعلى للأسرة كان عامل فحم في موجللو، وابنه كان طبيباً، ويقول آخرون إنها من نسل برسيوس Perseus، وهو قنصل روماني، وفي رواية ثالثة أنها من نسل الفارس أفيراردو دي مديتشي Averardo de' Medici، الذي قدم إلى إيطاليا مع حملة شارلمان Charlemagne، وبعض الذين يُعولون على اسم الأسرة يقولون إنها من نسل طبيب كان في حملة شارلمان وقام بعلاجه"[٣].

---

1) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Medici.
2) Wikipedia, The free encyclopedia: House of Medici.
3) Janet Ross: Lives of The Early Medici, P1, Chatto & Windus, London, 1910.

ويقول المؤرخ البريطاني جورج فردريك يونج، في تاريخه لأسرة دي مديتشي، الذي يقع في مجلدين:

"لا أساس للقصة التي تقول إن أسرة دي مديتشي أطباء، أو انحدروا من طبيب، وكل الأجيال المعروفة من الأسرة كانوا من التجار ورجال البنوك Merchants And Bankers، وليسوا من الأطباء، وكانوا أعضاء في نقابة البنوك والصيارفة، وليس في نقابة الأطباء"[١].

وأما أن أصول أسرة دي مديتشي، تقع في منطقة موجللو، التي جاءت منها إلى فلورنسا، ولا أصول لها خلف ذلك، فمعلومة مصدرها الوحيد مذكرات أحد أفراد الأسرة، بعد أن صارت إحدى أسر البنوك والتجارة المسيطرة على مقاليد فلورنسا.

تقول جانيت روس، إنه في سنة ١٣٧٣م:

"كتب أحد أفراد أسرة دي مديتشي، فيلينيو دي مديتشي Filigno di Conte de Medici، مذكرات، يبين فيها إلى أي مدى وصلت ثروة الأسرة ونفوذها، والمذكرات ما زالت محفوظة في سجلات فلورنسا ... وفي صفحة ٨٤ يقول: "نحن من كافاجيولو Cafaggiuolo، ولنا فيها قصر ومجموعة من البيوت حوله، وسط ساحة وبستان"[٢].

وكافاجيولو بلدة في منطقة موجللو، شمال فلورنسا.

وهنا نذكرك بما اخبرناك به مع أدلته من سيرة التجار والمرابين اليهود وغرائب سلوكهم في وسط إيطاليا وشمالها، خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر، في باب: بؤرة المرابين واليهود الأخفياء، ألا وهو أولاً: حركتهم وترحالهم الدائم، وانتقالهم بين المدن والبلدات، وانتسابهم للمدن

---

1) George Frederick Young: The Medici, Vol. I, P20, John Murray, London, 1913.
2) Lives of The Early Medici, P2, 4.

التي يتنقلون بينها، فتُفقد بذلك أصولهم، ولا يعلم عنهم أهل أي مدينة أو بلدة قدموا إليها سوى أنهم من أهل تلك التي جاؤوا منها.

وثانياً: تعمد أسر التجار والمرابين اليهود إخفاء أصولهم وأنسابهم، وتدميرهم لسجلاتهم العائلية، وشراؤهم ما يثبت انتسابهم إلى طبقات أو أسر ليسوا منها في الحقيقة.

وثالثاً: تحول التجار والمرابين اليهود تلقائياً وظاهرياً إلى المسيحية، مع بقائهم على عقائد آبائهم وطقوسهم، إذا وجدوا أن الديانة تتسبب في التضييق عليهم أو إعاقة تجارتهم وأعمالهم البنكية، أو لكي يمكنهم الدخول في الطبقات النبيلة واالانتساب إليها، أو ليتمكنوا من الوصول إلى مواقع السلطة والنفوذ وكراسي الحكم.

وبعد إباحة الكنيسة الكاثوليكية ممارسة اليهود للربا، أواخر القرن الثاني عشر، ثم سماحها للأمراء والنبلاء بدعوة المرابين اليهود للتوطن في مدنهم، وتوقيع عقود كوندوتا يقترضون فيها بفائدة من بيوت مالهم، كانت فلورنسا، كما علمتَ، هي المدينة الوحيدة في إيطاليا، التي منعت التجار والمرابين اليهود، من دخولها وممارسة أعمالهم فيها، وظل هذا المنع سارياً إلى أن وصل اليهود الأخفياء من آل دي مديتشي إلى حكم فلورنسا، ففتحوها لإخوانهم الصرحاء.

وأول ظهور لأسرة دي مديتشي في فلورنسا، كان في بداية القرن الثالث عشر، تقول جانيت روس:

"والسلف الحقيقي المعروف لأسرة دي مديتشي، شخص اسمه جيامبونو Giambuono، كان كاهناً في كنيسة قرب بلدة سان بييرو في سييفي San Piero a Sieve، في موجللو، ولدينا براهين تاريخية على أن الأخوين كياريسيمو وبوناجونتا دي مديتشي Chiarissimo And Bonagiunta de Medici، هما أبناء جيامبونو" [(١)].

---

1) Lives of The Early Medici, P1.

فتنبه أن المؤرخة جانيت روس، تخبرك أن جيامبونو، سلف أسرة دي مديتشي، لم يكن يحمل اللقب الذي اشتهرت به الأسرة، وأن براهين انتساب كياريسيمو وبوناجونتا له، وانحدارهم منه، لا يدخل فيها اسم الأسرة، وهو ما يؤكد لك أن استخدام أسرة دي مديتشي لهذا اللقب لم يحدث إلا في فلورنسا، وبعد أن صاروا في دوائر سلطتها، كبديل لاسمهم الحقيقي، ووسيلة لحجب أصولهم.

ومرة أخرى، إذا ذهبت إلى دراسة موسوعة ويكيبيديا الإيطالية والإنجليزية معاً، عن جدول نسب أسرة دي مديتشي وأصولها، فستجد أنها بدأته بدكتور باتروني، ووضعت بينه وبين جيامبونو، اسمين آخرين، هما: بونو Bono، وبرنارد Bernard، وجميعها أسماء فقط، دون ترجمة لها أو نبذة عنها، ودون أن تذكر الموسوعتين مصادرهما ومن أين جاءتا بهذه الأسماء[١]، [٢].

فإذا ذهبت إلى الملحق الذي وضعه المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، في نهاية المجلد الأول من كتابه، عن شجرة نسب أسرة دي مديتشي، والذي يقول إنه ينقله عن المحفوظات الملكية الإيطالية، فستجد أنه يبدأ بجيامبونو، ولا يوجد فيه ذكر للأسماء الوهمية التي وضعتها موسوعة ويكيبيديا[٣].

بل وأكثر من ذلك، الكاهن جيامبونو نفسه، لا وجود له في كتاب ميكيافيللي عن تاريخ فلورنسا، ولا في مذكرات فيلينيو دي مديتشي، وأول من ذهب إلى أنه جد أسرة دي مديتشي التاريخي، المؤرخ والنسابة الإيطالي الكونت بومبيو ليتا Pompeo Litta، في سيرته لأسرة دي مديتشي، في كتابه: عائلات إيطاليا المشهورة Famiglie Celebri Italiane، الذي صدر سنة ١٨١٩م، وما ذهب إليه قال إنه فرضية افترضها وليس حقيقة مؤكدة.

---

1) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Tavole Genealogiche della Famiglia Medici.

2) Wikipedia, The free encyclopedia: Genealogical Tables of The House of Medici.

3) The Medici, Vol. I, Appendix II, Geneological Tree of The Medici.

وفي سيرته لأسرة دي مديتشي، وضع بومبيو ليتا جدولاً بشجرة نسب أسرة دي مديتشي، وبدأه بجيامبونو، وقال في النبذة التي كتبها عنه، إنه بنى فرضيته على أن أسرة دي مديتشي كان لها ممتلكات قريبة من كنيسة الكاهن جيامبونو، وأنه وجد أثناء استكشافه للكنيسة بعض النقوش القديمة جداً على جدرانها، فاستنتج منها أن جيامبونو هو أصل أسرة دي مديتشي!

وهذا هو نص عبارة المؤرخ الإيطالي بومبيو ليتا، عن الكاهن جيامبونو، بالإيطالية:

"Giambuono: Non So In Qual' Epoca Vivesse, Ne Con Quali Documenti Costui Sia Qui Registrato Dagli Antiquari Florentini, Che Formarono Gli Alberi Di Casa Medici.

Posso Pero Dire, Che Nel Piviere De S. Pietro A Sieve In Mugello, Ove I Medici Avevano Beni, Vi E Una Chiesa Dell' Assunta, In Un Muro Della Qualle Vedesi Un' Antichissima Iscrizioni De Un Prete Giambuono, Et Si Tiene Per Indubitato, Ch' Egli Sia De Medici.

Mi Guardero Ben Dell' Asserire, Che Da Questo Prete Discenda La Casa Medici".

وهذه هي ترجمتها العربية:

"جيامبونو: لا أعرف في أي فترة كان يعيش، ولا ما هي الوثائق التي تم تسجيله فيها بواسطة مؤرخي فلورنسا القدامى الذين دونوا شجرة نسب أسرة دي مديتشي، ومع ذلك يمكنني أن أقول إنه في أبرشية سان بييترو في سييفي S. Pietro a Sieve، في موجللو، حيث كان لأسرة دي مديتشي بعض الممتلكات، توجد كنيسة انتقال العذراء Assunta [õ]، وعلى أحد جدرانها يمكن أن نرى نقشاً قديماً جداً للكاهن جيامبونو، ويقول

õ) انتقال العذراء Assumption of Mary: لا توجد في الأناجيل أخبار عن حياة السيدة مريم بعد المسيح عليهما السلام، وكيف كانت وفاتها وأين دفنت، وانتقال العذراء عقيدة متأخرة، ظهرت بعد المجامع التي استقرت بها العقائد المسيحية على صورتها الحالية، وحسب هذه العقيدة فإن السيدة مريم انتقلت

فيه إنه مديتشي، وسوف أكون حذراً وأنا أقرر أن أسرة دي مديتشي انحدرت من هذا الكاهن"[1].

فهل تنبهت أن المؤرخ الأمي يخبرك أن اسم الكاهن جيامبونو لا وجود له في أي سجلات أو وثائق، وأنه هو نفسه لا يعرف في أي فترة كان يعيش، وهل كان سابقاً لظهور أسرة دي مديتشي في فلورنسا، أم معاصراً لها، أم جاء بعدها.

وإذا افترضت أن الكاهن جيامبونو كان سابقاً على ظهور أسرة دي مديتشي، فسل المؤرخ الأمي: هل ركب الكاهن جيامبونو آلة الزمان، ورأى الأسرة التي انحدرت منه وقد صارت من أعلام فلورنسا وحكامها، وصار اسمها ألمع الأسماء في أوروبا، لكي يعود إلى كنيسته ويسجل نسبه باسمها فقط؟

وإذا كتب كاهن في القرون الوسطى على جدار كنيسته أنه مديتشي، فهل التفسير الصحيح والأقرب للعقل أنه يقول إنه من أسرة دي مديتشي، التي لم توجد بعدُ، وهو جذرها وجدها، أم أنه يقول إنه مديتشي أي كاهن وطبيب، كما كان جُل الرهبان والقساوسة في القرون الوسطى؟!

وإذا كان الكونت قد فهم فعلاً أن الكاهن كتب على جدار كنيسته أنه مديتشي، للتعريف بأنه من الأطباء أو يمارس الطب، فما الذي جعله يفترض أن أسرة دي مديتشي انحدرت منه، دون أي دليل على أنه توجد بينه وبينها صلة من أي نوع، سوى أن الأسرة كان لها بعض الممتلكات في المدينة التي فيها كنيسة الكاهن، وقد كان لها أملاك في كل مكان من فلورنسا وتوسكانيا؟

بروحها وجسدها إلى السماء، حيث التقت بابنها، وتحتفل الكنائس الكاثوليكية والأثوذكسية بعيد انتقال العذراء في شهر أغسطس، بعد صوم العذراء الذي يستغرق حمسة عشر يوماً.

1) Pompeo Litta: Famiglie Celebri Italiane, Vol. III, Medici di Firenze, Tavola III, Presso P.E. Giusti, Milano, 1819.

وحتى إذا افترضت أن الكاهن جيامبونو هو فعلاً سلف لأسرة دي مديتشي ، فكيف عرف الكونت أنه أبو كياريسمو وبوناجونتا، ولماذ لا يكون جدهم، أو جد جدهم، وهو يقول إنه لا يعرف في أي زمن كان يعيش؟!

وكما ترى، المؤرخ الأمي وجد نقشاً قديماً على جدار كنيسة، يقول فيه كاتبه الكاهن إنه مديتشي، أي يمارس الطب، فبنى فرضية من خياله، أن هذا الكاهن كان أصل أسرة دي مديتشي، التي لا علاقة لها بالطب، ثم جاء من بعده مؤرخون أميون آخرون فنقلوا ما قاله وأذاعوه على أنه حقيقة وليس فرضية، ونقلته عنهم الموسوعات، وهكذا تضيع الحقيقة.

ولعلك تكون قد أدركت أننا نتعمد تعريفك بهذه التفاصيل، عن أصول أسرة دي مديتشي، لكي تكون نموذجاً ترى فيه كيف يتم تزوير الأنساب واختلاقها وإشاعتها، حتى تترسخ في أذهان عموم البشر، وتحل مكان الحقيقة.

والحقيقة هي أن أصول أسرة دي مديتشي مجهولة، وأن تاريخهم قبل أن ينتقلوا إلى فلورنسا ويظهروا فيها غير معروف، رغم أنهم حكموها بضعة قرون، وكان لهم مؤرخون رسميون يعيشون في بلاطهم ويتلقون المعلومات منهم.

وأول من يظهر من أسرة دي مديتشي في تاريخ فلورنسا، كياريسمو دي مديتشي، الذي إذا أسقطت قصة الكاهن جيامبونو، فسيكون شخصاً مجهولاً، لا يُعرف نسبه وأسرته، ولا مَن يكون أبوه وأمه، ولا مِن أين قدم إلى فلورنسا.

تقول المؤرخة جانيت روس، في كتابها: حياة الأوائل من أسرة دي مديتشي:

"وكياريسيمو كان عضواً في المجلس الذي عقد حلفاً مع سيينا Siena، سنة ١٢٠١م"[1].

1) Lives of The Early Medici, P2.

وفي سيرة أسرة دي مديتشي، في قاموس الشخصيات العالمية Dizionario Biografico Universale، وهو بالإيطالية، وطُبع في فلورنسا، بعد ذكر الكاهن جيامبونو ونقشه القديم، أن:

"والوثائق تقول إن كياريسيمو، كان ضمن مجلس فلورنسا الذي عقد سنة ١٢٠١م، تحالفاً مع أهل سيينا Lega Co'Senesi، باسم فلورنسا"[١]،

وما قالته جانيت روس وقاموس الشخصيات العالمية الإيطالي، هو نفسه ما تجده في موسوعة ويكيبيديا، الإنجليزية والإيطالية.

ومرة أخرى، المصدر الوحيد لأنه كان يوجد شخص اسمه كياريسيمو دي مديتشي، وأنه كان أحد الموقعين على معاهدة فلورنسا مع سيينا، أوائل القرن الثالث عشر، هو الكونت بومبيو ليتا، ونقلها عنه كل من جاؤوا بعده من مؤرخين وموسوعات، ولا وجود لهذه المعلومة في أي مصدر قبل بومبيو ليتا وكتابه: عائلات إيطاليا المشهورة، الذي كتبه أوائل القرن التاسع عشر، فلا ذكر لكياريسيمو دي مديتشي في كتاب ميكيافيللي عن تاريخ فلورنسا، ولا في كتاب: عائلات إيطاليا النبيلة Delle Famglie Nobili Florentine، لمؤرخ فلورنسا شيبيوني أميراتو Scipione Ammirato، الذي طُبع في فلورنسا، سنة ١٦١٥م، في عهد كوسيمو دي مديتشي الثاني Cosimo II، دوق توسكانيا الكبير، وأهداه أميراتو له، وسجل فيه سيرة أسرة دي مديتشي في أجيالها المختلفة منذ ظهروا في فلورنسا[٢].

وكذلك لا ذكر لكياريسيمو، في المؤلفات الأكاديمية الحديثة عن تاريخ فلورنسا، فلم يذكره مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي، في كتابه: نقابات فلورنسا، رغم أنه أشار إلى معاهدة فلورنسا مع سيينا أوائل القرن الثالث عشر، وإلى أن الموقعين عليها كانوا من التجار

---

1) David Passigli, Tipografo-Editore: Dizionario Biografico Universale, P1047, Ferinzi, MDCCCXLIX/1849.

2) Scipione Ammirato: Famglie Nobili Florentine, Apprefso Gio: Donato, e Bernardino Giunti & Compagni, In Ferinze, MDCXV/1615.

وأصحاب البنوك، وكذلك لم يذكره مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه في جامعة كورنيل الأمريكية، جون ناجمي، في كتابه: تاريخ فلورنسا.

وإذا رجعت إلى شجرة نسب أسرة دي مديتشي، التي وضعها بومبيو ليتا في كتابه، فستجده يقول إن الكاهن جيامبونو، الذي افترض أنه أصل أسرة دي مديتشي، أنجب ابنين، كياريسيمو وبوناجونتا، فأما بوناجونتا فقد وضع اسمه، دون أن يذكر عنه أي شئ، لا أين وجده، ولا كيف علم أنه كان أخاً لكياريسيمو.

وأما كياريسيمو، فهذه هي النبذة التي كتبها عنه بومبيو ليتا، والتي نقلها عنه كل من جاؤوا بعده:

"Chiarissimo: Uno Di Coloro,Che Nel 1201 Giurarono Una Lega Co' Sanesi In Nom De Fiorentini.

Questa Si Conchiudeva Da Fiorentini, Onde Vie Meglio Porsi In Grado Di Sottommettere Semifonte Terra Di Valdelsa, Che Si Era Ribellata Al Feudatario Alberto Degli Alberti, Il Quale Nel 1199 Ne Aveva Cedoto Le Ragioni Alla Repubblica Di Ferinze".

وترجمتها:

"كياريسيمو: أحد الذين عقدوا تحالفاُ مع سيينا، باسم فلورنسا، سنة ١٢٠١م، من أجل تقوية وضع فلورنسا أمام سيمِفونتي Semifonte، في فالديسا Valdelsa، التي تمردت على اللورد الإقطاعي ألبرتو ديلي ألبرتي Alberto Degli Alberti، الذي تنازل، سنة ١١٩٩م، عن بعض أراضيها لفلورنسا"[١].

فليس الكاهن جيامبونو فقط هو الذي لا سيرة له ولا ذكر قبل الكونت بومبيو ليتا، بل وأيضاً الأجيال الأولى كلها من الأسرة، لا ذكر لهم في أي مصدر تاريخي قبل الكونت

---

1) Famiglie Celebri Italiane, Vol. III, Medici di Firenze, Tavola III.

وكتابه، وأول فرد من أسرة دي ميدتشي، يرد ذكره في كتاب ميكيافيللي: تاريخ فلورنسا، وهو أقرب المصادر لأسرة دي مديتشي وأصولها، هو سَلِفسترو دي مديتشي، الذي كان، كما علمتَ، قائد العدالة في فلورنسا، وأحد رؤوس ثورة السيومبي/العمال، سنة ١٣٧٨م، والذي صارت إليه عوائد المحلات المطلة على جسر فلورنسا بعد نجاح الثورة[1].

فهذه واحدة، والثانية أنه إذا صح ما قاله الكونت بومبيو ليتا، من أن كياريسيمو كان أحد الموقعين على معاهدة فلورنسا مع سيينا، أوائل القرن الثالث عشر، فارجع إلى ما نقلناه لك، عن مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي، في كتابه: نقابات فلورنسا، والذي ألفه من سجلات فلورنسا الرسمية، وسوف تجد أن الموقعين على هذه المعاهدة، كانوا: "**قناصل النقابات الكبرى من التجار وأصحاب البنوك**"، وقد أصبحوا هم أنفسهم أعضاء المجلس الحاكم لفلورنسا، وهو ما يعني أن كياريسيمو، أول من يظهر من أسرة دي مديتشي في فلورنسا، طبقاً لشجرة نسب الكونت بومبيو ليتا، قدم إليها وهو من كبار التجار وأصحاب بيوت المال، ثم كان من بين هؤلاء التجار والمرابين الذين أسسوا النقابات، بين سنة ١١٩٠م وسنة ١١٩٧م، وصاروا رؤساءها.

وهو أيضاً ما يتنافى معه أن يكون أبو كياريسيمو مجرد كاهن في كنيسة في بلدة صغيرة نائية، كتب على جدرانها عبارة يعرف روادها أنه يمارس الطب.

وإليك الآن تفسير المؤرخ البريطاني وليم روسكو William Roscoe، في كتابه: حياة لونزو دي مديتشي الملقب بالعظيم The Life of Lorenzo de Medici Called The Magnificent، لما اختلقه المؤرخون والنسابة لأسرة دي مديتشي من أصول وسير لا أصل لها:

"**أسرة دي مديتشي كانت لفترات طويلة واحدة من أكثر الأسر نفوذاً ومنزلة في فلورنسا، وبعض المؤلفين مدوا أصولها حتى عصر شارلمان Charlemagne، ولكن ينبغي أن**

1) Niccolò dei Machiavelli: History of Florence, P121, 132, 136.

يؤخذ في الاعتبار أن هؤلاء النسابة Genealogies، كانوا نتاج الأزمنة اللاحقة، التي صعدت فيها هذه الأسرة إلى موقع السلطة والسيادة العليا في فلورنسا، مما جعل من الضروري غرس فكرة عراقة الأسرة في أذهان عموم الناس"[1].

أما تفسيرنا نحن لهذا الغموض الذي يحيط بأصول أسرة دي مديتشي، وطمس كل ما يتصل بتاريخها، قبل أن تظهر في فلورنسا، فهو ما أخبرناك به من قبل عن سلوك أصحاب بيوت المال والمرابين اليهود، وهم يتنقلون بين مدن إيطاليا وبلداتها، ويخفون هوياتهم، ويطمسون أصولهم، فهاك هو مرة أخرى:

"**كل ما يقابلك من سيرة المرابين وسلوكهم، وجُلهم في أوروبا عموماً وفي إيطاليا خصوصاً، كما علمت تفصيلاً، كانوا من اليهود، يخبرك بشئ واحد، هو وجود طائفة تسعى إلى كنز الأموال وحيازة الثروات، لكي تكون وسيلتها في السيطرة على جميع المجتمعات، وفي التسلل إلى المواقع التي تمكنها من التحكم في صبغتها وسماتها، وتحويل مسارها واتجاه حركتها نحو غايتها، وهذه الطائفة تفعل ذلك وهي تتعمد تضليل من تفترض أنه سيتتبعها، فتموه نفسها وتخفي هويتها وتطمس أي أثر يدل عليها، أو يكشف الروابط بينها، لكي لا يفطن أحد إلى ما يريدونه وما يدبرونه**".

وفي أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة هارفارد، وكان عنوانها: مكافحة الربا، طرد مقرضي الأموال من أوروبا في العصور الوسطى من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٤٥٠م، يقول دكتور روان وليم دورين، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة ستانفورد الأمريكية:

""**من بين آلاف السجلات والتقارير عن أنشطة مقرضي الأموال وتحركاتهم، أواخر العصور الوسطى، فإن كل ما يتعلق بهوية هؤلاء المقرضين وعالمهم الخاص غامض ومطموس، فسجلات أعمالهم فُقدت أو دُمرت، ويومياتهم ومراسلاتهم مع عائلاتهم لا وجود**

---

1) William Roscoe: The Life of Lorenzo de Medici Called The Magnificent, P52, Tenth Edition, George Bell & Sons, London, 1902.

لها، واختفاء كثير من سجلات المقرضين الخاصة، تفسيره، كما يقول البروفسور ريناتو بوردوني Renato Bordone، في دراسته: عائلات لومبارديا وألمانيا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر: "أن مقرضي الأموال كانوا يوظفون ثرواتهم في شراء ما يفتح لهم طريق الانتساب إلى طبقة النبلاء في المناطق التي يوجدون فيها، وقد قام هؤلاء المقرضون والنبلاء الذين انحدروا منهم، بتدمير سجلاتهم العائلية، لكي يخفوا أي أثر يدل على أصولهم وانتمائهم لطبقة التجار"(١).

ويقول المؤرخ اليهودي الأمريكي، وأستاذ التاريخ في جامعة شيكاغو، موشيه شولفاس، في كتابه: اليهود في عالم عصر النهضة:

"في هذه الحقبة، كان يهود إيطاليا يستمدون حياتهم من الربا وبيوت الرهونات وإقراض الأموال، وعدد كبير منهم، من الرجال والنساء على السواء، تحولوا إلى المسيحية، وكان الدافع الرئيسي لهؤلاء المتحولين، رغبتهم في الانتماء إلى الطبقات العليا من الأميين، والزواج منهم، ولا توجد أدلة على أنهم تعرضوا لضغوط أجبرتهم على هذا التحول، وقد صاروا مثل الطبقات العليا المسيحية، واتجهوا إلى تذوق الآداب والفنون ورعايتها"(٢).

ويقول المؤرخ اليهودي البريطاني سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"وفي العديد من المدن، إلى جانب اليهود الصرحاء Open And Declared Jews، كان يوجد كثير من المتعمدين الجدد، الذين ظلوا هم وأنسالهم يحتفظون سراُ بعقيدة آبائهم، ويمارسون طقوسها، وكان أغلبهم من التجار"(٣).

---

1) Rowan William Dorin: Banishing Usury The Expulsion of Foreign Moneylenders In Medieval Europe, 1200-1450, P36.
2) The Jews in The World of The Renaissance, P210.
3) The History of Jews of Italy, P269-270.

روتشيلد عصر النهضة

والآن إلى بنك أسرة دي مديتشي، وهو مصدر قوتها الحقيقي، والذي صعد بها إلى حكم فلورنسا، ووضع مقاليدها ومقاليد ايطاليا والكنيسة وأوروبا كلها بين ايديها، وبه وبأموالها استقطبت النابهين، وأعادت تربيتهم وتكوين أذهانهم ونفوسهم بالمزيج القبالي العلماني المنحل، ليكونوا أداة بثه في العلوم والآداب والفنون، وسريانه في المجتمعات، واختراقه لوعي عموم البشر، وتغيير مسار أوروبا وموازينها، من خلال ما ينتجونه من أعمال في مختلف المجالات.

في كتابه: ازدهار بنك دي مديتشي وانهياره The Rise And Decline of The Medici Bank، يقول مؤرخ العصور الوسطى وأستاذ تاريخها في جامعة نيويورك، وفي أكاديمية العصور الوسطى في الولايات المتحدة Mediaeval Academy، البلجيكي الأمريكي ريموند دي روفر Raymond de Roover، وهو متخصص في اقتصاد العصور الوسطى، وأول من صاغ مصطلح الثورة التجارية، لوصف ازدهار التجارة وبيوت المال والبنوك في إيطاليا، أواخر العصور الوسطى، وعلى تخوم عصر النهضة، يقول دي روفر:

"أسرة دي مديتشي مشهورة في التاريخ، بسبب دورها في عصر النهضة، كقادة سياسيين، ورعاة للآداب والفنون، ولكن أنشطتهم كتجار وأصحاب بنوك، لم تحظ بنفس الدرجة من الاهتمام، رغم أن القوة الاقتصادية هي التي مكنت أسرة دي ميدتشي من حيازة السلطة السياسية To Seize Political Power، وهي التي أمدتهم بالثروة التي مولوا بها الكُتاب والفنانين، وجمعوا بها الكتب وأقاموا المكتبة العظيمة، وبعثوا النزعة الإنسانية، وأنفقوا مبالغ طائلة على تزيين القصور والكنائس"[1].

---

1) Raymond de Roover: The Rise And Decline of The Medici Bank, P5, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, 1963.

ويقول المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، في تاريخه لأسرة دي مديتشي:

"ومكانة أسرة دي مديتشي المحورية في التاريخ، تجعل سيرتها هي سيرة أوروبا كلها، وبخصوص رعايتهم للتعليم والفنون، لا يوجد حكام في تاريخ النوع الإنساني، يمكن أن يقتربوا من دي مديتشي في هذا الجانب، فهم روتشيلد زمانهم Rothschilds of Their Time، وقد أنفقوا ببذخ من ثروتهم الطائلة على إحياء التعليم وتشجيع الفنون، ومسوا حياة البشر من جميع جوانبها"[1].

فأولاً، لا تدع أغاني الأميين تخدعك وتذهلك عن الحق ورؤية الحقيقة، فالمسار الذي شقته أسرة دي مديتشي بأموالها، وصنعته بالتعليم والآداب والفنون المروية بالقبالاه والوثنية، هو نفسه المسار الذي وصل باليهود إلى ركوب الدول والمجتمعات في الغرب، وإقامة الدولة البني إسرائيلية في الشرق.

وثانياً، المؤرخ البريطاني، كما ترى، قد مس دون ان يدري حقيقة أسرة دي مديتشي، ولم يجد قريناً لها في توجهاتها وآثارها وما تنفق فيه أموالها سوى أسرة روتشيلد، ولكن لأنه مثل كل الأميين، يحكم على الأشخاص والأشياء والأحداث والأفكار بعناوينها والشعارات التي ترفع فوقها، وليس بفحواها وحقيقتها، فلم يفطن أن هؤلاء بالضبط كأولئك، والفرق بينهما في الغلاف فقط.

ولأن دي مديتشي أخفياء، وروتشيلد يهود صرحاء، فعبارة جورج فريدريك يونج تحتاج إلى تعديل وتصحيح، فأسرة دي مديتشي هي في الحقيقة روكفِلر زمانها، وليس روتشيلد.

وبنك دي مديتشي Banco dei Medici، أسسه سنة ١٣٩٧م، جيوفاني بيتشي دي مديتشي Giovanni di Bicci de’ Medici، وهو أيضاً بداية الفرع الحاكم لفلورنسا وتوسكانيا من أسرة دي مديتشي، وهو الفرع الذي فجر ينابيع القبالاه وأطلقها في إيطاليا وأوروبا.

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P14-15.

وجيوفاني ولد سنة ١٣٦٠م، وأبوه، أفيراردو دي مديتشي Averardo de’ Medici، شخصية مجهولة، ولم يذكره ميكيافيللي في كتابه: تاريخ فلورنسا، وليس له سيرة في كتاب الكونت بومبيو ليتا: عائلات إيطاليا المشهورة، ولا عند كل من نقلوا عنه من مؤرخين وموسوعات، سوى أنه:

"كان معروفاً باسم بيتشي Comunemente detto Bicci"[١].

وكذلك جد جيوفاني، سلِفسترو دي مديتشي، هو الآخر مجهول، ولم يذكره ميكيافيللي في كتابه، ولم يذكر الكونت بومبيو ليتا عنه أي شيء سوى اسمه فقط.

أما سلِفسترو دي مديتشي، قائد العدالة، وأحد قادة ثورة السيومبي/العمال، سنة ١٣٧٨م، فهو ابن عم جيوفاني دي مديتشي.

وبنك دي مديتشي، أصوله، وكيف تأسس، ومن أين أتى جيوفاني دي مديتشي برأس المال الذي أسسه به، كلها مسائل غامضة، مثل من أسسوه.

يقول البروفسور ريموند دي روفر، في كتابه: ازدهار بنك دي مديتشي وانهياره:

"إلى وقت قريب، كان المؤرخون في حيرة، ولا يستطيعون تفسير الظهور المفاجئ لبنك دي مديتشي ، كأحد البيوت البنكية الكبرى، أوائل القرن الخامس عشر، إذ لم يثبت أن أحداً من سلف جيوفاني دي مديتشي المباشرين كان من رجال البنوك، أو عضواً في نقابة البنوك في فلورنسا Arte del Cambio، وثروتهم لم تكن كبيرة، وكانوا يستثمرونها في شراء الممتلكات في المناطق الريفية في موجللو، ولا توجد أي إشارة إلى أن أفيراردو، أبو جيوفاني، كان رجل أعمال بارزاً، أو حتى متوسطاً، وعندما مات، سنة ١٣٦٣م، ترك مبلغاً من المال تم تقسيمه بين أبنائه الخمسة، وكان جيوفاني أحدهم"[٢].

---

1) Famiglie Celebri Italiane, Vol. III, Medici di Firenze, Tavola III.
2) The Rise And Decline of The Medici Bank, P35.

وهذا هو تفسير دي روفر، للطريقة التي حاز بها جيوفاني دي مديتشي الأموال وأسس البنك:

"لم ينتبه المؤرخون إلى فييري كامبيو دي مديتشي Vieri di Cambio de Medici، أحد الأقارب البعيدين لجيوفاني، واسمه كان مسجلاً سنة ١٣٤٨م كأحد أعضاء نقابة البنوك، وفي سنة ١٣٦٩م أصبح بنك فييري دي مديتشي وشركاه Vieri di Cambio de Medici & Co، من البنوك الكبرى في فلورنسا، ثم صار له فرع في روما، وآخر في فينيسيا، وثالث في جنوة، ولا شك أن البنك الذي أسسه جيوفاني دي مديتشي كان امتداداً لبنك فييري، وجيوفاني وأخوه الأكبر فرانشيسكو Francesco، انضموا للعمل في بنك فييري، وبدأوا فيه كمتدربين، ثم صاروا وكلاء للبنك، فشركاء فيه، وفي سنة ١٣٨٦م، أصبح جيوفاني شريكاً في فرع روما، وصار اسمه بنك فييري وجيوفاني دي مديتشي في روما Vieri e Giovanni de' Medici In Roma، كما يتضح من خمسة خطابات في سجلات شركة داتيني Datini، أرسلها جيوفاني إلى الشركة، وفي سنة ١٣٩٣م، انتهت الشركة بين فييري وجيوفاني، غالباً بسبب اعتلال صحة فييري، وتحول بنك روما، كما يظهر من وثائق شركة داتيني، إلى شركة جيوفاني دي مديتشي في روما Giovanni de' Medici e Compagni In Roma، وكان مع جيوفاني شريك صغير، هو ليباشيو دي باردي Lippaccio de' Bardi، الذي أصبح بعد ذلك مدير بنك دي مديتشي ، وفي الوقت نفسه أسس أخو جيوفاني، فرانشيسكو، بنكاً آخر باسم ابنه أفيراردو، وكانت العلاقة بين البنكين قائمة على التعاون وليس التنافس، وفي سنة ١٣٩٧م نقل جيوفاني مقر بنكه إلى فلورنسا، ولذا يُعد هذا هو تاريخ تأسيس بنك دي مديتشي "[١].

وكان جيوفاني دي مديتشي قد أصبح، منذ سنة ١٣٨٦م، عضواً في نقابتين من نقابات فلورنسا، نقابة البنوك والصيارفة، ونقابة تجار الصوف والمنسوجات الصوفية، وبعد نقل مقر

---

1) The Rise And Decline of The Medici Bank, P36-38.

بنكه الرئيسي إلى فلورنسا، انتخبته نقابة البنوك والصيارفة، سنة ١٤٠٢م، رئيساً وممثلاً لها في مجلس السيادة الحاكم لفلورنسا، وفي سنة١٤٢١م، انتخب قائد العدالة في فلورنسا[١].

وإبان ذلك، أسس جيوفاني دي مديتشي، سنة ١٤٠٠م، فرعاً للبنك في جيته Gaeta، شمال روما، ثم أرسل وكيلاً عنه، سنة ١٤٠٢م، لتأسيس فرع في فينيسيا، وفي سنة ١٤٠٨م، تم تأسيس فرع نابولي، ثم فرع جنيف في سويسرا، وليون في فرنسا، سنة ١٣١٥م[٢].

وفي سنة ١٤٢٩م، مات جيوفاني دي مديتشي، وكانت ثروته عند موته، كما يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي:

"**١٧٩,٢٢١، مائة وتسعة وسبعون ألفاً ومائتان وواحد وعشرون فلورين ذهبي**"[٣].

فإذا تذكرت أن وزن الفلورين كان ٣,٤٨ جم من الذهب الخالص، تكون قد علمتَ أن ثروة جيوفاني مديتشي عند وفاته، كانت حوالي ٦٢٢ كيلو جرام من الذهب، بخلاف القصور والضيع والمحلات والمصانع.

وسوف تدرك حجم هذه الثروة في زمانها، إذا علمتَ أن متوسط دخل التاج الإنجليزي السنوي خلال القرن الخامس عشر، كان ٣٣,٠٠٠ جنيه إسترليني، والجنيه الإسترليني يساوي ١٧٢,٦ جرامات من الفضة، و١٥,٤٧ جراماً من الذهب، أي أن دخل مملكة انجلترا كان حوالي ٥١٠ كيلو جرامات من الذهب.

وفي عهد ابن جيوفاني، كوسيمو دي مديتشي، ومع ما صار له من نفوذ سياسي في فلورنسا، تم تأسيس فروع لبنك دي مديتشي في بيزا وميلان في إيطاليا، وفي بروج في إقليم فلاندرز شمال أوروبا، وفي لندن، وفي أفينيون في فرنسا، وصار البنك أكبر مجموعة بنكية في أوروبا كلها، وأصبحت أسرة دي مديتشي أغنى أسرة فيها.

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P32, 46.
2) The Rise And Decline of The Medici Bank, P41, 43.
3) The Guilds of Florence, P194.

وفـي عهـد لـورنزو العظـيم، بلـغ مـن شـهرة بنـك دي مديتشـي وصـيته، أنـه بعـد نزاعـات انخرطت فيها عدة ممالك وإمارات في أوروبا، غزا إدوارد الرابـع Edward IV، ملك انجلترا، فرنسا، سنة ١٣٧٥م، ثم:

"وقـع إدوارد الرابـع مـع ملـك فرنسـا، لـويس الحـادي عشـر Louis XI، معاهـدة بكـويني Picquigny، ووافق فيها على الانسحاب من فرنسا، في مقابل أن يدفع لـه لويس الحادي عشر ٥٠,٠٠٠ كراون Crown[õ] سنوياً، واشترط في المعاهدة أن يكون بنك دي مديتشي شريكاً لملك فرنسا لضمان انتظام السداد"[١].

ورغم أن مقر بنك دي مديتشي الرئيسـي كان فـي فلورنسا، وتم تأسيس فروع عديدة لـه في مدن إيطاليا وأوروبا، ظل فرع البنك في روما هو المصدر الأساسي لجمع الأموال، وتمويل المقر الرئيسي، حيث يتم إرسال الأموال إلى فلورنسا لتوظيفها في أسواق المال والتجارة الدولية فـي فلورنسـا وفـي أوروبـا كلهـا، وبهـذه الأمـوال سـيطر جيوفـاني وابنـه كوسـيمو علـى صـناعة منسوجات الصوف والحرير في فلورنسا، وعلى تجارتها الدولية.

يقول أستاذ تـاريخ عصـر النهضـة، ريتشـارد جولـدث ويـت، فـي كتابـه: اقتصـاد فلورنسـا فـي عصـر النهضـة:

"بين سنة ١٤٢٠م، وسنة ١٤٣٥م، كان فرع روما يجلب ٦٣% من أرباح هذه الشركة الدوليـة العملاقـة، وكـان مصـدراً كبيـراً لتمويـل الفـروع الأخـرى Major Source of Credit"[٢].

وهـذا هـو الجـدول الـذي أورده أسـتاذ اقتصـاد عصـر النهضـة، ريمونـد دي روفـر، لأربـاح الفروع المختلفة من بنك دي مديتشي، بين سنة ١٤٢٠م، وسنة ١٤٣٥م[١].

õ) **الكراون Crown: عملة إنجليزية، وزنها ٣٠,٧ جراماً من الفضة.**

1) The History And Principles of Banking, P8.
2) The Economy of Renaissance Florence, P250.

الفرع	الأرباح بالفلورين الذهبي	النسبة من الإجمالي
فلورنسا	١٧,٨٢٣	%٩,٥
روما	١١٧,٠٣٧	%٦٢,٨
جنيف	٢٠,٦٠٥	%١١,١
فينيسيا	٢٤,٤٥٣	%١٣,١
نابولي	٦٨٤	%٠,٤
إجمالي أرباح البنوك	١٨٠,٦٠٤	%٩٦,٩
أرباح تجارة الصوف	٥,٧٧٧	%٣,١
الإجمالي	١٨٦,٣٨٢	%١٠٠

وأرباح فرع بنك دي مديتشي في روما، التي هي ثلثا أرباح البنك بكل فروعه، كانت من إقراض الكنيسة وباباواتها وكرادلتها، في مقابل إدارة مواردها وتحصيلها في أوروبا، وإيداع الكنيسة والبابوية لأموالها في البنك، فكان البنك يقرض الكنيسة من أرباح تحصيل مواردها، ومن استثماره لودائعها في فروعه الأخرى!

فلن تعجب إذا أخبرك مؤرخ اقتصاد عصر النهضة، دي روفر، أن هذا هو رأس مال بنك دي مديتشي فرع روما:

"**بنك دي مديتشي، فرع البلاط البابوي، لم يكن له رأس مال Having No Capital، وكانت الودائع هي مصدر موارده المالية**"[٢].

وهو ما يؤكد لك الباحثان الاقتصاديان جون بادجيت John Padgett، وباول مكلين Paul McLean، في دراستهما الأكاديمية الصادرة عن جامعة إلينوي الجنوبية Southern

---

1) The Rise And Decline of The Medici Bank, P55.
2) The Rise And Decline of The Medici Bank, P106.

Illinois، وعنوانها: التمويل والائتمان في فلورنسا عصر النهضة Economic Credit In Renaissance Florence، يقولان:

"وكان فرع بنك دي مديتشي في روما، أكبر دائن، ويملك أكبر قدر من الديون، بين شركات فلورنسا، رغم أن رأس ماله الذي بدأ به صفر Its Startup Capital Was Zero"[١]!

ومنذ سنة ١٤١٠م:

"أصبح اسم فرع روما، في سجلات البنك، فرع البلاط البابوي La Ragione Che Segue La Corte"[٢].

وكانت الكنيسة لها موارد وعوائد في كل مكان في أوروبا، من إقطاعياتها والإقطاعيين التابعين لها، ومن الأمراء والنبلاء، ومن رسوم الحج إلى الكاتدرائيات والأماكن المقدسة في روما وإيطاليا، ومختلف بلدان أوروبا، وكان تحصيل هذه العوائد عسيراً على الكنيسة وأساقفتها وأجهزتها الإدارية، لبعد المسافات وصعوبة التنقل بين البلدان، ومخاطر نقل كميات كبيرة من الأموال، فكانت تعهد إلى أحد البنوك أن يقوم بهذه المهمة، في مقابل نسبة من العوائد، وكان بنك سبيني Spini، في فلورنسا، هو الذي يقوم بهذه المهمة، ثم:

"في سنة ١٤١٠م، أزال كوسَّا Cossa، دوفو سبيني Doffo Spini، من إدارة الودائع البابوية، وأحل مكانه اثنين آخرين من فلورنسا أيضاً، وهما جيوفاني دي مديتشي، وابن أخيه، أفيراردو دي مديتشي"[٣].

---

1) John Padget And Paul McLean: Economic Credit in Renaissance Florence, P8, Working Papers, Southern Illinois University, Paper 9, 2009.
2) The Rise And Decline of The Medici Bank, P194.
3) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P263.

وبلدساري كوسا Baldassarre Cossa، الذي أدخل أسرة دي مديتشي وبنكها إلى الخزانة البابوية، ووضعها بين أيديهم، هو البابا المنشق جيوفاني/يوحنا الثالث والعشرين Giovanni XXIII، وكان قد صار كاردينالاً بالرشوة، والذي أمده بها ثم صعد به إلى العرش البابوي، هو جيوفاني دي مديتشي، كما ستعرف بعد قليل.

وكان المسؤول الأول عن شؤون الخزانة البابوية، أحد الكاردينالات، يتلوه مدير الخزانة، أو المسؤول المالي عنها، وبعد أن عهد البابا المنشق يوحنا الثالث والعشرين إلى بنك دي مديتشي روما بإدارة موارد الكنيسة، وإيداع عوائدها فيه:

"**أصبح مدير فرع بنك دي مديتشي في روما، هو نفسه مدير الخزانة البابوية، وفي عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين، كان في هذا المنصب ماتيو باروتشي Matteo Barucci، وظل فيه إلى سنة ١٤٢٠م، وتلاه بارتلوميو دي باردي Bartolomeo de' Bardi، حتى سنة ١٤٢٩م، ثم أنتونيو ساليوتي دا بيشا Antonio Salutati da Pescia، حتى سنة ١٤٣٥م، ثم .....**"[1].

ورغم أن بنك البلاط البابوي، كان بنك دي مديتشي فرع روما، إلا أن مقره كان يتغير، ويتحرك من مدينة إلى أخرى، مع حركة العرش البابوي وبلاطه ومجلس كاردينالاته، إبان الانشقاق الكبير والاضطرابات في الكنيسة الكاثوليكية، فانتقل مقر البنك عدة مرات بين روما وبولونيا وفلورنسا وفيرارا وسانتا ماريا نوفيللا Santa Maria Novella.

ولأن بنك دي مديتشي فرع روما، صار بنك الكنيسة والبابا، ومديره هو مدير الخزانة البابوية:

"**انهمرت الودائع على البنك، وكان له سجلات سرية Libro Segreto، لتسجيل أسماء العملاء البارزين، مثل الكاردينالات والأمراء والمسؤولين الكبار، الذين يرغبون في إبقاء**

---

1) The Rise And Decline of The Medici Bank, P198.

استثماراتهم سرية، للأسباب نفسها التي يضع الحكام والسياسيون اليوم من أجلها أموالهم في حسابات سرية في البنوك السويسرية"[1].

ولأن وكلاء البنك وفروعه في كل مكان من أوروبا، صاروا ممثلي البابا والكنيسة، وينوبون عنه في جمع العوائد السنوية:

"**وظف البنك نفوذه في البلاط البابوي، في اكتساب النفوذ في أوروبا، ولم يكن وكلاؤه يترددون في تقديم الرشوة To Bribe، من أجل ذلك، كما قام البنك بتمويل الأمراء في حروبهم ضد الأتراك، وفي قمع ما يواجهونه من اضطرابات وتمرد وحركات مهرطقة"**[2].

ومن جهة أخرى، ورغم مواردها، كانت الكنيسة في حاجة متزايدة إلى المال، بسبب زيادة نفقات المقر البابوي، والكاردينالات والأساقفة والموظفين، ونفقات سفاراتها ومبعوثيها، والحروب التي تتحالف فيها مع مناصريها من الملوك والأمراء ضد مخالفيها، وبسبب نزعة البذخ والإسراف التي بدأت تسري فيها، فكانت في أوقات أزماتها تقترض من بنك دي مديتشي، ولكن لأن هذه هي الكنيسة، ولا يمكن تسجيل فائدة على القرض في حساباتها، وهي تحرم الإقراض بفائدة على المسيحيين، وأسرة دي مديتشي ذات غلاف مسيحي:

"**بسبب تحريمها للربا، كان بنك دي مديتشي يعوض ذلك بأرباحه من عوائد الكنيسة، وباحتكار توريد الحرير والمنسوجات والمجوهرات والكماليات الأخرى إلى الكنيسة والبابا، بأسعار زائدة ومبالغ فيها Medici Overcharged The Pope"**[3].

---

1) The Rise And Decline of The Medici Bank, P46.
2) The Rise And Decline of The Medici Bank, P201.
3) The Rise And Decline of The Medici Bank, P194, 199.

دي مديتشي والبابا القرصان

والآن إليك نبذة عن الانشقاق الكبير في الكنيسة الكاثوليكية Great Schism، والبابا المنشق يوحنا الثالث والعشرين، وهما الشق الذي دخلت أسرة دي مديتشي من خلاله إلى الخزانة البابوية.

في نوفمبر سنة ١٣٠٢م، وبعد اعتقال ملك فرنسا فيليب الرابع Philippe IV، لأسقف باميبه Pamiers، أصدر البابا بونيفاتيوس/بونيفيسيوس الثامن Bonifatius VIII، مرسوماً بابوياً، اسمه: المقدس واحد Unam Sanctam، يقول فيه إن البابا له الرئاسة العليا على العالم المسيحي روحياً ودنيوياً، فرد عليه الملك فيليب الرابع، ببيان قال فيه إنه ليس تابعاً لأحد في ما يخص شؤون مملكته، فأصدر البابا مرسوم خلاص العالم Salvator Mundi، وفيه قال إنه لا خلاص لأي أحد إلا بطاعته، حتى لو كان من الملوك، وأوقف الامتيازات التي كان البابوات السابقون قد منحوها لملوك فرنسا، وطالب الملكَ فيليب الرابع بالمثول أمام المجلس البابوي.

وانحاز عدد من أمراء المدن الإيطالية المتحالفين مع ملك فرنسا إليه في موقفه من البابا، وقبل أن يعقد البابا مجلساً لمحاكمتهم مع ملك فرنسا، غزت قواتهم بلدة البابا أنياني Anagni، وسط إيطاليا، واعتقلت البابا بونيفيسيوس الثامن، ثم أطلقته بعد ثلاثة أيام بسبب هياج العوام الغاضبين واحتشادهم في كل مكان، وخرج البابا بونيفيسيوس الثامن من الأزمة مريضاً، ومات بعدها ببضعة أسابيع، وخلفه البابا بنديكتوس/بنديكت الحادي عشر Benedictus XI، ومات هو الآخر بعد بضعة أشهر، فخلفه البابا كليمنس/كليمنت الخامس Clemens، وهو الفرنسي برتران دي جوت Bertrand de Got، وكان قبلها أسقف بوردو، وصديق الملك فيليب الرابع.

وبعد أن اعتلى عرش الكنيسة الكاثوليكية، سنة ١٣٠٥م، نقل البابا كليمنت الخامس مقر الكنيسة وبلاط البابوية والكاردينالات، إلى أفينيون Avignon، جنوب فرنسا، وظل مقر

الكنيسة والبابوية في أفينيون، إلى سنة ١٣٧٦م، وخلال هذه الفترة تعاقب على عرش الكنيسة بعد كليمنت الخامس ستة بابوات آخرين، وكانوا جميعاً من الفرنسيين، وتعرف هذه الفترة في تاريخ الكنيسة ببابوية أفينيون Avignon Papacy(١).

في كتابه: تاريخ البابوات من نهاية العصور الوسطى من سجلات الفاتيكان السرية The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican، يقول لودفيج فون باستور Ludwig Von Pastor، أستاذ التاريخ في جامعة إنسبروك النمساوية Innsbruck، ومدير معهد التاريخ الروماني Istituti Storici Romani، في روما، وهو المعهد المختص بحفظ أرشيف الفاتيكان ودراساته، يقول باستور إنه في سبتمبر سنة ١٣٧٦م، قرر آخر بابوات أفينيون، البابا جريجوريوس/جريجوري الحادي عشر Gregorius XI، بعد أن عقد مجمعاً مغلقاً مع الكرادلة، أن يعيد البابوية إلى روما، وبعد أن وصل إلى روما فعلاً، مات في شهر مارس سنة ١٣٧٨م، قبل أن يستكمل الإجراءات الرسمية لإعادة البابوية إليها.

وبعد موته:

"تحت ضغط عموم الناس في روما، لرغبتهم في إنهاء سيطرة الفرنسيين على البابوية، وتنصيب بابا روماني، عقد مجلس الكاردينالات، مجمعاً مغلقاً Conclave، في ٨ أبريل سنة ١٣٧٨م، وكان المجلس يتكون من ١٦ كاردينالاً، أربعة من إيطاليا، وخمسة من فرنسا، وسبعة من ليموج Limoges"، وهي تابعة لفرنسا، وظلت حشود غفيرة من العوام تحاصر المجمع، إلى أن أعلن مجلس الكاردينالات انتخاب الإيطالي بارتلوميو برنيانو

1) P. N. R. Zutshi: Avignon Papacy, In: The New Cambridge Medieval History, Vol. VI, 1300-1415, P653-654, Edited by: Michael Jones, Cambridge University Press, 2000.

Bartolomeo Prignano، أسقف باري Bari، ليصبح البابا أوربانوس/أوربان السادس Urbanus VI"[١].

وبعد هدوء العوام، وبسبب تحالف البابا أوربان السادس مع يوانًّا ملكة نابولي Queen Joanna، وعمله على استقلال الكنيسة عن سياسات فرنسا، حرَّض ملك فرنسا شارل الخامس Charles V كاردينالات فرنسا وليموج على خلعه، ووعدهم بدعمهم بجيشه، ثم:

"**في يوم ٩ أغسطس ١٣٧٨م، اجتمع ثلاثة عشر كاردينالاً، في بلدة أنياني، وأصدروا بياناً بعدم شرعية انتخاب البابا أوربان السادس، لأنه كان تحت ضغط العوام الرومان، وأن الكرسي الرسولي قد صار شاغراً، وفي يوم ٢٠ سبتمبر أعلنوا للعالم المندهش أنهم انتخبوا روبير دي جنيف Robert de Genève، أسقف كومبراي Cambrai، في فرنسا، ليكون البابا كليمنت السابع Clement VII، وأنه الآن البابا الحقيقي**"[٢].

وبعد انتخابه، عاد كليمنت السابع إلى أفينيون، ليتخذ منها مقره البابوي، وبذلك أصبحت الكنيسة كنيستين وباباويتين، إحداهما في روما، والثانية في أفينيون، وانقسمت ممالك أوروبا وإماراتها بينهما، فاعترفت بكنيسة روما وبابوية أوربان السادس، الإمبراطورية الرومانية المقدسة وانجلترا والبرتغال وإمارات ألمانيا وأغلب ممالك إيطاليا وإماراتها وكميوناتها، بينما اعترفت بكنيسة أفينيون وبابوية كليمنت السابع، فرنسا واسكتلندا ومملكتا أرجون وقشتالة في إسبانيا وإقليم فلاندرز في شمال أوروبا ومملكة نابولي ومملكة سافوي في إيطاليا.

وفي سنة ١٣٨٩م مات بابا روما أوربان السادس، فخلفه البابا بونيفسيوس التاسع Bonifatius IX، وخلفه سنة ١٤٠٤م البابا إنسونتيوس/إنسونت السابع Innocentius

---

1) Ludwig Von Pastor: The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P117-18, Kegan Paul, Trench Trubner & Co., Second Edition, London, 1899.

2) The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P127.

VII، إلى سنة ١٤٠٦م، وتلاه البابا جريجوريوس/جريجوري الثاني عشر Gregorius XII، إلى سنة ١٤١٥م.

ويقابلهم من بابوات أفينيون المنشقين عن كنيسة روما، بعد كليمنت السابع، الذي مات سنة ١٣٩٤م، بنديكتوس/بنديكت الثالث عشر Benedict XIII، إلى سنة ١٤٢٣م، ثم كليمنت الثامن Clement VIII، إلى سنة ١٤٢٩م.

وفي ٢٩ يونيو سنة ١٤٠٨م، في عهد بابا روما جريجوري الثاني عشر، وبابا أفينيون بنديكت الثالث عشر، اجتمع ثلاثة عشر كاردينالاً، من كرادلة روما، وكانوا على خلاف مع البابا جريجوري الثاني عشر، في مدينة ليفورنو الساحلية Livorno، ثم أصدروا في اليوم الثاني من شهر يوليو بياناً موجهاً إلى قادة المسيحية وملوكها وأمرائها، لعقد مؤتمر عام، من أجل إنهاء الانشقاق وإعادة توحيد الكنيسة.

وفي يوم ٢٥ مارس ١٤٠٩م، بدأ في كنيسة مدينة بيزا Pisa المؤتمر العام أو السينود Synod، وقاطعه بابا روما وبابا أفينيون معاً، ولكنهم أرسلوا كرادلتهم لحضوره، وحضر المؤتمر أربعة من البطاركة، واثنان وعشرون كاردينالاً، وثمانون أسقفاً، وعدد كبير من القساوسة، وملك فرنسا، وبعض الأمراء، وسفراء وممثلون لأغلب ممالك أوروبا وإماراتها، ورأس المؤتمر أكبر الكاردينالات سناً، وهو الكاردينال جُوِي دي ماليسيه Gui de Malesset أسقف بالسترينا Palestrina، شرق روما.

وبعد سبع عشرة جلسة، في شهرين ونصف، أسفر مؤتمر بيزا عن:

"مرسوم بمخالفة انشقاق الكنيسة لتقاليدها العريقة، وخروج بابا روما جريجوري الثاني عشر، وبابا أفينيون بنديكت الثالث عشر، معاً، على عقيدة وحدة الكنيسة الرسولية، وإعلان أنهما غير لائقين لشغل الكرسي الرسولي The Holy See، وأن الكرسي الرسولي صار خالياً، تلا ذلك مؤتمر انتخابي مغلق، حضره أربعة وعشرون كاردينالاً، وانتهى في ٢٦ يونيو ١٤٠٩م، بانتخاب أسقف ميلانو المُسن، الكاردينال بييترو فِلارجو Pietro

Filargo، لشغل الكرسي الرسولي، باسم البابا أليساندرو/ألكساندر الخامس Alessandro V"[١].

واعترفت بالبابا ألكساندر الخامس مملكتا فرنسا وانجلترا وإمارات ألمانيا، بينما ظلت الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأغلب ممالك إيطاليا وكوميوناتها على اعترافها ببابا روما، وظلت اسكتلندا ومملكة أرجون على اعترافها ببابا أفينيون، بعد أن رفض هذا وذاك نتائج مؤتمر بيزا والمجمع المغلق.

وهكذا انتهى مؤتمر إزالة الانشقاق في الكنيسة الكاثوليكية وتوحيدها، بثلاث كنائس وثلاثة بابوات، بابا روما جريجوري الثاني عشر، وبابا أفينيون بنديكت الثالث عشر، وبابا بيزا ألكساندر الخامس!

وقبل أن تمر سنة، مات بابا بيزا ألكساندر الخامس، فخلفه في مايو سنة ١٤١٠م، الكاردينال بلدساري كوسا، باسم البابا جيوفاني/يوحنا الثالث والعشرين Giovanni XXIII.

وفي سنة ١٤١٤م، وتحت ضغوط من بعض الملوك والأمراء، على رأسهم ملك رومانيا والمجر، سيجسموند Sigismund، لإنهاء الانشقاق في الكنيسة، انعقد المجمع المسكوني السادس عشر، في مدينة كونستانز Konstanz، جنوب ألمانيا، وحضره الملك سيجسموند بنفسه، وقد صار بعد ذلك إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومعه مئات الأمراء والنبلاء، وآلاف الكرادلة والأساقفة والقساوسة.

وظل المجمع المسكوني منعقداً أربع سنوات، وإبان ذلك أصدر بياناً مقدساً Haec Sancta، في أبريل سنة ١٤١٥م، قال فيه إن:

---

1) The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P190.

"الكنيسة والمجمع الذي يمثلها، يستمد سلطته من المسيح مباشرة، وتعلو على أي سلطة بما فيها سلطة البابا Had Authority Over The Pope، وأنه يجب على كل أحد أن ينصاع لقراراته بما في ذلك البابا(١).

وفي شهر يوليو ١٤١٥م، أعلن ممثلو بابا روما جريجوري الثاني عشر في المؤتمر، مرسوماً باسم البابا يقول فيه إنه يعترف بسلطة المجمع المقدس وشرعية ما يصدره من قرارات، تلا ذلك، وبعد مفاوضات مع كرادلة المجمع، أعلان ممثلي البابا جريجوري الثاني عشر استقالته من منصبه. وإعلان المجمع تنصيب الكاردينال انجلو كورارو/جريجوري الثاني عشر Angelo Corraro، أسقفاً لبورتو سانتا روفينا Porto–Santa Rufina، في ضواحي روما، وهو ما يجعله أعلى الكرادلة والشخص التالي للبابا في تنظيم الكنيسة الكاثوليكية.

وفي الوقت نفسه، كان المجمع المسكوني قد أصدر مرسوماً بخلع بابا أفينيون بنديكت الثالث عشر، وبابا بيزا يوحنا الثالث والعشرين، ثم:

"في مساء يوم ٨ نوفمبر سنة ١٤١٧م، عُقد اجتماع مغلق، وانتخب المجمع الكاردينال أودُّوني كولونّا Oddone Colonna، ليصبح البابا مارتينوس/مارتن الخامس Martinus V، وهكذا انتهى الانشقاق الكبير في الكنيسة الكاثوليكية"(٢).

والآن جاء أوان أن نعود بك إلى بلدساري كوسا، الذي أصبح بابا بيزا يوحنا الثالث والعشرين، وأدخل أسرة دي مديتشي وبنكها إلى الخزانة البابوية، ولم يخرجوا منها، رغم خلعه في مجمع كونستانز المسكوني.

وبلدساري كوسا، من نابولي، ودرس القانون الكنسي في جامعة بولونيا، ثم دخل سنة ١٣٩٢م في خدمة بابا روما بونيفيسيوس التاسع، وأصبح كاردينالاً سنة ١٤٠٢م.

---

1) The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P198.
2)The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P207.

ويقول مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه، جون ناجمي، في كتابه: تاريخ فلورنسا:

"وكان جيوفاني دي مديتشي صديقاً للكاردينال بلدساري كوسا، وغيرُ معروف متى وأين بدأت الصداقة بينهما، وقد اتُهم كوسا لاحقاً أنه اشترى كارديناليته بعشرة آلاف فلورين، وجيوفاني دي مديتشي هو الذي أقرضه إياها، وكان بنك جيوفاني هو بنك كوسا لسنوات طويلة قبل انتخابه ليكون البابا يوحنا الثالث والعشرين John XXIII، ثم أزال كوسا، دوفو سبيني، من إدارة الودائع البابوية، وأحل مكانه اثنين آخرين من فلورنسا أيضاً، وهما جيوفاني دي مديتشي، وابن أخيه، أفيراردو دي مديتشي"[١].

وفي تفصيل كيف أدخل بلدساري كوسا/يوحنا الثالث والعشرين، بنك صديقه جيوفاني دي مديتشي، إلى الخزانة البابوية في روما، رغم أنه كان بابا بيزا، وليس بابا روما، يقول أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة أوكسفورد، جورج هولمز Georg Holmes، في دراسته: كيف أصبح مديتشي بنك البابوات How The Medici Became The Pope's Bankers، والتي نشرها ضمن كتاب: دراسات عن فلورنسا، السياسة والمجتمع في فلورنسا عصر النهضة Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence:

"بعد أن أصبح كوسا كاردينالاً، صار المسؤول عن الخزانة البابوية في عهد البابا بونيفيسيوس التاسع، ولاحقته شائعات أنه يسئ استغلال منصبه، لجني المال، عبر الاقتراض بفائدة مرتفعة باسم البلاط البابوي، وشراكته الشائنة Nefarious Partnership مع البنوك والمرابين الذين يقترض للبلاط البابوي منهم، وما يؤيد ما أشاعه عنه أعداؤه أن اسمه يظهر في السجلات بين سنة ١٣٩٩م، وسنة ١٤٠١م، كوكيل لمدفوعات الخزانة البابوية ... وإحدى التهم التي وُجهت له في مجمع كونستانز أنه اشترى رتبة الكاردينال بعشرة آلاف فلورين دفعها له جيوفاني دي مديتشي، وكان لكوسا حساب سري Libro Segreto في بنك دي مديتشي، ويظهر فيه أنه تلقى مبالغ كبيرة

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P263.

من المال من جيوفاني دي مديتشي بين سنة ١٤٠٤م وسنة ١٤٠٩م، ولا شك أن جيوفاني كان الممول الرئيسي لبلدساري كوسا"(١).

وبعد أن أصبح كوسا بابا بيزا يوحنا الثالث والعشرين، خلفاً للبابا ألكساندر الخامس، سنة ١٤١٠م، انتقل إلى بولونيا، وظل فيها سنة، وكان لاديسلاو Ladislao، ملك نابولي، وابن الملكة يوانَّا، أشد مناصري بابا روما جريجوري الثاني عشر، بينما كان لويجي الثاني كونت أنجو Luigi II d'Angiò، مناصراً لكوسا/يوحنا الثالث والعشرين، وكان بين لاديسلاو ولويجي الثاني عداء شديد وتنازع على تاج مملكة نابولي، وفي أبريل سنة ١٤١١م، غزت قوات لويجي كونت أنجو روما، وهزمت جيش لاديسلاو، ونصبت كوسا/يوحنا الثالث والعشرين في بابوية روما، ثم انسحبت، وفي يونيو سنة ١٤١٣م عاد لاديسلاو فغزا روما واقتحم المقر البابوي، بعد أن فرَّ منه يوحنا الثالث والعشرين إلى فلورنسا.

والفترة التي استولى فيها يوحنا الثالث والعشرين على المقر البابوي في روما، بين سنة ١٤١١م وسنة ١٤١٣م، هي التي صار فيها بنك جيوفاني دي مديتشي بنك المقر والبلاط البابوي.

في سنة ١٤١١م، في بداية عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين في روما، يقول جورج هولمز:

"وقعت الخزانة البابوية في روما اتفاقية مع اثنين من تجار فلورنسا، هما جاكوبو ديل بيني Jacopo del Bene، وفرانشيسكو بوسكولي Francesco Boscoli، لتمويلها، لمدة سنتين، في مقابل وضع موارد البابوية بين أيديهما، وحقهما في توظيف مسؤولين عن تحصيلها في كل مكان توجد للبابوية فيه خزانة، فأقرضا الخزانة البابوية فوراً ١٠,٠٠٠ فلورين، تلاها ١٠,٠٠٠ أخرى، على أن يَحصلا على ١٠٠٠ فلورين شهرياً من

---

1) Georg Holmes: How The Medici Became The Pope's Bankers, In: Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence, P362-363, Faber and Faber Ltd., London, 1986.

موارد الخزانة، وكان أحد بنود العقد أن أي ديون لهما على الخزانة البابوية في نهاية السنتين، يتم تسديدها من ودائع البابوية عند جيوفاني دي مديتشي، وأندريا دي باردي، وفي الحقيقة كان التاجران شريكا الخزانة البابوية الجديدان، يعملان لحساب بنك جيوفاني دي مديتشي وبنك أفيراردو دي مديتشي وشركة أندريا باردي، أو بعبارة أخرى كانوا هم الذين يمدونهم بالمال، وبوسكولي كان موظفاً في بنك دي مديتشي فرع نابولي، وبعد انتهاء عقده مع الخزانة البابوية أصبح مدير بنك أفيراردو دي مديتشي في روما"[١]!

وفي يونيو سنة ١٤١٢م، وقع يوحنا الثالث والعشرين اتفاقية سلام، مع ملك نابولي لاديسلاو، على أن يدفع له ٩٥,٠٠٠ فلورين خلال سنة، وكان بنك دي مديتشي روما هو مصدر الأموال، والمسؤول عن نقلها.

ورغم فرار يوحنا الثالث والعشرين من روما إلى ضواحي فلورنسا، في يونيو ١٤١٣م، بعد أن غزا لاديسلاو روما والمقر البابوي:

"استمر تدفق الأموال خلال صيف سنة ١٤١٣م، وظل دي مديتشي البنك الرئيسي للبلاط البابوي، وفي الحقيقة فإن انشقاق الكنيسة ويوحنا الثالث والعشرين وضعا مديتشي على رأس بنوك البلاط البابوي، وبعد انتخاب البابا مارتن الخامس وانتهاء الانشقاق احتفظ مديتشي بموقعهم، وتم توقيع عقد جديد مع جيوفاني دي مديتشي، وصار مدير بنك دي مديتشي، بارتلوميو دي باردي مدير الخزانة البابوية، وكانت هذه بداية رابطة طويلة وغير عادية Long And Extraordinary Association بين دي مديتشي والبلاط البابوي، استمرت طوال عهد البابا مارتن الخامس، وخلفه البابا إيوجينيوس الرابع Eugenius IV، والبابا نيكولاوس الخامس Nicholaus V، والبابا كالستوس الثالث Callixtus III، وهذه العلاقة المتعددة الأوجه بين دي مديتشي والبابوية، كانت المصدر

---

1) How The Medici Became The Pope's Bankers, In: Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence, P367-369.

الرئيسي لقوتهم المالية، ومن خلالها أصبح بنك دي مديتشي في عهد كوسيمو دي مديتشي أكبر منظمة للتمويل والتجارة في العالم"[1].

وهذه هي بقية سيرة الكاردينال بلدساري كوسا.

كان سيجسموند ملك رومانيا والمجر، هو الذي دعا إلى عقد المجمع المسكوني في كونستانز، لإنهاء الانشقاق في الكنيسة، وأجبر كوسا أو البابا يوحنا الثالث والعشرين، على التوقيع على الدعوة، رغم كرهه لذلك وعلمه أن نهايته ستكون في المجمع، كما أخبر المقربين منه.

وإبان مجمع كونستانز، وبعد أن اتجه إلى خلع بابا أفينيون، وبابا بيزا الذي هو يوحنا الثالث والعشرين، يقول المؤرخ والكاهن الكاثوليكي جوزيف مكابي Joseph McCabe، في الباب الذي خصصه ليوحنا الثالث والعشرين، من كتابه: الأزمات في تاريخ البابوية Crises In The History of The Papacy:

"**وزع بعض أعضاء كنيسة روما مذكرة بمخالفات يوحنا الثالث والعشرين وجرائمه، وتتضمن اتهامه بالهرطقة والفساد والرشوة والقرصنة Piracy والقتل والإباحية والاغتصاب والشذوذ الجنسي، فأصابه المرض، وأصبح يائساً، ووضع الملك سيجسموند حوله حراساً لمنعه من الفرار، لحين التحقيق في التهم المنسوبة إليه، ولكنه رفض طلب أساقفة انجلترا بسجنه"**[2].

وفي مارس سنة ١٤١٤م، تمكن يوحنا الثالث والعشرين من الهرب من كونستانز، بمساعدة دوق النمسا فريدريش الرابع Friedrich IV، ووصلاً معاً عبر نهر الراين إلى بلدة فريبورج Freiburg، وإبان هروبهما أصدر الملك سيجسموند مرسوماً إلى جميع الأمراء والنبلاء

---

1) How The Medici Became The Pope's Bankers, In: Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence, P373-376, 379.
2) Joseph McCabe: Crises In The History of The Papacy, P236, G.P. Putnam's Sons, New York And London, 1916.

التابعين لـه فـي حـوض الراين، بعصـيان فريدريش الرابـع ومصـادرة ممتلكاتـه، فأقنعـه لـودفيج الثالث Ludwig III ، حاكم بالاتينا Palatine، والذي تتبعه فريبورج، بالتخلي عن يوحنا الثالث والعشرين.

واعتقل لودفيج الثالث، يوحنا الثالث والعشرين، إلى أن وصل مبعوثون من مجمع كونستانز ومعهم قوات، للضغط عليه كي يعود إلى المجمع لمحاكمته، فرفض، وبعد تسعة أيام من التفاوض معه:

"في يوم ١٦ مايو ١٤١٤م، أصدر مجمع كونستانز بياناً بخلعه من البابوية، وقرر عقد محكمة من الكرادلة والأساقفة وأساتذة القانون الكنسي لمحاكمة بلدساري كوسا، وكانت لائحة محاكمته تتضمن اثنتين وسبعين مادة، ومن أجل تجنب الفضيحة استُبعدت بعض التهم، ولكن المادة التاسعة والعشرون من لائحة محاكمته نصت على: "إدانته بالتسميم والقتل وإدمان الرذائل الجسدية Addiction To The Vices of The Flesh"[١].

وتهمة القرصنة، التي كانت إحدى التهم التي وجهتها مذكرة أساقفة روما ليوحنا الثالث والعشرين، في مؤتمر كونستانز، كانت من بين التهم التي استبعدتها المحكمة تجنباً للفضيحة، ولكن يقول المؤرخ والكاهن الكاثوليكي جوزيف مكابي:

"يقول مؤرخ البابوية إبان الانشقاق الكبير، ديتريتش فون نيهايم Dietrich Von Nieheim، وكان على عداء مع يوحنا الثالث والعشرين، إنه كان يعمل بالقرصنة في شبابه، وبعض المؤرخين في العصر الحديث يشككون في صحة ذلك، ولكن المؤكد أن اثنين من إخوة كوسا كانا من القراصنة، وقد حُوكما في نابولي وأعدما بتهمة القرصنة، وليس من المستبعد أن يكون كوسا قد مارس القرصنة معهما في بداية حياته"[٢].

---

1) Crises In The History of The Papacy, P237.
2) Crises In The History of The Papacy, P223.

وفي شهر يونيو ١٤١٤م، وبناءًا على قرار مجمع كونستانز، اعتُقل بلدساري كوسا، في قلعة مانهايم Mannheim، وبعد بضعة أشهر نُقل إلى قلعة هايدلبرج Heidelberg، فظل فيها ثلاث سنوات، وفي سنة ١٤١٨م:

"أرسل جيوفاني دي مديتشي، وكيله بارتلوميو دي باردي، الذي أصبح بعد ذلك مدير بنك دي مديتشي فرع روما، إلى لودفيج الثالث، للتفاوض معه من أجل إطلاق كوسا، وفي شهر ديسمبر ١٤١٨م، وافق لودفيج الثالث على تحرير كوسا في مقابل فدية قدرها ٣٨,٠٠٠ راين جيلدن Rhenish Gulden[õ]، وتساوي ٣٥,٠٠٠ فلورين ذهبي، وفي شهر أبريل ١٤١٩م، قام بنك دي مديتشي فرع فينيسيا بدفع الفدية، وعاد بلدساري كوسا مع وكيل مديتشي إلى فلورنسا، وأقام في بيت خصصه له جيوفاني دي مديتشي، إلى أن مات"[١].

وبعد موته، في ٢٢ ديسمبر سنة ١٤١٩م، كلف جيوفاني دي مديتشي وابنه كوسيمو، اثنين من أكبر النحاتين والمعماريين في فلورنسا، وهما دوناتيللو Donatello، ومِيكيلوتسو Michelozzo، بإنشاء ضريح فخم لبلدساري كوسا، في إحدى الكنائس، وزخرفته بالنقوش والتماثيل، وأن يكتبوا على شاهده: يوحنا الثالث والعشرون البابا السابق Giovanni XXIII L'Ex Papa.

والكنيسة التي اختارها جيوفاني دي مديتشي وابنه كوسيمو، لبناء ضريح فخم ليوحنا الثالث والعشرين ودفنه فيه، هي كنيسة يوحنا المعمدان Battistero di San Giovanni، التي بنيت في فلورنسا بين سنة ١٠٥٩م، وسنة ١١٢٨م، وهي من الطراز الدائري المثمن، الذي يتكون من ثمانية أضلاع وثمان زوايا Ottagonale[٢]، وسبب اختيارهم لها أن يوحنا الثالث

õ) الراين جيلدن Rhenish Gulden، أو جيلدر Guilder: العملة المستخدمة في ممالك حوض نهر الراين وإماراته في العصور الوسطى وعصر النهضة، ووزنها ٣,٤ جم من الذهب.

1) How The Medici Became The Pope's Bankers, In: Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence, P375.

2) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Battistero di San Giovanni Firenze.

والعشرين كان يعُد القديس يوحنا المعمدان مثله الأعلى، ونظم قصيدة في مدحه Reliquia di San Giovanni Battista[١].

والآن نريدك أن تذهب إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، وسوف تجد فيه هذه العبارة:

"وقد ابتدع فرسان الهيكل طرازاً في بناء الكنائس، هو الطراز الدائري، الذي تُشيد فيه الكنيسة على شكل مثمن متساوي الأضلاع والزوايا Octagonal، وذلك على خلاف الطراز التقليدي فى بناء الكنائس الكاثوليكية، الذي يجعل تصميم أبنيتها على شكل صليب، وهذا الطراز الدائري المثمن في عمارة الكنائس هو محاكاة من فرسان الهيكل لتصميم مسجد قبة الصخرة، الذي تحول مع استيلاء الحملة الصليبية على القدس إلى هيكل الرب Templum Domini، وصار عند المنظمة رمزاً لهيكل سليمان"[٢].

والخطوة التالية، هي أن ترجع إلى ما أخبرناك به في باب: الفلورين دولار عصر النهضة، عن موقع القديس يوحنا المعمدان، من فرسان الهيكل وجميع الحركات السرية التي انبثقت منها، ونعلم يقيناً أنك ستفهم، وتدرك سر الرابطة التي كانت بين يوحنا الثالث والعشرين وجيوفاني وكوسيمو دي مديتشي.

---

1) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Antipapa Giovanni XXIII.

٢) دكتور بهاء الأمير: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، ص٣٢-٣٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م.

في السلطة

علمتَ من قبلُ أن قسماً كبيراً من اليهود، أفراداً وأسراً، كانوا يتحولون عبر التاريخ كله، إلى ديانة البلدان التي يحلون فيها ظاهرياً، وهم في داخلهم لا يؤمنون بها، بل يعتقدون أن دماء بني إسرائيل المقدسة تسري في عروقهم، وأن مهمتهم العمل على استعادة الأرض المقدسة وإعادة الهيكل.

وإخفاء الأسر اليهود الأخفياء لهوياتها اليهودية، وتغلفهم بهويات أخرى، مسيحية في مجتمعات المسيحيين، ومسلمة في مجتمعات المسلمين، يكون ميراثاً عريقاً في هذه الأسر، وجزءًا من تكوينها وطباعها وعاداتها، ويُمكّنهم هذا الخفاء والغلاف الظاهر من فِعل ما لا يقدر اليهود الصرحاء على فعله، فيتوغلون في المجتمعات رافعين رايات المسيحية أو الإسلام، وفي ثنايا ذلك يخربون عقائدها ويُحلون أخلاقها ويغيرون وجهتها ويحولونها، عبر الفنون والآداب ووسائط اللهو والترفيه، إلى محضن للأفكار اليهودية والقبالية، ثم يدفعونها إلى المسار الذي يمكنهم من السيطرة عليها وتسييرها في اتجاه غاية التاريخ اليهودي.

وهذا الخفاء والغلاف هو الذي من خلاله يتسلل اليهود إلى دوائر السلطة والعروش والجيوش، والمواقع التي لا يمكن لهم يصلوا إليها بهوياتهم الصريحة من خلال التجارة والبنوك وكنز الأموال، فالربا والثروات، بالغاً ما بلغت، لن تصل بهم إلى عرش الكنيسة الكاثوليكية، ولا إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا إلى أن يصيروا حكاماً لبعض الدول في بلاليص ستان العربية.

وأسرة دي مديتشي نموذج مثالي على ذلك، فلأنها في الظاهر مسيحية، وبنكها بنك الكنيسة والبابا، صار طريقها مفتوحاً إلى السلطة في فلورنسا، فلما وصلت إلى رأسها، أسبغت رعايتها على الآداب والفنون المروية بالإلحاد والإباحية، وتهدم المسيحية وعقيدتها وتطعن في كنيستها، وأنفقت بسخاء على من تستقطبهم من الرسامين والمثالين من أجل ذلك، وأنشأت الأكاديمية الأفلاطونية وأحيت بها العقائد والفلسفات الوثنية، واحتضنت الربانيين القباليين

المهاجرين من الأندلس، وحولت إيطاليا بهم إلى بؤرة لبث القبالاه في كل مكان من أوروبا، ولصبغ جميع مناحي الحياة ووجوه النشاط الإنساني بها، وفتحت أبوب فلورنسا وإيطاليا على مصراعيها لليهود الصرحاء، بعد أن كانت مغلقة في وجوههم.

وأسرة دي مديتشي، التي فجرت ينابيع القبالاه والوثنية والإلحاد والإباحية في إيطاليا وأوروبا وفي العالم كله، لأنها مسيحية في غلافها، ووصلت من خلال هذا الغلاف إلى رأس السلطة في فلورنسا، فقد تمكنت خلال قرن واحد من الوصول بأربعة من أبنائها إلى عرش الفاتيكان، ليصيروا من بابوات الكنيسة الكاثوليكية!

والمسار الذي شقته أسرة دي مديتشي لإيطاليا وأوروبا بالقبالاه والوثنية، والآداب والفنون المروية بها، هو الذي فتح الطريق أمام اليهود لامتلاك مقاليد الغرب، وإقامة الدولة البني إسرائيلية في الشرق.

كوسيمو، أبو فلورنسا ومورطها في الحروب:

علمتَ أن جيوفاني دي مديتشي، بعد أن نقل المقر الرئيسي لبنكه إلى فلورنسا، صار منذ سنة ١٤٠٢م رئيساً لنقابة البنوك والصيارفة، وممثلاً لها في مجلس السيادة، أعلى مجالس الحكم في فلورنسا، وفي سنة١٤٢١م، أصبح قائد العدالة في فلورنسا.

وكان لجيوفاني ابنان، الأكبر كوسيمو، والأصغر لورنزو، ويعرف بلورنزو الأكبر Lorenzo Senior، تمييزاً له عن لورنزو العظيم، حفيد كوسيمو، وبعد وفاة جيوفاني دي مديتشي، سنة ١٤٢٩م، اتفق كوسيمو ولورنزو على عدم تقسيم بنك دي مديتشي، والإبقاء عليه موحداً، فصارت رئاسة البنك ومقاليده إلى كوسيمو، وكان في الأربعين من عمره.

وكذلك ورث كوسيمو أباه جيوفاني في توظيف بنكه وثروته في حيازة النفوذ والزحف نحو السلطة في فلورنسا، وكان الحدث الوحيد الذي ظهر فيه كوسيمو في حياة أبيه، بخلاف

اشتراكه معه في إدارة البنك وشؤون المال، هو حضوره مجمع كونستانز المسكوني، من أجل مناصرة بلدساري كوسا/البابا المنشق يوحنا الثالث والعشرين[١].

وكان زحف كوسيمو دي مديتشي نحو السلطة، عبر العوام، والسعي إلى إقامة مجالس منتخبة منهم، تكون واجهة له يسيطر من خلالها على مقاليد فلورنسا.

في كتابه: تاريخ فلورنسا، يقول ميكيافيللي:

"ولم يدخل أبداً في مواجهة مع الحكام، ولكنه كان نصيراً بأمواله وترتيباته لجميع المواطنين، وهو ما زاد من مشاكل أعضاء الحكومة، وكان كوسيمو يريد من ذلك أن يعيش موقراً في فلورنسا، وإذا اضطره خصومه إلى غير ذلك، أن تكون أسلحة مناصريه جاهزة للرد عليهم، وهذا الوضع أثار رينالدو ديلي ألبيتسي Rinaldo degli Albizzi"[٢].

ورينالدو ألبيتسي، هو عضو مجلس السيادة الحاكم، ورأس أسرة ألبيتسي، التي تتزعم أسر الطبقات العليا، وهي المنافس الرئيسي لأسرة دي مديتشي، التي تتزعم أسر الطبقات الوسطى والدنيا من البوبولو.

ويقول مؤرخ عصر النهضة، وأستاذ تاريخه، جون ناجمي:

"كونت أسرة دي مديتشي روابط وثيقة مع المجتمعات الريفية والمناطق الجبلية، في موجللو وشمال فلورنسا، وحتى رومانيا[õ]، من خلال تمثيلهم في الكوميونة، وبسط رعايتها عليهم، وكذلك من خلال علاقتها الخاصة مع ملاك الأراضي والأشخاص المؤثرين، وإغداقها عليهم، وإبان أزمة كوسيمو، كانوا من أكبر مصادر قوته، وكان تحت إمرة دي مديتشي المباشرة ٦,٠٠٠ من الفلاحين المسلحين Armed Peasants، وكان هؤلاء في

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P63.
2) Machiavelli: History of Florence, P190.

õ) رومانيا Romagna: كوميونة كان موقعها في أقصى شمال إيطاليا، وليست دولة رومانيا، التي تقع في البلقان، شمال نهر الدانوب.

الحقيقة جيش دي مديتشي الخاص، أو كما وصفهم كافالكانتي Cavalcanti: "كانوا تحت قيادة بابا دي مديتشي Papi de' Medici"[1].

أما أزمة كوسيمو، التي انتهت بسيادته المطلقة على فلورنسا، فقد بدأت بالحرب مع دوقية ميلانو وكوميونة لوكا، ضمن سلسلة الحروب التي اجتاحت إيطاليا، منذ سنة ١٤٢٠م، وتصادمت فيها فلورنسا وميلانو ولوكا وفينيسيا وفولتيرًا وسيينا وفيرارا وجنوة ونابولي، وفي كل حرب منها تتحالف اثنتان أو ثلاث، ضد اثنتين أو ثلاث أخريات، وما أن تنتهي الحرب حتى تتغير التحالفات، ويصير المتحالفون أعداءًا، والأعداء حلفاءًا، ثم تشتعل الحرب مرة أخرى.

وفي سنة ١٤٢٩م، وبعد أن عقدت فلورنسا معاهدة مع فينيسيا وميلانو، في أعقاب الحرب التي كانت بينهما، اختلف أهل كوميونة فلورنسا، ومن يمثلونهم في مجلس السيادة ومجالس الحكم المختلفة، حول شن حرب على كوميونة لوكا، للانتقام من الهزيمة التي ألحقتها بفلورنسا قبل بضعة أعوام، واستعادة المناطق التي استولت عليها من فلورنسا، وانقسموا إلى قسمين، الأول يدعو إلى الحرب ويحرض عليها، والآخر يدعو إلى التفاوض مع لوكا وتجنب الحرب، وكانت سلسلة الحروب السابقة قد كلفت الكوميونة ثلاثة ملايين ونصف المليون فلورين، وتم جمعها بفرض ضريبة عامة على الدخل والممتلكات Catasto، وبالاقتراض من البنوك، ومنها بنك دي مديتشي.

وكان على رأس الفريق الأول كوسيمو دي مديتشي، والأسر المتحالفة معه، وعلى رأس الفريق الثاني رينالدو ديلي ألبيتسي، وانتهى التصويت على قرار الحرب، بفوز كوسيمو دي مديتشي وأنصاره.

وزحف جيش فلوررنسا على لوكا، وحاصرها، فأرسل حاكم لوكا، باولو جوينيجي Paolo Guinigi، إلى دوق ميلانو، فليبو ماريا Filippo Maria، يستغيث به، ولأن بينه وبين فلورنسا معاهدة، أرسل هو الآخر إلى حليفه، بودستا/حاكم جنوة، نيكولو بتشينينو Niccolò

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P277.

Piccinino، فاجتاح بتشينينو في جيش من ستة آلاف جندي، جيش فلورنسا وأوقع به هزيمة ساحقة، على ضفاف نهر سركيو Serchio، يوم ٢ ديسمبر سنة ١٤٣٠م[١].

وكان تمويل حكومة فلورنسا للحرب، في معظمه، بالاقتراض من بنك دي مديتشي، وفي أعقاب الهزيمة:

"رفع أمين لجنة الحرب، نيكولو تينوتشي Niccolò Tinucci، دعوى طويلة ومفصلة ضد كوسيمو دي مديتشي، يتهمه برشوة المسؤولين في الكوميونة والضغط عليهم، والتدخل بطريقة غير شرعية في انتخابات مجالس الحكم، وفي التصويت على القرارات، واستخدام نفوذه وأمواله في إطالة أمد الحرب مع لوكا، لزيادة أرباحه من القروض التي أقرضها للكوميونة من أجل تمويل الحرب، وما أعطى مذكرة تينوتشي قوة أن دي مديتشي كان في الحقيقة واحداً من عدد قليل من أصحاب البنوك زادت ثرواتهم ونفوذهم السياسي مع الحرب، التي كانت كارثة على الكوميونة ومعظم دافعي الضرائب"[٢].

وهذه هي أخطر عبارة وتهمة وجهها تينوتشي، أمين لجنة الحرب، لكوسيمو دي مديتشي، وكان تينوتشي قبل الحرب من أصدقاء كوسيمو ومن مناصريه:

"وقد سمعت كوسيمو أكثر من مرة يقول: "إن أفضل طريقة للاحتفاظ بالقوة، هي إبقاء الكوميونة في حالة حرب In A State of War، وتلبية احتياجاتها في الحرب بالأموال الجاهزة Ready Cash، فالحرب تضمن استمرار القروض وفوائدها، وفي الوقت نفسه تجلب الشرف والعظمة والقوة لمن يقدمون هذه القروض، ويشعر عموم الناس بالامتنان نحوهم، لأنهم أعانوهم في الحرب"[٣].

---

1) Machiavelli: History of Florence, P188.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P271.
3) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P272-273.

فتنبه إلى أن أخطر ما في عبارة كوسيمو دي مديتشي، ليس سعيه إلى توريط فلورنسا في حروب دائمة، لكي يربح من إقراضها بالربا، كما اتهمه تينوتشي، بل الأخطر أنه لا ينتمي ذهنياً ونفسياً إلى فلورنسا وأهلها، ولا يرى نفسه واحداً منهم، ولا يعنيه انتصارهم أو هزيمتهم، فهو يعيش في ظاهره بينهم، ولكنه في قرارة نفسه ليس منهم.

والرابطة التي في عبارة كوسيمو دي مديتشي، بين الحروب والربا، هي نفسها استراتيجية اليهود وبنوكهم في كل مكان يحلون فيه، فإيقاد نيران الحروب وإبقاؤها مشتعلة، ضرورة للمرابين وبنوكهم، لكي تظل دورة الإقراض والربا وكنز الأموال دائرة.

وهو ما نبهناك إليه وأتيناك بتفاصيله من قبل، في كتابنا هذا، وفي عدد من كتبنا السابقة، عند كل قصة من القصص المكررة عبر التاريخ لدورة الحروب والربا وكنز الأموال وتأسيس البنوك، لتمويل حروب جديدة، وهكذا دواليك.

والدائرة التي تراها في عبارة كوسيمو دي مديتشي، بطرفيها اللذين يفضي كل منهما للآخر، الحرب والربا، هي نفسها ما أخبرك به عز وجل في بيانه إلى البشرية، عن بني إسرائيل واليهود، وسماتهم الذهنية وخصائصهم النفسية، واستراتيجيتهم في الأقوام والشعوب التي يعيشون بينها وكأنهم منها وهم ليسوا كذلك.

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ (المائدة: ٦٤).

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ (النساء: ١٦١).

وفي شهر سبتمبر سنة ١٤٣٣م:

"أمر قائد العدالة برناردو جواداني Bernardo Guadagni، باستدعاء كوسيمو، وما أن دخل إلى القصر حتى حاصره رينالدو ألبيتسي مع عدد كبير من الرجال المسلحين، واعتقلوه ثم وضعوه في أحد طوابق برج القصر، وكون مجلس السيادة، لجنة من مائتي

شخص، لتقرير مصير كوسيمو، وهل يعيش أو يموت ... وأرسل كوسيمو مع فاماجاتشيو Famagaccio، ألف دوكا Ducats[õ]، إلى قائد العدالة، فأصبح برناردو أكثر إنسانية، وفي ٣ أكتوبر ١٤٣٣م، حُكم على كوسيمو بالنفي إلى بادوفا/بادوا Padua، وأرسلوا معه قوة لحراسته في الطريق إلى منفاه، ثم سمح له بالانتقال إلى فينيسيا"[١].

وما أنقذ حياة كوسيمو دي مديتشي، بالإضافة إلى الرشوة التي قدمها لقائد العدالة، ولعدد من أعضاء مجلس السيادة، وغضب جيش الفلاحين التابع له في المناطق الريفية، والطبقات الوسطى والدنيا داخل فلورنسا:

"دعم العديد من الحكومات الإيطالية والأسر الحاكمة له، بلا شك بسبب موقع بنك دي مديتشي المحوري من اقتصادهم، وتمويله لهم، وأما أكبر داعم لكوسيمو على الإطلاق، فكانت فينيسيا التي استقبلته كرأس دولة يزورها Haed of State، بسبب فرع بنكه في فينيسيا والقروض التي أقرضها لحكومتها لفترات طويلة، وجميع الحكومات في إيطاليا كانت تدرك أن نفوذ دي مديتشي المالي والسياسي لم يتأثر كثيراً بخروجه من فلورنسا"[٢].

وليس المال والقروض وحدها هي سبب دعم الحكومات والأسر الحاكمة في مدن إيطاليا لكوسيمو دي مديتشي، كما أخبرك أستاذ تاريخ عصر النهضة جون ناجمي، بل وأيضاً لأن سيرة أسرة دي مديتشي التي تقرأها الآن، هي نفسها سيرة جميع الأسر الحاكمة لمدن إيطاليا في هذه الحقبة.

وبسبب دعم الحكومات والأسر الحاكمة في إيطاليا، لكوسيمو دي مديتشي، ولأن نفوذه المالي والسياسي لم يتأثر بنفيه من فلورنسا، يقول ميكيافيللي:

õ) الدوكا Ducats: عملة فينيسيا، وكانت العملة السائدة في التجارة، مع الفلورين، ووزنها ٣,٥ جم من الذهب.

1) Machiavelli: History of Florence, P195, 197.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P275.

"شن أنصار كوسيمو حملات تدعو لعودته، وقاموا بعمل ترتيبات في مجلس السيادة، وفي نهاية أغسطس ١٤٣٤م، أصبح نيكولو دي كوكو Niccolo di Cocco، قائد العدالة، وانتُخب مجلس جديد للسيادة، جميعهم من الموالين لكوسيمو، وبدأ في تشكيل لجنة لمناقشة عودة كوسيمو، وأرسل يستدعي رينالدو ديلي ألبيتسي، فرفض الحضور، وحشد المئات من أنصاره بالسلاح، وكان البابا إيوجينيوس الرابع في فلورنسا، فأرسل في طلب رينالدو، ووعده بالأمان وألا يصيبه ضرر عند عودة كوسيمو، وعقد البابا ترتيبات مع مجلس السيادة، ثم قامت اللجنة التي شكلها المجلس بإلغاء عقوبة كوسيمو، ودعوته للعودة إلى فلورنسا، وفي سبتمبر ١٤٣٤م عاد كوسيمو، ليصبح باعتراف الجميع حامي الشعب وأباً للبلاد"(١).

ويقول أستاذ تاريخ عصر النهضة، جون ناجمي:

"بعد أن وافق رينالدو على تحكيم البابا، دعا مجلس السيادة إلى عقد مؤتمر عام Parlamento، وليضمن انصياع الجميع لقراراته، سمح بحضور الفلاحين من الأرياف، وهو يعلم أنهم من أنصار دي مديتشي، فحضر ستة آلاف منهم بأسلحتهم، وتحت ضغطهم شكل البرلمان لجنة، قررت عودة كوسيمو، ونفي خمسمائة من قادة المعارضين لكوسيمو، ومنهم رينالدو ديلي ألبيتسي، إلى خارج فلورنسا"(٢).

وبعد عودة كوسيمو دي مديتشي إلى فلورنسا منتصراً، سعى إلى حيازة السلطة المطلقة على فلورنسا، وضمان احتفاظه بها، وألا ينازعه أحد، من خلال ثلاثة أشياء، كما يقول المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج:

"تغيير السياسة الخارجية لفلورنسا وتحالفاتها، وجعل القوى الأجنبية تعترف أنه، وأنه وحده، القوة المحركة لدولة فلورنسا The Motive Power، وتغيير الطبقة الحاكمة

---

1) Machiavelli: History of Florence, P199-202.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P277.

والمسيطرة على مجالس الحكومة في فلورنسا، وتكوين طبقات جديدة يكون ولاؤها لأسرة دي مديتشي، عبر نشر التعليم ورعاية الرسامين والنحاتين"[١].

فأما التعليم، فهو الأكاديمية الأفلاطونية الوثنية القبالية، ورعاية الفنانين هو احتضانهم أولاً في الأكاديمية، ثم الإغداق عليهم ليترجموا ما تم ضخه في أذهانهم ونفوسهم من معتقدات وأفكار إلى لوحات وتماثيل، وتمويل أعمالهم ووضعها في القصور والكنائس، وسوف نزيدك بذلك بياناً لاحقاً.

وأما إعادة تشكيل السلطة في فلورنسا، وتغيير الطبقة الحاكمة وأعضاء مجالس الحكومة المنتخبة، ليكونوا جميعاً واجهة له وأدوات تنفذ سياساته، فتقول كاثَرين دوروتيا إيوارت Katharine Dorothea Ewart، أستاذة التاريخ في جامعة أكسفورد، في سيرتها لكوسيمو دي مديتشي Cosimo de Medici:

"وكانت سياسته، مثل أي حاكم مطلق Absolute، تدمير الطبقة الحاكمة، من خلال إزالة الحدود بين الطبقة العليا Grandi، وطبقة عموم الناس Popolani، وتحويل طبقة الجراندي كلها تقريباً إلى بوبولاني[٥]، واختيار بعض الجراندي ووضعهم في مناصب، مثل أفراد أسرة ألبيتسي الذين انحازوا إليه إبان أزمته ضد رينالدو، وهكذا تم تحطيم طبقة الجراندي، وفي الوقت نفسه، أصبحت طبقة البوبولاني تعتمد بشكل كامل على كوسيمو، لكي يمكنهم الدخول إلى مجالس الحكم، وتبوأ المناصب، ومن ناحية أخرى جعل كوسيمو الحدود بين النقابات الكبرى والصغرى غير واضحة، عن طريق تصعيد بعض الأغنياء من أعضاء النقابات الصغرى، وإدخالهم في عضوية الكبرى، وهو ما أضعف النقابات الكبرى، وأيضاً أضعف النقابات الصغرى، لأنها فقدت أعضاءها البارزين، وكذلك ابتكر كوسيمو

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P77-78.

٥) الجراندي والبوبولاني في زمن كوسيمو دي مديتشي، هما معاً طبقة الأثرياء من التجار وأصحاب البنوك، بعد أن انقسمت داخلياً إلى طبقة عليا وطبقة متوسطة، وذلك بخلاف القرن السابق على كوسيمو، الذي كان الجراندي فيه هم النبلاء، والبوبولاني هم التجار وأصحاب البنوك والعمال وأصحاب الحرف.

نظاماً لتوظيف مواطنين جديدين في المناصب، واستخدمه كوسيلة لإزاحة الأسر القديمة، والسيطرة التامة على الحكومة، وكان هؤلاء الجدد يمتلأون بالحقد تجاه الأسر الحاكمة القديمة، ويخضعون لكوسيمو، وينفذون مخططاته دون تفكير، وكان كوسيمو نفسه يقول عنهم: "قطعتان من القماش الأحمر تكفي لصناعة مواطن[õ]"[١]!

وإحدى وسائل كوسيمو دي مديتشي، للسيطرة على فلورنسا، والإطاحة بمعارضيه، كانت قصر عضوية مجلس الثمانية، على أنصاره، والتلاعب من خلالهم بمعايير العدالة وأحكام القضاء، ومجلس الثمانية هو محكمة فلورنسا، وكانت تتكون من ثمانية أعضاء.

تقول كاثَرين دوروتيا إيوارت:

"وأصبح مجلس الثمانية Otto di Balia، يتكون من أعضاء حزب دي مديتشي، وصار يعامل أعداء دي مديتشي بقسوة، ويعامل مناصريه بلطف، وما يُعاقَب شخصٌ به على أنه جريمة Crime، يُعد خطأً بسيطاً يمكن التسامح فيه Venial Fault مع شخص آخر، وأنصار دي مديتشي في الأرياف صاروا يرتكبون الجرائم ويغتصبون ممتلكات خصومهم دون خوف، وكتب أحد خصوم دي مديتشي مذكرة قال فيها: "صارت فلورنسا مأوى للمجرمين الذين يجدون الحماية من دي مديتشي، وفي الوقت نفسه يتعسفون وينزلون عقوبات صارمة بأي أحد يُتهم بالعمل ضدهم"[٢].

õ) منذ أواخر القرون الوسطى، وطوال عصر النهضة، كان الرداء الأحمر في فلورنسا، علامة على المواطن كامل المواطنة، الذي له حق التصويت في الانتخابات والشؤون العامة، وعضوية البرلمانات ومجالس الحكومة، وكان هو الزي الرسمي لحضور هذه المجالس.

1) Katharine Dorothea Ewart: Cosimo de Medici, P141-142, Macmillan And Co., London, 1899

2) Cosimo de Medici, P159.

ويقول أستاذ تاريخ عصر النهضة، جون ناجمي:

"وتكونت طبقة كاملة، تعتمد على دي مديتشي في مناصبها وأصواتها في المجالس المنتخبة، وامتيازاتها المالية، وفي التجارة وأعمال البنوك، ومكانتها الاجتماعية، وفي أفضلية الزواج والمصاهرة، ومن ضمن إجراءاته الانتقام السياسي من خصومه وأسرهم، بإخراجهم من قوائم المواطنين الصالحين الذين لهم حق التصويت وشغل المناصب العامة، وهكذا صنع دي مديتشي انقلابه Coup، وفي سنة ١٤٤٩م، صرح ماريوتو ليبي Mariotto Lippi بأن الشعب يريد استعادة حريته وعودة النظام القديم"[1].

وهذا هو وصف القوة والطريقة التي صنع بها كوسيمو دي مديتشي انقلابه، وأعاد تشكيل مجالس الحكم والقضاء في فلورنسا:

"ما أن طرح أنصار دي مديتشي، في سنة ١٤٥٨م، فكرة برلمان عام لمناقشة إعادة تشكيل مجلس السيادة، ومد فترة حكمه لخمس سنوات متصلة، حتى أخذ الجميع يبحثون عن كوسيمو لمعرفة رأيه، وكان كوسيمو يعرف أنها مخاطرة، من جانب بسبب تصرفات كتل العوام Crowds العشوائية ولا يمكن توقعها، ومن جانب آخر كان يخشى أن يؤدي إعادة تشكيل المجلس إلى جلب مخالفيه إلى السلطة، وأدرك أنه كما حدث في سنة ١٤٣٤م، لابد من قوة مسلحة لحسم الأمر كما يريده، وفي اليوم نفسه استقبل كوسيمو سفيرَ ميلانو، نيكوديمو ترانشديني Nicodemo Tranchedini، وطلب منه تدخلاً عسكرياً لصالحه، فكتب ترانشديني فوراً إلى الدوق سفورتسا Sforza، فأرسل قوة عسكرية بقيادة لورد فينتسا Faenza، وكان هذا هو كل ما يحتاجه كوسيمو، فتم اعتقال قادة معارضيه، واعتُقل مائة وخمسون آخرون في بيوتهم، وفي اليوم التالي بقي كوسيمو في بيته مع سفير ميلانو، بينما حاصرت قوات ميلانو قصر السيادة، وانعقد البرلمان العام، وحسب تقارير من شهدوا البرلمان، لم يسمع المقترحات التي كان يقرأها كاتبُ مجلس السيادة، ولم يوافق عليها، سوى قليل من الناس، بينما سكت الباقون، وهكذا تم إقرار إعادة تشكيل

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P292-293.

مجلس السيادة، وفُصل ألف وخمسمائة من معارضي دي مديتشي من مناصبهم ووظائفهم"[1].

ودوق ميلانو، فرانشيسكو سفورتسا Francesco Sforza، الذي لعب دوراً حاسماً في استيلاء كوسيمو على السلطة في فلورنسا، وقواته هي التي مكنت كوسيمو من صناعة انقلابه والإطاحة بمعارضيه، سفورتسا ليس من طبقة النبلاء، وسيرته هو وأسرته، هي نفسها سيرة كوسيمو وأسرة دي مديتشي، فأسرته قدمت إلى ميلانو من مكان غير معروف، وكان أبوه موتسيو سفورتسا Muzio Sforza، واسمه الحقيقي جاكوبو أتيندولو Jacopo Attendolo، كان كوندوتييرو Condottiero، أو صاحب شركة لتوريد الميليشيات المرتزقة للقتال في الحروب بين المدن الإيطالية، وكان يقودها بنفسه، ثم صار من النبلاء بالثروة التي كونها من شركته، وابنه فرانشيسكو نفسه، قبل أن يصل إلى رأس السلطة في ميلانو، كان شريكاً في شركة براكتشيو دي مونتوني Braccio da Montone، للميليشيات المرتزقة، وكان كأبيه يقود بعضها في المعارك بنفسه[2].

وهكذا سيطر كوسيمو دي مديتشي على مجالس الحكم في فلورنسا، وعلى سياسة الحكومة وقراراتها، وعلى المحكمة وأحكامها، سيطرة مطلقة، وصار المجتمع كله خاضعاً له ويسير في اتجاه ما يريده، دون أن يكون على رأس السلطة، أو حاكماً لفلورنسا، بل ودون أن يكون في أي منصب رسمي له علاقة بالحكومة ومجالسها، وكان وضعه الرسمي أنه أحد مواطني فلورنسا!

وهذا هو وصف أسقف سيينا Sienna، إنياس سيلفيوس دي بيكولوميني Eneas Silvius de Piccolomini، الذي أصبح سنة ١٤٥٨م البابا بيوس الثاني Pius II، لصورة فلورنسا في عهد كوسيمو دي مديتشي، وموقعه منها:

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P295.
2) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Francesco Sforza.

"في قصره تُحسم المسائل السياسية وتُتخذ القرارات، والشخص الذي يختاره هو الذي يتولى المناصب، وهو الذي يقرر السلام أو الحرب، ويتحكم في القوانين، فهو ملك في كل شيء، غير أنه لا يحمل اسم الملك He Is King in All But Name"[١].

والطريقة التي رأيت كوسيمو دي مديتشي يصل بها إلى السلطة المطلقة، ويصبح من خلال عموم الناس وباسم تمثيلهم والدفاع عنهم، كما تصفه المؤرخة الإنجليزية كاثَرين دوروتيا إيوارت: "**طاغية Tyrants، مثل ملكنا هنري الثامن**"، تعرف منها أنه إذا لم يوجد في المجتمع، أي مجتمع، معيار وميزان واضح للجميع، وليس في مقدور أحد أن يتلاعب به، أو إذا كان موجوداً وأطيح به، أو تم إلهاء الناس وإذهالهم عنه، فإن عموم الناس سيتحولون بالضرورة، إلى رَكوبة يمتطيها من يملك وسائل مخاطبتهم وملء رؤوسهم بالشعارات البراقة والعبارات الرنانة عن الحرية وحكمهم لأنفسهم، ويملك من القماش الأحمر ما يحول به بعضهم إلى واجهة له في الحكومات والبرلمانات، فينفذون سياساته وما يريده وهم يوهمون هؤلاء العوام أنهم يمثلونهم ويضحون بأنفسهم من أجل مصالحهم.

ولأن العوام في غيبة المعيار والميزان، ليسوا سوى آلة في يد من يملك مفاتيح تحريكها، وواجهة له، وحكمهم هو في الحقيقة حكمه هو، فلن تعجب إذا علمت أن سيرة الديمقراطية والانتخابات والبرلمانات في كل مكان من الغرب، هي في الحقيقة سيرة اليهود والحركات السرية، وهم الذين ابتكروا أنظمتها وإجراءاتها، وطوروا أدواتها ووسائلها، في الوقت الذي كانت بنوكهم تتوغل في المجتمعات وتحول الربا إلى نظام عام يرتكز عليه اقتصادها، وتسيطر من خلاله على الحكام والحكومات والبرلمانات، ويواكب ذلك كفاحهم وإنفاقهم الأموال التي كنزوها في تطوير وسائل مخاطبة عموم الناس، ووسائط اللهو والترفيه، التي يصنعون بها أذهانهم ونفوسهم ويزرعون داخلها مفاتيح غير مرئية، تمكنهم من تحريكهم متى شاؤوا، وفي أي اتجاه شاؤوا.

---

1) Christopher Hibbert: The Rise And Fall of The House of Medici, P63, William Morrow And Co., New York, 1975.

وإذا تأملت الطريقة التي كان يحكم بها كوسيمو دي مديتشي فلورنسا، فينبغي أن تنتبه أن كل ما أخبرناك به من تفاصيلها، إنما هو من تنقيب المؤرخين اللاحقين وتحليلاتهم، ولكن عموم الناس في فلورنسا وعوامهم لم يكونوا يدركونه في زمانهم، بل كانوا يتعاملون مع أعضاء مجالس الحكم والمحكمة، على أنهم هم من يحكمون فعلاً، ولا يدركون علاقة كوسيمو دي مديتشي بها وبهم، وأنها ليست سوى واجهات له، وأدوات تنفذ ما يريده، وهو الحاكم الحقيقي.

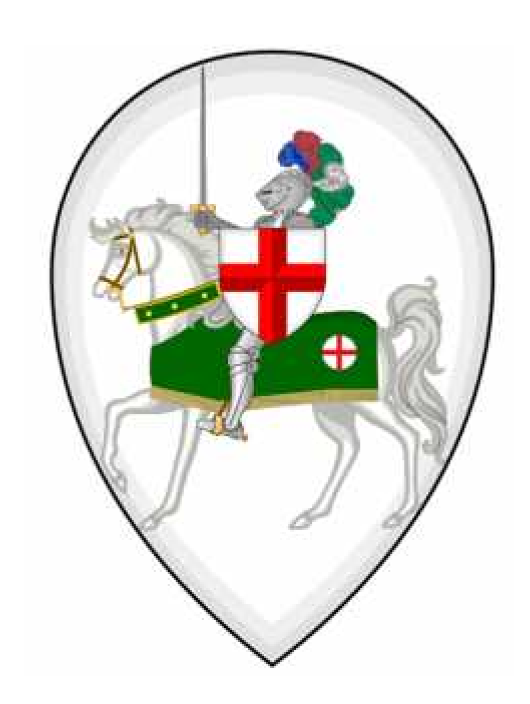
وهذه الطريقة التي كان يحكم بها كوسيمو دي مديتشي فلورنسا، من خلف الواجهات، هي الطريقة المفضلة عند اليهود والحركات السرية، منذ فلورنسا في عصر النهضة، وحتى الولايات المتحدة الأمية في القرن العشرين، فيقيمون مهرجانات تتراشق فيها الواجهات، وتحتشد كتل العوام في حماس للمفاضلة بينهم، وتمتلئ نفوسهم بالنشوة أن من يحكمهم هم من اختاروه، وتراقبه وسائل الإعلام وتنقل لهم حركاته وسكناته، ويهتفون له أو يلعنونه، بينما من يرسمون السياسات ويسيطرون على هذه الواجهات وهم الذين يحكمون فعلاً من خلالها، في قرارهم المكين، لا تختارهم كتل العوام ولا تنتخبهم، ولا يتغيرون، ولا يرونهم، بل ولا يدركون وجودهم.

والآن نعلم أنك لن تعجب إذا علمتَ أن محكمة فلورنسا، أو مجلس الثمانية، الذي تم إنشاؤه سنة ١٣٧٦م، وحل محل محاكم النقابات، وصار جهاز القضاء، شعاره Stemma Degli Otto di Balia، فارس يرتدي درعاً حديدياً يغطي وجهه وجسمه كله، ويشهر سيفاً في يده اليمنى، ويمسك درعاً في يده اليسرى، وهو جالس على فرس فوقه سرج أخضر، والدرع الذي يمسكه الفارس هو صليب فرسان الهيكل الأحمر، وعلى سرج الفرس الأخضر دائرة بيضاء بداخلها أيضاً صليب فرسان الهيكل(١).

---

1) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Otto di Guardia e Balia

فشعار محكمة فلورنسا وجهازها القضائي كان الصورة التقليدية لفارس الهيكل، رغم أن فرسان الهيكل كان قد مر على حلها عند إنشاء مجلس الثمانية أكثر من ستين عاماً!



شعار مجلس الثمانية أو محكمة فلورنسا Stemma Degli Otto di Balia

والآن ننتقل بك إلى الجزء الثاني من استراتيجية كوسيمو دي مديتشي للانفراد بالسلطة في فلورنسا والسيطرة المطلقة عليها، ألا وهو تغيير سياستها الخارجية وتحالفاتها، وتحويلها من تحالفات لصالح فلورنسا ودولتها، إلى تحالفات شخصية من أجل مصالحه هو فقط.

وعبر التاريخ، القوى الخارجية، أو من وصلوا إلى السلطة من اليهود الأخفياء والحركات السرية في دولة ما، كانوا هم القوة الحقيقية التي تفتح طريق نظرائهم من اليهود الأخفياء إلى السلطة في دولة أخرى، وتمكنهم من إزاحة خصومهم والاستيلاء عليها، كما رأيت في نموذج كوسيمو دي مديتشي مع دوق ميلانو فرانشيسكو سفورتسا، في عصر النهضة، وكما تعلم من سيرة الآتين من الخلف في بلاليص ستان، أولهم وثانيهم وثالثهم.

يقول جون ناجمي:

"**سعى كوسيمو إلى تغيير تحالفات فلورنسا التقليدية، فلم يوافق على ذلك بعض أنصاره، وهددت سياسته الخارجية بحدوث انشقاق بين أعضاء الحكومة، فاتجه إلى تضييق دائرة التعامل مع السياسة الخارجية، فأزال منها من ينتقدونه، وقصرها على من يطيعونه بلا مناقشة، ويبدأ في ممارسة دبلوماسية وسياسة خارجية شبه خاصة Semi Private، وخارج المؤسسات الحكومية**"(١).

وتقول كاثَرين دوروتيا إيوارت:

"**كان كوسيمو وزير خارجية نفسه، وتجاهل الطرق الرسمية في التعامل مع القوى الأجنبية، وجعل علاقتها معه مباشرة، وكان السفراء يتم تعيينهم رسمياً عن طريق مجلس السيادة ومجلس العشرة Dieci**(ő)**، ولكن بعد أن يستقبلهم كوسيمو ويوافق عليهم، ثم يكلفهم بالمهمات ويرسلون تقاريرهم إليه دون أن يعلم مجلس العشرة شيئاً عنها**"(٢).

وكانت نتيجة ذلك، كما يقول المؤرخ البريطاني كرستوفر هيبرت Christopher Hibbert، في كتابه: ازدهار بيت دي مديتشي وانهياره The Rise And Fall of The House of Medici:

"**في المسائل المهمة، كان الحكام الأجانب يوجهون مبعوثيهم، أن يذهبوا مباشرة إلى كوسيمو ويتفاوضوا معه، وألا يضيعوا وقتهم مع أي طرف آخر في فلورنسا Not To Waist Their Time**"(٣).

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P291.

ő) مجلس العشرة Dieci di Balia: هو مجلس الشؤون الخارجية، والمسؤول عن تعيين السفراء، والعلاقات مع الدول الأخرى، وإعلان الحرب وعقد المعاهدات.

2) Cosimo de Medici, P149.

3) The Rise And Fall of The House of Medici, P63.

وأبرز تحالفات كوسيمو دي مديتشي، التي غير بها سياسات فلورنسا التقليدية، من أجل أن يضمن وجود قوة عسكرية خارجية تحمي سلطته في فلورنسا، تحالفه مع دوق ميلانو، فرانشيسكو سفورتسا، في مواجهة فينيسيا، وكانت فينيسيا حليفاً لفلورنسا، وميلانو عدواً تقليدياً لها، قبل أن يصل سفورتسا إلى حكم ميلانو، ويضع كوسيمو مقاليد فلورنسا في يده.

يقول المؤرخ البريطاني كرستوفر هيبرت:

"**في خريف سنة ١٤٣٥م، زار سفورتسا فلورنسا، وقد شكلت هذه الزيارة تاريخ إيطاليا خلال نصف القرن التالي، حيث التقى سفورتسا وكوسيمو لأول مرة، ونشأت بينهما صداقة عميقة، استمرت طوال حياتهما، وامتدت إلى نسلهما، ومنذ هذه الزيارة صار سفورتسا يبدأ رسائله لكوسيمو، مخاطباً إياه على أنه أبوه His Father، وصرح بان مصالح كوسيمو ورغباته هي مصالحه ورغباته**"(١).

والتحالف الرئيسي الثاني لكوسيمو دي مديتشي، كان مع البابا إيوجينيوس الرابع Eugenius IV، وكان صاحب دور حاسم في استيلاء كوسيمو على السلطة، إذ كما رأيت، جعل خصم كوسيمو الرئيسي، رينالدو ألبيتسي، يقبل تحكيمه، وأوهمه أنه لن يضار بعودة كوسيمو إلى فلورنسا، فسرَّح رينالدو أنصاره الذين احتشدوا بالأسلحة، ثم نكث البابا بوعده له وتخلى عنه، ونُفي رينالدو من فلورنسا.

وكان نيكولو فورتِبراتشيو Niccolò Fortebraccio، وهو كوندوتييري، أو صاحب شركة للميليشيات الخاصة، يعمل في خدمة البابوية، ثم انقلب عليها وتحالف مع دوق ميلانو السابق، فيليبو ماريا فيسكونتي Filippo Maria Visconti، واستولى بتحريض منه على بعض المناطق التابعة للكنيسة، وهدد روما نفسها، وكان هذا سبب ترك البابا إيوجينيوس الرابع لروما ولجوئه إلى فلورنسا، وبعد أن وصل فرانشسيكو سفورتسا، إلى السلطة، وصار

---

1) The Rise And Fall of The House of Medici, P76.

دوق ميلانو، تحالف مع البابا إيوجينيوس الرابع، واستعان به البابا لاستعادة المناطق التي استولى عليها فورتِبراتشيو.

واللجنة التي تتكون من أنصار كوسيمو دي مديتشي، وقررت إلغاء عقوبته وإعادته إلى فلورنسا، سنة ١٤٣٤م:

"كلفت في الوقت نفسه الحكومة بدفع ٥٠,٠٠٠ فلورين إلى سفورتسا، نيابة عن إيوجينيوس الرابع On Eugenius's Behalf"[١].

وبالبابا إيوجينيوس الرابع، صار الحلف بينه وبين كوسيمو دي مديتشي وفرانشيسكو سفورتسا ثلاثياً.

والعلاقة الوثيقة، والتي تتعدى حدود السياسة، بين كوسيمو دي مديتشي وفرانشيسكو سفورتسا، يفسرها لك ما علمته من سيرة كوسيمو وأسرة دي مديتشي، والنبذة التي عرفناك فيها بسفورتسا وأسرته.

أما الطرف الثالث، البابا إيوجينيوس الرابع، فربما يفسر لك حلفه معهما وعلاقته بهما، رغم أن البابا كان من فينيسيا، التي تحالف كوسيمو وسفورتسا معاً وخاضا حروباً ضدها، أن تعلم أن سيرة البابا إيوجينيوس الرابع وأسرته هي نفسها سيرة كوسيمو وسفورتسا وأسرهما، فالبابا إيوجينيوس الرابع، واسمه الأصلي جابرييل كوندولمِر Gabriele Condulmer، ليس من فينيسيا، وأسرته من أسر التجار الذين انتقلوا إليها واستوطنوها، ثم صارت من أسر النبلاء بثروتها والنفوذ الذي جلبته لها هذه الثروة[٢].

وفي سنة ١٤٦٤م، مات كوسيمو دي مديتشي، الذي كانت استراتيجيته توريط فلورنسا في الحروب، لكي يضمن احتفاظه هو بالسلطة، وبعد موته منحه السنيوريا، أو مجلس السيادة

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P288.
2) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Papa Eugenio IV.

الحاكم لفلورنسا، لقب: أبو البلاد Pater Patriae[١]، وهذه هي الثروة السائلة التي تركها أبو البلاد:

"**عند موت كوسيمو، كانت ثروته ٢٣٥,١٣٧ فلورين ذهبي، وما أنفقه في حياته يزيد على ٥٠٠,٠٠٠ فلورين ذهبي**"[٢].

فإذا تذكرت مرة أخرى، أن الفلورين يزن ٣,٤٨ جراماً من الذهب، تكون قد علمت أن ثروة كوسيمو دي مديتشي عند وفاته، كانت حوالي ٨١٩ كيلوجراماً من الذهب.

بييرو المريض:

وبعد موت كوسيمو دي مديتشي، خلفه في رئاسة البنك وإدارته، ابنه بييرو Piero، وخلفه كذلك في حكم فلورنسا من خلف الواجهات، وكان أخوه الأكبر جيوفاني قد مات في حياة كوسيمو.

وكان بييرو:

"**مريضاً بالنقرس، واشتهر بمرضه حتى صار لقبه، وأبوه كوسيمو ما زال حياً: بييرو المريض بالنقرس Piero il Gottoso**"[٣].

ولم يعش بييرو بعد أبيه كوسيمو سوى خمس سنوات، ومات سنة ١٤٦٩م، وخلال هذه السنوات الخمس، استمر في السيطرة على شؤون فلورنسا ومجالس الحكومة وأعضائها من قصره، الذي تحول فعلياً إلى مقر الحكم، إلا أنه تعرض في سنة ١٤٦٦م إلى محاولة للإطاحة به، وبالواجهات التي يحكم من خلالها، من مجالس الحكومة.

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P132.
2) The Guilds of Florence, P194.
3) Young: The Medici, Vol. I, P148.

ففي شهر مارس ١٤٦٦م، مات دوق ميلانو فرانشيسكو سفورتسا، حليف أسرة دي مديتشي، الذي كانت قواته العسكرية مصدر قوة الأسرة وسيطرتها على السلطة في فلورنسا.

وبعد أن وصل الخبر إلى فلورنسا:

"اجتمع، في شهر مايو، ٤٠٠ من المواطنين معارضي حكم أسرة دي مديتشي وانفرادهم بالسلطة ومجالس الحكومة، وعلى رأسهم لوكا بِتِّي Luca Pitti، وأنيولو أكشيولي Agnolo Acciaiuoli، ووقعوا بياناً يتعهدون فيه بالدفاع عن حرية المواطنين، وإعادة تشكيل مجالس الحكومة بالطريقة العريقة السابقة على حكم أسرة دي مديتشي، والتي كان يتم بها تمثيل جميع طبقات فلورنسا، وكذلك عدم توقيع أي عقوبة على أي مواطن إلا عن طريق القانون، لكي يكون المواطنون أحراراً في اختيار من يمثلهم، وعند تصويتهم في المسائل العامة"[١].

وطلب خصوم أسرة دي مديتشي معونة عسكرية من دوق فيرارا، بورسو ديستي Borso d'Este، فأرسل قوة بقيادة أخيه إركولي Ercole، فوصلت إلى فلورنسا وعسكرت على تخومها، ثم حاولوا اعتقال بييرو دي مديتشي، فنصبوا له كميناً في طريقه إلى قصره، ولكن ابنه لورنزو، وكان في السابعة عشرة، رآهم وحذر أباه.

وكان بييرو قد أرسل إلى دوق ميلانو، جلياتسو Galeazzo، ابن فرانشيسكو سفورتسا، فأرسل هو الآخر قوة عسكرية إلى فلورنسا، وفي الوقت نفسه استدعى بييرو حشود الفلاحين الذين يدينون بالولاء لأسرة دي مديتشي، فقدموا إلى فلورنسا مدججين بأسلحتهم[٢].

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P302.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P303.

وكانت هذه هي نهاية محاولة الإطاحة بأسرة دي مديتشي من السلطة في فلورنسا:

"تم انتخاب مجلس جديد للسيادة، يرأسه روبرتو ليوني Roberto Lioni، فاستدعى الشعب إلى القصر، وتم تكوين لجنة، جميعها من أنصار بييرو، فوضعت في مناصب الحكومة من يريدهم بييرو"[١].

لورنزو العظيم بالقبالاه والتماثيل:

وبعد موت بييرو دي مديتشي، خلفه ابنه الأكبر لورنزو الذي لُقب بالعظيم Lorenzo Il Magnifico، ليس بسبب الحكم والسياسة، فلم يكن ملكاً رسمياً، ولا قائداً عسكرياً، بل لوصول عصر النهضة إلى أوجه وذروته في عهده، وازدهار الأكاديمية الأفلاطونية، ورعايته للأدباء والرسامين والنحاتين، وظهور الأسماء البراقة التي غيرت وعي أوروبا وأفكارها ومسارها، ثم العالم كله من بعدها.

يقول المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، المولع بأسرة دي مديتشي وآثارها:

"ولقب العظيم، ناله بسبب قدراته غير العادية، وسخائه، وإنفاقه لثروته على المنافع العامة، وعظمته في حياته، التي شاركته فيها فلورنسا، والروعة التي جعلها عليها، حتى صارت عاصمة الفكر والفن في أوروبا Intellectual And Artistic Capital، وفي العصور اللاحقة نال إدانة واسعة من المؤرخين، بسبب التغييرات بعيدة المدى التي جلبها لحكومة فلورنسا، والتي حولها بها من جمهورية إلى دولة يحكمها وحده حكماً مطلقاً، ولكن أسرة دي مديتشي كانت الوحيدة من بين أسر فلورنسا المؤهلة لحكمها، بثروتها ونفوذها وعبقريتها، ولذا كان انفراد لورنزو وأسرة دي مديتشي بحكم فلورنسا، ليس فقط أمراً طبيعياً، بل وأيضاً حق لهم"[٢].

---

1) Machiavelli: History of Florence, P331.
2) Young: The Medici, Vol. I, P207-208.

وقد واصل لورنزو سياسة جده كوسيمو وأبيه بييرو، في حكم فلورنسا حكماً مطلقاً، وهو مجرد مواطن من فلورنسا، وليس حاكماً رسمياً أو عضواً في أي منصب، وذلك من خلال مجالس الحكومة المنتخبة والصورية، التي تنفذ ما يريده، وهي توهم العوام أنها تفعل ما يريدونه.

ومثل أبيه بييرو، تعرض لورنزو للاغتيال ومحاولة للإطاحة بحكم أسرة دي مديتشي، وتُعرف تاريخياً بمؤامرة باتسي Congiura dei Pazzi، وكانت من تدبير ثلاثة من أعضاء الأسر النبيلة والعريقة في فلورنسا، وهم فرانشيسكو باتسي Francesco de’ Pazzi، وجيرولامو رياريو Girolamo Riario، وفرانشيسكو سالفياتي Francesco Salviati، وشجعهم عليها النفور والعداء المستحكم بين لورنزو والبابا سكستوس الرابع.

وكان البابا سكستوس الرابع يعمل على إعادة سلطة البابوية على بعض المناطق والبلدات التابعة لها، والتي كانت مع اضطراب الأمور في روما شبه منفصلة عنها، وعقدت اتفاقيات مع فلورنسا ودخلت في دائرة نفوذها، وحين أرسل البابا قوات لإخضاع شيتا دي كاستلو Città di Castello، أمد لورنزو حاكمها بقوات قاتلت معه ضد قوات البابا، فتوترت العلاقة بينهما.

تلا ذلك، في سنة ١٤٧٣م، أن:

"لورنزو عرض على دوق ميلانو، جلياتسو ماريا سفورتسا Galeazzo Maria Sforza، أن يشتري بلدة إمولا Imola التابعة لميلانو، بمائة ألف دوكا ذهبية، فاحتج البابا سكستوس الرابع، لوقوع البلدة على تخوم المناطق البابوية، وتمكن من شراء إمولا من دوق ميلانو بأربعين ألف دوكا فقط، على أن يتزوج ابن أخته بييرو رياريو Pietro Riario، من كاترينا Caterina، ابنة جلياتسو ماريا سفورتسا، وزاد البابا على ذلك أنه طلب من بنك دي مديتشي، بنك الخزانة البابوية، تمويل شراء إمولا، فرفض لورنزو، واحتج

بأنه ليس في البنك مال يكفي، فطلب البابا من بنك باتسي التمويل، وأحله في الخزانة البابوية محل بنك دي مديتشي "[1].

ولا ينبغي أن يكون قد فاتك، أنه بزواج كاترينا سفورتسا من بييرو رياريو، الذي أصبح بعد ذلك أسقف فلورنسا ثم كاردينالاً، أصبح نسل فرانشيسكو سفورتسا، تاجر الحروب وصاحب شركة الميليشيات المرتزقة، في الوقت نفسه من نسل البابوات وأسر الكنيسة!

وتلا ذلك أزمة أخرى، إذ:

"**كان لورنزو يريد أن يكون أسقف فلورنسا الذي ينصبه البابا من فلورنسا، ومن اختياره هو، وطلب من البابا سكستوس الرابع أن ينصب أخاه جوليانو دي مديتشي Giuliano، أسقفاً لفلورنسا، ولكن البابا رفض، وحين خلا منصب أسقف فلورنسا سنة ١٤٧٤م، وضع البابا فيه الكاردينال فرانشيسكو سلفياتي، وهو من فلورنسا، ولكنه من خصوم لورنزو، وابن عم جاكوبو باتسي Jacopo Pazzi، فحرض لورنزو مجلس السيادة على رفض تنصيب سلفياتي، وترشيح رينالدو أورسيني Rinaldo Orsini، وهو أخو كلاريس Clarice، زوجة لورنزو، فاضطر البابا للموافقة، ثم اختفى أورسيني وترك إدارة الكرسي الرسولي بين أيدي لورنزو ودائرته الضيقة**"[2].

وفي يوم ٢٦ أبريل ١٤٧٨م، يقول ميكيافيللي، في كتابه: تاريخ فلورنسا:

"**قرر المتآمرون قتل لورنزو وأخيه جوليانو، في أثناء قداس عيد القيامة، في كنيسة سانتا ماريا دي فيوري Santa Maria del Fiore، وأن تكون إشارة البدء، عندما يبدأ الكاهن في تناول القربان، وعندما أتت اللحظة التي اتفقوا عليها، أخرج برناردو بانديني Bernardo Bandini خنجراً قصيراً وطعن به جوليانو في صدره، فسقط إلى الأرض، واندفع فرانشيسكو باتسي نحوه، وأخذ يطعنه كالمجنون، بينما لم ينجح أنطونيو Antonio**

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P353.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P354.

وستيفانو Stefano في قتل لورنزو، ووجهوا له عدة طعنات لم تصبه سوى بجرح صغير في عنقه، وأحاط به أنصاره، وأدخلوه إلى خزانة المقدسات، وأغلقوا بابها، وكان من النحاس"(١).

وهكذا، ومرة أخرى، انتهت محاولة إزاحة أسرة دي مديتشي من السلطة في فلورنسا، بإعدام عشرات الأشخاص، منهم ثلاثون أعدموا فوراً في يوم محالة الاغتيال، وفي مقدمتهم جاكوبو باتسي، وجيرولامو رياريو، وفرانشيسكو سلفياتي، وقد أعدموا شنقاً وعلقت جثثهم في نوافذ قصر السيادة، وطُردت أسرهم وأسر أنصارهم من فلورنسا.

ولأن البابا سِكستوس الرابع كان قد نصب فرانشيسكو سلفياتي أسقفاً لمدينة بيزا:

"**أصدر البابا في الأول من يونيو مرسوماً بأن قتل الأسقف سلفياتي جريمة في حق الكرسي الرسولي، وحكم فيه بحرمان لورنزو Excommunication، وطالب مجلس السيادة بتسليمه لروما، فرفض المجلس، فأصدر في يوم ٢٢ يونيو مرسوماً بحرمان مجلس السيادة وحكومة فلورنسا، ومنع إقامة القداس والطقوس فيها، وقرر إعلان الحرب عليها**"(٢).

واستعان البابا سكستوس الرابع بحلفائه، فرديناندو أراجونا Ferdinando d'Aragona، ملك نابولي، وفدريكو مونتفيوري Federico da Montefeltro، كونت أُربينو Urbino، وهو أيضاً كوندوتييري وصاحب شركة للميليشيات المرتزقة، ووصل إلى السلطة في أربينو بشركته وميليشياته.

وجمع لورنزو مجلس السيادة ومعه ثلاثمائة من كبار مواطني فلورنسا، وألقى فيهم خطبة عن دور أسرة دي مديتشي في حماية فلورنسا وإنفاق ثروتها في رفع مكانتها، وأن الحرب

---

1) Machiavelli: History of Florence, P363-364.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P358.

التي أعلنها البابا من أجل القضاء على استقلال فلورنسا، وليست من أجله هو، وأنه سيضحي بنفسه من أجل إنهاء الحرب والحفاظ على فلورنسا[١].

وتم تشكيل لجنة للحرب، وصار لورنزو أحد أعضائها، وهو المنصب الرسمي الوحيد الذي تولاه إبان حكمه المطلق لفلورنسا، وأرسل لورنزو باسم المجلس يطلب معونة ميلانو، ولكنها كانت في فوضى بعد اغتيال جلياتسو ماريا سفورتسا، وكذلك رفضت فينيسيا لانشغالها في حرب الدولة العثمانية، وكان أسطول السلطان محمد الفاتح قد وصل إلى مياه إيطاليا، وبدأ في شن الغزوات على دولها ومدنها.

وغزت قوات البابا، ومعها قوة من نابولي بقيادة ألفونسو دوق كالابريا Alfons of Calabria، ابن ملك نابولي، وميليشيات أُريينو بقيادة فدريكو مونتفيوري، فلورنسا، وفي شهر نوفمبر ١٤٧٩م، كانت هذه القوات قد استولت على جميع المدن والبلدات الجنوبية التابعة لفلورنسا، وبدأت الأسر الثرية في ترك فلورنسا إلى أملاكها في الأرياف، خوفاً من اقتحامها.

ومع حلول الشتاء، قرر البابا وملك نابولي منح فلورنسا هدنة لمدة ثلاثة أشهر، وخلالها:

"أدرك الفلورنسيون الأوضاع المزرية التي تعاني منها المدينة، وبدأ المواطنون في لوم بعضهم، وصاروا يتكلمون علانية عن الأخطاء في إدارة الحرب، وخسائرهم فيها، وفقدان فلورنسا للمناطق التابعة لها، والضرائب الكبيرة التي فرضت عليهم، وتخلي حلفائهم عنهم، ثم صاروا يناقشون هذه المسائل بجرأة، ليس فقط في جلساتهم الخاصة، بل وأيضاً في المجالس العامة، وحمَّل بعضهم لورنزو المسؤولية عن هذه الأوضاع[٢] ... وبعضهم قالوا صراحة إن الكوميونة تقاتل فقط من أجل حماية لورنزو من غضب البابا، وخشي لورنزو، كما صرح لجوِيتشارديني Guicciardini، أن يُفقده المواطنون وضعه Lo Stato، من أجل إنهاء الحرب"[٣].

---

1) Machiavelli: History of Florence, P367-369.
2) Machiavelli: History of Florence, P379.
3) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P359.

ومع تذمر مواطني فلورنسا، وخشية لورنزو أن يفقد نفوذه فيها، قرر أن يحاول عقد صفقة منفردة مع نابولي وأُربينو، بعيداً عن البابا، فأرسل سراً مبعوثين إلى دوق كالابريا، قائد جيش نابولي، وإلى فدريكو مونتفيوري كونت أُربينو، ومع فشل محاولته، وفي خطوة مفاجئة:

"قرر لورنزو أن يذهب إلى نابولي، فترك فلورنسا في بداية شهر ديسمبر، دون أن يخبر أحداً، ما عدا قائد العدالة توماسو سودريني Tommaso Soderini، الذي فوضه في إدارة شؤون فلورنسا، وعندما وصل إلى بيزا، أرسل إلى مجلس السيادة يخبره بسبب رحيله، فأرسل إليه المجلس رسالة تنصبه سفيراً لشعب فلورنسا، وتمنحه سلطة التفاوض مع ملك نابولي، وعقد اتفاقية معه"[١].

وفي نابولي:

"عرض لورنزو على ملك نابولي فرديناندو أراجونا، عقد اتفاقية وتحالف معه، في مقابل إعادة المناطق التي استولى عليها جيشه لفلورنسا، والتخلي عن مطالبة لورنزو بالذهاب لروما والخضوع لمحاكمة أمام البابا سكستوس الرابع، وكان لورنزو يتعجل العودة إلى فلورنسا، لكي لا تنقلب الأوضاع فيها ضده، ولكن فرديناندو لم يسمح له، واستبقاه عنده ثلاثة أشهر، دون أن يعقد اتفاقاً أو يمنحه ضمانات بخصوص ما طلبه"[٢].

ثم مع وصول أنباء إلى فرديناندو عن حملة فرنسية على نابولي:

"اتجه فرديناندو فجأة إلى إحياء التفاوض، وأعطى لورنزو وعداً غير رسمي أنه سيعيد إلى فلورنسا المناطق التي فقدتها، ولكن الوصول إلى اتفاقية سلام، لم يكن ممكناً دون أن يقدم لورنزو التماساً شخصياً إلى البابا، ويطلب منه العفو عنه، وفي سنة ١٤٨٠م استولى العثمانيون على ميناء أوترانتو Otranto، فسحب فرديناندو قواته من فلورنسا، وأعاد إليها مناطقها، وبسبب خوف البابا سكستوس من العثمانيين، ورغبته في توحيد دول

---

1) Machiavelli: History of Florence, P380.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P361.

إيطاليا في مواجهتهم، وافق على استقبال مبعوثين من فلورنسا، ليس فيهم لورنزو، ليطلبوا منه العفو، باسم أهل فلورنسا، ورغم أن بنود اتفاقية السلام التي تم توقيعها، كما لاحظ جوِيتشارديني، كانت تشبه الشروط التي يمليها المنتصر على من يخسر الحرب، فإن لورنزو حولها في فلورنسا إلى انتصار"(١).

وبعد أن حول لورنزو اتفاقية السلام مع نابولي إلى انتصار شخصي له:

"دون تأخير، بدأ لورنزو هو ودائرته الضيقة في إجراء تعديلات في مؤسسات الحكم، تزيد من سيطرته عليها، وبدلاً من إجراء انتخابات أو إصلاح مالية فلورنسا، تم تكوين لجنة، قامت بتكوين مجلس جديد، هو مجلس السبعين Council of The Seventy، وركزت فيه جميع السلطات، التنفيذية والتشريعية، وصار له الكلمة النهائية في جميع المسائل التي تُعرض على المجالس الأخرى، وبذلك حل محل مجلس السيادة وأخذ سلطته ووظيفته، وأصبح السلطة العليا، وسجلات فلورنسا الرسمية لا تكشف مدى نفوذ لورنزو على مجلس السبعين، ولكن حسب تقارير سفير ميلانو، وتاريخ جوِيتشارديني، فإن لورنزو ودائرته الضيقة كانوا يسيطرون على المجلس، وهم الذين يختارون أعضاءه السبعين، وفي ثمانينيات القرن الخامس عشر، صارت سلطة لورنزو على فلورنسا مطلقة، ولا نظير لها بين أمراء إيطاليا، فلا أحد يتولى منصباً دون موافقته، ولا يتخذ مجلس الشؤون الخارجية أي خطوة إلا بتعليماته، وصارت سياسة الكوميونة الاقتصادية والمالية تحت سيطرته، وأخذ حوالي نصف مليون فلورين من مونتي الكوميونة لأغراضه الشخصية، وأُسر الطبقة العليا لم يكن مسموحاً لها بالمصاهرة وعقد الزيجات فيما بينها إلا إذا وافق عليها، وكان يتدخل في القضاء، ويأمر بتوقيع عقوبات على من يشاء، فكان أميراً فوق القانون Prince Above The Law، ولكنه كان أيضاً أميراً قلقاً وغير آمن، ولا يثق إلا في قلة قليلة من الناس، ويسعى دائماً إلى زيادة سلطاته، لكي يعوض هشاشة من يدعمونه"(٢).

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P361.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P362-363..

وبعد أن قرأت وصف أستاذ تاريخ عصر النهضة الموضوعي للمعاهدة التي وقعها لورنزو مع ملك نابولي، والملابسات التي دفعت ملك نابولي والبابا لقبولها، إليك وصف ميكيافيللي الذي كان يعيش في بلاط لورنزو للمعاهدة:

"**ووصل لورنزو إلى اتفاقية مشرفة مع الملك Honorable Treaty، واستعادت فلورنسا نفوذها السابق، وتغيرت روح المناقشات العامة، وصار المواطنون يمدحون لورنزو في كل مكان، ويشيدون بحكمته، وكيف استعاد بالسلام ما أفقدته لهم الظروف السيئة بالحرب، ونال بشجاعته أكثر مما ناله أعداؤه بجيوشهم المسلحة**"[١]!

وهذا هو وصف المؤرخ البريطاني الهائم بلورنزو ولوحاته وتماثيله، جورج فريدريك يونج:

"**وبسعة عقله وإدراكه للتوازنات السياسية بين دول إيطاليا، حول لورنزو ملكَ نابولي من عدو إلى صديق، وعاد إلى فلورنسا منتصراً In Triumph، وصار المواطنون يهنئون أنفسهم في سعادة، ويشيدون بقدراته التي أثبتت أنها أقوى من جيوش جميع الأعداء، وكيف استعاد بحكمته ودهائه ما خسره في الحرب**"[٢].

وكما ترى، ليس مهماً عند المؤرخين الموظفين، وأمثالهم الهائمين بأسرة دي مديتشي، ولا عند الموسوعات التي يتجه إليها عموم الناس بحثاً عن المعرفة والمعلومات، أن لورنزو دي مديتشي كان طاغية نموذجياً، وضع جميع السلطات في فلورنسا في يده، وتسلط على أهلها حتى صاروا لا يمكنهم الزواج والمصاهرة إلا بإذنه، وورطها في حروب خاسرة، وأفقدها أراضيها، وفتح خزانتها العامة على خزانته الخاصة، المهم فقط والذي صار به عظيماً، ويؤلفون فيه الأغاني، أنه أنفق أمواله وأموال فلورنسا التي لا يحاسبه على أخذها أحد، على الأكاديمية الأفلاطونية الوثنية القبالية، وعلى اللوحات والتماثيل العارية، وليس عندهم مانع من أجلها أن يحولوا الكوارث التي صنعها إلى سياسة حكيمة وحكمة سامية.

---

1) Machiavelli: History of Florence, P386.
2) Young: The Medici, Vol. I, P253.

وهو ما يذكرك بنظراء لورنزو، من الآتين من الخلف في بلاليص ستان، يصلون إلى السلطة بالدسائس، ثم يورطونها في الحروب ويخسرونها، ويفقدونها أراضيها، ويسفكون دماء أهلها، ويفقرونهم، ويحولونها إلى تابع للإمبراطوريات الماسونية، أو للدولة البني إسرائيلية، ولكنهم يصيرون في كتب التاريخ التي يكتبها الموظفون المرتزقة والمؤرخون الأميون، وعند بقر الصحف والشاشات، من صناع النهضة، أو من الأبطال والزعماء، فقط لأنهم يحيطون أنفسهم بالجورنالجية والأدباتية والمشخصاتية والمغنواتية، ويغدقون عليهم من الأموال التي ينهبونها من بلاليص ستان.

بييرو المنحوس، وطرد أسرة دي مديتشي:

وفي ٨ أبريل سنة ١٤٩٢م، مات لورنزو دي مديتشي، وعمره ثلاث وأربعون سنة، وكان قد وزع مناطق السلطة والنفوذ في فلورنسا بين أبنائه، وأعد كلاً منهم للموقع الذي اختاره له، فأعد بييرو ليخلفه في حكم فلورنسا من خلال الواجهات، وبعد صدامه مع البابا سِكستوس الرابع، أدخل ابنه جيوفاني في سلك الكهنوت، وهو في الحادية عشرة، لكي يجهزه للصعود في الكنيسة والوصول إلى عرشها، وقد أصبح فعلاً البابا ليوني/ليو العاشر Leone X، وفي سنة ١٤٨٨م زوج ابنته مادلينا Maddalena، من ابن البابا إنوسنتيوس/إنوسنت الثامن Innocentius VIII، الذي خلف البابا سكستوس الرابع، وأغراه بدوطة Dowry[1]، قدرها ٤,٠٠٠ دوكا ذهبية.

وبييرو، ابن لورنزو الأكبر، الذي خلفه في حكم فلورنسا من خلال مجالس الحكم الصورية، يلقب بسيء الحظ، أو المنحوس Lo Sfortunato، لأن أسرة دي مديتشي طُردت في عهده من فلورنسا.

وبعد موت لورنزو، يقول مؤرخ فلورنسا المعاصر للورنزو وابنه بييرو، جوِيتشارديني:

---

[1]) الدوطة Dowry: جزء من تقاليد الزواج في أوروبا منذ العصور الوسطى، وهي مبلغ من المال، أو شيء ثمين، يدفعه أهل العروس للعريس أو لأهله، في مقابل زواجه من ابنتهم.

"حـــاول برنـــاردو Bernardo، زوج أخـــت لـــورنزو، وبـــاولانتونيو ســـوديريني Paolantonio Soderini، ابـن توماسـو، قائـد العدالـة المتـوفى حـديثاً، إقنـاع بييـرو بالاعتدال في ممارسة سلطته، وأن تعود مؤسسات الحكومة إلى تقاليدها العريقـة فـي تمثيـل جميـع المـواطنين، بـدلاً مـن الاسـتمرار فـي مسـحة الطغيـان Whiff of Tyranny، التـي جعلت عموم المواطنين يكرهون لورنزو، ولكن سلوك مستشاريه كان قاتلاً Fatal، فأقنعوه ألا يثـق إلا فـي دائرتـه الضـيقة، وحرضـوه علـى عدم التفريط فـي السلطة، وانحصرت دائـرة الحكـم فـي عشـرة أشـخاص فقـط، يسـتخدمونه كـرأس Capo، مـن أجـل أن يحتفظـوا هـم بالسلطة، وكانت هذه بداية سقوطه"[1].

وما عجل بسقوط بييرو، ومكّن أهل فلورنسا من الإطاحة به، أن ملك فرنسا شارل الثامن Charles VIII، شن حملة عسكرية ضد مملكة نابولي، بدأها في سنة ١٤٩٣م، وكان بين فرع أسرة فالوا Valois الحاكم لفرنسا، وفرع الأسرة الحاكم لنابولي، نزاع تاريخي حول وراثة مملكة نابولي.

وبعد أن عبر شارل الثامن جبال الألب، وعقد اتفاقية مع دوق ميلانو إل مورو Il Moro، فـي أبريـل سـنة ١٤٩٤م، كـان طريـق جيشـه إلـى نـابولي يمـر بتوسـكانيا، وعنـدما اقتـرب مـن فلورنسا:

"حسـب تقـارير بـارنتي Parenti، كـان بييـرو يريـد الانضـمام لنـابولي ومقاومـة الجـيش الفرنسي، لأن معظم مواطني فلورنسا كانوا يكرهون أسرة دي مديتشي، وزادت كراهيتهم بعد سيطرة الكاردينال جيوفاني (ابن لورنزو وأخو بييرو) على شؤون الكنيسة، وصاروا يتهمون الأسرة باغتصاب السلطة المدنية والسلطة الكنسية، وظهرت مجموعات منـهم تتكلم علانيـة عـن دعـوة ملـك فرنسـا لتحريـرهم مـن الطاغيـة To Free Them From The Tyrant"[2].

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P367.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P377.

ومع وصول شارل الثامن إلى تخوم فلورنسا، في شهر أكتوبر، واستيلائه على بعض قراها وقلاعها، وعدم وجود جيش يمكن مواجهته به:

"قرر بييرو أن يحاكي أباه لورنزو، فذهب إلى معسكر شارل الثامن بنفسه، ووضع نفسه تحت رحمته، وسلم له قلاع بيزا، وليفورنو، وبييتراسانتا Pietrasanta، وسارتزانا Sarzana، ونصف المناطق الغربية من كوميونة فلورنسا، في مقابل ألا يقتحم الملك مدينة فلورنسا نفسها"[١].

وبعد عودة بييرو إلى فلورنسا، وقد سبقته أنباء الاتفاقية:

"وجد في انتظاره عاصفة من الغضب والانتقادات، وفي ٩ نوفمبر ١٤٩٤م، اجتمع مجلس السيادة واتخذ قراراً بإبعاد أسرة دي مديتشي خارج كوميونة فلورنسا، وقبل اعتقالهم هرب بييرو من فلورنسا، من بورتا سان جالو Porta San Gallo، وخرج أخوه الأصغر الكاردينال جيوفاني متخفياً في زي راهب دومنيكاني، ورصد مجلس السيادة ٤,٠٠٠ فلورين لرأس بييرو، و ٢,٠٠٠ فلورين لرأس جيوفاني ... ووصلوا أولاً إلى ألمانيا، فاعتقلهم الإمبراطور مَكسميليان Maximilian، ثم أطلقهم، وبعد مغامرات عديدة وصلوا إلى مارسيليا، ومنها إلى جنوة، حيث أقاموا عند أختهم مادلينا، وبعد فترة انتقلوا إلى روما، فسمح لهم البابا أليساندرو/ألكساندر السادس Alexander Vi بالإقامة فيها، وكان في عداء مع حكومة فلورنسا"[٢].

وسبب عداء البابا ألكساندر السادس لفلورنسا، أن مجلس السيادة، بعد طرد أسرة دي مديتشي، اتخذ قراراً بتنصيب الراهب والواعظ الدومينيكاني جيرولامو سافونارولا Girolamo Savonarola، حاكماً غير رسمي، مكان بييرو المنحوس، وتفويضه في التفاوض مع الملك شارل الثامن، وكان سافونارولا، وهو من فيرارا، يقيم في دير سان ماركو San Marco في فلورنسا عند زحف جيش شارل الثامن عليها، وكان من أنصاره، ودعا أهل فلورنسا إلى

---

1) Hibbert: The Rise And Fall of The House of Medici, P186.
2) Young: The Medici, Vol. I, P319, 325-326.

التحالف معه والإطاحة بأسرة دي مديتشي، وكان في الوقت نفسه من أشد منتقدي البابوات والكاردينالات والأساقفة، ونزعة الترف والانحلال والبعد عن أخلاق المسيحية التي سرت في الكنيسة، واللوحات والتماثيل التي ملأتها ولا علاقة لها بالمسيحية، وألف في ذلك عدة رسائل، وكوّن في كل مدينة وبلدة نزل فيها فرقاً من الشباب تدعو إلى الأخلاق والفضائل، وتراقب الأماكن العامة، لمكافحة الرذائل وعقاب من يرتكبونها.

وانتهى صدام سافونارولا مع الكنيسة، بإصدار البابا ألكساندر السادس مرسوماً بحرمان سافونارولا، في ١٢ مايو ١٤٩٧م، وتهديد حكومة فلورنسا بحرمانها، وأُعلن المرسوم في جميع كنائس فلورنسا، ثم بعد ثلاث محاكمات في فلورنسا، استمرت أربعين يوماً، وفي يوم ٢٣ مايو ١٤٩٨م، أُعدم سافونارولا مع اثنين من أتباعه، على منصة في أكبر ميادين فلورنسا، علانية وأمام أهل المدينة جميعاً، وكان إعدامهم بالشنق وحرق جثثهم(١).

جيوفاني دي مديتشي، كاردينال وجنرال:

في سنة ١٥٠٣م، مات بييرو دي مديتشي، فأصبح رأس الأسرة أخاه الكاردينال جيوفاني، وكان في الثامنة والعشرين من عمره، ومن خلال موقعه في روما، وعلاقته بالبابا ألكساندر السادس، ثم خلفه البابا جوليوس الثاني Julius II، أعاد علاقة الأسرة بكاردينال فلورنسا، وبأسر الطبقات العليا والحاكمة، وفي سنة ١٥٠٩م، وبعد عامين من الاتصالات والمفاوضات، زوج كلاريس Clarice، ابنة أخيه بييرو، من فيليبو ستروتسي Filippo Strozzi، وكانت عائلة ستروتسي إذ ذاك أقوى عائلات فلورنسا وأغناها، وحاول رئيس مجلس السيادة بييرو سوديريني Piero Soderini الضغط على أعضاء المجلس لمنع الزواج وفشل(٢).

---

1) Pasquale Villari: The Life And Times of Girolamo Savonarola, P758-759, Translated by: Linda Villari, T. Fisher Unwin, London, MDCCCXCVII /1898.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P416.

وإبان ذلك كان الملك لويس الثاني عشر Louis XII، قد شن حملة فرنسية جديدة على إيطاليا، سنة ١٥٠٣م، لمواجهة جيش فرديناندو الثاني Fernando II، ملك أرجون وقشتالة، في نزاع جديد على نابولي، ولقي الجيش الفرنسي هزيمة ثقيلة، في جنوب إيطاليا، في معركة نهر جاريليانو Garigliano، وضم فرديناندو الثاني نابولي وصقلية للتاج الإسباني، وهي المعركة التي مات فيها بييرو دي مديتشي غريقاً في النهر أثناء فراره، ولكن جيش لويس الثاني عشر كان قد احتل مناطق كبيرة من لومبارديا، وظلت فلورنسا حليفة له(١).

وفي سنة ١٥١٠م، عقد البابا جوليوس الثاني حلفاً مقدساً مع إسبانيا وفينيسيا والاتحاد السويسري، لمواجهة فرنسا، وإخراج جيشها من إيطاليا، فرد الملك لويس الثاني عشر على الحلف المقدس بالدعوة لمؤتمر لخلع البابا، وطلب من حليفته فلورنسا أن يتم عقد المؤتمر في بيزا التي تتبع كوميونة فلورنسا، فأصبحت حكومة الكوميونة التي يرأسها سوديريني في مأزق، ولكنها لم تستطع رفض طلب ملك فرنسا وجيشُه يحتل شمال إيطاليا بأكمله، فأعلن البابا باسم الحلف المقدس الحرب على جيش فرنسا وعلى فلورنسا، وأنه سيعيد أسرة دي مديتشي إلى حكم فلورنسا، ونصَّب الكاردينال جيوفاني دي مديتشي قائداً عسكرياً للقوات البابوية، وممثلاً له في قوات الحلف المقدس(٢).

وفي ٦ أبريل ١٥١٢م، التقى الجيش الفرنسي، بقيادة جاستون دي فوكس Gaston De Fox، بجيش الحلف المقدس، يقوده راموندو دا كاردونا Ramondo Da Cardona، والكاردينال جيوفاني، وانتهت معركة رافينَّا Ravenna، بانتصار الجيش الفرنسي، وأُسر الكاردينال جيوفاني وأُرسل إلى ميلانو، ثم أطلق بعد ذلك.

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P366.
2) Young: The Medici, Vol. I, P369-370, 379.

ورغم انتصار الجيش الفرنسي، إلا أن قائده وابن عم ملك فرنسا، دي فوكس، قتل في المعركة، وبعد ثلاثة أشهر تمكن جيش الحلف المقدس، البابوي الإسباني، من هزيمة الجيش الفرنسي، وإخراجه من إيطاليا إلى ما وراء جبال الألب[١].

وبعد خروج الجيش الفرنسي، وبناءً على رغبة البابا:

"تقدم الجيش الإسباني، بقيادة دا كاردونا، نحو توسكانيا، ومعه شروط البابا للتصالح مع حكومة فلورنسا، وهي عزل سوديريني، وغرامة قدرها ١٠٠,٠٠٠ فلورين، وعودة أسرة دي مديتشي إلى فلورنسا، فرفض سوديريني، فاقتحم دا كاردونا مدينة براتو Prato، التابعة لفورنسا، وخربها، وقتل خمسة آلاف من أهلها، فهرب سوديريني من فلورنسا، واجتمع مجلس السيادة في رعب، وأرسل إلى دا كاردونا بالموافقة على جميع مطالبه"[٢].

وهكذا، وفي يوم ١٤ سبتمبر ١٥١٢م، عادت أسرة دي مديتشي إلى فلورنسا على ظهر الدبابات الإسبانية!

وأما البابا جوليوس الثاني، الذي أعاد أسرة دي مديتشي إلى فلورنسا، فلم يكن صديقاً للكاردينال جيوفاني وأسرة دي مديتشي فقط، بل وباسم النزعة الإنسانية، كان أحد الأبواب التي دخلت منها القبالاه والوثنية إلى الكنيسة، فقد كان من محبي التماثيل واللوحات، وقام برعاية رفاييللو Raffaello، ومِيكل أنجلو Michelangelo، وسمح له بتزيين كنائس المقر البابوي، فزينها تحت بصره بلوحات تنقض العقيدة المسيحية، وتترجم المعتقدات القبالية والوثنية، وقد كان مِيكل أنجلو، أشهر فناني عصر النهضة وألمعهم، من خريجي أكاديمية دي مديتشي الأفلاطونية القبالية الوثنية، وسوف نأتيك لاحقاً بنموذج من لوحاته التي زين بها المقر البابوي، ونكشف لك ما فيها من خفايا.

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P379.
2) Young: The Medici, Vol. I, P381-382.

على عرش فلورنسا والكنيسة:

في شهر فبراير ١٥١٣م، مات البابا جوليوس الثاني، وفي الشهر التالي، مارس، وبترتيب من البابا جوليوس الثاني قبل موته، انتُخب جيوفاني بن لورنزو العظيم، ليعتلي عرش الكنيسة الكاثوليكية، باسم البابا ليوني/ليو العاشر Leone X، وكان أبوه لورنزو العظيم قد اشترى له الكاردينالية، وصار كاردينالاً، وعمره ثلاث عشرة سنة!

وفي الشهر نفسه، أصبح أخوه جوليانو حاكم فلورنسا المطلق بالطريقة نفسها التي كان يحكم بها أبوه لورنزو وجده كوسيمو، من خلال مجالس الحكومة، دون أن يكون عضواً فيها(١).

وفي مارس ١٥١٦م، مات جوليانو، فخلفه لورنزو الثاني Lorenzo II، ابن أخيه بييرو المنحوس، وفي مايو ١٥١٩م مات لورنزو الثاني، فخلفه جوليو Giulio، ابن جوليانو وحفيد لورنزو العظيم.

وفي شهر ديسمبر ١٥٢١م، مات البابا ليو العاشر/جيوفاني دي مديتشي، فخلفه البابا هادريانوس/أدريان السادس Hadrianus VI، الذي مات في شهر سبتمبر ١٥٢٣م، فخلفه جوليو دي مديتشي، باسم البابا كِلمنس/كليمنت السابع Clemens VII، وكان عمه البابا ليو العاشر قد نصَّبه أسقفاً لفلورنسا وكاردينالاً، بعد أن اعتلى عرش الكنيسة بثلاثة أشهر، وبذلك انتقل جوليو دي مديتشي من عرش فلورنسا إلى العرش البابوي، وخلفه في حكم فلورنسا إبوليتو Ippolito، وهو ابن غير شرعي لجوليانو بن لورنزو العظيم، ولكن عمه البابا كليمنت السابع اعترف به وبانتسابه لأسرة دي مديتشي (٢).

---

1) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P427.
2) Young: The Medici, Vol. I, P401.

فأنت الآن أمام اثنين من أسرة دي مديتشي، ليو العاشر/ جيوفاني بن لورنزو العظيم، وكليمنت السابع/ جوليو حفيد لورنزو، وصلا إلى عرش الكنيسة الكاثوليكية، وهو الموقع الذي ما كان لهم أن يصلوا إليه من غير أن يكونوا من الأخفياء.

والأسرة التي نشرت القبالاه اليهودية، وأحيت العقائد الوثنية، وبسطت رعايتها على الانحلال والإباحية، وأعادت أوروبا عقائدياً وقيمياً وأخلاقياً إلى ما قبل المسيحية، وصل أربعة منها إلى العرش البابوي في قرن واحد!

والاثنان الآخران هما:

"**جيوفاني أنجلو دي مديتشي Giovanni Angelo de' Medici، الذي اعتلى العرش البابوي، سنة ١٥٥٩م، باسم البابا بيوس الرابع Pius IV، وأليساندرو أوتافيانو دي مديتشي Alessandro Ottaviano de' Medici، الذي صعد إلى عرش الكنيسة، سنة ١٦٠٥م، باسم البابا ليو الحادي عشر Leo XI**"[١].

وفي سنة ١٥٢٧م، اندلعت حرب جديدة في إيطاليا، بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة وفرنسا من جانب، والبابوية وإسبانيا وفلورنسا وفينيسيا من جانب آخر، ودخل جيش شارل الخامس Charles V، إمبراطور الإمبراطورية المقدسة، روما ونهبها، ففر البابا كليمنت السابع إلى قلعة سان أنجلو Sant Angelo، فطرد مواطنو فلورنسا أسرة دي مديتشي للمرة الثالثة.

وفي سنة ١٥٢٩م، وقع البابا كليمنت السابع معاهدة مع الإمبراطور شارل الخامس، ومرة أخرى أيضاً أعاد الجيش الإسباني أسرة دي مديتشي إلى فلورنسا على ظهر دباباته، وفي شهر يوليو ١٥٣١م، وبدلاً من أن يعيد البابا كليمنت السابع تنصيب إبوليتو، ابن أخيه غير

---

1) Herbert Vaughan: The Medici Popes, P347-351,Methuen & Co., London, 1908.

الشرعي، حاكماً لفلورنسا، نصب مكانه أليساندرو دي مديتشي Alessandro de' Medici، ابنه هو غير الشرعي!

يقول المؤرخ البريطاني جورج فردريك يونج، في تاريخه المفصل لكل فرد من أسرة دي مديتشي:

"وأول مرة يظهر فيها أليساندرو، كان في الثالثة عشرة، وأُمُه اسمها مولاتّو Mulatto، وقد وُلد إبان نفي أسرة دي مديتشي من فلورنسا، وهو في الحقيقة ابن البابا كليمنت نفسه، وكان البابا يُخفيه ويُبقي وجوده سراً، ولكن بعد أن مات جوليانو لورنزو والبابا ليو العاشر/جيوفاني لورنزو، أظهره البابا كليمنت السابع وقدمه على أنه ابن غير شرعي للورنزو الثاني، وليس ابنه هو"[1]!

وفي سنة ١٥٣٢م، وباتفاق بين البابا كليمنت السابع والإمبراطور شارل الخامس، تم إلغاء كوميونة فلورنسا، فأطاح شارل الخامس بحكومتها، وحولها إلى دوقية وراثية ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، واختار البابا كليمنت السابع، أليساندرو، ابنه غير الشرعي، ليكون أول دوق لفلورنسا، بعد أن اتفق مع الإمبراطور على توثيق الحلف بينهما بزواج أليساندرو دوق فلورنسا من مرجريت ابنة الإمبراطور[2].

وهكذا، وبعد مائة سنة من حكم فلورنسا من خلف الواجهات والمجالس الصورية، بدأ حكم أسرة دي مديتشي الرسمي لفلورنسا، وصارت دوقية يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

وفي سنة ١٥٣٧م، اغتيل الدوق أليساندرو، وكان آخر نسل كوسيمو الكبير، ابن جيوفاني دي بيتشي، مؤسس الأسرة وبنكها، فخلفه كوسيمو، بن لودفيكو دي مديتشي Ludovico de' Medici، الذي أصبح أول دوق لتوسكانيا كلها، باسم كوسيمو الأول دوق توسكانيا العظيم Cosimo I Grand Duke of Tuscany، وبه تحول الفرع الحاكم من أسرة دي

---

1) Young: The Medici, Vol. I, P439.
2) Najemy: A History of Florence 1200-1575, P467.

مديتشي، من نسل كوسيمو الكبير، الذي حكم فلورنسا لأكثر من مائة عام، إلى نسل أخيه لورنزو بن جيوفاني دي بيتشي.

وتلا كوسيمو الأول، في حكم توسكانيا، ابنه فرانشيسكو الأول Francesco I، ثم ابنه الثاني فرديناندو الأول Ferdinando I، ثم ابن فرديناندو، كوسيمو الثاني Cosimo II، فابن كوسيمو الثاني، فرديناندو الثاني Ferdinando II، ثم ابنه كوسيمو الثالث Cosimo III، وأخيراً جيان جاستوني Gian Gastone، ابن كوسيمو الثالث.

وفي سنة ١٧٣٧م، مات جيان جاستوني، وكان الوارثُ الوحيد له، وآخرُ من بقي من أسرة دي مديتشي، أخته أنَّا ماريا لويزا Anna Maria Luisa، فانتقل الحكم ولقب دوق توسكانيا العظيم إلى زوجها، فرانسو إتيَن François Étienne، دوق لورين Lorraine، وأرشيدوق النمسا، الذي اعتلى سنة ١٧٤٥م عرش ألمانيا والإمبراطورية الرومانية المقدسة، باسم الإمبراطور فرانسيس الأول Francis I[1].

وهكذا خرجت أسرة دي مديتشي أخيراً من السلطة ومن التاريخ، ولكن بعد أن غيرت مساره، وحولته ببث القبالاه وبعث الوثنية ونشر الإباحية في اتجاه غاية بني إسرائيل.

---

1) Young: The Medici, Vol. II, P496.

دي مديتشي واليهود

كوسيمو يفتح فلورنسا للمرابين اليهود:

كل ما مر بك من سيرة دي مديتشي حتى الآن، يمكن قبوله على أنه سيرة أسرة مسيحية عادية، تعمل بالتجارة وأعمال البنوك، وكونت منها ثروة كبيرة، ثم سعت للوصول إلى السلطة واستكمال نفوذها، وخاضت من أجل ذلك معارك سياسية، وكان لها خصوم وأعداء، وحين وصلت إلى السلطة في فلورنسا طمحت إلى الانفراد بها، ثم مدت طموحها إلى العرش البابوي، لكي تكون سلطتها مطلقة.

وما يكشف لك جانباً من الغطاء الذي كانت تتخفى فيه أسرة دي مديتشي، ويقربك من حقيقتها، علاقتها باليهود، والتي انفردت بها من بين جميع أسر فلورنسا، فهي التي فتحت أبواب فلورنسا لليهود، ثم صارت حامية لليهود وتدبر لهم في جميع أجيالها، وصار وجود اليهود في فلورنسا أو إخراجهم منها، مقياساً لمدى نفوذ الأسرة أو ضعفها.

وتحالف أسرة دي مديتشي مع اليهود، هو الحلف الذي سقط من جميع المؤرخين الأميين الذين نقلنا لك عنهم سيرة أسرة دي مديتشي، ونسوا أن يخبروك به!

قد علمت أن فلورنسا انفردت من بين جميع مدن إيطاليا، بمنع المرابين والتجار اليهود من دخولها والعمل فيها، حتى بعد سماح الكنيسة لليهود بإنشاء بيوت المال والرهونات والإقراض بالربا، وسماحها لحكومات المدن بتوقيع اتفاقيات معهم للاقتراض والتمويل.

وظل هذا المنع سارياً في فلورنسا، لأكثر من قرنين من الزمان، حتى عاد كوسيمو دي مديتشي إلى فلورنسا، وغير مجالس حكومتها، وسيطر على مقاليدها، وفي سنة ١٤٣٧م، كما يقول مؤرخ عصر النهضة إدج كومب ستيلي:

"**فتحت فلورنسا بواباتها لليهود Gates Opened To The Jews، وصاروا أعضاءً في نقابة البنوك والصيارفة، ولكن النقابة منعت جميع مقرضي الأموال من أخذ فائدة أكثر من ٢٠%**"(١).

ويقول المؤرخ اليهودي البريطاني سيسيل روث:

"**وفي سنة ١٤٣٧م، وقد بدأ حكم أسرة دي مديتشي، وجهت المدينة دعوة إلى مجموعة من الممولين اليهود، مثل دا بيزا Da Pisa، ودا ريبتي Da Rieti، ودا تيفولي Da Tivoli، لفتح بنوكهم للإقراض في فلورنسا، من أجل مصلحة الفقراء**"(٢).

فتنبه إلى الفرق بين ما أخبرك به مؤرخ عصر النهضة، وما يخبرك به المؤرخ اليهودي، فإدج كومب ستيلي يخبرك أن فلورنسا وهي في قبضة كوسيمو دي مديتشي، فتحت أبوابها لليهود، ولكن نقابة البنوك تحسبت لهم وقيدتهم، فجعلت الحد الأعلى للفائدة ٢٠%، بينما سيسيل روس اليهودي يقرطس من يخاطبهم، فيقول لهم إن كوسيمو دي مديتشي، صاحب البنك، فتح فلورنسا أمام بنوك اليهود لينافسوا بنكه، ومن أجل الفقراء**!**

لورنزو حامي المرابين وحاضن القباليين:

وقد استكمل لورنزو العظيم ما بدأه جده، ففتح أبواب فلورنسا للقباليين اليهود، وتحت رعايته وجه لهم بيكو ديلا ميراندولا دعوة للقدوم إلى فلورنسا والاستقرار فيها، فكانوا أساتذة ديلا ميراندولا، ثم صاروا من عماد الأكاديمية الأفلاطونية وأدوات بث القبالاه والعقيدة الشمسية والفلسفات الوثنية، وأهم هؤلاء القباليين وأشهرهم إيليا ديل مديجو Elijah del Medigo، وفلافيوس مثريداتِس Flavius Mithridates، وإسحق ألمانو Isaac Alemanno، وسنزيدك بذلك بياناً عما قليل.

---

1) The Guilds of Florence, P197.
2) The Jews In The Renaissance, P111.

أما ما نعرفك به هنا، فهو حماية لورنزو العظيم للمرابين وأصحاب البنوك اليهود، الذين أدخلهم جده كوسيمو إلى فلورنسا.

نقلنا لك من قبلُ، في باب: اليهود والربا والبنوك، عن الباحث الإيطالي لويجي بسكالي، في دراسته الأكاديمية عن التجمعات اليهودية وبنوكها في عصر النهضة، أنه:

"**في أوائل القرن الخامس عشر، كان عدد اليهود المقرضين للأموال بفائدة، في مدن إيطاليا المختلفة، خمسمائة على الأقل، ومع انهيار اقتصاد عموم الناس Economic Depression of The Masses، بسبب الحروب التي اجتاحت مختلف مناطق إيطاليا، في الوقت الذي ازدهرت فيه أعمال المرابين، وارتفع مستوى معيشتهم، نمت مشاعر العداء لليهود، وتزعم هذه الحركة الرهبان الفرنسيسكان، الذين صاروا يعتقدون أن إغلاق بيوت الإقراض اليهودية سوف يخلص المجتمع من جميع أمراضه Would Heal All Social Ills، وكذلك عموم الناس صاروا يعتقدون أن بيوت الإقراض تدفع البلاد نحو الخراب**"[1].

وقد بلغت حركة الرهبان الفرنسيسكان ضد المرابين اليهود ذروتها، مع الراهب والواعظ الفرنسيسكاني برناردينو دا فلتري Bernardino da Feltre، إبان حكم لورنزو العظيم لفلورنسا.

وكان دا فلتري يطوف بإيطاليا، وينزل في المدن والبلدات التي تتركز فيها تجمعات اليهود وبنوكهم، فيلهب عموم الناس بخطبه ومواعظه، ويحرضهم على المرابين اليهود الذين يمتصون أموالهم، ويدعو إلى العودة للاقتصاد الخيري، وإنشاء بنوك تعين الفقراء وتقرضهم دون فائدة، وإلى إغلاق بنوك هؤلاء المرابين وطردهم من مدنهم.

وبالفعل تم تأسيس أول مونتي دي بِيتا Monte di Pietà، أو بنك الشفقة، في فولينو Foligno، سنة ١٤٦٥م، وخلال ثلاثين عاماً، كان قد تم تأسيس مونتي دي بيتا في كل

---

1) Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P9.

مدينة في إيطاليا يوجد فيها بنوك ومرابون يهود، ومع كل مونتي يتم تأسيسه تندلع حملة لطرد المرابين اليهود وإغلاق بيوتهم للتمويل والرهونات.

يقول لويجي بسكالي:

"وتأسيس أي مونتي بِيتا، كان يتم بنفس الطريقة، يصل راهب وواعظ فرنسيسكاني إلى البلدة، ويلقي عدة خطب أمام جمهور كبير من الناس، يقول فيها إن ما هم فيه من ضيق، هو عقاب إلهي بسبب الربا اليهودي Jewish Usury، ولكي يرضى الرب لابد من منع الربا، ثم يتطوع الأغنياء في البلدة بالمال لتأسيس المونتي، ويخاطب الراهب الفرنسيسكاني سلطات البلدة لكتابة قانون المونتي، وعلى سبيل المثال يقول كاتب سيرة برناردينو دا فلتري، إنه وصل في سنة ١٤٧٠م إلى أكويلا Aquila، وألقى خطباً في أهلها، فهاجوا، واضطرت سلطات المدينة للموافقة على إنشاء مونتي دي بيتا، ونصت لائحة إنشائه على أن سبب تأسيسه: "القضاء على ربا اليهود وجشعهم الذي لا حد له، والذي استنزف أموال الناس وممتلكاتهم Refrenare La Insatiabele Voragine Della Usura de Judey"[1].

وفي سنة ١٤٨٨م، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث:

"وصل دا فلتري ورفاقه من الرهبان الفرنسيسكان إلى فلورنسا، وألقى في عموم أهلها خطَبهُ، ودعا مجلسَ السيادة إلى إنشاء مونتي بيتا وإغلاق البنوك اليهودية، فتجمع حوله ثلاثة آلاف من الرجال والشباب، وهاجموا بعض بنوك اليهود، خصوصاً بنك مانويل دا كاميرينو Manuel Da Camerino، ولكن شكراً للورنزو دي مديتشي، فقد تدخل بنفسه، وأمر الجنود بمنع الوعاظ الفرنسيسكان من الخطابة، ثم أمر بإخراجهم من المدينة، ولم يعودوا إليها إلا بعد طرد أسرة دي مديتشي "[2].

---

1) Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, P9.
2) The History of Jews of Italy, P175.

وهكذا منع لورنزو دي مديتشي إنشاء بنك الفقراء، وطرد الرهبان الداعين إليه من فلورنسا، ليحمي المرابين اليهود وبنوكهم التي تستنزف الفقراء وتستولي على ممتلكاتهم في مقابل فوائدها المتراكمة.

معاً في النفي والعودة:

بعد طرد أسرة دي مديتشي من فلورنسا، سنة ١٤٩٤م، في عهد بييرو المنحوس، وبعد أن صار الراهب الفرنسيسكاني سافونا رولا رأس السلطة في فلورنسا، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"**اتجه سافونا رولا نحو اليهود، الذين كانوا في حماية أسرة دي مديتشي، وفي ٢٦ ديسمبر ١٤٩٥م، طُرح إنشاء مؤسسة عامة للتمويل والرهونات Public Pawnbroking Establishment، وإخراج اليهود من فلورنسا، ومُنح اليهود اثني عشر شهراً لتسوية أعمالهم والرحيل، وكان التبرير الرسمي للقرار أن اليهود كنزوا خلال الستين سنة الماضية ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ (٥٠ مليون) فلورين ذهبي، أرباحاً من التمويل والإقراض بالربا، وبعد عدة أشهر تم طردهم فعلاً**"(١).

وكما ترى، إدخال كوسيمو دي مديتشي لليهود وبنوكهم إلى فلورنسا، كان من أجل الفقراء، كما زعم المؤرخ اليهودي المدلس سيسيل روث!

وفي سنة ١٥٣٢م، مع عودة أسرة دي مديتشي إلى حكم فلورنسا، ثم بعد أن تحولت فلورنسا إلى دوقية وراثية، ونصَّب البابا كليمنت السابع/ جوليو دي مديتشي، أليساندرو، ابنه غير الشرعي، ليكون أول دوق لها، عاد اليهود وبنوكهم إلى فلورنسا مرة أخرى.

وهكذا، كما يقول المؤرخ اليهودي البريطاني سيسيل روث، في كتابيه: تاريخ يهود إيطاليا، واليهود في عصر النهضة The Jews In The Renaissance:

---

1) The History of Jews of Italy, P190.

"ارتبط مصير يهود فلورنسا بأسرة دي مديتشي، وصاروا مقياساً Barometer للحالة السياسية في المدينة، فإذا ضعفت أسرة دي مديتشي، طُرد اليهود من فلورنسا، وإذا عادت عادوا معها، ومع استقرار حكم الأسرة سنة ١٥٣٠م بدأ تاريخ يهود فلورنسا المتصل بلا انقطاع"[١]،[٢].

وربما تكشف لك عبارات المؤرخ اليهودي، عن ارتباط مصير اليهود في فلورنسا بأسرة دي مديتشي، وإصرار المدينة على طردهم في أعقاب كل مرة تفقد فيها أسرة دي مديتشي السلطة، ثم إعادة الأسرة لهم مع عودتها، وكأنهم جزء منها، أو كأنها جزء منهم، ربما تكشف لك شيئاً من الغطاء عن حقيقة أسرة دي مديتشي، التي تطمسها أغاني المؤرخين الأميين عن اللوحات والتماثيل.

أما كشف الغطاء كاملاً، وجلاء حقيقة أسرة دي مديتشي، فهو في هذه اللوحات والتماثيل نفسها.

جيوفاني دي مديتشي، البابا التلمودي:

علمتَ أن لورنزو العظيم، قد وضع ابنه جيوفاني في الكنيسة، وهو في الحادية عشرة من عمره، لكي يؤهله للصعود فيها، واعتلاء عرشها، ثم اشترى له الكاردينالية، وسِنة ثلاث عشرة سنة، وفي شهر مارس ١٥١٣م، صار جيوفاني بن لورنزو العظيم، البابا ليوني/ليو العاشر.

وفي سنة ١٥١٧م، أسس دانيال بلومبرج Daniel Bomberg، مطبعة في فينيسيا، وأسرة بلومبرج من أسر التجار المهاجرة إلى فينيسيا، وهو وأسرته من المفترض أنهم مسيحيون، ومع ذلك فالمطبعة التي أنشأها، وهي من أولى المطابع في إيطاليا، خصصها لطباعة الكتب اليهودية العبرية، وكان جميع القائمين على اختيار الكتب وطبعها وتصحيحها من اليهود، ما

---

1) The Jews In The Renaissance, P111.
2) The History of Jews of Italy, P190.

عدا هو وصديقه فليتش دا براتو Felice da Prato، وهو من يهود إسبانيا الذين هاجروا بعد مرسوم الهمبرا إلى إيطاليا، ثم تحول إلى المسيحية، ليس فقط، بل وصار راهباً!

وفي كتابه: صناع الكتب العبرية في إيطاليا The Makers of Hebrew books In Italy، يقول المؤرخ اليهودي الأمريكي ديفيد وِرنر عمرام David Werner Amram:

"**وأول عمل كبير يطبعه بلومبرج كاملاً، سنة ١٥١٧م، هو ميكراوت جِدولت Mikraot Gedolot، وهو النص الكامل للكتاب المقدس الربي Rabbinical Bible، وعلى هوامشه تعليقات كثيرة قديمة وحديثة، وقد قام على تحريره فليتش دا براتو، وكتب في بدايته إهداءًا للبابا ليو العاشر**"[١].

وميكراوت جِدولوت، هو أسفار التوراة الخمسة، وكتب الأنبياء والتاريخ العبرية، وليس فيه الأناجيل ولا أعمال الرسل المسيحية.

وبعد هذه الخطوة التمهيدية، وفي سنة ١٥١٩م، اقترح الراهب المسيحي اليهودي فليتش دا براتو، على صديقه دانيال بلومبرج، أن يقوم بطبع التلمود البابلي، وواجهت بلومبرج وفليتش عقبتان، هما موافقة مجلس الشيوخ في فينيسيا، ولائحة مجمع لاتران المقدس.

أما مجلس الشيوخ، فيقول المؤرخان اليهوديان الإسرائيليان شارون مِنتز Sharon Mintz، وجابرييل جولدشتاين Gabriel Goldstein، في كتابهما: طباعة التلمود من بلومبرج إلى شوتِنشتاين Printing The Talmud From Bomberg To Schottenstein:

---

1) David Werner Amram: The Makers of Hebrew books in Italy, P156, Julius Greenstone, Philadelphia, 1909.

"وفـي سـنة ١٥١٨م، مـنح مجلـس الشـيوخ بلـومبرج موافقتـه علـى طبـع التلمـود Approved، بسـبب حاجتـه إلـى تمويـل الحـرب ضـد الدولـة العثمانيـة، وكانـت نتيجـة التصويت موافقة ١١٣ صوتاً، ومعارضة ١٧ صوتاً، وامتناع ٧ عن التصويت"[١].

وأما لائحة مجمع لاتران، فيقولان:

" وكان مجمع لاتران الخامس Fifth Lateran Council، قد أصدر سنة ١٥١٥م قائمة بالكتب المحرم طبعها، وكان منها التلمود"[٢].

ودانيـال بلـومبرج وفليـتش دا براتـو، تخطـوا عقبـة مجلـس الشـيوخ فـي فينيسـيا، كمـا رأيـت، بـأموال البنـوك اليهوديـة اللازمـة لتمويـل الحـرب ضـد الدولـة العثمانيـة، أمـا عقبـة الكنيسـة ومجامعها، وتحريمها لطبع التلمود، فقد تخطوها بالبابا ليو العاشر، أو جيوفاني دي مديتشي.

يقول المؤرخ اليهودي ديفيد وِرنر عمرام:

"والليبرالية الطبيعية للبابا ليو العاشر The Natural Liberality، وتأثير العديد من أصدقائه اليهود الذين يحيطون به، أثارت اهتمامه بالآداب والكتابات العبرية، وجعلتـه يمـنح ترخيصاً بتأسيس مطبعة يهودية في روما، وكانت سبباً في دفاعه الصريح عن التلمود His Open Advocacy of The Talmud ... فهذا الابن النبيل للورنزو العظيم، الذي اطلع علـى أسرار اللسان العبري وآدابـه، صم آذانـه عن سماع الأساقفة والرهبان الجهلـة والمتعصبين، وأخذ بنصيحة صديقه الكاردينال إيجيديو دي فيتِربو Egidio Di Viterbo، وسمح بتأسيس مطبعة عبرية في روما، ومنح بلومبرج تصريحاً رسمياً بطبع نسخة كاملـة

---

1) Sharon Mintz And Gabriel Goldstein: Printing The Talmud: From Bomberg To Schottenstein, P73, Center For Jewish History, Yeshiva University, 2005.

2) Printing The Talmud: From Bomberg To Schottenstein, P230.

من التلمود، وكتب بلومبرج في أول صفحة من التلمود الذي طبعه: "صرح لي بطبعه الحبر الأعظم Mihi a Sumo Pontifice Demadatum"[1].

.والتلمود الذي طبعه دانيال بلومبرج، وفليتش دا براتو، بعد أن قفزوا على تحريم الكنيسة ومجامعها لطبع التلمود، بتصريح البابا ليو العاشر/جيوفاني دي مديتشي، هو طبعة كاملة من التلمود البابلي، وهو أول طبعة منه في التاريخ، وقد صارت هذه الطبعة هي الطبعة المرجعية التي طبعت منها وعلى غرارها جميع الطبعات اللاحقة من التلمود وترجماته في جميع اللغات، في كل مكان من أوروبا.

وبمناسبة طبع التلمود لأول مرة في التاريخ في فينيسيا، فالزوهار، أول كتب القبالاه وأكبرها، طُبع هو الآخر كاملاً، لأول مرة في التاريخ، في المطبعة العبرية، في مدينة مانتوفا/مانتوا، في إيطاليا، سنة ١٥٥٨م، في عهد الدوق كوسيمو الأول دي مديتشي وحكمه لإقليم توسكانيا.

دوقات توسكانيا واليهود:

وقد واصل دوقات توسكانيا، من أسرة دي مديتشي، سيرة آبائهم وأجدادهم في رعاية اليهود وفتح الأبواب أمامهم والتدبير لهم.

وأول دوق لتوسكانيا كلها، كوسيمو الأول دي مديتشي، كان صديقاً للربي والمرابي اليهودي الإسباني المهاجر إلى نابولي، جاكوب أبرافانيل Jacob Abrabanel، واتخذه مستشاراً له، وزوجة كوسيمو الأول، إلينورا دي توليدو Eleonora di Toledo، وهي أيضاً من أصل إسباني، كانت صديقة حميمة لبِنفيجيتا Benvegnita، ابنة أبرافانيل.

وهنا ينبغي أن تعلم، أنه في ٣١ مارس سنة ١٤٩٢م، وبعد سقوط آخر دول الطوائف العربية في الأندلس، يقول المؤرخ اليهودي الألماني هينريش جريتز:

---

1)The Makers of Hebrew books in Italy, P160, 162.

"أصدر فرديناندو وإيزابيلا Isabella & Ferdinando، ملكا أرجون وقشتالة، مرسوم الهمبرا Decreto de la Alhambra، الذي ينص على طرد كل من يبقى على يهوديته من مملكتهما، وجميع المناطق التابعة لها[١].

وكانت صقلية تابعة لمملكة أرجون وقشتالة، وكذلك تم ضم مملكة نابولي، التي تشمل جنوب إيطاليا كله، إلى التاج الإسباني سنة ١٥٠٣م، فصار مرسوم الهمبرا يسري على صقلية ونابولي.

وتم تخيير اليهود في مملكة أرجون وقشتالة وصقلية ونابولي، بين الخروج أو التعميد والتحول للمسيحية، فالذين تحولوا إلى المسيحية ظاهرياً في إسبانيا، هم يهود المارانو، وهم أكبر طوائف اليهود الأخفياء في أوروبا، ويناظرون طائفة يهود الدونمة في تركيا التي تكونت في القرن السابع عشر، وطائفة جديد الإسلام في جنوب فارس، التي نشأت عند منتصف القرن التاسع عشر.

وأما الذين تحولوا إلى المسيحية ظاهرياً في نابولي وصقلية، فهم الكونفرسو Coverso، وهم أيضاً من أكبر طوائف اليهود الأخفياء في الغرب.

وهؤلاء وأولئك، في إسبانيا وإيطاليا، حولوا معابدهم إلى كنائس يمارسون فيه الطقوس المسيحية علانية، بينما كانوا يمارسون الطقوس اليهودية سراً في بيوتهم، وصاروا يتوارثون أنسابهم، ولكل واحد منهم اسمان، اسم مسيحي يعيش به في المجتمع المفتوح، واسم يهودي تعرفه وتناديه به أسرته واليهود الأخفياء من أمثالهم، وقد أتيناك بنماذج مفصلة من هؤلاء وآثارهم في أوروبا، في كتاب: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية وشركة الهند الشرقية البريطانية، وكتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام.

---

1) History of The Jews, Vol. IV, P347.

وإلى جانب اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية، وظلوا في إسبانيا، وفي نابولي وصقلية، بدأ تيار من اليهود، الصرحاء والأخفياء معاً، يتدفق في اتجاه وسط إيطاليا وشمالها، وفي اتجاه فرنسا، وفي اتجاه المغرب جنوب البحر المتوسط.

ونعود بك إلى الدوق كوسيمو الأول وصديقه الربي المرابي جاكوب أبرافانيل، يقول الباحثان اليهوديان أُمبرتو كاسوتو Umberto Cassuto، وجوزيف ليفي Josef Levi، في دراستهما عن فلورنسا، في الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopedia Judaica:

"وكان جاكوب أبرافانيل هو الذي نصح الدوق كوسيمو الأول، أن يصدر نداءًا يوجهه لليهود مباشرة، ويَعِد فيه التجار اليهود بامتيازات إذا قدموا إلى فلورنسا، وفي سنة ١٥٥١م أصدر الدوق بالفعل إعلاناً رسمياً Official Proclamation، يمنح فيه يهود شرق المتوسط امتيازات كبيرة ومتعددة، وفي الوقت نفسه وفر الدوق ملجأً آمناً لليهود الذين فروا من المناطق البابوية، هرباً من الإجراءات التي اتخذها ضدهم البابا باولس الرابع Paulus IV، وهي القرارات التي رفض كوسيمو الالتزام بها، وأصبحت فلورنسا وسيينا المدينتين الوحيدتين المسموح رسمياً لليهود بالعيش فيهما"[١].

ومع تدفق اليهود الأغنياء إلى فلورنسا، قرر الدوق كوسيمو الأول أن ينشئ حياً فاخراً لليهود في قلب فلورنسا.

يقول المؤرخ اليهودي إدوارد جولدبرج Edward Goldberg، وهو متخصص في تاريخ أسرة دي مديتشي، وكان أحد المشرفين على تأسيس مشروع مديتشي لجمع وثائق الأسرة في فلورنسا ونشرها على الإنترنت Medici Archive Project، يقول في كتابه: اليهود والسحر

---

1) Umberto Cassuto And Josef Levi: Florence, Encyclopedia Judaica, Vol. VII, P84, Thomson Gale, USA In Association With Keter Publishing House Ltd. Jerusalem, Second Edition, 1977.

في فلورنسا في عهد كوسيمو الأول دي مديتشي وخلفائه Jews And Magic In Medici Florence:

"في سنة ١٥٧١م، لم يصدر الدوق كوسيمو دي مديتشي، وولي عهده الأمير فرانشيسكو، قانوناً بإنشاء حي لليهود في فلورنسا فقط، بل وأيضاً أنشأوه وكأنه مشروع عقاري خاص بهم As Private Real Estate Venture، وكان أجوستينو لابيني Agostino Lapini، شاهداً على ما حدث، وسجله في يومياته، ويقول: "بدأ أميرنا المتوج فرانشيسكو في بناء حي ليسكنه اليهود، بشراء البيوت والمحلات والمخازن، فأزالها، ثم أقام مكانها المحلات والبيوت التي أصبحت حي اليهود Piazza dei Giudei، وأنفق في ذلك آلافاً كثيرة من السكودي Scudi"[õ]، وقد أقام دي مديتشي الجيتو اليهودي في قلب عاصمتهم، على بعد خطوات من قصر الأسقف، وعهدوا بإنشائه إلى برناردو بونتالينتي Bernardo Buontalenti، المهندس المعماري الخاص للدوق كوسيمو الأول، وفي سنة ١٥٧٥م، أُنشئ كنيس، وخصص له دي مديتشي عوائد خمسة عشر عقاراً"[١].

وفي سنة ١٥٩١م، استكمل الدوق فرديناندو الأول، ما بدأه أبوه كوسيمو الأول، فأصدر هو الآخر إعلاناً للتجار في كل بلدان العالم، وكان المقصود به اليهود، يقول المؤرخ اليهودي إدوارد جولدبرج:

"بين سنة ١٥٩١م، وسنة ١٥٩٣م، أصدر الدوق فرديناندو الأول عدة إعلانات رسمية إلى التجار من جميع الأجناس، سكان المتوسط والإسبان والبرتغال واليونان والألمان والطليان واليهود والأتراك والأرمن والفرس، يدعوهم فيها للقدوم والاستقرار في ميناء ليفورنو وميناء بيزا، التي حولها إلى مواني حرة، ويعدهم بامتيازات كبيرة، ويقول في

õ) سكودي Scudi: عملة من الفضة ضُربت في عهد الإمبراطور شارل الخامس، سنة ١٥٥١م، وشاع استخدامها في إيطاليا وأماكن مختلفة من الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

1) Edward Goldberg: Jews And Magic In Medici Florence, P26-27, University of Toronto Press, 2011.

إعلاناته: "إن هدفنا الصالح العام، وتشجيع الأجانب على القدوم والمشاركة في التجارة في مدينتنا المحبوبة بيزا Pisa، وفي مينائنا ليفورنو Livorno، فيمكنكم القدوم للإقامة فيهما وممارسة أعمالكم بحرية في جميع المناطق التي تحت سيادتنا"، ويبدو من إعلانات فرديناندو أنه يريد جذب التجار من جميع الأمم ومختلف العقائد، ولكن المقصود بهؤلاء التجار الأجانب في الحقيقة اليهود في البلدان المختلفة الذين يعملون تحت اسم البلدان والشعوب التي يعيشون فيها، خصوصاً يهود شبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال)، ويهود الإمبراطورية العثمانية، وكانت هذه المغامرة معجزة Miracle، في صالح اليهود ودولة دي مديتشي المستنيرة معاً، وبسرعة أصبحت ليفورنو مركز التجارة في توسكانيا، وكذلك مركز الحياة والثقافة اليهودية، حيث عاش اليهود من مختلف الأصول بحرية، محاطين بممثلين ووكلاء لهم من مختلف شعوب أوروبا والبحر المتوسط، وكذلك أصبحت بيزا، وبعد ثلاث سنوات أُنشئ كنيس يهودي في ليفورنو، ثم وافق فرديناندو على التماس قدمه التجار اليهود في ليفورنو، بأن يكون لكل تاجر وكيلاً يهودياً في فلورنسا نفسها، وفي سنة ١٥٩٧م اعترف فرديناندو باليهود في ليفورنو كمجتمع مستقل، ومنحهم حق إدارة شؤونهم المدنية والدينية ذاتياً Autonomous Rights، فكونوا مجلساً من خمسة أعضاء لقيادة اليهود وإدارة شؤونهم Massari della Sinagoga"[1].

وكما ترى، كل من يدبر لليهود عبر التاريخ، ويفتح لهم الأبواب، وقنوات التغلغل في المجتمعات والسيطرة على أعصابها والسريان في شرايينها، يغلف ما يريده في غلاف يُخفي فيه غايته ويصرف الأنظار عنها، ويموه اليهود في غيرهم من الأمم والشعوب، لكي لا يفطن أحد إلى أن تدبيره من أجلهم وحدهم، وهو المعتاد في أوروبا غرباً، وفي بلاليص ستان شرقاً.

فالدوق فرديناندو دي مديتشي، وجه إعلاناً للتجار في حوض البحر المتوسط وفي إسبانيا والبرتغال وألمانيا وإيطاليا واليونان وفارس وتركيا، وهو لا يقصد به سوى اليهود في كل بلد من هذه البلدان.

---

1) Jews And Magic In Medici Florence, P60-62.

وفي القرن السابع عشر، وهو قرن حكم أسرة دي مديتشي الرسمي لتوسكانيا، صارت ليفورنو مركز التجارة والتجار اليهود الثاني في أوروبا كلها، بعد أمستردام، واليهود الذين قدموا إلى ليفورنو وبيزا واستقروا فيها، ثم زحفوا منها على فلورنسا وبقية مدن توسكانيا، صاروا كبار التجار وأصحاب المصانع والبنوك في إيطاليا، وأطباء أسرة دي مديتشي وسفراءهم.

ومن أشهر هؤلاء، الربي موشيه كوردوفيرو Mose Cordovero، وهو من قرطبة Cordova في إسبانيا، ومن أوائل من قدموا إلى ليفورنو، وأسس فيها بنكاً من أكبر بنوك توسكانيا في القرن السابع عشر، وماجينو دي جابرييلي Maggino di Gabriele، الذي قدِم أولاً إلى بيزا، ثم انتقل إلى ليفورنو، وأسس فيها مصنعاً للمنسوجات، وآخر للزجاج، ثم افتتح لهما فروعاً في شمال إيطاليا وفي ألمانيا، ونصَّبه فرديناندو الأول قائداً لليهود في ليفورنو، بعد أن تبرع بالبيت الذي أقيم فيه أول كنيس يهودي، والطبيب إيليا مونتالتو دي لوناElia Montalto di Luna، وهو من البرتغال، وقدم إلى ليفورنو أولاً، ثم صار طبيباً في بلاط دوقات توسكانيا من أسرة دي مديتشي، وجديدياه جبَّاي Jedidiah Gabbai، الذي أنشأ المطبعة العبرية في ليفورنو، وكان المدراش(أ) أول كتاب يطبعه فيها، ودافيد بناسو David Benaso، وهو من تركيا، وصار سفير الدوق فرديناندو الأول في الأستانة، والربي القبالي جوزيف بن إيمانويل إرجاس Joseph Ben Emanuel Ergas، الذي ألف عدة رسائل في القبالاه وشرحها وتقريبها، وصار بؤرة بث القبالاه في ليفورنو وما حولها من المدن في غرب إيطاليا ووسطها.

أ) المدراش מִדְרָשׁ: تفسير وشروح لأسفار التناخ תַּנַ״ךְ، وهو التوراة وكتب الأنبياء العبرية، وبعضها شروح للشريعة والتعاليم الدينية وقواعد السلوك الاجتماعية، وهو مدراش الهالاخاه הֲלָכָה، وبعضها حكايات لتقريب قصص التناخ وشخوصه، وهو مدراش الهاجاداه אַגָּדָה.

عصر النهضة القبالي

أسرة دي مديتشي في التاريخ

إذا راجعت سيرة أسرة دي مديتشي التي قرأتها، وتأملت جميع وجوهها وتفاصيلها، وقد عزلتها عن أكاديميتهم الأفلاطونية، والأشخاص الذين أقامتها بهم، وما كانت تبثه من خلالها ومن خلالهم من معتقدات وأفكار، وعزلتها عن تربيتهم للرسامين والنحاتين في أكاديميتهم، ثم رعايتهم والإغداق عليهم، وتمويل أعمالهم، وغرس لوحاتهم وتماثيلهم في قلب القصور والكنائس، فلن تكون أسرة دي مديتشي سوى أسرة سياسية مثل غيرها من الأسر التي شهد التاريخ عشرات منها في مختلف البلدان والأزمان، خاضت غمار السياسة وزحفت نحو السلطة حتى وصلت إليها وأسست أسرة حاكمة، حكمت بلداً من البلدان لحقبة من الزمان، ثم انهارت وورثتها غيرها، ولم يبق منها سوى ذكراها وسيرتها في كتب التاريخ.

أما أكاديميتهم الأفلاطونية وما بثوه فيها، وتربيتها للرسامين والنحاتين، ونشرها لأعمالهم بوضعها في القصور والكنائس، لتكون هذه كلها أدة تغيير وعي البشر وأفكارهم وبنائهم الذهني والنفسي، وإقامة موازين أخرى لهم غير التي كانوا عليها، وأداة تحويل مسار المجتمعات واتجاه حركة التاريخ، فهو آثار أسرة دي مديتشي الخالدة التي لم تنته بترك الأسرة للحكم والسلطة وخروجها هي نفسها من التاريخ.

والأكاديمية الأفلاطونية، ورعاية الرسامين والنحاتين، وتمويل لوحاتهم وتماثيلهم القبالية الوثنية، ونشرها في القصور والكنائس، وما ترتب عليها من آثار، هو ما من أجله يمجد المؤرخون الأميون واليهود أسرة دي مديتشي، ويؤلفون فيها الأغاني، ويغضون الطرف بسببه عن الطريقة التي وصلوا بها لحكم فلورنسا، والأسلوب الذي كانوا يحكمونها به، وعن فسادهم وطغيانهم وكراهية عموم أهل فلورنسا لهم.

يقول المؤرخ الأمي البريطاني جورج فردريك يونج، في سيرته المفصلة لأسرة دي مديتشي
:

"وهنا ظهرت في فلورنسا أسرة، استطاعت بثروتها الكبيرة، وبحبها للمعرفة والفنون، أن تُخرج التعليم من قبره From Grave، ونشرت المعرفة في أوروبا كلها، ورعت الفنون ودفعتها للتقدم حتى بلغت أوج ازدهارها، وجعلت فلورانسا أثينا الغرب"[١].

ويقول المؤرخ اليهودي البريطاني، سيسيل روث، في كتابه: اليهود في عصر النهضة:

"لا يوجد أسرة كان لها من الأثر في التاريخ مثل أسرة دي مديتشي، وعهدهم كان أروع فترة وأكثرها تألقاً في تاريخ فلورنسا، وفي تاريخ أي مدينة في التاريخ المدون، فهذه هي الفترة التي سيطر فيها كوسيمو دي مديتشي ولورنزو العظيم على الحياة السياسية وعلى الحياة العامة في المدينة، وتحت رعايتهم زين دافنشي وبوتتشيللي Botticelli ودوناتيلو Donatello وجِرلانـدايو Ghirlandaio الكنائس والقصور بأعمالهم، ونظم بولتشي Pulci أشعاره، وكتب ميكيافيللي مؤلفاته، وأحيا مارسيليو فتشينو Marsilio Ficino الفلسفة ودرَّسها في الأكاديمية الأفلاطونية، وكان مقرها في قصر دي مديتشي، وفي هذه الفترة شهد المجتمع اليهودي في فلورنسا ازدهاراً كبيراً، وصار اليهود أعلاماً مألوفة Familiar Figures داخل هذا المشهد المتألق"[٢].

فأما اليهود، فيجب أن تكون قد أدركت الآن سبب تمجيدهم لأسرة دي مديتشي، ولأكاديميتهم الأفلاطونية، ولرعايتهم للفنانين وأعمالهم القبالية الوثنية.

وأما المؤرخون الأميون، فلأنهم هم أنفسهم وتكوينهم وبناؤهم الذهني والنفسي الذي يحكمون به على الأشخاص والأحداث والأشياء والأفكار، من آثار أسرة دي مديتشي وما فعلته في العالم، وقبل ذلك لأنهم أميون، لا معيار لهم ولا ميزان، سوى أهوائهم وما اعتادوا عليه وألفوه.

وقد نقلنا لك سابقاً عن المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، أن هذه الأكاديمية، وهذه اللوحات والتماثيل، كانت من وسائل أسرة دي مديتشي في السيطرة على المجتمع في فلورنسا،

---

1) Young: The History of Medici, P3.
2) Cecil Roth: The Jews In The Renaissance, P111-112,

ووظفتها في تكوين طبقات تحيط بها، وتكون من أدواتها في الوصول إلى الحكم والاحتفاظ بالسلطة.

أما نحن فنخبرك أن أسرة دي مديتشي لم تكن توظف أكاديميتها ورعايتها للرسامين والنحاتين وتمويل أعمالهم ووضعها في القصور والكنائس، في الوصول إلى السلطة وعرش فلورنسا، كما فهم الأميون، بل وظفت نفوذها في فلورنسا والسلطة التي وصلت إليها والعرش الذي اعتلته، من أجل هذه الأكاديمية واللوحات والتماثيل، وهي مقصودها الأعلى، لتكون أداتها في الإطاحة بالكنيسة والعقيدة المسيحية ومنظومتها القيمية والأخلاقية، وإخلاء المجتمعات الأوروبية منها، لكي تقع مقاليدها بعد أن صارت فراغاً في قبضة اليهود وبنوكهم والحركات السرية التي يقبعون في قلبها وتدور من حولهم، ثم يتجهون بها بعد أن يركبوها نحو غاية بني إسرائيل الخالدة.

والأكاديمية الأفلاطونية وما كان يُدرَس فيها والذين كانوا يدرسونه، واللوحات والتماثيل التي مولتها أسرة دي مديتشي، هي أكبر براهين فرضيتنا التي يدور الكتاب الذي بين يديك حولها ومن أجل إثباتها، وهي أن أسرة دي مديتشي من اليهود الأخفياء، وهي التي كانت خلف تكوين حركة الروزيكروشان .

وهنا ننبهك إلى مسألتين، فأما الأولى، فهي أن أسرة دي مديتشي، وهي تنشر القبالاه وتبعث الوثنية، بأكاديميتها ولوحاتها وتماثيلها، أطاحت بالمسيحية من وعي البشر في الغرب، ولكن ليس بالمسيحية وحدها، بل وأطاحت أيضاً بعقيدة الوجود الإلهي والإله واجب الوجود، وبالخلق والوحي ووجود حياة بعد الموت، وما يترتب عليها من آثار في سلوك الأفراد ونظام المجتمعات، وهذه العقيدة هي الحق المشترك بين جميع الديانات الكتابية، واختلافها بعد ذلك هو فيما دون هذه العقيدة.

وهو ما يخبرك به صريحاً مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه وفلسفته في جامعة كولومبيا الأمريكية، باول أوسكار كرستللر Paul Oskar Kristeller، في كتابه: فكر عصر النهضة Renaissance Thought:

"إذا وُصف عصر ما بأنه وثني، لأن الأفكار غير الدينية التي نمت وتراكمت عبر التاريخ قد تجمعت فيه، واكتسبت قبولاً في مواجهة العقيدة الإلهية والأفكار الدينية، وتفوقت عليها في الحيوية والانتشار، فإن عصر النهضة كان وثنياً Renaissance Was Pagan"(١).

وكل ما أنتجه الغرب بعد أسرة دي مديتشي، من مناهج ونظريات ومذاهب عقائدية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية، العلمنة والليبرالية والعقد الاجتماعي والداروينية والرأسمالية والماركسية، هو من توابع ما فعلته أسرة دي مديتشي، ومن أجل ملء الفراغ الذي أحدثه في أذهان البشر ونفوسهم وفي مجتمعاتهم، إحياءُ الوثنية والإطاحة بعقيدة الوجود الإلهي والخلق والوحي والحياة بعد الموت.

وسوف نفاجئك في الجزء الثاني من كتابنا هذا، وهو كتاب: الكون والقبالاه والحركات السرية، بأن المذاهب العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، ليست وحدها هي التي من آثار أسرة دي مديتشي وتوابع ما فعلته، بل وأيضاً بعض نظريات العلوم الطبيعية، وعلى رأسها نظرية الكون الشمسي، وهي ثمرة مباشرة لعقيدة هرمس الشمسية، وللعقيدة القبالية وموضع الشمس منها، وهي العقيدة التي بثتها أسرة دي مديتشي في كل مكان من إيطاليا، وكان كوبرنيكوس من معتنقيها، ونص هو نفسه على أنها دافعه لوضع الشمس في مركز الأفلاك!

وأما المسألة الثانية التي ننبهك إليها، فهي الفرق بين منهجنا ومنهج المؤرخين الأميين، فهؤلاء المؤرخون الأميون لا يدركون أن حدثاً ما له صلة باليهود إلا إذا رأوا في صدارته شخصاً معقوف الأنف ويرتدي زي الحاخامات، أو رأوا بياناته ووثائقه عليها توقيع حاييم وموشيه، ومختومة بنجمة داوود، وتدعو صراحة إلى إنشاء دولتهم، واليهود أنفسهم يعرفون أن هذه هي أدمغة الأميين، ولذا يكون جزء من تدبيرهم في أي عمل، الظهور فيه بغير أسمائهم الحقيقية وهوياتهم، أو الاختباء خلف الأميين وتصديرهم.

---

1) Paul Oskar Kristeller: Renaissance Thought, P73, Harper & Row, Publishers, New York, Evanstoa And London, 1961.

أما منهجنا، فهو تعقب أفكار اليهود وسلوكهم وآثارهم، وما يفضي إليه ما يفعلونه من غاياتهم، وليس التنقيب عن أشخاصهم وأختامهم.

ومنهجنا هو منهج الوحي، الذي عرَّفك تفصيلاً بعقائد بني إسرائيل وأفكارهم وسلوكهم وغاياتهم وخصائص تدبيرهم، دون أن يشغلك باسم أحد منهم، ولو مجرد واحد، لتفهم من ذلك أن إدراك صلة أي حدث ببني إسرائيل، يكون بتعقب هذه الأفكار والسلوك والغايات والخصائص، وليس بالبحث عن الأسماء، ولا حتى عن الأنساب.

وفي منهجنا هذا، يجب أن تنتبه وتفرق بين من يشق المسار ويبدأ السير فيه ويدفع الآخرين نحوه، وبين من ساروا خلفه في المسار الذي شقه، وكذلك بين من يفجر ينابيع الأفكار والأخلاق والسلوك، ومن يتم صنعهم وبناء أذهانهم ونفوسهم بها.

فالطائفة من بني إسرائيل أو اليهود التي تبث الضلالات، ونتعقبها عبر التاريخ في كتبنا ونحدثك عنها، هم الذين يشقون المسار، وليسوا من يسيرون بعدهم فيه، وهم من يفجرون النبع وتجدهم عند المنابع، وليسوا من يتكونون بسريان مياهها فيهم من الأميين، سواءً كانو من اليهود أم من غير اليهود.

الأكاديمية الأفلاطونية[õ].

في سنة ١٤٣٩م، وبعد سنوات من التفاوض، وبطلب من الإمبراطور البيزنطي يوحنا بالايولوجوس John Palaiologos، قام البابا إيوجنيوس الرابع، بترتيب مجمع، لرأب الصدع بين الكنيستين الشرقية والغربية، وتوحيدهما في مواجهة الدولة العثمانية التي صارت جيوشها تهدد عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وقرر عقد المجمع في مدينة فيرارا، ولكن كوسيمو دي مديتشي أقنعه بنقله إلى فلورنسا، على أن يقوم بنك دي مديتشي بتمويله، وحضر المجمع الإمبراطور البيزنطي وبطريرك القسطنطينية ورأس الكنيسة الشرقية اليونانية جوزيف الثاني Joseph II، وممثلون عن جميع الكنائس الشرقية، الإثيوبية والأرمنية والمصرية.

وكانت نتيجة المجمع:

"**في يوم ٥ يوليو ١٤٣٩م، أصدر المجمع مرسوماً موحداً باسم جميع الكنائس الغربية والشرقية Union Decree، يعترف ببابا روما رئيساً للكنيسة العالمية، ويستمد سلطته من المسيح، وهو نائبه**"[١].

وكان من حضور مجمع فلورنسا لتوحيد الكنائس، وفود من الجانبين الشرقي والغربي، للتفاوض، تشمل رجال الدين والمترجمين ورجال القانون والكتبة، يقول مؤرخ الكنيسة لودفيج

õ) الأكاديمية Academy: في الأساطير الإغريقية، أن أكاديموس Academus، أنقذ مدينة أثينا من كاستور Castor، وبولاكس Pollux، الذين غزوا أثينا لإنقاذ أختهم هيلين Helen، التي اختطفها ملك أثينا تيسيوس Theseus، فأطلق أهل أثينا اسم أكاديموس على بستان أو غابة في أطراف أثينا، وفيها أقام الفيلسوف أفلاطون سنة ٣٨٧ قبل الميلاد مدرسته، فاشتهرت باسم أكاديمية أفلاطون، وفي عصر النهضة كانت كلمة أكاديمية تُستخدم بمعنى المدرسة النظامية التي لها أوقات محددة، وأساتذة وتلاميذ ينتظمون في الحضور، وقد أطلق كوسيمو على المدرسة التي أقامها اسم: الأكاديمية الأفلاطونية، على غرار أكاديمية أفلاطون التي أنشأها لإحياء فلسفته ونشرها.

1) The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P317.

فون باستور، في كتابه: تاريخ البابوات من نهاية العصور الوسطى من سجلات الفاتيكان السرية:

"**وكان ممن حضروا مؤتمر توحيد الكنائس، الفيلسوف جيمستوس بليتو Gemistus Pletho، وقد وجه طاقته لنشر فلسفة أفلاطون، وليس لقضية توحيد الكنائس، وقد ألهبت محاضراته حماسة كوسيمو دي مديتشي، ووُلدت منها خطته لإحياء الفلسفة في إيطاليا**"[١].

ويقول مارسيليو فتشينو، في مقدمة ترجمته لأعمال أفلوطين **Plotinus**[٥]، التي أهداها للورنزو العظيم:

"**وإبان مؤتمر فلورنسا الذي عقده البابا إيوجينيوس الرابع، لم يكن كوسيمو العظيم يمل من سماع محاضرات بليتو، وعزم على نشر فلسفة أفلاطون، ولكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة Opportune Moment، واختارني، أنا فتشينو، ابن طبيبه المفضل، لهذا العمل، وأنا ما زلت صبياً صغيراً، فعلمني، ثم كلفني بترجمة هرمس مثلث العظمة أولاً، وبعد ذلك أفلاطون وأفلوطين** "[٢].

والفيلسوف الإغريقي جيمستوس بليتو، الذي يلقب بأفلاطون الثاني، وحضر ضمن وفود توحيد الكنائس المسيحية، وألهم كوسيمو دي مديتشي، كان وثنياً**!**

---

1) The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, P322-323.

٥) أفلوطين Plotinus: فيلسوف عاش في القرن الثالث الميلادي، بين مصر وإيطاليا، إبان الإمبراطورية الرومانية وهي وثنية، ومزج في فلسفته بين فلسفة أفلاطون وعقائد اليهودية ومصر القديمة، وكان لفلسفته أثر كبير في أفكار القديس أوغسطين، رغم أن أفلوطين لم يكن مسيحياً.

2) James Hankins: Cosimo de' Medici And The Platonic Academy, Journal of The Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 53, P150, 1999.

يقول أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة كاليفورنيا، جيمس هانكنز James Hankins، في دراسته: كوسيمو دي مديتشي والأكاديمية الأفلاطونية Cosimo de’ Medici And The Platonic Academy:

"إبان مجمع فلورنسا، كان كوسيمو دي مديتشي يحضر محاضرات الفيلسوف الوثني الجديد The Neopagan، جيمستوس بليتو، عن أفلاطون وفلسفته، فقرر نشرها في إيطاليا، ولم يتمكن من ذلك في حينه، فانتظر ربع قرن، حتى عثر على الشاب مارسيليو فيتشينيو، الذي صار أداته في إتمام مشروعه"[١].

أما ما الذي كان يفعله كوسيمو دي مديتشي، بين انعقاد مجمع فلورنسا ولقائه بجيمستوس بليتو، سنة ١٤٣٩م، ومجئ اللحظة المناسبة، فتعرفه من الفكرة المحورية في فلسفة أفلاطون وبليتو، فهاك هي يخبرك بها أستاذ تاريخ عصر النهضة وفلسفته في جامعة كولومبيا، باول أوسكار كرستللر، في كتابه: فلسفة مارسيليو فتشينو:

"والفكرة المحورية في فلسفة أفلاطون، والتي استلهمها كوسيمو من بليتو، هي وجود حكمة قديمة في العقائد الوثنية Of Pagan Theology، مُنحت لقلة من الأشخاص عبر التاريخ، مثل زرادشت وهرمس مثلث العظمة وأورفيوس[õ] وفيثاغورس، وانتقلت منهم مباشرة إلى أفلاطون وأتباعه"[٢].

فهاك فتشينو نفسه، يخبرك في مقدمة ترجمته لأعمال أفلوطين، بعقيدته المحورية:

---

1) Cosimo de' Medici And The Platonic Academy, Journal of The Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 53, P144.

õ) أورفيوس Orpheus: في أساطير الإغريق هو ابن أبوللو، إله الشمس والطب والموسيقى، من كاليوبي Calliope، ربة الشعر، وفي الأسطورة أنه تعلم الموسيقى والعزف من أبيه، والشعر من أمه، وكانت تتجاوب مع عزفه الأشجار والأنهار والأحجار والحيوانات.

2) Paul Oskar Kristeller: The Philosophpy of Marsilio Ficino, P15, Columbia University Press, 1943.

"من الواضح أن العناية الإلـهية تدعو الإنسان بطريقة رائعة، من خلال روح بعض الأفراد الحكمـاء، وهكـذا ولـدت فلسـفة مقدسـة Holy Philosophy، بـين الفـرس، مـن خـلال زرادشت، وبين المصريين، من خـلال هرمس، فلسفة واحدة في مكـانين، ثم ازدهرت بين التراقيين/أهل تراقيا Thracians، من خلال أورفيـوس، ونمـت بسرعة بين شـعوب اليونـان وإيطاليا بفضـل فيثـاغورس، وأخيـراً اكتملـت فـي أثينـا بواسـطة أفلاطـون الإلـهي Divine Plato"[١].

وفكرة الحكمة القديمة المتوارثة عبر التاريخ بين نخبة من الأشخاص في كل عصر، وأنه لا ينبغي ألا يطلـع عليها غيرهم، ووجوب حجبها عن عموم البشر، وتكوين جمعيات للحفاظ عليهـا، وابتكـار الأغلفـة اللازمـة لإخفائهـا وتمويههـا، هـي العقيـدة المحوريـة فـي القبـالاه، وفـي جميع الحركات السرية التي تكونت بها عبر التاريخ، وأول مصدر لها في الحضارة الإغريقية، ليس أفلاطون، كما أخبرك مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه، بل أحد آباء الحركات السرية في جميع العصور، فيثاغورس، وأفلاطون كان مولعاً بأفكار فيثاغورس وتقاليده وأسلوب حياته وفلسفته، ولم يكن هو وفلسفته سوى نسخة من فيثاغورس وأفكاره ومدرسته التي كانت جمعية سرية كلاسيكية[õ].

يقول الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل في كتابه: تاريخ الفلسفة الغربية: "**فلست أعلم عن رجل آخر أنه كان له من التأثير في نطاق الفكر ما كان لفيثاغورس، وأقول ذلك لأن مـا قد يبدو لك أفلاطونياً في ظاهره، ستجده عند التحليل فيثاغورياً في جوهره**"[٢]

---

1) Angela Voss: Magic, Astrology And Music, The Background To Marsilio Ficino Astrologic Music Therapy And His Role As Renaissance Magus, P43, City University, London, June, 1992.

õ) إذا أردت أن تعلم حقيقة فيثاغورس وأفكاره ومدرسته أو جمعيته السرية، فارجع إلى كتابنا: شفرة سورة الإسراء.

٢) الفيلسوف برتراند رسل: تـاريخ الفلسفة الغربيـة ج١ الفلسفة القديمـة، ص٨٠، ترجمـة: دكتـور زكـي نجيب محمود، مراجعة: أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

فالآن، لعلك تكون قد أدركت أن الربع قرن الذي انتظره كوسيمو دي مديتشي، بعد لقائه بجيمستوس بليتو، كان الزمن الذي احتاجه من أجل البحث عن الحكمة الوثنية القديمة وجمعها، وتكوين النخبة التي يضخها فيها ويصنعها بها، وتكون أداته في نشرها وبثها، وأن ما كونه بهم لم يكن سوى حركة سرية.

وهو ما تجده صريحاً فيما تخبرك به أستاذة التاريخ في جامعة أكسفورد، كاثَرين دوروتيا إيوارت، في سيرتها لكوسيمو دي مديتشي:

"كان لكوسيمو شغف كبير بالفلسفة الإغريقية، أكثر من أي فرع آخر من المعرفة، وكان بنك دي مديتشي له فروع ووكلاء في الشرق، حيث توجد الكتب الإغريقية والكنوز القديمة، وقد كلفهم كوسيمو فوق أعمالهم المالية بشراء كل ما يجدونه من كتب ومخطوطات وتحف مخبئة منذ أجيال في المكتبات والأديرة، فجمع ٨٠٠ كتاب، وهو عدد كبير في هذا الزمان، ووضعهم سنة ١٤٤١م في كنيسة سان ماركو San Marco، وأتاحهم للدارسين، فصاروا نواة أول مكتبة عامة في فلورنسا، وصار قصر مديتشي مركزاً للحياة الثقافية، إلى جوار الحياة السياسية، فيجتمع الرجال ويتناقشون في المسائل الفلسفية والأدبية، وكان كوسيمو قادراً على تحويل مناقشاتهم في اتجاه ما يريده، وكان يقيمهم، واختار منهم مجموعة صاروا دائرة من الأصدقاء تدور حوله، وكان من أقرب هؤلاء إليه نيكولو دي نيكولي Niccolò de' Niccoli، الذي يوصف بأنه وزير التعليم والآداب في فلورنسا، وقد جمع ونسخ بتمويل من كوسيمو عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات"[١].

وكنيسة سان ماركو، كانت كنيسة قديمة وتهدم بعض أجزائها، ومول كوسيمو دي مديتشي تجديدها، وعهد إلى مهندسه المعماري الخاص، مِيكلوتسو، بإنشائها، فجددها، وفي مقابل ذلك وضع فيها كتب الفلسفة الإغريقية الوثنية التي جمعها!!

---

1) Cosimo de Medic: P218-220.

أمـا ولـع كوسـيمو دي مديتشـي بالفلسـفة الإغريقيـة، فـإذا رجعـت إلـى كتابنـا: شـفرة سـورة الإسراء، فستعلم أن هذه الفلسفة الوثنية، هي والأساطير الإغريقية التي أنتجتها، ليست سوى طبعة موسعة من خريطة الوجود البني إسرائيلية، في سفر التكوين، وسوف تفهم عندها لماذا كان كوسيمو دي مديتشي مغرماً بها، وأن نشره لها وتعليمها في أكاديميته، لم يكن سوى بثٍ لخريطة الوجود البني إسرائيلية مموهة في طبعتها الإغريقية.

وما سقط من كاثَرين دوروتيا إيوارت، ومن جُل المؤرخين التقليديين، في غمرة انشغالهم بأفلاطون، أن كوسيمو دي مديتشي، لم يكن مغرماً بالفلسفة والأساطير الإغريقية وحدها، بل كان يبحث ويكلف وكلاءه بالبحث عن الوثنيات في كل صورها، ليجعلها عماد الأكاديمية التي كان يضمر إنشاءها منذ التقى ببليتو.

وقد نقلنا لك في الباب الأول من الكتاب الذي بين يديك، عن كتاب: جوردانو برونو وتعاليم هرمس Giordano Bruno And The Hermetic Tradition، لمؤرخة عصر النهضة والأستاذة في تاريخه في جامعة لندن، فرانسيس ييتس Frances Yates، أنه:

"في سنة ١٤٦٠م أرسل كوسيمو دي مديتشي، حملة من أتباعه إلى الشرق واليونان من أجل التنقيب عن مخطوطات الحكمة والعلوم القديمة والعودة بها إلى فلورنسا، وقد تمكن أحد الرهبان، وهو ليوناردو دي بستويا Leonardo de Pstoia من العثور على مجموعة متون هرمس Corpus Hermeticum والعودة بها إلى دي مديتشي الكبير، الذي أمر المترجم والمنجم مارسيليو فتشينو أن يتفرغ لترجمتها من الإغريقية إلى اللاتينية[1].

ويقول نيكولاس جودريك كلارك، أستاذ الباطنية والعلوم الخفية في تاريخ الغرب Western Esotericism، في جامعة إكستر البريطانية، في كتابه: التعاليم الخفية في الغرب The Western Esoteric Traditions:

1) **Francis Yates: Giordano Bruno And The Hermetic Tradition, P12.**

"وأهم ما ترجمه فتشينو متون هرمس الباطنية، وقد أدرك كوسيمو أهميتها البالغة، لدرجة أنه جعل فتشينو يقطع ترجمته لأعمال أفلاطون، لكي يترجمها أولاً، ثم صارت في عقول أبناء عصر النهضة تمثل الفلسفة الخالدة Philosophia Perennis، والعقيدة الإلهية العريقة، ومشروع فتشينو لم يقتصر فقط على نشر الباطنية والفلسفة الوثنية، بل حاول من خلال كتبه هو، أن يمزج بين الباطنية والفلسفة الوثنية وبين تعاليم الكنيسة"[١].

ليس هذا فقط، بل وطَبْع ترجمة فتشينو لمتون هرمس ونشرها لعموم الناس، كان قبل طبع ترجمته لأعمال أفلاطون نفسه، إذ طُبعت ترجمته لمتون هرمس سنة ١٤٧١م، بينما طُبعت ترجمته لكتب أفلاطون بعدها بثلاثة عشر عاماً، سنة ١٤٨٤م، وهذا وذاك كان على نفقة لورنزو العظيم، حفيد كوسيمو، ولورنزو كان هو نفسه من تلاميذ فتشينو في الأكاديمية الأفلاطونية.

وأحد الكتب التي ألفها فتشينو، وكان يدرسها لأعضاء الأكاديمية، وهو كتاب الشمس Libre De Sole، استمده من عقيدة هرمس الشمسية، ومن موقع الشمس في القبالاه وشجرة الحياة القبالية، وقد طُبع سنة ١٤٩٤م، وهو من أكثر كتب فتشينو وأعمقها تأثيراً في عصر النهضة، بل وفي التاريخ كله، رغم أن جُل البشر لا يعرفونه ولم يسمعوا به، ومن آثاره المباشرة في العلوم نظرية كوبرنيكوس في مركزية الشمس من الأفلاك، وفي الفنون لوحة يوم الدينونة أو القضاء الأخير، أشهر أعمال مِيكل أنجلو، وسوف نزيدك به بياناً في موضعه.

وبعد أن جمع كوسيمو دي مديتشي مصادر العقائد الوثنية والباطنية، واجتمع حوله وفي قصره الأشخاص الذين جذبتهم المناقشات الفلسفية والأدبية، واستكشفهم، كما هو شأن الحركات السرية، لكي يستخرج منهم من يصلحون لما يريده، وبعد أن علَّم فتشينو، وجهزه ليكون أداته الرئيسية، وجعله يبدأ في ترجمة ما جمعه:

---

1) Nicholas Goodrick-Clarke: The Western Esoteric Traditions, P3.

"في سنة ١٤٦٢م، أنشأ كوسيمو الأكاديمية الأفلاطونية، وكان مقرها في قصره، في ضاحية كاريجي Careggi، ومنح فتشينو منزلاً ملحقاً بالقصر، ووفر له جميع احتياجاته المادية، لكي يتفرغ للترجمة والتدريس في الأكاديمية"[١].

وهؤلاء أبرز تلاميذ فتشينو، وهذا ما كان يدرسه لتلاميذه في الأكاديمية، يخبرك بهم وبه أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة كاليفورنيا، جيمس هانكنز، في دراسة أخرى له عن الأكاديمية، عنوانها: لغز الأكاديمية الأفلاطونية The Myth of The Platonic Academy of Florence:

"وبين أعضاء الأكاديمية وتلاميذ فتشينو، أكثر من مائة شخص من رجال الدولة البارزين، والأطباء، والمحامين، والخطباء، ورجال الدين، ومعظم العقول النابهة والرائدة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، مثل كرستوفورو لانديتو Cristoforo Landino، وجيوفاني بيكو ديلا ميراندولا Giovanni Pico della Mirandola، وأنجلو بوليتسيانو Angelo Poliziano، وديمتريوس كالكونديلاس Demetrius Chalcondylas، وأليساندرو براتشيزي Alessandro Braccesi، وبعض أفراد أسرة دي مديتشي، ومنهم لورنزو العظيم نفسه ... وكان فتشينو يعلمهم الفلسفة الإغريقية، وترجماته لأفلاطون وأفلوطين، وتعاليم هرمس، والتنجيم، والآداب العامية، والغنوصية[õ]**،**

---

1) Cosimo de Medic, P228.

õ) الغنوصية Gnostism: كلمة إغريقية معناها المعرفة أو البحث عنها وتحصيلها، وجوهر الغنوصية ومنهجها معرفة الإله والوصول إليه عبر التأمل في ذاته، وبناء أنساق نظرية عن صلته بالوجود وكيف أوجد الكون والمخلوقات وما الذي يربطها به، من خلال وضع فرضيات نظرية ذهنية ثم التفريع منها والتركيب عليها، والنتائج التي أفرزتها هذه الطريقة في فهم مسألة الألوهية ومعرفة حقائق الوجود هي الاعتقاد في أن الوجود، كوناً ومخلوقات، صدر عن الإله بالفيض والانبثاق، ولذا فالإله يحل في الوجود وتسري روحه فيه، وذات الكون والمخلوقات من ذات الإله وتتوحد به، ومن ثم فالارتقاء الروحي والتواصل مع الإله يكون بإحلاله في الإنسان أو توحد الإنسان به، ووسيلته التأمل في ذات الإله واستحضار هذه الذات لإعادة وصل روح الإنسان بروح الإله.

والطب الروحاني Spritual Medicine، وتفسير الكتاب المقدس، الذي يمزج فيه بين الفلسفة والعقائد المسيحية"[١].

ولأن الكتاب الذي بين يديك، هو كله من أجل إثبات علاقة أسرة دي مديتشي بحركة الروزيكروشان، وأن أكاديميتهم لم تكن سوى محفلها الأول، فيجب أن ننبهك إلى أن هذا المزيج الذي يخبرك أستاذ تاريخ عصر النهضة أن فتشينو جمعه وكان يدرسه في الأكاديمية الأفلاطونية، هو نفسه المزيج الذي جمعه مؤسس حركة الروزيكروشان الرمزي، وكونه بها، وصار هو المزيج الذي تربي عليه الحركة من يدخلون فيها منذ خرجت من مكامنها وظهرت في التاريخ.

فإذا رجعت إلى وثيقة إشهار أخوية الروزيكروشان Fama Fraternitatis، التي طُبعت لأول مرة في كاسل Kassel، في ألمانيا، سنة ١٦١٤م، ووثيقة اعترافات أخوية الروزيكروشان Confessio Fraternitatis، التي طبعت بعدها بسنة، سنة ١٦١٥م، ستجد في القصة الرمزية عن تأسيس الحركة، أن مؤسسها وُلد سنة ١٣٧٨م، وعاش ١٠٦ سنة، أي أنه كان معاصراً لجيوفاني دي مديتشي مؤسس البنك، ولكوسيمو دي مديتشي، وابنه بييرو، وحفيده لورنزو العظيم، أو هو حسب فرضيتنا رمز لهم جميعاً.

وستجد في الوثيقتين أن هذا المؤسس الرمزي:

"لأنه كان فقيراً، وُضع أخونا C R في صغره، في دير، فتعلم اللسان الإغريقي واللاتيني ... وفي دمشق علمه الحكماء الطب وعلموه أسرار الطبيعة ... ثم أرسلوه إلى إخوانهم في مصر، فتعلم منهم مراقبة حركة الكواكب، وعرف أسرار علوم الفلك المصرية القديمة وتعاليم هرمس وأسرار ديانته ... ومنها أرسلوه إلى إخوانهم في فاس، فعلموه السحر والفلسفة والقبالاه اليهودية ... وأدرك ضلال الكنيسة وخطأ كل ما تعتقده وتتبناه من فلسفات وعلوم وفنون، وبعد رحلاته الشاقة المليئة بالمصاعب والآلام عاد إلى ديره الذي خرج منه في

---

1) James Hankins: The Myth of The Platonic Academy of Florence, Renaissance Quarterly, Vol. 44, No. 3, P431, 459, Autumn, 1991.

ألمانيا، وقد عزم على تكوين جمعية كالتي عاش وتعلم فيها، ينتظم أعضاؤها حوله في دائرة هو مركزها، ويحكمها نظام صارم، فتقوم على نشر الحكمة والعلوم في أوروبا"[1]،[2].

1) Fama Fraternitatis Or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, P2-6.
2) Confessio Fraternitatis Or The Fame And Confession of The Fraternity of The Rosie Cross, P3-6.

فيلسوف الوثنية مارسيليو فتشينو

وحدة الوجود والتوحد بالموجود:

وهنا يكون قد جاء أوان أن نعرفك بفتشينو وأفكاره، وكيف اختاره كوسيمو دي مديتشي، وعلمه وجهزه، ليكون المعلم الأول في أكاديميته الأفلاطونية ورئيسها، ومعظم العقول النابهة التي صنعت عصر النهضة في مختلف المجالات، كانت نتاج الأفكار التي ضخها في رؤوسهم ورباهم عليها، ليس في فلورنسا وحدها، بل في إيطاليا كلها، وما حولها من بلدان أوروبا، كما يخبرك باول أوسكار كرستللر، أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة كولومبيا الأمريكية، في كتابه: فلسفة مارسيليو فتشينو:

"**وليس من المبالغة القول إن جميع المتعلمين في فلورنسا، في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كانوا تحت تأثير أكاديمية فتشينو، ومن خلال أفكاره ومراسلاته، كان على اتصال بالمراكز التعليمية الأخرى، قي روما وفينيسيا، وامتدت آثاره العقلية إلى ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وبولندا والمجر، وبقي تأثير فتشينو بعد موته وحل الأكاديمية Ficino' Influence Survived His Death، إذ ظلت كتبه تطبع طوال القرن السادس عشر، في أماكن مختلفة من إيطاليا وأوروبا**"[١].

وُلد مارسيليو فتشينو، سنة ١٤٣٣م، في بلدة فليني Figlini، شرق فلورنسا، ثم انتقل أبوه ديوتِفيتشي Diotifici إلى فلورنسا، وعمر ابنه مارسيليو بضع سنوات، وكان ديوتِفيتشي طبيباً، فدخل في خدمة كوسيمو دي مديتشي، وقد أصبح حاكم فلورنسا المطلق، وصار طبيبه الخاص.

وأدخل ديوتِفيتشي ابنه مارسيليو في مدرسة يدخلها أبناء الأغنياء، فتعلم فيها اللاتينية وآدابها، وهي إذ ذاك لغة الصفوة، وبها تكتب الكتب.

---

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P18-19.

وفي سنة ١٤٥١م، وهو في الثامنة عشرة، بدأ فتشينو في دراسة الطب وفلسفة أرسطو ومنطقه، على يد نيكولو تنجوزي Niccolo Tignosi، في ستوديو فلورنسا Studio of Florence، وهو مدرستها العليا، وفي الوقت نفسه بدأت صلة فتشينو بكوسيمو دي مديتشي، إذ كان يحضر مع أبيه إلى قصر كوسيمو، الذي انتبه إلى ذكائه، فقرر أن يوظفه في مشروعه لنشر الفلسفة الإغريقية، خصوصاً الأفلاطونية، في إيطاليا[١].

ولم يكمل فتشينو دراسة الطب، بل كما يقول باول أوسكار كرستللر:

"في سنة ١٤٥٦م، وجهه كوسيمو لتعلم اليونانية/الإغريقية، لكي يمكنه التعامل مع مصادر الفلسفة الإغريقية، وفي سنة ١٤٦٢م، وهبه كوسيمو فيلا قرب قصره في كاريجي، ووضع العديد من المخطوطات الإغريقية بين يديه، وطلب منه أن يُفرغ نفسه Dedicate Himself لترجمة فلسفة أفلاطون وشرحها وتعليمها، وهكذا تأسست الأكاديمية"[٢].

وبعد أن بدأ فتشينو في ترجمة أعمال أفلاطون، يقول نيكولاس جودريك كلارك، أستاذ الباطنية والعلوم الخفية في تاريخ الغرب، في جامعة إكستر البريطانية:

"في سنة ١٤٦٠م، عاد الراهب ليوناردو دي بستويا من مقدونيا إلى فلورنسا بمخطوطة إغريقية لمتون هرمس، وكان كوسيمو يعتقد أنها مصدر للحكمة الإلهية Divine Wisdom، فأمر فتشينو أن يترجمها قبل أن يكمل ترجمة أفلاطون، فأتم ترجمتها، ووضعها سنة ١٤٦٣م بين يدي كوسيمو"[٣].

وبعد ترجمة متون هرمس، يقول باول أوسكار كرستللر، وجودريك كلارك:

---

1) The Myth of The Platonic Academy of Florence, Renaissance Quarterly, Vol. 44, No. 3, P450.
2) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P16.
3) Nicholas Goodrick-Clarke: The Western Esoteric Traditions, P36-37.

"بدأ فتشينو في ترجمة محاورات أفلاطون، وعندما مات كوسيمو، سنة ١٤٦٤م، كان قد ترجم عشرة منها، ثم أتم ترجمتها كاملة سنة ١٤٦٨م، في عهد بييرو، وفي سنة ١٤٦٩م كتب تعليقاته على سيمبوزيم أفلاطون/محاورة عن الحب Symposium، وعلى محاورة فليبوس Philebus، وبين سنة ١٤٦٩م وسنة ١٤٧٤م كتب عمله الفلسفي الرئيسي: اللاهوت الأفلاطوني Theologia Platonica، وفي سنة ١٤٧٤م كتب عمله الفلسفي الثاني: الديانة المسيحية De Christiana Religione، وفي السنوات التالية كتب مقالات صغيرة عديدة، وطُبعت ترجمته لأعمال أفلاطون إلى اللاتينية بين سنة ١٤٨٢م وسنة ١٤٨٤م، وهي أول ترجمة كاملة لأعمال أفلاطون في لغة غربية، وبين سنة ١٨٨٤م وسنة ١٤٩٢م ترجم أعمال أفلوطين، وفي سنة ١٤٨٩م كتب عمله الطبي: الحياة De Vita، وأتم ترجمته لأعمال ديونيسيوس أريوباجيتي Dionysius The Areopagite سنة ١٤٩٢م، وجُمعت رسائله وطُبعت سنة ١٤٩٥م، وطبعت تعليقاته على أفلاطون سنة ١٤٩٦م"[١]،[٢].

وما لم يذكره أساتذة عصر النهضة، كرستلر وكلارك، في قائمتهم لأعمال مارسيليو فتشينو، كتاب الشمس، فلا تيأس، فسنعرفك به، وبهرمس ومتونه، بعد قليل.

وفلسفة فتشينو، أو عقيدته، التي هي امتداد لفلسفة أفلاطون وأفلوطين، وسجلها في كتبه، وفي تعليقاته على ترجمته لهما، وكان يدرسها في الأكاديمية الأفلاطونية، هي أن الوجود كله يتكون من دوائر أو مراتب، في أعلاها الإله، وفي أدناها الجمادات والأشياء المادية.

وقد تقول: وماذا في ذلك، فهذه بديهة لا غبار عليها؟!

ونقول لك: لا تتعجل، ولا تكن كالأميين، الذين يحكمون على الأفكار والأشياء بعناوينها، فهذا الإله ليس واجب الوجود الذي تعرفه في الديانات الكتابية كلها، وهذه الجمادات التي في أسفل الوجود على اتصال وتوحد بهذا الإله في أعلاه، والوجود كله وحدة واحدة، وجميع

---

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P17-18.
2) The Western Esoteric Traditions, P37.

الموجودات في الوجود متداخلة، فكل مرتبة تحتوي التي أدنى منها، وتحويها المرتبة الأعلى منها، والإله يحتوي جميع المراتب والموجودات.

يقول فتشينو، في كتابه: اللاهوت الأفلاطوني:

"الجواهر/الأرواح السفلى Lowest Souls، محتواة في الأرواح الوسطى، والأرواح العليا تحتوي هذه وتلك، فالأرواح العليا هي العاقلة والخالدة، مثل الملائكة، والسفلى هي غير العاقلة والفانية، مثل الحيوانات، والأرواح الوسطى هي العاقلة والفانية، مثل الإنسان، والإله هو أعلى الأرواح والجواهر ... والوجود كله متصل فيما بينه Connected Within Itself، أو هو وحدة واحدة"[١].

وفي هذا الوجود المتصل في وحدة واحدة، لا يوجد فجوات ولا فراغ بين مرتبة من الموجودات وأخرى، ولا بين موجود وآخر في أي مرتبة، بل تتماهى كل مرتبة مع التي في أسفلها، وكل موجود مع الذي يليه، من أول الإله إلى أدنى الموجودات، عبر وسيط عابر للمراتب جميعها، أو يسري فيها كلها.

يقول فتشينو، في كتابه: اللاهوت الأفلاطوني، وفي تعليقاته على محاورة فليبوس لأفلاطون:

"لابد من أرواح وسيطة بين أرواح الملائكة العليا وأرواح الحيوانات السفلى، وكذلك بين روح الإله وأرواح الوحوش، ولابد من وسيط مطلق Absolute Median، يصل بين مراتب الوجود كلها، وبين جميع الموجودات من أعلاها إلى أسفلها، وتوجد فيه خصائص جميع هذه المراتب والموجودات، وهذا الوسيط الذي يصل الموجودات العليا بالسفلى، هو الروح العاقلة Rational Soule، وهي الوسيلة التي خلق الإله من خلالها كل شيء،

---

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P79, 99, 103.

وهذه الروح في الموجودات العليا تقربها من السفلى، وفي السفلى تصعد بها إلى العليا، وهي موجودة في بنية الكون، وتتدفق فيه، وليست فقط بين الأشياء"[١].

وهذه الروح التي تصل بين جميع الموجودات، ويصبح بها الوجود كله وحدة واحدة، كما تقول أستاذة الدراسات الدينية في جامعة كِنت البريطانية Kent، أنجيلا فوس Angela Voss، في أطروحتها التي حصلت بها على الدكتوراة، وكان عنوانها: السحر والتنجيم والموسيقى، خلفية استخدام مارسيليو فتشينو للتنجيم والموسيقى في العلاج، ودوره في عصر النهضة:

"الروح عند فتشينو هي قوة الحياة الكونية، تعبر الكون كله Traverses The Entire Universe، وتظهر في صور وأشكال مختلفة، فعندما تكون كاملة وتحلق في المستويات العليا تحكم جميع المخلوقات، وعندما تفقد كمالها وعلويتها تتشكل في المادة الجامدة"[٢].

وفلسفة فتشينو بخصوص مسألة الألوهية وموقع الإله من الوجود وعلاقته بالموجودات، التي كان يدرسها في أكاديمية أسرة دي مديتشي، نموذج تعرف منه كيف تتلاقى روافد الضلالات وتختلط ويتكون مجراها، وتسري هنا وهناك، ومصدرها الذي نبعت منه واحد، وكيف يتم إحياؤها وتجديد أغلفتها وألبستها، وفحواها وجوهرها هو هو.

فنموذج فتشينو عن الإله والموجودات والوجود، هو فلسفة أفلوطين، صاحب أكبر أثر فلسفي وعقائدي في المسيحية، وفلسفة أفلوطين تطوير لفلسفة أفلاطون الوثني، ومزجٌ لها بالعقيدة المسيحية، وكل ما هو أفلاطوني في ظاهره، كما أخبرناك من قبل، فيثاغورسي في أصوله وجوهره، وفيثاغورس قبالي، وتلقى تعاليمه ومعتقداته من الربانيين اليهود في بابل وفارس والهند.

---

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P104-105.
2) Magic, Astrology And Music, The Background To Marsilio Ficino Astrologic Music Therapy And His Role As Renaissance Magus, P24-25.

وفلسفة فتشينو هي في الحقيقة فلسفة فيثاغورس من الإغريق، وليست فلسفة أفلاطون وأفلوطين، وهي نفسها عقيدة القبالاه والزرادشتية والهندوسية والبوذية، وجميع الديانات الباطنية التي انبثقت من القبالاه، أو تكونت بمحاكاة خريطة الوجود البني إسرائيلية والتفريع منها، وكذلك عقيدة جميع الحركات السرية عبر التاريخ، من أول جمعية فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد، مروراً بالماسونية وحركة الروزيكروشان التي تكونت في القرن الخامس عشر، وحتى جمعية الحكمة الإلهية وحركة العهد الجديد في القرن العشرين.

فإليك نموذجاً من حركة العهد الجديد، التي كونها في النصف الثاني من القرن العشرين، تلاميذ القبالية اليهودية أليس بيلي Alice Bailey، وهي أنجب تلاميذ القبالية الأوكرانية هيلينا بلافاتسكي Helena Blavatsky، مؤسسة جمعية الثيوسوفي Theosophy، أو الحكمة الإلهية:

هاك تعريفاً بمعتقدات حركة العهد الجديد، من موسوعة الحركة Encyclopedia of New Age Believes:

"حركة العهد الجديد لا تؤمن بوجود إله خالق Creative God، بل تؤمن بوجود قوة خالقة Creative Force، هي بديل الإله الواحد الخالق، ومصطلح الطاقة Energy يستخدم للدلالة على هذه القوة الخالقة، وفي أدبيات حركة العهد الجديد فإن الكهرباء والمغناطيسية وغيرها من أنواع الطاقة الفيزيائية، هي نظائر لهذه الطاقة الروحية الخالقة التي خرج منها كل شيء، لكن ينبغي أن يلاحظ أن هذه الطاقة روحية دينية ولا علاقة لها بالعلم، فلا يمكن رصدها ولا قياسها، وهي إحدى المعتقدات الرئيسية عند أتباع حركة العهد الجديد، ويطلق على هذه الطاقة الروحية أسماء عديدة، أشهرها: طاقة الحياة Life Energy، والطاقة الحيوية Vital Energy، والطاقة الكونية Cosmic Energy"[(١)]

1) **John Ankerberg And John Weldon: Encyclopedia of New Age Believes, Pxiii. Harvest House Publishers, Oregon, U S, February 1996.**

وفـي القبـالاه أن السـفيروت أو شـجرة الحيـاة סְפִירוֹת/Sephiroth، التـي تمثـل بلوراتهـا العشرة الذات الإلهية، وتنـاظر كل واحدة منها عضواً في الإنسان، وأحد الأفلاك في الكون، وملكـاً مـن الملائكـة، فـي القبـالاه أن السـفيروت تقـع فـي أربعـة عـوالم متوازيـة، وكـل عـالم أو مستوى مـن الوجـود توجـد فيـه سفيروت، وكـل سـفيروت فـي عـالم أو مسـتوى لهـا مواصـفات خاصة، وطبيعة مختلفة للكون والمخلوقات فيها، وللصلة بين الكون والمخلوقات وبين الإله، والسفيروت الأربعة في كل عالم أو مستوى من الوجود، تتواصل معاً عبر القنوات الواصلة بين بلوراتها، وتعيد إنتاج الصلة بينها بلا نهاية.

ولأن كتابنـا هـذا فـي إثبـات صـلة حركـة الروزيكروشـان بأسـرة دي مديتشـي، وأن أكـاديميتهم الأفاطونيـة هـي محفلهـا الأول، فإليك الأسـتاذ الأعظـم لحركـة الروزيكروشـان فـي القـرن التاسـع عشـر، آرثـر إدوارد ويـت Arthur Edward Waite، يخبـرك بعـوالم القبـالاه الأربعـة، فـي كتابـه: القبـالاه المقدسـة، دراسـة فـي تعـاليم إسـرائيل السـرية The Holy Kabbalah, A Study of The Secret Tradition In Israel:

"العـالم الأول: أتزيلـوت أو عـالم الفـيض אֲצִילוּת/Atziluth، وفيـه يوجـد الكـون والمخلوقـات فـي صـورة نورانيـة داخـل الإلـه وفـي توحـد بـه، والعـالم الثـاني: بريـاه أو عـالم الخلق בְּרִיאָה /Beri'ah، وفيه تتحول الموجودات إلى روح واعيـة بنفسـها وتكوينهـا دون أن تتشكل مادياً، والعالم الثالث: يتزيراه أو عالم التشكل יְצִירָה/Yetzirah، وفيـه تتخـذ الموجودات صورها المادية دون أن تنفصل عن الذات الإلهية، والعالم الرابع: أسياه أو عـالم المـادة עֲשִׂיָּה/Asiyah، وهـو عـالم الفعـل والحركـة، والكـون الفيزيـائي المنظـور بأجرامـه ومخلوقاته على صورتها المعروفة، وهي صورة للإلـه أو مرآة لـه، دون أن يوجد هو بذاتـه في هذا العالم المنظور"[١].

1) Arthur Edward Waite: The Holy Kabbalah, A Study of The Secret Tradition in Israel, P197, Williams And Norgate, London, 1929.

وكما ترى، فلسفة فتشينو التي كان يدرسها في أكاديمية دي مديتشي، بموقع الإله من الموجودات، وكيف ظهرت للوجود، وعلاقته بها، ووسيط الاتصال الذي يربط بينه وبينها وبين الوجود كله، هي نفسها القبالاه، لكن دون أن تحمل اسمها.

وأول ما يجب أن تنتبه إليه، في عقيدة القبالاه وفلسفة فيثاغورس وأفلاطون وأفلوطين وفتشينو والزرادشتية والهندوسية والحركات السرية، ليس هذه العقيدة نفسها والنموذج الذي فيها عن شكل الوجود وصلة الإله بالموجودات، بل أهم من ذلك أن تنتبه إلى أنها تجعل الإنسان وعقله وأفكاره وتأملاته مصدر مسألة الألوهية وفهم موقع الإله من الوجود وعلاقته بالموجودات.

فالفحوى الحقيقية لهذه الفلسفات والعقائد جميعها، الإطاحة بعقيدة واجب الوجود، وكذلك بما يترتب عليها من عقيدة الخلق بالإرادة والأمر الإلهي، وعقيدة الوحي مصدراً للمعرفة والقيم، وتحويل مسألة الألوهية إلى أفكار هائمة لا ضابط لها، ولا مصدر لها سوى ما يُنتجه داخلُ الإنسان، أي إنسان، بأهوائه وضلالاته، وبما ألفه واعتاد عليه، ودون براهين ولا أدلة من خارجه.

ومسألة الألوهية، وعلاقة الإله بالإنسان والوجود، وكيف يعرفه الإنسان، مصدرها الحق بيان الإله وليس تأملات الإنسان، وببرهان يُثبت مصدره، وأن هذا البيان من عند الإله.

ولا تؤاخذنا على سذاجتنا، إذ نريد هنا أن نسألك سؤالاً بسيطاً: كوسيمو ولورنزو دي مديتشي، أرسلوا مبعوثين وأنفقوا أموالاً طائلة، من أجل جمع مخطوطات الفلسفة الإغريقية، ومتون هرمس والعقائد المصرية القديمة، والقبالاه، وأقاموا أكاديمية لتعليمها وبثها، فلماذا لم يضموا إلى هذا كله المصادر الإسلامية، ولو من باب مقارنتها بغيرها مما جمعوه، وهي أيسر في الوصول إليها، وصارت معروفة لهم وللغرب كله، بعد التقاء الغرب بالشرق في الحروب الصليبية؟

والإجابة أبسط من السؤال: لأنهم لا يبحثون عن الحق والصواب، بل يبحثون عن الوثنيات والضلالات من كل نوع ويجمعونها، من أجل مزجها وتدويرها وإعادة إنتاجها، وجعلها وسيلة للإطاحة بالوجود الإلهي، وما يترتب عليه من وجود معيار وميزان للأخلاق والقيم والعلاقات في الدنيا، وثواب وعقاب على اتباعها أو مخالفتها في الآخرة، وحينئذ يصير يسيراً استنفار أهواء البشر وغرائزهم باللوحات والتماثيل الإباحية والقبالية، وقيادتهم منها، وتسييرهم إلى حيث يريدون.

وهو ما يخبرك به صريحاً، الفيسوف اليهودي الألماني موشيه مندلسون Moses Mendelssohn، في رسالة أرسلها، في ١٢ ديسمبر سنة ١٧٦٩م، إلى عالم اللاهوت المسيحي السويسري، والوزير في حكومة زيورخ، يوهان كاسبر لافاتير Johann Kaspar Lavater، بعد أن أهداه لافاتير كتاب: شواهد الديانة المسيحية Inquiry On Christian Evidences، للفيلسوف شارل بونيه Charles Bonnet.

يقول مندلسون ضمن رسالته الطويلة:

"**حسب تعاليم ديني فإنني لا أسعى إلى أن أُدخل فيه أحداً لم يولد طبقاً لشريعته، فأحبارنا بعيدون جداً عن هوس الهداية Proselytomania، ويحرصون أيما حرص على تعليمنا أن الشريعة المكتوبة والشفوية مفروضة على شعبنا فقط، ويقولون إن موسى أمرنا بشريعة مقصورة على نسل يعقوب، ولذا فنحن نعتقد أن الإله أراد من كل الشعوب والأقوام الأخرى أن تكون مرتبطة بما يجدونه في الطبيعة من قوانين، وبالديانات التي وجدوا عليها آباءهم، والصالحون من هؤلاء الأقوام والشعوب هم من ينظمون حياتهم ويديرونها طبقاً لهذا الدين، دين الطبيعة والعقل Religion of Nature And of Reason، إن أحبارنا هم آخر من يهتم بهداية الآخرين إلى اليهودية، بل إنهم يرشدوننا إلى أن نصد بقوة كلَ من**

يريد أن يدخل في ديننا، لأن التلمود يقول: "المهتدون يضايقون إسرائيل كالجرب Like A Scab"[1]!

وثانياً: إذا رجعت إلى فلسفة فتشينو، وإلى شجرة الحياة القبالية، ستجد أن الإله فيها ليس ذاتاً منفصلة عن الموجودات ومستقلة عنها، كما في الديانات الكتابية، بل ستجد أن الموجودات امتداد للإله، أو جزء منه، أو توجد في داخله، وأن روحها أو ذاتها هي نفسها روحه وذاته، وأن هذه الروح تتدفق من الموجود الأعلى إلى الموجودات الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى، وأن الخلق هو الصورة التي تتشكل فيها هذه الروح من تلقاء نفسها، حسب خصائص الموجود الذي تسري فيه.

ولكي نقرب لك المسألة، فالوجود في هذا النموذج العقائدي مثل جسم الإنسان، والموجودات كلها مثل أعضائه المتصلة، وتسري فيها جميعاً وتحركها قوة غير مرئية، والإله مثل الرأس في جسم الإنسان، جزء منه وليس منفصلاً عنه، ولا يمكن أن يكون له وجود من غير بقية الأعضاء، وهي تتبعه تبعية الجزء لما يتصل به وهو جزء منه، وجميعها وُجدت معاً، ولا بقاء لها إلا معاً.

ويتبع هذا النموذج العقائدي بالضرورة، أن الموجودات ظهرت إلى الوجود تلقائياً أو آلياً، بالانبثاق أو التدفق، دون إرادة من الإله، وأن ما يحكمها ويمنحها صفاتها ووظائفها وآثارها ليس التقدير والأمر الإلهي، بل الآثار التلقائية للروح التي تنبثق وحدها من الإله وتسري فيه وفيها وتصل بينه وبينها.

وهو ما تجده صريحاً في التشبيه الذي شبَّه به فتشينو علاقة الإله بالموجودات وكيف اكتسبت صفاتها، يقول فتشينو:

---

1) Moses Samuels: Memoirs of Moses Mendelsohn, The Jewish philosopher, Including The Celebrated Correspondence, On The Christian Religion, With J.C. Lavater, Minister of Zurich, P56-57, Printed By: Saintsbury And Co., For Longman And Co., London, 1827.

"وقوة الضوء لا حد لها، فهي تصل الموجودات السماوية، بسهولة وفي لحظة واحدة، بالموجودات الأرضية شديدة البعد عنها، والضوء لا ينقل فقط قوى النجوم إلى الأشياء التالية، بل ويجلب أيضاً الشمس والنجوم نفسها إلى الموجودات السفلى، فالضوء هو رابط الكون Vinculum Universi، وكما أن الضوء ينزل من الشمس إلى النار دون أن يغادرها، كذلك الروح يرسلها الإله إلى المادة فتخترقها وتملأ الموجودات العاقلة دون أن تغادر الإله، فالروح مرآة الإله، كما أن الضوء مرآة الشمس"[١].

والشمس، نظير الإله في تشبيه فتشينو، ليس لها إرادة، ولا عندها تقدير، والضوء، نظير الروح، والذي يمنح الموجودات صفاتها ووظائفها، ينبثق من الشمس ميكانيكياً دون أمر، ولا يتوقف انبثاقه على إرادتها، وليس في مقدورها الامتناع عن إصداره، ولا إيقافه أو سلب خصائصه ومنع آثاره، إذ الخصائص والآثار ذاتية وحتمية.

وتشبيه فتشينو للإله بالشمس، ليس مجرد مثال للتقريب، كما قد تتوهم، بل في عقيدة فتشينو، وفي عقيدة جميع من تخرجوا عليه في أكاديمية دي مديتشي، ومن تأثروا بكتبه، ومنهم كوبرنيكوس، أن الشمس هي الإله فعلاً، أو هي صورة الإله ومظهره في الكون المرئي المنظور، ولذا فموقعها الذي تستحقه ويليق بها ولا يجوز أن يكون لغيرها، أن تكون في مركز الأفلاك.

ونموذج فتشينو العقائدي، وجميع النماذج الشبيهة به، لا مكان فيه لخلق ولا إرادة إلهية، ولكن فتشينو مزجه بالمسيحية، أو موهه فيها، فجعل الإله في ظاهر كلامه خالقاً للموجودات التي أدنى منه، رغم أن نموذجه كله وبكل تفاصيله ينقض عقيدة الخلق ووجوب الوجود.

ولأنه قام بالجمع بين نقائض، وتركيب شيء على آخر ليس من جنسه ولا يتناسب معه، فلم يمر تمويهه على الكنيسة، وفي سنة ١٤٨٩م أمر البابا إنسونت الثامن Innocent

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P116.

VIII، بمحاكمته بتهمة الهرطقة، ضمن تهم أخرى عديدة، منها الإباحية والشذوذ وممارسة السحر، ولكنه نجا من الإدانة بنفوذ لورنزو دي مديتشي وضغوطه على الكنيسة.

فإذا تساءلت، ولماذا تحاكمه الكنيسة، بل وما الذي ألجأه إلى هذا التمويه، فالإجابة هي أن لا تؤاخذنا على السهو، فقد نسينا أن نخبرك أن فتشينو كان كاهناً مسيحياً!

في دراسته: فتشينو القس Ficino The Priest، ضمن كتاب: لاهوت مارسيليو فتشينو وفلسفته وتراثه Marsilio Ficino His Theology, His Philosophy, His Legacy، يقول أستاذ الفلسفة في جامعة مالطا، بيتر سيراسينو أنجلوت Peter Serracino Inglott:

"في سنة ١٤٧٠م، دخل فتشينو في الإكليروس، في كنيسة سانتا ماريا مونتي فارجي Santa Maria a Monte Vargi، وبعد ثلاث سنوات صار كاهناً، وتم انتخابه عضواً في إدارة الكاتدرائية، سنة ١٤٨٧م، ويظهر ذلك من خطاب شكر وجَّهه إلى لورنزو وجيوفاني دي مديتشي، وأيضاً عبَّر فتشينو عن امتنانه لهما في الخطبة التي ألقاها عند تنصيبه، يوم ٢٢ مارس ... وفي خطاب أرسله إليه لورنزو دي مديتشي، يوم ٦ أكتوبر ١٤٨٧م، أخبره أنه سيتم ترتيب اختياره أسقفاً لكوروتونا Bishop of Corotona، عند خلو المنصب ... وكان فتشينو يمارس وظيفته ويلقي العظات بانتظام، إلا أن فتشينو عندما صار كاهناً، لم يتحول من الأفلاطونية الوثنية Platonic Paganism إلى المسيحية الأصيلة Orthodox Christianity"[1].

وكما ترى، الوثني مارسيليو فتشينو كان قساً مسيحياً، ولورنزو دي مديتشي هو نفسه الذي أدخله في الكهنوت وزرعه في الكنيسة، وكان يفتح له بنفوذه أبواب الترقي فيها، ليروج في عظاته لفلسفته الوثنية الباطنية، التي أقاموا الأكاديمية عليها ومن أجل بثها، كما زرع ابنه جيوفاني من قبل واشترى له رتبة الكاردينال وعمره ثلاث عشرة سنة.

1) Peter Serracino Inglott: Ficino The Priest, In: Marsilio Ficino His Theology, His Philosophy, His Legacy, P9-10, Brill, Leiden, Boston, Koln, 2002.

هرمس ومتونه:

وتشبيه فتشينو للإله وصلته بالموجودات، بالشمس وأشعتها، يصل بك إلى محطة كتاب الشمس، وهرمس ومتونه، وهما وجهان لشئ واحد.

هرمس Hermes، في الأساطير الإغريقية، هو ابن زيوس، كبير آلهة الأولمب من الأرضية مايا Maia، وأخو أبوللو، إله الشمس، وإعجاباً بعبقرية هرمس ودهائه:

"صار رسولاً للآلهة، خصوصاً زيوس، والمسؤول عن إبلاغ أوامره ورغباته إلى بقية الآلهة وأفراد البشر، والذي يقوم بتوصيل الأرواح إلى عالم الموتى، وراعي المسافرين والفنون الخاصة بالتواصل، مثل الخطابة، وكان يُصوَر في صورة مسافر أو عابر سبيل، يرتدي بيتاسوس Petasos، وهي قبعة عريضة كان يرتديها المسافرون الإغريق لحماية أعينهم من الشمس"[١]

أما هرمس مثلث العظمة Hermes Trismegistus، فهو الاسم الذي أطلقه الإغريق على تحوت، إله الحكمة والمعرفة في أساطير مصر القديمة، بعد أن وحدوا بينه وبين هرمس الإغريقي، رسول الآلهة وإله التجارة وراعي المسافرين، ليصبح إله الكتابة والمعرفة والسحر والخيمياء والتنجيم، ولذلك أطلقوا على مدينة خيمنو Khemnu المصرية القديمة: هرموبوليس Hermopolis، أو مدينة هرمس، لأنها كانت مركز عبادة تحوت، ومكانها مدينة أشمون الحالية.

وتحوت، في أساطير مصر القديمة وعقائدها، كان يصور في هيئة إنسان له رأس أبي قردان، وفي إحدى يديه الصولجان، وفي الأخرى مفتاح الحياة، وعلى رأسه قرص الشمس.

---

1) Robin Hard: Greek Mythology, p158, Routledge Publishing, London, New York, 2004.



تحوت إله الحكمة والمعرفة في أساطير مصر القديمة

وفي هذه الأساطير أنه عند بداية الزمن، حدثت معركة هائلة بين إله النور رع وإله الظلمات ست، وفي هذه المعركة كان تحوت ظهيراً لرع ويحرس عين الشمس، فكلما حاول ست أن يسوق السحب ليحجب الشمس، كان تحوت يقوم بإبعاد هذه السحب وتمزيقها، ويعيد عين الشمس حية كاملة متوهجة.

ولذلك فتحوت في مصر القديمة، كما يقول المؤرخ البريطاني وعالم المصريات، والاس بَدج: في كتابه: آلهة المصريين:

"كان يعتبر إلهاً خالقاً لنفسه، وأنه الإله الواحد الذي لم يهبه ميلاده أحد، وأنه القلب الذي انبثق منه رع أو الشمس، وهو الذي قام بعمل حسابات وأنشأ بها السموات والنجوم والأرض، ومن ألقابه: العظيم مرتين، والعظيم ثلاثة ﷺ"[1].

وأما متون هرمس، التي كان كوسيمو دي مديتشي مغرماً بها، وجعل فتشينو يترك ترجمة أعمال أفلاطون ويتفرغ لترجمتها، فقد ظهرت لأول مرة بالإغريقية، في القرن الثاني الميلادي، وهي سبع عشرة مقالة، وكل منها حوار بين شخصيتين، وقد ترجمها فتشينو إلى اللاتينية تحت عنوان: بويماندرس Poimandres، وهو اسم أحد طرفي الحوار في المقالة الأولى.

فهاك بويماندرس يعرفك بنفسه، وتعرف منه ماذا تكون متون هرمس، في بداية المقالة الأولى، في أول ترجمة لها إلى الإنجليزية، والتي ترجمها المنجم والخيميائي الإنجليزي جون إيفيرارد John Everard، سنة ١٦٥٠م:

"سألته: من أنت؟

قال: أنا بويماندرس، عقل الرب الأعظم Mind of The Great Lord، الرحيم والملك المطلق، وأنا معك في كل مكان.

قلت: أنا متشوق للسماع، فأنا أريد أن أعرف الأشياء وأفهم الطبيعة وأعرف الإله.

قال: احفظ في عقلك ما أقوله، وكل ما تريد أن تعرفه سأعلمك إياه.

وعندما قال ذلك تغير شكله على الفور، وتغيرت عيناه، وانفتحت كل الأشياء أمامي، ورأيت إلى ما لا نهاية، وصارت جميع الأشياء ضوءاً، وبعد برهة هبط ظلام مخيف ويتلوى كالحية، ثم تحول إلى طبيعة مائية، ثم صار كدخان ينبعث من نار، ثم انبعث صوت

---

١) والاس بدج: آلهة المصريين، ص٤٥٩-٤٦٠، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

كالصيحة من الضياء، وبعدها خرجت من الضوء كلمة مقدسة، امتزجت بالطبيعة، وارتفعت فوق النار، وظلت النار مشتعلة كما هي، والأرض والماء بقيا وحدهما ممتزجين معاً، وتحركا بالكلمة الروحية التي جاءت عليهما.

ثم قال بويماندرس: هل فهمت ما الذي تعنيه هذه الرؤيا؟ أنا النور، العقل، الإله، الموجود قبل الطبيعة المائية، وظهر من الظلام، والكلمة المضيئة التي انبعثت من العقل هي ابن الإله Son of God "[1].

فإذا تأملت محاورة بويماندرس، فستدرك دون كبير جهد، أنها ليست سوى إعادة إنتاج لأسطورة هرمس عن تمزيق السحب وإعادة الشمس، ومنع ست من حجبها، في غلاف من بضع كلمات مسيحية.

وقد تقول: ولكن ما في متون هرمس ومحاورة بويماندرس شبيه بقصة خلق السموات والأرض في سفر التكوين؟!

ونقول لك: لا، ليست هي كما تبدو لأول وهلة، فهاك أولاً عبارات سفر التكوين:

"١فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. ٢وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ٣وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. ٤وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. ٥وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا. ٦وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». ٧فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. ٨وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا.

---

1) John Everard: The Divine Pymander, P7-8, Printed by Robert White, for Thos. Brewster & Greg. Motile, At The Three Bibles In The Poultry, Tinder Mildred's Church London, 1650.

٩وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٠وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا"[١].

فإذا تجاوزت التفاصيل وما يستوجب النقد في هذه العبارات من سفر التكوين، فالمسألة الجوهرية في السفر، والفارقة بينه وبين متون هرمس، هي ما أخبرناك به من قبل، فالإله في سفر التكوين ذات منفصلة عن الموجودات، وخلقها بإرادته وأمره، وهو الذي سماها، والنور من خلقه، فالإله في سفر التكوين:

"خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... وقَالَ الله: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ ... وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، ودَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً ... وقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاه. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاه وَمِيَاه» ... وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ» ... دَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا ".

بينما في متون هرمس والأفلاطونية وجميع العقائد الباطنية، لن تجد خلقاً ولا إرادة ولا أمراً، ولا خالق في الحقيقة ولا مخلوقات، بل موجودات، والإله جزء من هذه الموجودات ومتصل بها، وذاته أو روحه ذاتها، والنور والموجودات جميعها انبثقت أو تكونت من هذه الروح وحدها دون إرادة ولا أمر، ولأن روحها وجوهرها هو نفسه جوهر الإله، فقد وجدت كلها معه.

والغاية الخبيثة خلف هذه النموذج العقائدي، وجميع العقائد التي تقوم عليه، وهي ما من أجله ينقب عنه اليهود ويبثونه، وتتبناه الحركات السرية وتجعله في صلب تعاليمها، الغاية الخبيثة هي إسقاط منظومة القيم والأخلاق والعلاقات التي تترتب على الإيمان بالإله الخالق واجب الوجود، والتي هي بالضرورة ميزان يتحدد به الخير والشر والصواب والخطأ، وأن يُحلوا محلها منظومة سائلة لا مصدر لها، ولا طريقة للحكم عليها، ومن ثَم فلا خطأ فيها ولا صواب، ولا أيسر حينئذ من ركوب عموم البشر بالشعارات البراقة والرايات الخلابة، وسوقهم

---

١) سفر التكوين: ١: ١-١٠.

من غرائزهم وأهوائهم إلى حيث يريد من يملك المال وأدوات استنفار هذه الغرائز والشهوات وتحريكها.

فإذا فطنت إلى هذه الغاية الخبيثة، لن تعجب إذا علمت أن الانحلال والإباحية، جزء من فلسفة جميع العقائد الباطنية ومنظومتها الأخلاقية والاجتماعية، وإفراز تلقائي لاعتناقها، وهي كذلك جزء من تقاليد الحركات السرية، ومظهر تلقائي يواكب سيطرتها على المجتمعات، لأن إطاحة هذا النموذج العقائدي بعقيدة واجب الوجود والذات الإلهية الخالقة والمنفصلة عن المخلوقات، يتبعها تلقائياً وبالضرورة إسقاط معيار التمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ، فتستوي كل الأشياء والأفعال في صوابها وخطئها، ولا محل لأن يوصف فِعل أو خُلق بأنه إثم، ويصبح الفيصل الوحيد في فِعل أي شيء أو تركه، ما يجلبه من منفعة ولذة، أو من ضرر وألم.

وهو ما يخبرك به صريحاً أشهر فاسق وعربيد في التاريخ، الكونت دي صاد De Sade، يقول لِستر كروكر Lester Crocker، أستاذ الفلسفة في جامعة فرجينيا الأمريكية، في كتابه: عصر الأزمة، الإنسان والعالم في الفكر الفرنسي إبان القرن الثامن عشر An Age of Crisis, Man And World In Eighteenth Century French Thought:

"ليس من المبالغة القول إن أزمة الثقافة الحديثة تتبلور في دي صاد، فالفلاسفة والمفكرون قبله أحلوا الطبيعة والعقل والمجتمع محل الإله، وجعلوها مصدراً للقيم والأخلاق، ولكن دي صاد هو الوحيد الذي مد الخط على استقامته وإلى نهايته، وصرح بالنتيجة التي لا مفر منها، فإذا كان الإله وهماً مرعباً Monstrous Chimera، فالوجود كله غير أخلاقي وبلا معنى، والفوضى هي النظام الوحيد للعالم Disorder Is The Only Order of The World، والضعيف ليس إلا طعام القوي، والعاقل من يسعى إلى إشباع رغباته ويتجنب العقوبة الأرضية، وكل الرغبات خير، والأخلاق أوهام، والجريمة والرذيلة مثل الحكمة والفضيلة، وحين حُكم عليه بالسجن قال: "المحكمة اتهمتني بالشذوذ وتجاوز الحد

الأقصى من الإباحية، ولكن مَن الذي يحدد ما الذي يكون شذوذاً وما الذي لا يكون، ويقرر ما الحد الفاصل بين الإباحية المقبولة وغير المقبولة؟"[١].

وقد تقول: ولكن الانحلال والإباحية فشت في رجال الكنيسة، بمن فيهم البابوات أنفسهم، إبان عصر النهضة وأسرة دي مديتشي وأكاديميتهم وفيلسوفهم فتشينو، وبعض هؤلاء البابوات كان لهم أبناء غير شرعيين، أي من الزنى؟!

ونقول لك: يجب أن تنتبه وتفرق بين فساد الأشخاص في أنفسهم ومخالفتهم للمعيار والميزان الإلهي، وبين الإطاحة بالمعيار والميزان نفسه، فالبابا قد يزني، وقد يكون شاذاً جنسياً، ولكنه يستتر بفِعلته ويخفيها، ولا يفخر بها ويزينها، ولا يفلسفها، ولن يخرج على أتباعه، وليس في مقدوره أن يخرج عليهم، ليقول لهم إن الزنى حرية شخصية ولا إثم فيه، ولن يضع، وليس في مقدوره أن يضع دستوراً يبيح فيه الزنى والشذوذ، كما صار الغرب بعد أن سقط من عقائده واجب الوجود الخالق، وسار في المسار الذي شقته أسرة دي مديتشي ودفعته فيه، وكما صارت بلاليص ستان بعد أن نقلها إلى مسار الغرب ووصلها به أول الآتين من الخلف.

ونعود بك إلى متون هرمس، ولأنك صرت على تخوم كتاب الشمس، نمهدك لدخوله بهذا الحوار بين هرمس وابنه تحوت، من المحاورة الخامسة، وعنوانها: في أن الإله ليس ظاهراً ومع ذلك فهو الأشد ظهوراً That God Is Not Manifest, And Yet Most Manifest:

"**هرمس: إذا أردت أن ترى الإله، انظر إلى الشمس وافهمها، وانظر إلى مسار القمر، وإلى نظام النجوم، من الذي يحفظ هذا النظام؟ الشمس هي أعظم الآلهة في السموات The**

1) Lester Crocker: An Age of Crisis, Man And World In Eighteenth Century French Thought, P10-13, Johns Hopkins Press, 1959.

Greatest of The Gods In Heaven، والملك الذي خضعت له جميع الآلهة السماوية، ما أعظم الشمس التي تسمح للنجوم الأصغر منها أن تدور فوقها"[1].

وقد أتيناك بهذا العبارة من متون هرمس، التي طُبعت لأول مرة سنة ١٤٩٤م، ليس فقط من أجل عقيدتها في أن الشمس إله وأعظم الآلهة، بل وقبل ذلك وأهم منه، لترى فيها مركزية الشمس من الأفلاك، ودوران الكواكب، أو النجوم كما تسميها، حولها، وهي مع كتاب الشمس لفتشينو المصدر الحقيقي لنظرية مركزية الشمس، لكوبرنيكوس، الذي وُلد سنة ١٤٧٣م، وتلقى تعليمه في إيطاليا، وطُبع كتابه: حركة الأفلاك السماوية De Revolutionibus Orbium Coelestium، الذي يحوي نموذجه الكوني، في سنة ١٥٤٣م، وهي سنة وفاته.

وهو إن شاء الله ما سنزيدك به بياناً وبرهاناً، في كتابنا: الكون والقبالاه والحركات السرية.

كتاب الشمس:

في كتابه: فلسفة مارسيليو فتشينو، لم يتعرض باول أوسكار كرستللر، وهو أكثر مؤرخي عصر النهضة وأساتذة تاريخه، تخصصاً في أعمال فتشينو وفلسفته، لم يتعرض لكتاب الشمس إلا ببضعة سطور موجزة، يقول فيها:

"وفي كتاب الشمس، يقدم فتشينو وصفاً فيزيائياً تفصيلياً Detailed Physical Description، لقوى الشمس وآثارها، ولكنه لم يصرح برمزية الشمس للإله، وترك ذلك للقارئ"[2].

فإليك كتاب الشمس نفسه، لترى ما أراد فتشينو أن يغرسه في ذهن القارئ عن الشمس، وما كان يغرسه في أذهان تلاميذه في أكاديمية دي مديتشي.

---

1) The Divine Pymander, P32.
2) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P98.

وكتاب الشمس Libre De Sole، كتبه فتشينو بخليط من اللاتينية والإيطالية، سنة ١٤٩٢م، ونُشر سنة ١٤٩٤م، قبل موته بخمس سنوات، وبدأه بإهدائه إلى بييرو الثاني (المنحوس)، ابن لونزو العظيم، وقد استخرجه فتشينو من أعماله الأخرى الكبرى، وجمع فيه ترنيمات عُبَّاد الشمس لها، في كل ما وصله من تراث الديانات الوثنية والعقائد الباطنية.

وكتاب الشمس لم يُترجم ويطبع مفرداً في أي لغة أوروبية غير اللاتينية والإيطالية، إلى سنة ١٩٩٤م، حين ترجمه كاملاً إلى الإنجليزية، جيوفري كورنيليوس Geoffrey Cornelius، ودربي كوستلو Darby Costello، وأنجيلا فوس Angela Voss، في العدد السادس من مجلة علم النفس والفنون Journal For Archetypal Psychology And The Arts، ثم أعادت أستاذة الدراسات الدينية في جامعة كِنت البريطانية، أنجيلا فوس، نشره كاملاً، ضمن كتابها عن مارسيليو فتشينو وفلسفته Marsilio Ficino، الذي صدر سنة ٢٠٠٦م.

يقول فتشينو، في الإهداء الذي افتتح به الكتاب، ووجهه إلى بييرو دي مديتشي:

"أنا يومياً أقوم بتفسير جديد لأفلاطون، والذي بدأ فعلاً منذ فترة طويلة، تحت رعايتكم، أيها العظيم بييرو، وعندما وصلت مؤخراً إلى اللغز الأفلاطوني Platonic Mystery، حيث يقارن بشكل بديع الشمس بالإله نفسه، بدا لي أنه من الصواب دراسة هذه المسألة بشكل وافٍ، خصوصاً أن ديونيسيوس الأريوباجيتي، وهو أول أفلاطوني تقع أعماله بين يدي، قد قَرن الشمس صراحة بالإله، ولذا خلال الليالي العديدة التي كنت أعمل فيها، كنت أستنير بهذه الشمس وكأنها مصباحي(!) Illumined By This Sun As If It Were My Lamp، وقد فكرت في استخراج هذا الموضوع من عملي الكبير، وأن أهديكم سر الشمس هذا، مثل هدية فويبوس Phoebus[õ]"[١]،[٢].

õ) **فويبوس Phoebus: هو الاسم اللاتيني لأبولو، إله الشمس عند الإغريق.**

وهذا هو سر الشمس الذي كشفه فتشينو وأهداه لبييرو دي مديتشي، ولجميع من كانوا محضناً لأفكاره في الأكاديمية، أو بقراءة كتبه.

في الباب السادس من كتاب الشمس، والذي عنوانه: ترنيمات القدماء للشمس، وكيف تحتوي جميع القوى السماوية، وهي مستمدة منها The Praises of The Ancients For The Sun And How The celestial powers Are All Found In The Sun And Derive From The Sun، يقول فتشينو:

"يقول أورفيوس عن أبوللو إنه العين الواهبة للحياة في السموات، وهذا ما أنا قائله من ترنيمات أورفيوس Hymns of Orpheus: "الشمس هي[õ] العين الخالدة المطلعة على كل شيء The Eternal Eye Seeing All Things، وضياء الكون الساطع، التي تنير السموات وكل شيء في العالم، وترسم مساره وتحكمه، هي سيد العالم وجوبيتر الخالد[õ] Immortal Jupiter" ... ويقول الحكماء القدماء، كما شهد بروكلس Proclus، إن العدالة، ملكة كل الأشياء، تنبثق من قلب عرش الشمس، وتتدفق في كل شيء وتتحكم في كل شيء، فالشمس هي التي تحكم الأشياء كلها ... ، وهذا ما يقوله المصريون: "كل خير عرفناه إنما جاءنا من الشمس، ومن الشمس وحدها، وما جاءنا من خير من غيرها من الأجسام السماوية، فإنما جاء من خلالها، فالشمس هي الرب The

---

1) Marsilio Ficino: The Book of The Sun, Translated To English by: Geoffrey Cornelius, Darby Costello And Angela Voss, In: Sphinx, Journal for Archetypal Psychology And The Arts, Vol.6, P114, 1994.

2) Marsilio Ficino: The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, P189, North Atlantic Books, Berkeley, California, 2006.

õ) فتشينو يتعامل مع الشمس ويتكلم عنها على أنها مذكر، ولكنا وضعنا أمامها ضمير التأنيث، مراعاة لما اعتاده القارئ بالعربية.

õ) جوبيتر/يويتر Iūpiter: هو رب الأرباب، أو كبير الآلهة في أساطير الرومان، ويناظر زيوس في أساطير الإغريق.

Lord، ومصدر الفضائل كلها" ... ويقول أبو معشر Albumasar [õ]: "من خلال الشمس والقمر تسري الحياة في جميع الأشياء"، وفي عقيدة موسى أن الشمس هي سيد الأفلاك السماوية في النهار، والقمر، شمس الليل، هو سيدها في الليل، وجميعهم يضعون الشمس في وسط العالم In The Midst of The World، فالمصريون يضعونها بين الكواكب الخمسة أعلاها، والقمر والعناصر الأربعة في أسفلها، والكلدانيون وآخرون يضعونها في وسط الكواكب، فيرتفع زحل والمشترى والمريخ أمامها، وفينوس وعطارد والقمر بعدها، لكي تحفظ للشمس الملك مكانها في المنتصف، ومعظم الأفلاطونيين يضعون روح العالم في الشمس، فالروح تملأ قلب كرة الشمس النارية، ومنها تتدفق الإشعاعات الروحية إلى ما حولها من الأجسام السماوية، ثم إلى كل شيء في الوجود، لتصنع الحياة والعقل والعواطف والمشاعر، ومن أجل ذلك يعتقد أغلب المنجمين أن الإله وحده هو الذي وهبنا العقل والروح، ولكنه يرسلها إلينا عبر الشمس، لتوصلها إلينا وتضعها فينا في الشهر الرابع من الحَمْل"[١]، [٢].

والشمس، إلهاً وفي مركز الأفلاك، في كتاب الشمس لفتشينو، كما ترى، هي نفسها التي في متون هرمس، وفي شجرة الحياة القبالية، التي ستعرف موقع الشمس منها، حين تصل إلى تلميذ فتشينو، القبالي جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا.

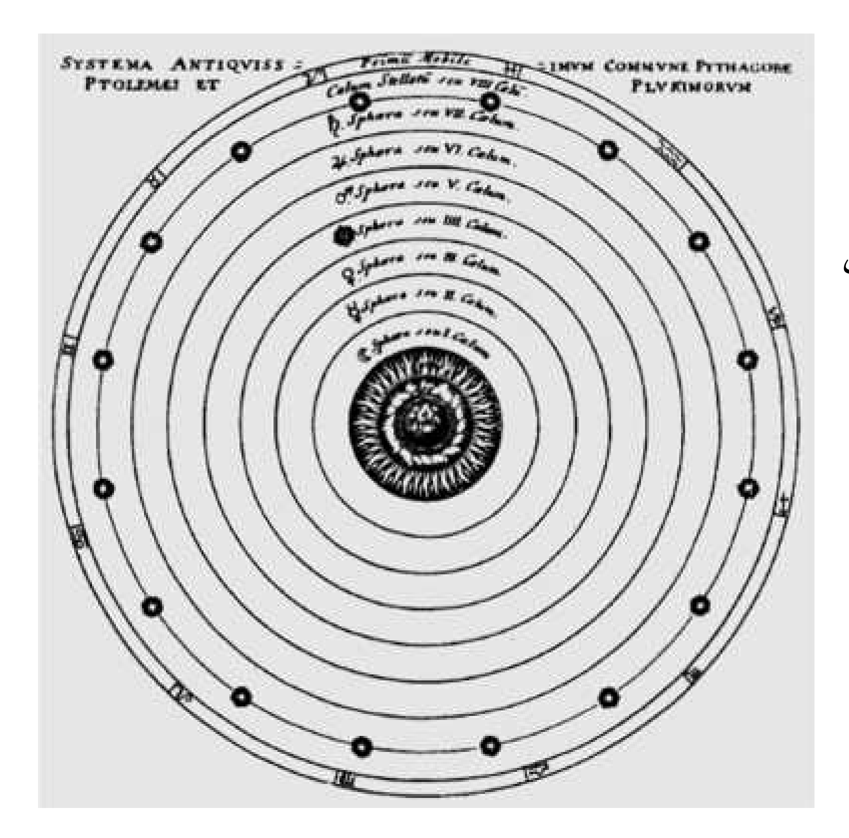
والآن إليك مركزية الشمس الفيزيائية من الأفلاك صريحة، من الباب السابع في كتاب الشمس، وعنوانه: مواضع الأبراج والكواكب حول الشمس والقمر Dispositions of The Signs And Planets Around The Sun and Moon:

õ) أبو معشر البلخي، المشهور بالفلكي: منجم، وأحد أشهر المنجمين في تاريخ العالم، ولد سنة ٢٧١هـ/٨٨٥م، في خراسان، وعاش مائة عام، وله عدة كتب في الفلك والتنجيم، أشهرها: كتاب المدخل الكبير، وقد تُرجم في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية، بعنوان: مقدمة في الفلك Introductorium In Astronomiam، وصار من مصادر التنجيم والمنجمين في أوروبا.

1) The Book of The Sun, In: Sphinx, Journal for Archetypal Psychology And The Arts, Vol.6, P117-118.

2) The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, P197-198.

"ترتيب الأبراج يعلن بوضوح أن الشمس هي الملك The Sun Is The King، وأن القمر، الذي هو أخت الشمس وزوجتها Sister And Wife، هو ملكة الأجرام السماوية، ولذا فبرج الأسد، الذي هو بيت الشمس، وبرج السرطان، الذي هو بيت القمر، متعاقبان ومتجاوران، والكواكب الأخرى جميعها تأخذ مواقعها على الجانبين من المركز الذي يستقر فيه الملك والملكة، وتدور وهي في المنتصف من حولها"[١]، [٢].



نموذج فتشينو للكون، والشمس الملك على عرشها في منتصفه

وهذه عناوين بعض الأبواب الأخرى في كتاب الشمس لمارسيليو فتشينو:

"الباب التاسع: الشمس هي صورة الإله The Sun Is The Image of God، الباب العاشر: الشمس خلقت أولاً ووضعت في وسط السموات The Sun Was Created

---

1) The Book of The Sun, In: Sphinx, Journal for Archetypal Psychology And The Arts, Vol.6, P117-119..
2) The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, P199.

وفيه تفسير قبالي لسفر التكوين: First, And Placed In The Mid heaven، النور تكون أولاً، ثم انبثق منه كل شيء في الوجود، والشمس هي تكوير هذا النور، ليدور كل شيء من حولها، الباب الحادي عشر: هدية أبوللو، الشمس تجعل كل الأشياء إلهية The Gift of Apollo,The Sun Renders All Things Divine"[١].

وكما ترى، الإله الذي قد يصادفك في كتابات فتشينو، وأعمال جميع من صنعوا عصر النهضة، في جميع المجالات، ليس الإله الخالق واجب الوجود، بل الآلهة الوثنية، التي ابتكرها الإغريق في طبعتهم من خريطة الوجود البني إسرائيلية.

ولعلك تكون الآن قد تيقنت مما رأيته في متون هرمس وكتاب الشمس، ومناهج أكاديمية أسرة دي مديتشي الأفلاطونية، أن مركزية الشمس من الأفلاك ليست نظرية علمية محض، بل هي نظرية عقائدية مغلفة في عبارات علمية، بالضبط مثل نظرية التطور، وأن مركزية الشمس وتدوير الأفلاك من حولها ترتبط بتأليه الشمس وعبادتها في الديانات الباطنية والوثنية، وليس بعلم الفلك، ولا بالرصد والبراهين الرياضية والهندسية، وهو ما ستزداد منه يقيناً حين تصل معنا إلى كوبرنيكوس ونظريته في مركزية الشمس.

الحب الأفلاطوني:

أخبرناك من قبل أن الانحلال والإباحية جزء من فلسفة جميع العقائد الباطنية ومنظومتها الأخلاقية والاجتماعية، وإفراز تلقائي لاعتناقها، حتى وإن لم تصرح بذلك، وأنها كذلك جزء من تقاليد الحركات السرية ومظهر تلقائي يواكب سيطرتها على المجتمعات.

وأكاديمية دي مديتشي، ورئيسها وأستاذ صانعي عصر النهضة، مارسيليو فتشينو، نموذج مثالي على ذلك، وعبارة الحب الأفلاطوني Platonic Love، التي شاعت في العصر الحديث، ونشرتها الروايات والأفلام في الغرب، ومَن ينقلون عنها مِن بقر بلاليص ستان في الشرق، كان فتشينو أول من صاغها.

---

1) The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, P202, 204, 206.

فإليك ماذا يكون الحب الأفلاطوني، من سيمبوزيوم Symposium[١]، وهو محاورة أفلاطون عن الحب، وقد نشر نصها الإغريقي، مع ترجمتها إلى الإنجليزية، ضمن ترجمته لأعمال أفلاطون كلها، روبرت جريج بوري Robert Gregg Bury، أستاذ الآداب الإغريقية واللاتينية في جامعة مانشستر البريطانية.

وسيمبوزيوم هو حوار تخيله أفلاطون بين تسعة أشخاص، عن الحب، وأهم هؤلاء التسعة وأشهرهم الفيلسوف سقراط Socrates، والباقون شخصيات من أثينا، فمنهم السياسي والطبيب والكاتب.

وقبل أن ترى محاورة أفلاطون، وحب فتشينو الأفلاطوني، ولكي تدرك أبعاد ما ستراه، ينبغي أن تعلم أن كلمة الحب في المحاورة وعند فتشينو، هي بالإغريقية: إيروس Eros، وإيروس في أساطير الإغريق هو إله الحب والشهوة الجسدية والرغبة الجنسية، ويناظره كيوبيد Cupid في أساطير الرومان، ومن اسمه جاء مصطلح الشهوة Eroticism في اللغات الأوروبية، وفي علم النفس.

يقول أفلاطون على لسان أبطال محاورته:

"**فيدروس Phaedrus: إيروس/الحب إله عظيم ورائع**، وهو أقدم الآلهة، وأكثرها عطفاً على جنس الإنسان.

بوسانياس Pausanias: ولكن إيروس/الحب ليس واحداً، بل مزدوج Dual، ويجب أن نحدد أي حب نتكلم عنه ويجب أن نثني عليه، وازدواجية الحب تأتي من طبيعة أفروديتي Aphrodite المزدوجة، فعندنا أفروديتي بانديموس/العمومية Pandemos،

---

[١] سيمبوزيوم Symposium: تستخدم في العصر الحديث بمعنى المؤتمر أو اللقاء العلمي، ولكنها في الإغريقية، تعني: حفلة الشراب.

وأفروديتـــي أورانيا/الإلهيـــة Urania (õ)، وكـــذلك إيروس/الحـــب نوعـــان، إيـــروس بانـديموس/الحب العمـومي، وإيـروس أورانيا/الحـب الإلهـي، فالحـب العمـومي يتوجـه نحـو النساء والصبيان Boys(!)، ولإشباع شهوة الجسد أكثر من الروح، بينما الحب الإلهي لا تعرفه النساء، ويختص به فقط الرجال الناضجون في أجسامهم وعقولهم"[١].

وقد تقول: إذا تجاوزنـا الكـلام عـن الآلهـة الوثنيـة، فـإن هـذه التفرقـة بـين الحـب الجسـدي والحب الإلهي تبدو معقولة، بل جميلة.

ونقول لك مرة أخرى: لا تخيب رجاءنا فيك، ولا تكن مثل بقر بلاليص ستان، الذين تدير رؤوسهم عبارات الأميين المزخرفة في الغرب، فيلتقطونها من سياقها وينشرونها ويؤلفون فيها الأغاني، ويصنعون منها الروايات والأفلام والمسلسلات، دون أن يعرفوا أصولها، ومن أين وكيف تكونت، وما الذي يترتب عليها، ومن الذي ينشرها ويبثها في البشر، ولماذا.

يقول أفلاطون على لسان سقراط:

"سقراط: سوف أخبركم الآن بما تعلمته عن إيروس/الحب من مرشدتي، المتنبئـة ديوتيمـا Diotima The Prophetess، أخبرتنـي ديوتيمـا أن إيـروس/الحـب لـيس جمـيلاً وحسـناً، ولا قبيحاً وسيئاً، ولكنه وسط بين هذا وذاك، ولذا، ولأنـه خالد ويمتلك بعض صفات الآلهـة،

õ) أفردويتي بانديموس/العمومية Aphrodite Pandemos: في أساطير الإغريق هي ابنة كبير الآلهة زيـوس Zeus، مـن ديـوني Dione، ربـة معبـد دودونـا Dodona،، بينمـا أفروديتـي أورانيا/الإلهيـة Aphrodite Urania: هي في الأساطير ابنة أورانوس Uranus، إلـه السماء، ووُلدت ذاتياً من غير أم، وإيروس، إله الحب والجنس، ابن أريس Ares، إلـه الحرب عند الإغريق، من أفروديتي، ربـة الجمال والنشوة والخصوبة، دون تحديد، هل هي العمومية أم الإلهية.

1) Robert Gregg Bury: The Symposium of Plato, With Introduction And Commentry, Pviii, Heffer And Sons, Cambridge, 1909.

وينقصه مثل الفانين بعضها، فهو كما قالت لي، ليس إلهاً، بل هو جِنِّي كبير[õ] Great Daemon ... والآن نصل إلى قمة لغز الحب، فالحب هو حب الجمال، ويتخذ سلماً ومساراً صاعداً إلى أعلى، يبدأ من حب جمال الجسد، إلى حب جمال الروح، ثم حب جمال العلوم، إلى أن يصل في النهاية إلى أعلى العلوم، الذي يمتزج بالمطلق، والجمال النموذجي، الذي يندمج فيه جمال الأشياء الأخرى كلها، وهي غاية كل محب، ومن خلالها يكتسب الخلود، وأنا نفسي أشِيد بإيروس/الحب، وأمارس الإيروتكس/الحب/الجنس Practise Erotics أكثر من أي شيء، وأدعو الآخرين إلى أن يفعلوا مثلي"[١].

فالحب الشهواني وممارسة الجنس، مع النساء أو مع الصبيان، الدرجة الأولى، في السلم الذي يصل في نهايته إلى حب الإله والاندماج فيه، ولابد أن يمر بها الصاعد لكي يصل إليه.

وهو ما ستتيقن منه، ونحن ننتقل بك من فلسفة أفلاطون، إلى مارسيليو فتشينو، أداة أسرة دي مديتشي في بعث الوثنية وبثها، وفلسفة الانحلال والإباحية، واكتشاف أصحاب المواهب والطاقات، وتربيتهم عليها، لكي يترجموها في اللوحات والتماثيل، فتكون صراحة ومباشرة، ودون لف ولا دوران، ولا أغلفة فلسفية أو غير فلسفية، أدة تحريك غرائز عموم البشر وشهواتهم، والإطاحة بعقيدة واجب الوجود، ومنظومة القيم والأخلاق التي ترتبط بها، فيسهل امتطاء ظهورهم، والسير بهم في أي اتجاه.

يقول أستاذ تاريخ عصر النهضة، والمتخصص في أعمال فتشينو وفلسفته، باول أوسكار كرستللر:

õ) ديمون Daemon: في أساطير الإغريق تعني كائناً يمتلك قدرات خارقة، ولكنه ليس إلهاً، وكانت تطلق على ما يعرف بالآلهة الصغرى، وقد تكون خيرة أو شريرة، وتطلق أيضاً على الأبطال الأرضيين، ولا توجد كلمة تعبر عن معناها في التراث اليهودي المسيحي، سوى الجني.

1) The Symposium of Plato, With Introduction And Commentry, Pxii-xiv.

"في كتابات فتشينو، خصوصاً المتأخرة، يحتل مفهوم الحب مكانة كبيرة، ويصبح قلب فلسفته ... فالحب يوحد العقل بالإله، أكثر وأسرع من المعرفة، لأن قوة المعرفة في التمييز والتفرقة Distinction، بينما قوة الحب في الاتحاد Union، ولذا فالتوحد بالإله، الذي هو غاية الروح، وسيلته الأولى هي الحب"(١).

وبالضبط مثل الذي قرأته في سيمبوزيوم أفلاطون:

"حب شخص عند فتشينو، هو تجهيز وإعداد لحب الإله، الذي هو رغبة الإنسان الحقيقية، واتجاهه نحو الأشخاص يكون انجذاباً نحو الجمال الإلهي الموجود فيهم، وهذا الحب ليس حسياً Not Sensual، ولكنه مقصور على العين والأذن والتفكير، وهذا الحب يكون عدماً إذا لم يبادله المحبوب بمثله، لأن الحب من جانب واحد يخص المحب وحده، أما الحب المتبادل والمشترك بين أكثر من روح فهو الحب الحقيقي والكامل، والفرق بين الجنسين الذي يحكم في الواقع العلاقات الجنسية Erotic Relations، ليس له أهمية، لذا فالحب لا يوجد فقط بين رجل وامرأة، بل يمكن أن يوجد بين رجلين، أو امرأتين، وهو في حقيقته حب مشترك للإله"(٢).

والفرق بين أفلاطون وفتشينو، أن أفلاطون كان وثنياً يعيش في وسط وثني، وما يقوله يتوافق مع بيئته وعالمه، أما فتشينو، فكان وثنياً في وسط مسيحي، ويعمل كاهناً في كنيسة، فاتجه إلى التمويه، وتغليف أفكاره الوثنية فيما يتوافق مع الكنيسة.

يقول كرستللر:

"وهذا الحب المستمد من فلسفة أفلاطون، يختلف عن مفهوم البِر والصداقة في المسيحية، الذي يعني أن جميع الناس إخوة، ويعملون من أجل إرضاء الإله، ويظهر في معاونة بعضهم لبعض، ولكي يبدو متوافقاً مع الكنيسة، كان فتشينو، خصوصاً في كتاباته

---

1)) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P273, 276.
2)) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P276-277.

الأخيرة، يستخدم المفهومين معاً، فكان يكتب في العناوين: البِر الإلهي Divine Charity، وداخل النص تتحول إلى: الحب الإلهي Divine Love"[١]!

ومرة أخرى، الإله الذي يكون الحب بين الأشخاص درجة في سلم الوصول إليه، ليس واجب الوجود، بل الإله المتوحد بالكون والموجودات، وأولها الشمس التي هي صورته ونظيره في الكون المرئي.

تقول أستاذة الدراسات الدينية في جامعة كِنت البريطانية، أنجيلا فوس، في رسالتها للدكتوراة عن فتشينو وفلسفته:

"وعند فتشينو، الشمس هي العامل الرئيسي خلف الصعود من الجهل إلى المعرفة، وبواسطتها تلتقي الروح والمادة، وقوة الشمس تنبعث والتوحد يتحقق من خلال عمل الحب والرغبة في الاتصال بالعالم العلوي Transcendental Realm"[٢].

والآن إليك ما يترتب على فلسفة أفلاطون وفتشينو، وسكت عنه كرستللر، وترك قارئه يفهمه ضمناً، تخبرك به أنجيلا فوس، صريحاً، وبلا مواربة:

"قوة الحب يمكن أن تدفع شخصين إلى إدراك الحب الأسمى، الذي يكون العنصر الشهواني فيه، تعبيراً أولياً عن توحد أرواحهما، فالحب الأفلاطوني لا يقمع رغبة الجسد الشهوانية، ولا يمنع إشباعها، بل هي جزء من اندماج المحب بمحبوبه، وصورة مادية للتوحد الروحي، وبالنسبة لأفلاطون، فتجربة الحب الجنسي بين الرجال Sexual Love Between Men، مرحلة أولى وهامة في الصعود نحو الحياة الفلسفية(!)، وبالنسبة لفتشينو، أصبح هو المبدأ الذي أقام عليه الصداقة الحميمة بين أعضاء الأكاديمية(!!) ...

---

1) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P278.
2) Magic, Astrology And Music, The Background To Marsilio Ficino Astrologic Music Therapy And His Role As Renaissance Magus, P78.

فالحب الجنسي عملية متسامية Sublimated Process، وهو الذي يمكن الفيلسوف من البدء في الصعود من عالمه الخاص إلى العالم العلوي"[١].

وتنبه أنك في كل ما مر بك من فلسفة أفلاطون وحب فتشينو الأفلاطوني، لا تسمع عن الزواج والأسرة وإنجاب الأطفال، وما يتكلمون عنه هو فقط ممارسة الجنس وإشباع الرغبات الجسدية، ومع النساء كالرجال والصبيان.

فإذا تساءلت: وماذا تكون الفضيلة إذاً في هذه الفلسفات، وأين موقعها منها، فإليك فتشينو يخبرك بها:

"الفضيلة المثالية Exemplar Virtue، هي الوصول للتوحد بالإله"[٢].

والفضيلة المثالية، التي هي التوحد بالإله عند فتشينو، هي نفسها الديفيقوت في القبالاه **דבקות**/Devekut، وفيها أن آدم السماوي القديم **אָדָם קַדְמוֹן**/Adam Kadmon، كان داخل الإله ثم صدر عنه، وقبل صدوره كانت تتوحد فيه الذكورة والأنوثة، ولذا فاتحاد الرجل بالمرأة في الممارسة الجنسية يضعهما معاً في الصورة السماوية وحالة الكمال التي كانا عليها قبل الصدور عن الإله، ومن ثَم يؤهلهما للارتقاء والعودة للتوحد بالإله والاندماج فيه مرة أخرى، والوصول إلى الديفيقوت.

ومثل فضيلة فتشينو المثالية والديفيقوت القبالية، الموكشا في الهندوسية Moksha، والنرفانا في البوذية Nirvana، وهي جميعاً في جوهرها وحقيقتها شئ واحد.

وفيها كلها، أن ممارسة الجنس وفنونه وسيلة للوصول إلى التوحد بالإله، أو الفضيلة العليا، وهذه الفضيلة، كما ترى، شئ هلامي، لا تعرف صفته ووصفه وكيف يكون، ولا بأي

---

1) Magic, Astrology And Music, The Background To Marsilio Ficino Astrologic Music Therapy And His Role As Renaissance Magus, P104, 122.
2) The Philosophpy of Marsilio Ficino, P290.

ميزان تحكم عليه، في الأشخاص والمجتمعات، لتقرر هل هي فاضلة أم لا، ولتعرف ماذا تكون الرذيلة.

فهلا تيقنت أن المركيز دي صاد لم يخطئ، حين قرر أنه عند إنكار الوجود الإلهي تستوي الفضيلة والرذيلة، وليس في سلطة أحد أن يقرر ما الذي يكون شذوذاً وما الذي لا يكون، وأن الانحلال والإباحية قرين تلقائي لأي فلسفة أو مذهب أو عقيدة تقوم على إنكار الألوهية، أو إحلال الآلهة الوثنية أو الباطنية محل الإله الخالق واجب الوجود، وتطيح بالميزان الإلهي للقيم والأخلاق والعلاقات، مهما كان زخرف غلافها، وخلابة أفكارها، وأياً كان الاسم الذي يسمون به هذه العقائد والفلسفات والمذاهب، القبالاه، الأفلاطونية، الهندوسية، الليبرالية، الشيوعية.

وبمناسبة الشيوعية، مع ازدهار الشيوعية في عهد ثاني الآتين من الخلف وموحد الحركات الشيوعية، كان الرفاق والرفيقات يلتقون في مقاهي القاهرة، ليتبادلوا في حماس العبارات الرنانة والبراقة حول محو الفوارق بين طبقات المجتمع والمساواة بين الرجل والمرأة، ثم ينصرفون في الليل المتأخر، وقد صحب الرفيق رفيقته إلى بيته، لكي يطبقوا المساواة ومحو الفوارق عملياً في فراشه!

كتاب الحياة والسحر والتنجيم:

والسحر والتنجيم، عند فتشينو، وفي القبالاه، وفي جميع الفلسفات الوثنية والعقائد الباطنية، فرع من وحدة الوجود، وأن روح الإنسان متصلة بروح الإله، وبالموجودات كلها، وهي ليست سوى أشكال مختلفة لروح واحدة تسري فيها جميعاً، وتوحدها معاً، وتطبعها بطابع واحد.

ومن خلال هذه الروح الواحدة تؤثر النجوم والكواكب في الإنسان، وكذلك يمكن للإنسان بالطقوس والتعاويذ الصوتية أن ينشط روحه ويؤثر فيها.

ومارسيليو فتشينو، له كتاب باللاتينية، عنوانه: ثلاثة كتب في الحياة De Vita Libri Tres، بدأ كتابته سنة ١٤٨٠م، وطُبع سنة ١٤٨٩م، فالكتاب الأول: الحياة الصحية De

Vita Sana، عن الصحة العقلية وأمراض العقل، والكتاب الثاني: الحياة الطويلة De Vita Longa، عن صحة الجسد وطرق الحفاظ عليها، والكتاب الثالث: حياة متوافقة مع السموات De Vita Coelitus Comparanda.

وثلاثة كتب في الحياة لفتشينو، ترجم نصه اللاتيني، وما يقابله من الترجمة إلى الإنجليزية، مع شروح ومقدمة تفسيرية طويلة، أستاذة آداب عصر النهضة في جامعة كورنيل الأمريكية، كارول كاسكي Carol Kaske، وأستاذ الآداب اللاتينية في جامعة ولاية نيويورك، جون كلارك John Clark.

والكتاب الثالث من كتب الحياة، حياة متوافقة مع السموات، هو في السحر والتنجيم، ولماذا وكيف تؤثر الأبراج والنجوم والكواكب السماوية في الإنسان والأجسام الأرضية، وكيف يمكن للإنسان أن يؤثر فيها، ويستحضر الجن ويوظفهم، وقد استخرجه فتشينو، كما ذكر هو نفسه في مقدمته له، من تعليقاته على ترجمته لأعمال أفلوطين.

تقول كارول كاسكي وجون كلارك، في مقدمتهما للكتاب، عن مصادر فتشينو في السحر والتنجيم:

"وكتاب حياة متوافقة مع السموات، يدين بدين كبير ومجهول، لكتاب بيكاتريكس/غاية الحكيم Picatrix[õ]، وهو محاكاة عربية للسحر الهلينيستي، وقد كُتب في إسبانيا العربية/الأندلس، في القرن الحادي عشر، وترجمه إلى الإسبانية ألفونسو الحكيم

õ) كتاب غاية الحكيم: كتاب في الفلك والتنجيم والسحر، ومؤلفه مجهول، إلا أن ابن خلدون قال في مقدمته إن مؤلفه أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، المتوفى سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وهو فلكي ومنجم كان يعيش في الأندلس، في عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، وأقدم مخطوطة معروفة للكتاب، هي المنسوخة بخط الكيميائي والفلكي عز الدين علي بن محمد أيدمر الجِلدكي، المتوفى سنة٧٤٣هـ/١٣٤٢م.

Alphonso The Wise[õ]، بين سنة ١٢٥٦م وسنة ١٢٥٨م، ثم تُرجم إلى اللاتينية بواسطة شخص مجهول ... ومصدر آخر لكتاب الحياة، هو كتاب: مقاربة موجزة للسحر **Brief De Sacrificio Et Magia**، لبروكلاس **Proclus** [õ] ... ومصدر ثالث لفتشينو، محاورة أسكليبيوس **Asclepius**، من متون هرمس، وقد كانت شائعة منذ العصور الوسطى في ترجمتها اللاتينية"[١].

وفحوى كتاب الحياة الثالث لفتشينو، والحياة المتوافقة مع الأفلاك السماوية، وكيف يحققها الإنسان، ويعرف خصائص هذه الأفلاك ويستمد روحها وقواها، ويؤثر فيها، تعرفها من عناوين أبوابه الطويلة والحاوية لأفكاره، فهاك هي:

"الباب الأول: طبقاً لأفلوطين، فإنه يمكن جلب القوة من السموات، وتحديداً يمكن للأشكال المتوائمة بشكل جيد أن تجذب بسهولة روح العالم وروح النجوم والجن.

In Quo Consistat Secundum Plotinurn Virtus Favorem Coektus Attrahens, Scilicet In Eo Quod Anima Mundi Et Stellarum Daemonumque Animae Facile Alliciuntur /Corporum Formis Accommodates"[2].

õ) ألفونسو الحكيم **Alphonso El Sabio**: هو ملك قشتالة وليون ألفونسو العاشر، وقد أمر بترجمة التلمود وعدد من الكتب العربية، وكان يشرف بنفسه على ترجمتها، وأشهرها أعمال ابن رشد، وكليلة ودمنة لابن المقفع.

õ) بروكلاس **Proclus**: فيلسوف إغريقي كان يعيش في القرن الخامس الميلادي، وهو من الأفلاطونين الجدد، واشتهر بشروحه وتعليقاته على أعمال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين، وكان رئيس الأكاديمية الأفلاطونية في أثينا.

1) Masilio Ficino: Three Books On Life, P45-47, Translated With Introduction BY: Carol Kaske And John Clark, Center for Medieval And Early Renaissance Studies, State University of New York, In Conjunction With The Renaissance Society of America, 1998.

2) Three Books On Life, P242.

"الباب الثاني: عن تجانس العالم، عن طبيعة الإنسان وعلاقته بالنجوم، كيف يمكن جذب شيء من النجم الخاص بإنسان ما.

De Concordia Mundi.

De Natura Hominis Secundum Stellas.

Quomodo Fiat Attractus Ab Unaquaque Stella"[1].

"الباب الثالث: بين حياة العالم وجسمه الظاهر توجد الروح، التي في سلطتها العناصر الأربعة، في قدرتنا أن نمتص روح العالم من خلال روحنا.

Inter Animam Mundi Et Corpus Eius Manifestum Est Spiritus Eius, In Cuius Virtute Sunt Quattuor Elements.

Nos Vero Per Spiritum Nostrum Hunc Possumus Haurire"[2].

"الباب الرابع: روحنا تمتص روح العالم من خلال أشعة الشمس والمشترى، ولذا فهي شمسية بقدر ما فيها من المشترى[õ].

Spiritus Noster Haurit Mundi Spiritum Per Radios Solis Et Iovis, Quatenus Ipse Fit Solaris Et Lovialis"[3].

"الباب الخامس: القوى الثلاث الكبرى، المشترى والشمس والزهرة، المشترى القوة الوسيطة بين الاثنين، وهو تحديداً المتوافق معنا.

Tres Gratiae Sunt Iuppiter Et Sol Et Venus.

---

1) Three Books On Life, P248.
2) Three Books On Life, P254.
õ) اسم المشترى في اللاتينية، والذي يستخدمه فتشينو: يوبتر **Iuppiter**، وهو أيضاً اسم كبير الآلهة في أساطير الرومان، ويقابله زيوس في أساطير الإغريق.
3) Three Books On Life, P258.

Iuppiter Est Gratia Geminarum Media Et Maxime Nobis Accommodate"[(1)].

الباب السادس: بخصوص قوانا الطبيعية، وحياتنا وحيويتنا، وأي الكواكب تُنميها، وكيف تفعل ذلك من خلال وجه القمر المواجه للشمس، وللزُهرة، وبصفة خاصة للمشترى.

De Uirtute In Nobis Naturali, Uitali, Animali, Et Per Quos Planetas Adiuuentur, Et Quomodo Per Aspectum Lunae Ad Solem Et Venerem, Maxime Uero Ad Louem"[(2)].

"الباب السابع: كيف تتم رعاية أجزاء جسمنا من خلال علاقة القمر بالأبراج والنجوم الثابتة.

Quomodo Membra Foveantur In Nobis Per Comparationem Lunae Ad Signa Et Ad Stellas Fixas"[(3)].

"الباب الثامن: بخصوص قوى النجوم الثابتة واستخدامها.

De Virtutibus Et Usu Stellarum Fixarum"[(4)].

"الباب التاسع: آثار الكواكب في الأبراج التي يجب مراعاتها عند استخدام العقاقير الطبية.

Dignitates Planetarum In Signis Ad Usum Medicinarum Observandae"[(5)].

"الباب العاشر: كيف يمكن أن نستخدم الكواكب في الطب والعلاج.

Quomodo Planetis Uti Debearnus In Medicinis"[(1)].

---

1) Three Books On Life, P262.
2) Three Books On Life, P264.
3) Three Books On Life, P274.
4) Three Books On Life, P276.
5) Three Books On Life, P282.

"الباب الحادي عشر: الطرق التي يمكن بها لروحنا أن تجذب روح العالم وحياته، وأي الكواكب يُولّد هذه الروح ويستعيدها، وما العناصر والأشياء التي تخص كل كوكب.

Quibus Modis Spiritus Noster Haurire Plurimum Potest De Spiritu Vitaque Mundi; Et Qui Planetae Spiritum Procreant Atque Recreant; Et Qualia Ad Unumquemque Planetam Pertinent"(2).

"الباب الثاني عشر: الأشياء الطبيعية والصناعية التي لها قوى خفية من النجوم، ومن خلالها تنكشف روحنا لهذه النجوم نفسها.

Res Naturales Atque Etiam Artificiosae Habent Virtutes A Stellis Occultas, Per Quas Spiritum Nostrum Stellis Eisdem Exponent"(3).

"الباب الثالث عشر: عن القوى المستمدة من السموات حسب كلام الأقدمين، وفي الطب.

De Virtute Imaginum Secundum Antiquos Atque Medicinarum Coelitus Acquisita"(4).

"الباب الرابع عشر: ترتيب الأشياء اعتماداً على النجوم، بالنسبة للأشياء الشمسية، وبالنسبة للأشياء الأرضية، وكيف يمكن جعل روحنا شمسية.

Ordines Rerum A Stellis Pendentium, Ut Solarium Atque Similium; Et Quomodo Spiritus Fiat Solaris"(5).

---

1) Three Books On Life, P284.
2) Three Books On Life, P288.
3) Three Books On Life, P298.
4) Three Books On Life, P304.
5) Three Books On Life, P308.

"الباب الخامس عشر: عن القوى التي تمتلكها الصور والعقاقير الطبية، والعوامل التي تجعل العقاقير أقوى من الصور.

De Virtute Imaginum Secundum Antiquos Atque Medicinarum; Et Quomodo Medicinae Sint Longe Validiores Quam Imagines"(1).

"الباب السادس عشر: عن قوة السموات، وقوة الإشعاعات، التي يُعتقد أن الصور تستمد قوتها منها.

De Potestate Coeli. De Viribus Radiorum, Unde Vim Sortiri Putentur Imagines"(2).

"الباب السابع عشر: ما القوى التي في الأشكال، تلك التي في السموات، والتي تحتها.

Quam Vim Habeant Figurae In Coelo Atque Sub Coelo"(3).

"الباب الثامن عشر: أي النجوم في السموات حفرها الأقدمون في صور، وكيف تستخدم هذه الصور.

Quales Coelestium Figuras Antiqui Imaginibus Imprimebant؛ Ac De Usu Imaginum"(4).

"الباب التاسع عشر: كيف نبني شكل الكون.

De Fabricanda Universi Figura"(5).

"الباب العشرون: أي قوى كبرى يُعتقد أن الصور تملكها على الروح، وبخصوص الحالة العاطفية للممارس ومن يستخدمها.

---

1) Three Books On Life, P314.
2) Three Books On Life, P320.
3) Three Books On Life, P328.
4) Three Books On Life, P332.
5) Three Books On Life, P342.

Quantum Imagines Vim Habere Putentur In Spiritum, Et Spiritus In Eas.

Et De Affectu Utentis Et Operantis"[1].

"الباب الحادي والعشرون: عن قوة الكلمات والأغاني وقدرتها على إمساك منافع السموات، والخطوات السبع التي توصِّل إلى الأشياء السماوية.

De Virtute Verborum Atque Cantus Ad Benejicium Coeleste Captandum، Ac De Septem Gradibus Perducentibus Ad Coelestia[2].

"الباب الثاني والعشرون: طرق سبعة يمكن بها أن نتوافق مع الأشياء السماوية، وأنواع الناس الذين يكون زُحل سيئاً لهم، والذين يكون مواتياً لهم، والذين يحميهم المشترى من زحل، وكيف تعمل السموات على الروح والنفس والجسد.

Quomodo Septem Modis Nos Coelestibus Accommodare Possumus, Et Quibus Saturnus Sit Maleficus، Quibus Propitius; Quos Luppiter A Saturno Defendat

Quomodo Coelum Agat In Spiritum Et Corpus Et Animam"[3].

"الباب الثالث والعشرون: لكي تعيش سعيداً وناجحاً، اعرف أولاً قدراتك الطبيعية، ونجمك، وعبقريتك، والمكان المناسب لها، والمهنة المناسبة لك.

Ut Prospere Vivas Agasque, Imprimis Cognosce Ingenium، Sidus, Genium Tuum Et Locum Eisdem Convenientem.

Hic Habita. Professionem Sequere Naturalem" [4].

---

1) Three Books On Life, P348.
2) Three Books On Life, P354.
3) Three Books On Life, P362.
4) Three Books On Life, P370.

"الباب الرابع والعشرون: بأي نظام يمكن للأشخاص المؤهلين للتعلم أن يعرفوا قدراتهم الطبيعية، ويتبعوا طريقة في الحياة مناسبة لروحهم الحارسة.

Qua Ratione Litterati Cognoscant Ingenium Suum، Sequanturque Victum Spiritui Consentaneum"[1].

"الباب الخامس والعشرون: العناية بالفلك التي يجب اتخاذها في إنجاب الأطفال، وتجهيز الوجبات، والبناء، وفي اختيار المسكن والملابس،

Astronomica Diligentia In Liberis Procreandis، In Praeparandis Epulis, In Aedificiis Et Habitatione Atque Uestibus; Et Quantum Curare Talia Liceat"[2].

"الباب السادس والعشرون: كيف يمكن جلب الأشياء السفلى إلى العليا، والهبات الكونية من خلال المواد الكونية.

Quomodo Per Inferiora Superioribus Exposita Deducantur Superiors ،Et Per Mundanas Materias Mundana Potissimum Dona"[3].

وقبل أن نترك فتشينو، نسينا أن نخبرك أن الإطاحة بالعقيدة الإلهية، وبعث الأساطير والفلسفة الوثنية، ومزجها بمتون هرمس والعقائد الباطنية، وبالإلحاد والإباحية، هو ما يسمونه النزعة الإنسانية Humanism.

---

1) Three Books On Life, P376.
2) Three Books On Life, P380.
3) Three Books On Life, P384.

القبالي بيكو ديلا ميراندولا

بيكو روح كوسيمو:

في مقدمة ترجمته لأعمال أفلوطين، يقول مارسيليو فتشينو:

"في اللحظة التي كنت أُهدي أفلاطون إلى العالم اللاتيني ليقرأه، كانت روح كوسيمو النبيلة تحرك عقل جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا، بطريقة غير معروفة، لكي يأتي إلى فلورنسا، وبيكو وُلد في السنة نفسها التي بدأت فيها أعمل على أفلاطون (١٤٦٣م)، وجاء إلى فلورنسا في اليوم نفسه والساعة نفسها التي كنت أنشر فيها ترجمة أعمال أفلاطون (١٤٨٢م)، وما أن عرف بها حتى هنأني عليها من قلبه، ولا أعرف أنا ولا هو كيف ألهمتني كلماته ترجمة أعمال أفلوطين، وأنا على يقين أن تدبيراً إلهياً هو الذي رتب أن يولد بيكو بينما أفلاطون يولد من جديد، وعندما كان زحل Saturn في برج الدلو Aquarius، بالضبط كما كان عندما وُلدت أنا منذ ثلاثين سنة، وأن يأتي بيكو إلى فلورنسا في اليوم الذي نُشر فيه أفلاطون، وأن يلهمني رغبة روح كوسيمو في ترجمة أفلوطين، والتي كانت غائبة عني وكشفتها السموات لبيكو"[1].

وصدق فتشينو، فروح اليهودي كوسيمو دي مديتشي، هي التي حركت ديلا ميراندولا لكي يأتي إلى أكاديميته في فلورنسا، ليكون أداته في إدخال القباليين إليها وضخ القبالاه فيها، بعد أن كان فتشينو أداته لبعث الفلسفة الوثنية وبث العقيدة الباطنية.

وجيوفاني بيكو ديلا ميراندولا، وُلد سنة ١٤٦٣م، وأسرته مجهولة الأصول، وسيرتها هي السيرة التقليدية التي مرت بك عدة مرات من قبل، للأسر التي تكنز الأموال ثم تدخل في طبقة النبلاء بثرواتها، ثم تختلق أنساباً تطمس بها أصولها وحقيقتها، ومنها أسرة دي مديتشي نفسها، كما علمتَ تفصيلاً.

---

1) James Hankins: Cosimo de' Medici And The Platonic Academy, Journal of The Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 53, P151.

فـي سـيرة ديـلا ميرانـدولا، التـي كتبهـا باللاتينيـة ابـن أخيـه، جيوفـاني فرانشيسـكو بيكـو Giovanni Francesco Pico، وترجمها إلـى الإنجليزيـة فـي القرن السـادس عشـر السير توماس مور Thomas More، يقول:

"وأبـو جيوفـاني بيكـو، ينحـدر مـن فـرع جـانبي مـن نسـل الإمبراطـور قسـطنطين Constantine، عـن طريـق ابـن أخ للإمبراطـور اسـمه بيكـو، وقـد صـار جميـع سـلف جيوفاني بيكو يحملون اسمه: بيكو"[١].

وأنسـاب أبـاطرة الرومـان وأنسـالهم، الأصـلية والفرعيـة، والشـرعية وغيـر الشـرعية، مسـجلة ومعروفـة، فضـلاً عـن قسـطنطين، أحـد أشـهر هـؤلاء الأبـاطرة، وأول مـن تحـول مـنهم إلـى المسيحية، في القرن الرابع الميلادي!

أمـا الحقيقـة، فهـي أن أول مـن يُعرف مـن أسـرة ديـلا ميرانـدولا، جـد أبيـه فرانشيسـكو بيكـو Francesco Pico، وكان كوندوتييري، أو صاحب شركة للميليشيات المرتزقة، ثم أصبح بعد منتصف القرن الرابع عشر، دوق ميراندولا وكونكورديا Mirandola et Concordia، وبعد موتـه ورث لقبـه وشركته للمليشيات المرتزقة، ابنـه جيوفاني بيكو الأول Giovanni I Pico، وبعد موتـه ورثـه فـي اللقب والشركة ابنـه جيانفرانشيسكو بيكو Gianfrancesco Pico، وهو أبو جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا.

وكانت أسرة ديلا ميراندولا ترتبط بروابط المصاهرة مع غيرها من أسر شركات الميليشيات المرتزقة في إيطاليا، وأشهرها أسرة سفورتسا، التي وصلت إلى حكم ميلانو، وكانت بجيوشها مصدر نفوذ أسرة دي مديتشي وسيطرتها على السلطة في فلورنسا[٢].

---

1) Giovanni Francesco Pico: Giovanni Pico Della Mirandola, His Life, P5, Translated From The Latin By: Sir Thomas More, Edited With Introduction And Notes By: James Macmullen Rigg, Published By: David Nutt, London, MDCCCXC/1890.

2) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: Giovanni Pico della Mirandola.

وعندما كان عمر ديلا ميراندولا بضع سنوات مات أبوه، فسلمته أمه إلى مربين علموه الشعر والخطابة، ثم وهو في الرابعة عشرة أرسلته أمه إلى جامعة بولونيا Bologna، في شمال إيطاليا، لدراسة القوانين الكنسية، ولكنه لم يتقبلها، ومال إلى الفلسفة، فترك الدراسة في بولونيا قبل أن يُتم سنتين، وتنقل بين عدة مدارس وجامعات في إيطاليا وفرنسا(١).

وفي سيرته لبيكو ديلا ميراندولا، وهي أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة كيب تاون، في جنوب إفريقيا، يقول فيليب إدج كومب هيوز Philip Edgcumbe Hughes، سكرتير جمعية الكنيسة الإنجيلية في انجلترا Church Society، وكان يجيد الإغريقية واللاتينية:

"بعد بولونيا انتقل بيكو إلى فيرارا، ثم إلى بادوا، وفلورنسا، وباريس، وفي خطاب أرسله من فلورنسا إلى صديقه إرمولاو باربارو Ermolao Barbaro، في ٣ يونيو ١٤٨٥م، يتكلم عن دراساته المرهقة والمتواصلة لأعمال الأكويني Aquinas(õ)، وسكوتَس Scotus(õ)، وألبرت Albert(õ)، وابن رشد Averroes، خلال السنوات الست السابقة،

---

1) Giovanni Pico Della Mirandola, His Life, P8-9.

õ) توماسو أكوينو، أو توما الأكويني Tommaso d'Aquino: كاهن كاثوليكي دومنيكاني، ودكتور في الكنيسة الكاثوليكية Doctor، وهو لقب كانت تمنحه الكنيسة لمن يقومون ببحوث ودراسات عميقة لتفسير العقيدة المسيحية والدفاع عنها، وتوما الأكويني كان يعيش في القرن الثالث عشر، وهو أشهر من حاولوا التوفيق بين فلسفة أرسطو واللاهوت المسيحي، وأشهر أعماله: خلاصة الإلهيات Summa Theologica، والوجود والجوهر De Ente et Essentia، والمسائل المختلف عليها بخصوص الحقيقة Uaestiones Disputatae de Veritate، والمسائل المختلف عليها بخصوص الروح Quaestiones disputatae de Anima، وضد ضلالات الإغريق Contra Errores Graecorum.

õ) جون دانز سكوتس John Duns Scotus: كاهن كاثوليكي فرنسيسكاني، من اسكتلندا، كان يعيش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، درس الفلسفة في أوكسفورد، وهو أحد ارجال الكنيسة الذين حاولوا التوفيق بين فلسفة أرسطو واللاهوت المسيحي في العصور الوسطى.

وسنتان من هذه السنوات الست قضاها في جامعة بادوا، التي قدم إليها سنة ١٤٨٠م، وهو في السابعة عشرة، حيث درس فلسفة أرسطو، وفي بادوا أيضاً أثارت اهتمامه الباطنية اليهودية/القبالاه Jewish Mysticism، بعد أن التقى بإيليا ديل مديجو Elia del Medigo، فلازمه ... وكان ديل مديجو هو الذي أطلعه على أسرار اللغة العبرية والباطنية اليهودية"[١].

وكان ديلا ميراندولا قد ترك بادوا سنة ١٤٨٢م، إلى فلورنسا، مدفوعاً بشهرة الأكاديمية الأفلاطونية، وما يدرسه فتشينو فيها، فالتقى فتشينو وألهمه ترجمة أعمال أفلوطين، وأصبح أنجب تلاميذه في الأكاديمية، وصديقاً للورنزو العظيم، ولكنه ترك فلورنسا في شهر يوليو سنة ١٤٨٥م إلى باريس، وكانت مركز الدراسات الخاصة بأعمال ارسطو وشروح ابن رشد عليها، وبعد سبعة أشهر فقط عاد مرة أخرى ليستقر في فلورنسا وأكاديمية دي مديتشي الأفلاطونية، إلى أن مات سنة ١٤٩٤م، وهو في الحادية والثلاثين من عمره.

وما لم يذكره ابن أخي ديلا ميراندولا في سيرته له، ولا فيليب إدج كومب هيوز في أطروحته عن ديلا ميراندولا التي حصل بها على الدكتوراة، ولا موسوعة ويكيبيديا في مقالتها عن ديلا ميراندولا، يخبرك به أستاذ الديانات وفلسفة الأخلاق في جامعة بولونيا، بيير سيزار بوري Pier Cesare Bori، في الباب الذي خصصه للخلفية التاريخية لخطبة ديلا ميراندولا عن كرامة الإنسان، من كتابه: بيكو ديلا ميراندولا، خطبة عن كرامة الإنسان Pico della Mirandola, Oration On The Dignity of Man.

ã) ألبرتوس العظيم Albertus Magnus: أسقف ريجنسبرج Regensburg، في ألمانيا، في القرن الثالث عشر، عمل على التوفيق بين فلسفة أرسطو واللاهوت المسيحي، وكان مهتماً بالكيمياء، ويمارس التنجيم.

1) Philip Edgcumbe Hughes: Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P10, 13, University of Cape Town, 1958.

يقول بوري إنه:

"في يوم ٦ مايو ١٤٨٦م، بعد عودة ديلا ميراندولا من باريس إلى فلورنسا بشهرين، وقبل رحيله إلى روما لعرض أطروحاته، ومناظرة معارضيها، وكان في الثالثة والعشرين، وقع ديلا ميراندولا في فضيحة Scandal، عندما اختطف شابة صغيرة، هي مرجريت Margherita، زوجة جوليانو ماريوتو دي مديتشي Giuliano Mariotto de' Medici، ورغم دعم لورنزو دي مديتشي له، اضطر إلى الخروج من فلورنسا، وذهب إلى فراتا Fratta، حيث كتب شرحاً وتعليقات على قصيدة لصديقه جيرولامو بنيفيني Girolamo Benivieni، وجمع أطروحاته التسعمائة"[١].

أطروحات وثنية قبالية:

في أواخر سنة ١٤٨٦م، كان ديلا ميراندولا قد جمع تسعمائة أطروحة، من مصادر مختلفة، عن الألوهية والفلسفة والعلوم والطبيعة والسحر، وقرر الذهاب إلى روما لطبعها، ومناظرة من يعارضونها، ووصل إلى روما فعلاً في شهر نوفمبر ١٤٨٦م، وفي ٧ ديسمبر طبع أطروحاته، في مطبعة إيوكاريوس سيلبر Eucharius Silber، ثم وزعها في روما، وأرسلها إلى الجامعات المختلفة في مدن إيطاليا، وأرسل نسخة إلى مارسيليو فتشينو في فلورنسا، فقام بشرحها ومناقشتها في الأكاديمية[٢].

---

1) Pier Cesare Bori: Pico della Mirandola: Oration On The Dignity of Man, A New Translation and Commentary, P10, Cambridge University Press, 2011.
2) Stephen Alan Farmer: Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P3, Medieval & Renaissance Texts & Studies, Printed In USA, 1998.

وأرفق ديلا ميراندولا بالأطروحات التي وزعها بطاقة دعوة لمن يريد مناظرته، ويقول فيها:

"لن تُعرض الأطروحات حتى عيد الظهور الإلهي Epiphany [õ] **(٦ يناير)، وخلال هذه الفترة سيتم نشرها في جامعات إيطاليا، وأي فيلسوف أو مختص باللاهوت، حتى لو كان من أطراف إيطاليا، يرغب في الحضور إلى روما لمناقشة الأطروحات أو معارضتها، سيتكفل صاحب الأطروحات بنفقات رحلته على حسابه الخاص"**[١].

وهذا هو تعريف ديلا ميراندولا بأطروحاته في أول صفحة منها:

"جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا، كونت كونكورديا، سيناقش أمام عموم الناس الأطروحات التسعمائة المرفقة، وهي أطروحات جدلية، أخلاقية، فيزيائية، رياضية، غيبية Metaphysical، عقائدية، قبالية، مرتبطة بالسحر Magical، وبعضها خاص به، وبعضها مأخوذ من الحكماء الكلدان والعرب والعبريين والمصريين والإغريق واللاتين"[٢].

õ) عيد الظهور الإلهي Epiphany: في الكنيسة الغربية هو احتفال بيوم مجئ المجوس الثلاثة لرؤية المسيح عند مولده، وبمجيئهم ظهرت حقيقته، حسب الاعتقاد المسيحي، وفي إنجيل متى: "١وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢قَائِلِينَ:«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» (متى: ١: ١-٢)، أما في الكنائس الشرقية، فعيد الظهور الإلهي هو يوم الغطاس، الذي عمَّد فيه يوحنا المعمدان، المسيح في نهر الأردن، وفي إنجيل متى أيضاً: "١٣حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ ... ١٦فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، ١٧وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:« هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى: ٤: ١٣، ١٦).

.

1) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, Pviii.
2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P211.

ولأن طبع الأطروحات ومناقشتها في روما، معقل الكنيسة الكاثوليكية، ومقر البابوية، سعى ديلا ميراندولا لأخذ موافقة البابا إنوسنتيوس/إنوسنت الثامن Innocentius VIII، عليها، ومر عيد الظهور دون مناقشتها، ثم في ٢٠ فبراير ١٤٨٧م، قرر البابا تشكيل لجنة لفحص الأطروحات، من ستة عشر أسقفاً، برئاسة أسقف تورناي Tournai، جيان مونيسَّارت Jean Monissart،

وفي شهر أبريل، أصدرت اللجنة تقريرها، وقالت فيه إن:

"**ثلاث عشرة من الأطروحات مهرطِقة Heretical، أو ملوثة بالهرطقة Savoured of Heresy**"[١].

ورد ديلا ميراندولا على تقرير اللجنة البابوية، بكتابة دفاع عن أطروحاته Apologia، طبعه في شهر مايو، وأهداه إلى لورنزو العظيم.

وفي يوم ٤ أغسطس، أصدر البابا إنوسنت الثامن مرسوماً بإدانة الأطروحات التسعمائة كلها، وإحراق نسخها المطبوعة خلال ثلاثة أيام، وحرمان من ينسخها أو يطبعها.

وبعد مرسوم البابا بإدانة أطروحاته، اختفى ديلا ميراندولا، ورحل سراً إلى باريس بمساعدة بعض أصدقائه الفرنسيين، فأصدر البابا خطابات إلى الملوك والنبلاء باعتقاله، ورفض الالتماس الذي قدمه له لورنزو العظيم بالعفو عنه، وفي سنة ١٤٨٨م، عاد ديلا ميراندولا سراً إلى بلدة فيسولي Fiesole، التابعة لفلورنسا، وظل فيها ضيفاً على لورنزو دي مديتشي، إلى أن مات البابا إنسونت الثامن، سنة ١٤٩٢م، وعفا عنه خلفه البابا ألكساندر السادس Alexander VI[٢].

---

1) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P84.
2) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P84-85.

وإبان إقامته في فيسولي، ضيفاً على لورنزو العظيم، كتب ديلا ميراندولا محاورة عن الأيام الستة في سفر التكوين Heptaplus de Septiformi Sex Dierum Geneseos، وأهداها للورنزو.

وأطروحات ديلا ميراندولا وما تحويه من تعاليم، جعلها مارسيليو فتشينو من مقررات التعليم في أكاديمية دي مديتشي الأفلاطونية، ثم انتشرت في جامعات إيطاليا كلها، وأصبحت من أركان عصر النهضة وينابيع أفكاره.

وهنا نعرفك بالفرق بين مارسيليو فتشينو وبيكو ديلا ميراندولا، فكلاهما مزج بين الوثنية الإغريقية والقبالاه والعقائد الباطنية والتنجيم والسحر، ولكن فتشينو باحث دؤوب، انكب على المخطوطات التي جمعها له كوسيمو دي مديتشي، بعيداً عن عموم الناس، فترجمها وشرحها وعلق عليها وحولها إلى كتب عميقة، ثم نشر أفكارها بتدريسها وشرحها لتلاميذه في أكاديمية دي مديتشي، وترك آثاراً كبيرة في أوروبا، عبر تلاميذه الذين صنعوا عصر النهضة في مختلف المجالات بأفكاره التي ضخها فيهم.

أما ديلا ميراندولا، فهو خفيف الوزن، وشاغله الأول الاستعراض بالمعلومات، وليس البحث والدراسة، وليس له من الأطروحات التي تحدى من يناظره فيها، سوى أنه أخرجها من مصادرها وجمعها، دون تفسير ولا شرح، والمصادر التي جمعها منها لم ينقب عنها ولا وصل إليها بنفسه، بل أمده بها أساتذته من القباليين اليهود.

وعن مصادر أطروحات ديلا ميراندولا، تقول مؤرخة عصر النهضة والأستاذة في تاريخه في جامعة لندن، فرانسيس ييتس، في الباب الذي خصصته لديلا ميراندولا وأفكاره، من كتابها: جوردانو برونو وتعاليم هرمس:

"أقام بيكو أفكاره وأطروحاته على التعاليم القبالية التي طورها يهود إسبانيا في العصور الوسطى، فقد تلقى بيكو القبالاه مباشرة من القبالي اليهودي الإسباني فلافيوس ميثريداتس Flavius Mithridates، والربي إيليا ديل مديجو، وآخرين غيرهم، وقد زودوه

بالكتب والمخطوطات اللازمة، وهو ما أدى إلى انغماس بيكو في التقاليد الباطنية وفنون السحر اليهودي System Jewish Mystical And Magical"[1]

وفي كتابها: مكتبة ديلا ميراندولا The Library of Pico Della Mirandola، تقول مؤرخة عصر النهضة، والأستاذة في الأكاديمية الأمريكية لدراسات العصور الوسطى Medieval Academy of America، بيرل كيبر Pearl Kibre:

"**من فحص مكتبة بيكو الخاصة Pico's Private Library، يتبين أنها كانت تحوي ١٢٤ كتاباً، ١١٧ منها عبرية، و١٧ آرامية وعربية**"[2].

وأطروحات ديلا ميراندولا التسعمائة، مع مقدمتها وتعريف ديلا ميراندولا بها، والدعوة التي وجهها لمناظرته، نشر نصها اللاتيني كاملاً، مع ما يقابله من الترجمة إلى الإنجليزية، ومع مقدمة تفسيرية وتعليقات وشروح على نصها، مؤرخ عصر النهضة والأستاذ في مركز دراسات العصور الوسطى وعصر النهضة، في جامعة ولاية نيويورك، ستيفن ألان فارمر Stephen Alan Farmer، في كتابه: التوفيق بين المعتقدات في الغرب، أطروحات بيكو التسعمائة Syncretism in the West, Pico's 900 Theses.

وقد رتب ديلا ميراندولا أطروحاته في مجموعات، حسب موضوعها أو مصدرها، وجعل مصدر كل مجموعة عنواناً لها، وقد أتيناك ببعض هذه العناوين في الباب الأول من الكتاب الذي بين يديك، وهاك هي هنا كاملة:

"**ست عشرة أطروحة من ألبرت Albert، خمس وأربعون أطروحة من توما Thomas، ثمان أطروحات من فرانسيس Francis، اثنتان وعشرون أطروحة من جون سكوتس John Scotus، ثلاث عشرة أطروحة من هنري جينت Henry of Ghent، إحدى عشرة أطروحة من جَيلز من روما Giles of Rome، إحدى وأربعون أطروحة من ابن رشد**

---

1) Giordano Bruno And The Hermetic Tradition, P94.

2) Pearl Kibre: The Library of Pico Della Mirandola, P38, Columbia University Press, New York , 1936.

Averroes، اثنتا عشرة أطروحة من ابن سينا Avicena، إحدى عشرة أطروحة من الفارابي Alfaraby، أربع أطروحات من الربي إسحق الناربوني Isaac of Narbonne، أربع أطروحات من الربي أبو مارون البابلي Abumaron The Babylonian، ثلاث أطروحات من موسى المصري Moses The Egyptian[5]، خمس أطروحات من محمد من طليطلة Mohammed of Toledo، أطروحتنان من ابن باجة العربي Avempace The Arabe، أربع أطروحات من ثيوفراستس Theophrastus، ثلاث أطروحات من أمونيوس Ammonius، تسع أطروحات من سمبليسيوس Simplicius، ثمان أطروحات من ألكساندر الأفروديسي Alexander oF Aphrodisias، خمس أطروحات من ثيميستيوس Themistius، خمس عشرة أطروحة من أفلوطين Plotinus، ثمان أطروحات من أديلار العربي Adelard The Arabe، اثنتا عشرة أطروحة من بورفيري Porphyry، تسع أطروحات من يامبليخوس Iamblichus، خمس وعشرون أطروحة من بروكلاس Proclus، ست أطروحات من حكماء اللاهوت الكلدان، أربعون أطروحة من رياضيات فيثاغورس، عشر أطروحات من عقيدة هرمس مثلث العظمة المصري، أربع وسبعون أطروحة من العقيدة السرية لحكماء القبالاه العبرية، الذين يجب دائماً إجلالهم وتوقير ذكراهم Cabalistic Conclusions According To The Secret Doctrine of The Hebrew Cabalistic Wisemen، سبع عشرة أطروحة مختلف عليها بين أرسطو وأفلاطون والحكماء الآخرين، ثمانون أطروحة فلسفية من آرائي الخاصة، إحدى وسبعون أطروحة مختلف عليها، وفي رأيي الخاص أنها تقدم عقيدة فلسفية جديدة، إحدى وثلاثون أطروحة من آرائي الخاصة في اللاهوت، اثنان وستون أطروحة من آرائي الخاصة عن عقيدة أفلاطون، أطروحات من آرائي الخاصة عن عقيدة

---

[5]) موسى المصري: هو موسى بن ميمون، أو ميمونيدس Maimonides، يهودي من السفارديم، كان يعيش في القرن الثاني عشر الميلادي، واشتهر بدراسته وشروحه للتوراة، وكان يمارس الطب والتنجيم، وهو من قرطبة في الأندلس، ثم انتقل إلى فلسطين، ومنها إلى مصر، حيث صار نقيباً للطائفة اليهودية، ودخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي وصار من أطبائه.

أبوكاتن أفينان Abucaten Avenan[õ]، خمس وثمانون أطروحة من آرائي الخاصة عن الرياضيات، خمسون أطروحة من آرائي الخاصة في تفسير أقوال زرادشت، ست وعشرون أطروحة من آرائي الخاصة عن السحر، إحدى وثلاثون أطروحة من آرائي الخاصة في فهم ترانيم أورفيك عن السحر Orphic Hymns، اثنتان وسبعون أطروحة قبالية من آرائي الخاصة تدعم الديانية المسيحية" [١].

وجميع أطروحات ديلا ميراندولا التي يقول إنها من آرائه الخاصة، عبارات قصيرة، ولا يتجاوز كل منها سطراً أو سطرين، وهي في حقيقتها اقتباس وإعادة صياغة لبعض أفكار أفلوطين، وأرسطو، وابن رشد، كما يشير هو نفسه في نصها.

أما صلب أطروحات ديلا ميراندولا، فهي أطروحاته القبالية، التي مصدرها أساتذته القباليون اليهود، وهذه الأطروحات القبالية ومزجها بالعقيدة المسيحية، هي إنجاز ديلا ميراندولا الأكبر، والذي جعل مؤرخي الغرب يصنفونه كمؤسس للقبالاه المسيحية Christian Kabbalah.

وسوف نعرفك بأساتذة ديلا ميراندولا، ونأتيك بنماذج من أطروحاته القبالية بعد قليل.

أما بقية الأطروحات، فتعرف خلاصتها من مرسوم البابا إنوسنت الثامن بإدانتها، ومن وصف مؤرخ عصر النهضة وأستاذ تاريخه ستيفن ألان فارمر، للأطروحات وتعليقه عليها.

õ) أبوكاتن أفينان Abucaten Avenan: هو ابن ناعمة الحمصي، مسيحي سرياني، كان يعيش في بغداد في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وترجم إلى العربية كتاب: الطبيعة Physica، وكتاب: الرد على السوفسطائية، كلاهما لأرسطو، وترجم كذلك كتاب: الإلهيات Theologia، ونسبه خطأً لأرسطو بعنوان: أثولوجيا أرسطو، وهو في الحقيقة من أعمال أفلوطين.

1) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P213, 219, 233, 237, 243, 247, 251, 265, 279, 281, 283, 285, 287, 291, 295, 296, 273, 275, 279, 297, 303, 307, 311, 315, 335, 339, 341, 345, 365, 373, 399, 423, 437, 461, 476, 487, 495, 505, 517 .

فأما مرسوم البابا، فقد نص على أن:

"بعض الأطروحات هرطقة، وبعضها ممزوج بالهرطقة، والعديد منها فاضحة Scandalous، وتُسئ للآذان التقية، وهي في أغلبها إحياء لأخطاء الفلاسفة الوثنيين، وبعضها يعتز بخداع اليهود Cherishing The Deceits of The Jews، وعدد منها تروج باسم الفلسفة الطبيعية للسحر، الذي يناقض العقيدة الكاثوليكية، ويضر بالنوع الإنساني كله، وتحرمه قوانين الكنيسة"[١].

وأما تعليق مؤرخ عصر النهضة ستيفن ألان فارمر على الأطروحات، فهاك هو:

"وأطروحات بيكو الباطنية Esoteric Theses، هي التي أغضبت الكنيسة وسببت له المشاكل، وكذلك أطروحاته التي أخذها من الأفلاطونيين الجدد، الذين استلهموا فلسفتهم من الديانات الوثنية، وأطروحاته القبالية والخاصة باليهود، وأطروحاته عن السحر، التي تفتح الأبواب إلى استحضار الجن والاتصال بالشياطين"[٢].

ولا نمل، ولا نريدك أن تمل، من تذكيرنا لك بفرضيتنا، عن صلة أسرة دي مديتشي بحركة الروزيكروشان، فمزيج الفلسفة الوثنية والعقائد الباطنية والقبالاه ومتون هرمس والتنجيم والسحر، الذي رأيته في أطروحات ديلا ميراندولا، وفي مؤلفات فتشينو من قبلُ، هو نفسه المزيج الذي تقول وثيقتا إشهار حركة الروزيكروشان واعترافاتها إن مؤسسها الرمزي جمع مكوناته من الشرق وعاد لبثه في أوروبا، ووثائق الحركة تقول إن مؤسسها عاش مائة أعوام وستة، بين سنة ١٣٧٨م وسنة ١٤٨٤م، وتاريخياً الطرف الوحيد في أوروبا الذي جمع هذا المزيج وبثه إبان هذه الفترة، هو أسرة دي مديتشي، عبر مبعوثيها الذين جمعوا مصادر هذا المزيج من الشرق، وعبر أكاديميتهم الأفلاطونية، وفتشينو وديلا ميراندولا، الذين قاموا بنشره وبثه.

---

1) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P15-16.
2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P16.

خطبة عن كرامة الإنسان:

وخطبة عن كرامة الإنسان Oratio De Hominis Dignitate، كتبها جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا، لتكون مقدمة أو مدخلاً لأطروحاته التسعمائة، ووجه الخطاب فيها لآباء الكنيسة، وكان يعتزم البدء بها في مناقشة أطروحاته والمناظرة العلنية التي دعا إليها، ولكنها لم تطبع معها، وبعض أفكارها ضمَّنه في الدفاع الذي كتبه ونشره رداً على تقرير اللجنة البابوية بأن أطروحاته هرطقة.

وفي سنة ١٤٩٦م، بعد موت ديلا ميراندولا بسنتين، طبع جيوفاني فرانشيسكو بيكو، ابن أخي ديلا ميراندولا، الخطبة لأول مرة، ضمن أعمال ديلا ميراندولا، ثم أصبحت دستور عصر النهضة، وأشهر ما كتبه ديلا ميراندولا.

وإذا كنت قد قرأت الكتاب الذي بين يديك الآن، ووصلت فيه إلى هذا الموضع، فنعتقد يقيناً أن عنوان خطبة ديلا ميراندولا عن كرامة الإنسان، التي كتبها لتكون مقدمة لأطروحاته، لن يغرر بك، وأنك صرت تدرك أن المسألة ليست مجرد كرامة الإنسان، ولا حقوق الإنسان، بل المسألة هي أن ثمة من يبتكر هذه الشعارات ويبثها في أذهان عموم البشر، لتكون غلافاً للإطاحة بالعقيدة الإلهية، وما يرتبط بها من معايير وموازين، ومنظومة قيم وأخلاق، وإحلال الوثنية والباطنية والانحلال والإباحية محلها، لكي يمكنه امتطاؤهم والسير بهم في أي اتجاه، وهم يمضغون البرسيم وينهقون في سعادة بالحقوق والحرية.

وهي استراتيجية عريقة ومتوارثة للحركات السرية في كل العصور، منذ أسرة دي مديتشي في القرن الخامس عشر، وحتى الماسونية وامتداداتها في منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة الماسونية في القرن العشرين والحادي والعشرين.

ولكي تدرك حقيقة ما فعلته أسرة دي مديتشي، بأكاديميتها وأدواتها فتشينو وديلا ميراندولا، وبلوحاتها وتماثيلها، وهدفها منه، إليك نسخة طبق الأصل منه، فيما فعلته منظمة الإليوميناتي البافارية والماسونية إبان الثورة في فرنسا، وكانوا هم من دبروا لها.

في كتابه: براهين وجود مؤامرة على جميع أديان أوروبا وحكوماتها Proofs of Conspiracy Against All Religions And Governments of Europ، يقول جون روبنسون John Robinson، وهو أستاذ الفلسفة الطبيعية في جامعة لندن، وسكرتير الجمعية الملكية في إدنبره Edinburgh، وكان معاصراً للثورة الفرنسية وشاهداً على وقائعها، وكتابه هذا، ألفه من مضابط المحافل الماسونية ووثائق منظمة الإليوميناتي التي عثرت عليها حكومة بافاريا بعد مداهمة مقر المنظمة، وصدر سنة ١٧٩٨م، قبل أن يمر عقد على اندلاع الثورة، يقول روبنسون:

"إن أول ضربات الذين دبروا للثورة من كوادر منظمة الإليوميناتي Illuminati، كانت موجهة للدين والأخلاق، لأنهم كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أنه من غير القضاء على الدين لن تكون ثمة فرصة لنجاح تدبيرهم، ومن أجل الوصول إلى هدفهم باستئصال الدين والقيم والأخلاق، كافحوا جاهدين من أجل أن يغرسوا في وعي الناس أن الدين وقيَمه وأوامره ونواهيه ليست سوى تدبير تواطأ عليه المستبدون من الملوك ورجال الدين لكي يتمكنوا من السيطرة على الناس وإخضاعهم، ولذا لن يزول الاستبداد إلا بزوال الدين"[١].

ولكي لا يستغفلك الماسون وامتداداتهم، وما يرفعونه من رايات وشعارات، اعلم أن كرامة الانسان ليست نقيضا للألوهية، ولا لطاعة الإله والالتزام بمعياره وميزانه في القيم والأخلاق والعلاقات، بل هذه الطاعة والالتزام هي مصدر هذه الكرامة، والإله هو الذي كرم الإنسان، ومنحه من القدرات ما جعله يستحق الكرامة.

يقول عز وجل في بيانه الخاتم إلى البشرية:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠).

---

1) John Robinson: Proofs of Conspiracy Against All Religions And Governments of Europ, P426, Printed For: T. Cadell, Jun. And W. Davies, And W. Creech, Edinburgh, 1798.

ونعود بك إلى خطبة ديلا ميراندولا عن كرامة الإنسان، وقد ترجمتها من الأصل اللاتيني إلى الإنجليزية لأول مرة، أستاذة تاريخ عصر النهضة في جامعة بنسلفانيا، إليزابيث ليفرمور فوربس Elizabeth Livermore Forbes، ونشرتها في مجلة تاريخ الأفكار Journal of The History of Ideas[1]، التي تصدرها الجامعة، سنة ١٩٤٢م، ثم أعادت نشرها، سنة ١٩٤٨م، ضمن كتاب: فلسفة الإنسان في عصر النهضة The Renaissance Philosophy of Man.

بدأ ديلا ميراندولا خطبته عن كرامة الإنسان بهذه العبارة:

"قرأت في بعض الكتب العربية القديمة، أن عبد الله السراسيني Abdala The Saracen[õ][õ]، سُئل: "أي شيء في هذا العالم يستدعي الإعجاب"، فأجاب أنه لا شئ في هذا العالم أكثر روعة ويستدعي الإعجاب من الإنسان، ويتفق معه هرمس مثلث العظمة، في مقولته العظيمة: "الإنسان هو المعجزة الكبرى"[٢].

ومرة أخرى، المسألة الحقيقية ليست مجرد الإنسان وكرامته وحقوقه، بل توظيف هذا الشعار في وضع الإنسان في أذهان البشر في مواجهة الإله، وأن كرامته وحقوقه لا تكون إلا بنقض مسألة الألوهية، والخروج على منظومة القيم والأخلاق والعلاقات القائمة عليها، واتباع

---

1) Elizabeth Livermore Forbes: Of the Dignity of Man: Oration of Giovanni Pico Della Mirandola, Count of Concordia, Journal of The History of Ideas, Vol. 3, No. 3, Jun., 1942 , P 347-354.

õ) سراسين Saracen: هو الاسم الذي كان يطلقه الكتاب الأوربيون في العصور الوسطى وعصر النهضة على العرب، وعلى المسلمين عموماً، وهو تحريف لكلمة: شرقي.

õ) في تعليقاتها وشروحها على خطبة ديلا ميراندولا، تقول إليزابيث ليفرمور فوربس، إن: "عبد الله السراسيني هو في الغالب ابن عم محمد Cousin of Mohammed"، وما قالته خطأ ظاهر، وعبد الله السراسيني الذي ينقل عنه بيكو ديلا ميراندولا، هو عبد الله بن المقفع، مؤلف كليلة ودمنة.

2) Giovanni Pico Della Mirandola: Oration On The Dignity of Man, Translated From The Latin BY: Elizabeth Livermore Forbes, In: The Renaissance Philosophy of Man, P223, Phoenix Books, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1948.

أهوائه، وربط الإنسان وكرامته وحقوقه بالوثنية والباطنية والقبالاه، والسير خلف من يتوارثون فلسفتها وبثها من اليهود ورجال الحركات السرية عبر التاريخ.

وهو ما تجده صريحاً، في خطبة ديلا ميراندولا، التي حشاها ببضع عبارات مسيحية، ليمررها من الكنيسة، وفي الوقت نفسه عزل فيها كرامة الإنسان عن مسألة الألوهية، وجعلها هبة من الوثنيين والقباليين، وحيثياتها في تعاليمهم، فيقول:

"**هذا الإنسان، الذي قال أسكليبيوس الأثيني Asclepius of Athenes، إن طبيعته وقدرته على التغيير والتحول في نفسه، تمثلها شخصية بروتيوس Proteus[õ]، وهذه التحولات مشهورة بين العبريين، وعند فيثاغورس، وفي العقائد الخفية للعبريين Occult Theology، يتحول إينوخ المقدس Holy Enoch[õ]، إلى ملاك إلهي، يسمونه ملاخ أدوناي شبوث (ملاك أدوناي السماوي) Mal'akh Adonai Shebaoth، وكذلك يتحول أشخاص آخرون إلى أشكال إلهية أخرى، وعند فيثاغورس وأتباعه يتحول المذنبون إلى بهائم، وعند إمبيدوكليس Empedocles[õ] يتحولون إلى نباتات**"[١].

õ) بروتيوس Proteus: في أساطير الإغريق هو إله البحر القديم، قبل بوسيدون Poseidon، والمسؤول عن تقلبات البحر وثورة أمواجه، ويمكنه تغيير شكله وهيئته، ومن اسمه جاء مصطلح بروتيان Protean، الذي يعني القدرة على التحول والتشكل.

õ) إينوخ أو أخنوخ Enoch، وبالعبرية حنوخ/حنوك חנוך: ومعناها: المحنك، والقرآن عربه إلى: إدريس، في سفر التكوين أنه جد نوح عليه السلام، إذ وَلدَ أخنوخ متوشالح، وأنجب متوشالح لامك، ولامك أبو نوح، وفي السفر أنه: "٢٣فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. ٢٤وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ". (تكوين: ٥: ٢٣-٢٤).

õ إمبيدوكليس Empedocles: فيلسوف إغريقي سابق على سقراط، وهو صاحب نظرية العناصر الأربعة التي يتكون منها كل شئ في الوجود، وهي الماء والتراب والنار والهواء، وكان يؤمن بتناسخ الأرواح، وحلول أرواح الأشرار في كائنات دنيئة.

1) Oration On The Dignity of Man, In: The Renaissance Philosophy of Man, P225-226.

وكما ترى، جعل ديلا ميراندولا مصدر كرامة الإنسان ومعناها في الأساطير والقبالاه والفلسفة الوثنية، بل وربطها بعقيدة فيثاغورس وإمبيدوكليس في تناسخ الأرواح Metempsychosis، وحلول أرواح البشر الأخيار بعد موتهم في كائنات أرقى، وحلول أرواح الأشرار في مخلوقات أدنى.

فإليك كيف يرتقي الإنسان في خطبة ديلا ميراندولا، إلى المرتبة الأعلى، ويصير قريباً من الإله.

يقول ديلا ميراندولا إن الوجود مراتب، وبعد الإله:

"تخبرنا الأسرار المقدسة، أن السيرافيم Seraphim(õ) والكروبيم Cherubim(õ) والعروش Thrones(õ)، في المنزلة الأولى في السموات، وأنه ليس في استطاعتنا أن

õ) السيرافيم מלאך Seraphim: معناها في العبرية: المحترقون، وفي سفر إشعياء أنها ملائكة تحيط بعرش الإله وتسبح له، وفي السفر أنه: " رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. ٢السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. ٣وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (إشعياء: ٦: ١-٣)، وفي شروح موسى بن ميمون، أن السيرافيم الطبقة الخامسة من الملائكة، وفي القبالاه أنهم في الطبقة الأولى من برياه בְּרִיאָה /Beri'ah، أو عالم الخلق، وهو العالم الثاني من عوالم السفيروت أو شجرة الحياة الأربعة، والسيرافيم تصعد من خلال الاحتراق إلى العالم الأول، أتزيلوت أو عالم الفيض אֲצִילוּת/Atziluth، حيث الإله في صورته النورانية، ثم تعود مرة أخرى إلى عالم الخلق وهيئتها فيه.

õ) الكروبيم כְּרוּבִים Cherubim: معناها: المباركون، وفي خريطة الوجود البني إسرائيلية في سفر التكوين أنهم الملائكة الذين أقامهم الإله ليحرسوا شجرة الحياة ويمنعوا آدم من الوصول إليها: يقول السفر: "٢٤فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تكوين: ٣: ٢٤)، وفي سفر الخروج أن الإله وصف لموسى كيف يصنع تابوت العهد، وأمره أن يصنع كروبيم من ذهب ويقيمهم عليه: "١٨وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. ١٩فَاصْنَعْ كَرُوبًا وَاحِدًا عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا، وَكَرُوبًا آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. ٢٠وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ، مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ، وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ" (خروج: ٢٥: ١٨-٢٠)، وفي

نصل إليهم، ولكن بمعرفة ماذا يفعلون وطريقة حياتهم، يمكننا أن نساويهم ونكون في منزلتهم، والسيرافيم يحترقون بنار الحب، والكروبيم يفيضون بالحكمة والذكاء، والعروش حارسة بقوة على العدل"(١).

وبعد بيان ماذا يفعل السيرافيم والكروبيم والعروش، يقول ديلا ميراندولا إن الإنسان يمكنه أن يخرج من منزلته الأرضية، ويرتقي درجة درجة، في سُلم مثل سلم يعقوب(!) Jacob Ladder، إلى أن يصل إلى المنزلة السماوية، وهذه هي وسيلة الارتقاء ومحاكاة الملائكة في حبهم وحكمتهم وعدلهم، ليصبح الإنسان مثلهم:

"يمكننا أن نصل إلى ذلك من خلال الفنون الحرة Liberal Arts، والحوار Discourse، أو المنطق Reasoning، ثم باستلهام روح الكروبيم من خلال ممارسة الفلسفة في كل درجة من السلم، أعني الطبيعة، والنفاذ خلال الوجود من المركز إلى

سفر الملوك الأول أنها الملائكة الحارسة لتابوت العهد في قدس أقداس الهيكل :"٦وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ فِي مِحْرَابِ الْبَيْتِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ، إِلَى تَحْتِ جَنَاحَيِ الْكَرُوبَيْنِ. ٧لأَنَّ الْكَرُوبَيْنِ بَسَطَا أَجْنِحَتَهُمَا عَلَى مَوْضِعِ التَّابُوتِ، وَظَلَّلَ الْكَرُوبَانِ التَّابُوتَ وَعِصِيَّهُ مِنْ فَوْقُ" (الملوك الأول: ٨: ٦- ٧)، وفي شروح موسى بن ميمون أن الكروبيم الطبقة التاسعة من الملائكة، وفي القبالاه أنهم الطبقة الثانية في عالم الخلق، بعد السيرافيم.

õ) العروش Thrones: ملائكة لا ذكر لها في العهد القديم، ولا في الأناجيل، وذكرهم الوحيد بهذا الاسم في رسالة بولس إلى أهل كولوسي: "١٦فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كولوسي: ١: ١٦).

1) Oration On The Dignity of Man, In: The Renaissance Philosophy of Man, P227.

õ) سلم يعقوب סֻלָּם יַעֲקֹב Jacob Ladder: في سفر التكوين أن يعقوب ذهب إلى حاران، وعندما غابت الشمس: "أَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ الْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَاضْطَجَعَ فِي ذلِكَ الْمَكَانِ. ١٢وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. ١٣وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ" (تكوين: ٢٨: ١١-١٣).

المركز، وفي بعض الأحيان ستهبط بنا قوة جبارة وتمزق وحدتنا إلى أشلاء، مثل أوزيريس Osiris، وفي أحيان أخرى ستصعد بنا قوة فويبس/أبوللو Phoebus، وتعيد جمع أجزائنا مثل أطراف أوزيريس، حتى نستقر في أحضان الأب، في أعلى السُلم ... ولاهوت الأقدمين يعرفنا بقيمة الفنون الحرة والحوار، والدرجات التي كان يسير فيها المبتدئون في معرفة الأسرار عند الإغريق، لم تكن سوى هذه الفنون والحوار، وأصبحوا قادرين على تلقي الأسرار ومعرفة خوافي الطبيعة، بتنقية داخلهم، من خلال الفلسفة والجدل Dialectic"[١].

فإذا كنت فطناً، ولم يُغيِّب عقلَك هذا الكلام الذي يدير به القباليون ورجال الحركات السرية رؤوس الأميين في كل العصور، وبحثت عن معناه، وكيف يكون تنفيذه، وما هي آثاره في تكوين الإنسان وفي سلوكه، فستدرك على الفور أنه عبارات مزخرفة وما في بطنها لغو لا معنى له على الإطلاق، وأن من يبثه غايته الحقيقية أن يفرغ عقول البشر ونفوسهم، ويجعلها خواءاً، لكي يحتلها هو، ويجرهم خلفه إلى أي وجهة يريدها.

فكيف بالحوار والجدل والمنطق والفنون الحرة والفلسفة، سيعرف الإنسان صفة الإله وما يجب له وما يستحيل في حقه، وكيف خلق الإنسان ولماذا، وعلاقته به وما يريده منه، ومن أين وكيف يتيقن أن هذه هي الطريقة التي توصل إلى الإله، وما هو دليله عليها وما يثبتها به للآخرين، وأين في هذا الكلام الهُلامي الذي لا ضابط له ميزان القيم والأخلاق والعلاقات بين البشر، الذي يحكمون به على الأفكار والأفعال، وعليه هو نفسه، وهل يَفرِق في هذا الكلام من يعبد الإله واجب الوجود عمن يعبد البقرة والصنم، ومن لا يعبد شيئاً على الإطلاق؟!

ثم هل انتبهت مرة أخرى إلى أن كل ما يقوله عن كرامة الإنسان وكيف يرتقي إلى أن يصبح في حضن الإله، يربطه في أذهان من يخاطبهم بالمعتقدات الوثنية، ويجعله وسيلة لترسيخها في وعيهم، فالذي يهبط في درجات السلم ويتمزق مثل أوزيريس، إله عالم الموتى

1) Oration On The Dignity of Man, In: The Renaissance Philosophy of Man, P231, 233.

ومحكمتهم عند المصريين القدماء، والذي يُعيد إليه وحدته ويصعد به أبوللو، إله الشمس عند الإغريق، والفلسفة والفنون الحرة مصدرها ونموذجها الإغريق الوثنيون.

ولا ينبغي أن يكون قد فاتك أن الفنون الحرة، التي جعلها ديلا ميراندولا وسيلة صعود السلم الموصل إلى الإله، ليست سوى لوحات أسرة دي مديتشي وتماثيلهم الوثنية الإباحية، التي نشروها في الكنائس، وهي في زمنهم الوسيلة الوحيدة لمخاطبة كتل العوام والتأثير فيهم، وسوف نريك نماذج من هذه اللوحات والتماثيل، لتعرف البناء الذهني والنفسي لمن قاموا برسمها ونحتها، وما الذي ترجموه فيها، وإلى أين تذهب بمن يراها، وسوف تفهم حينئذ لماذا كان اليهود الأخفياء من أسرة دي مديتشي يمولون عملها ووضعها في الكنائس.

وهذه بضع مقتطفات أخرى من خطبة ديلا ميراندولا عن كرامة الإنسان، دستور عصر النهضة الوثني، ونعتقد أنك صرت الآن خارج نادي البقر في بلاليص ستان، وتملك الميزان الذي يجعلك قادراً على إدراك حقيقتها ورؤية ما هو مخبوء فيها، ويعصمك من أن يغرر بك ويخدر عقلك زخرف أغلفتها وخلابة عباراتها:

"**من ذا الذي لا يلتهب بكلمات سقراط، التي غنَّاها أفلاطون في فيدروس Phaedrus، ويرغب في ترك هذا العالم الذي يمتلئ بالشرور، وأن يحلق بأقدام وأجنحة، ومِن أسرع طريق، نحو أورشليم السماوية Heavenly Jerusalem، فلندع ترانيم سقراط، يا آبائي، تمنحنا النشوة Ecstasy، وتصل بنا إلى توحد عقولنا وذواتنا بالإله .... وإذا أُغرمنا بترنيمات الميوزس Muses**(õ)**، فسوف نسمع الموسيقى السماوية بآذان روحنا، ويكشف لنا باكوس Bacchus**(õ)** من أسراره، أن الأشياء الإلهية غير المرئية لنا، نحن دارسي الفلسفة، سوف تملأنا بمجد بيت الإله، وإذا آمنا به، مثل موسى، فسوف يأتينا اللاهوت**

õ) الميوزس Muses: في أساطير الإغريق هن بنات زيوس، كبير الآلهة، من نيموزين Mnemosyne، ربة الذاكرة، والميوزس هن الربات التسع ملهمات الشعر والموسيقى والغناء، ويتبعن أبوللو، إله الشمس والموسيقى.

õ) باكوس Bacchus: في أساطير الإغريق هو إله الخمر والنشوة.

المقدس ويمنحنا نشوة مزدوجة ... إذا فحص أحد معاني أسماء أبوللو المقدسة والأسرار الخبيئة فيها، فسوف يدرك أن هذا الإله ليس سوى فيلسوف، وهناك ثلاثة مبادئ ضرورية يا آبائي، لمن يريد أن يدخل إلى معبد أبوللو المقدس الذي يضيء كل نفس حين يدخل إلى العالم ... ودعونا يا آبائي نستشر فيثاغورس الحكيم، الذي ينبهنا إلى توجيه الروح وإثارتها بالجدل ... وأعيروا انتباهكم، آبائي، لعقيدة زرادشت، وما تعنيه، من أنه يجب أن ننظف أعيننا من القذر بالعلوم الأخلاقية، وأن نوجه أبصارنا تجاه الحق بالجدل، ثم علينا بعد ذلك أن نتعود على نور الحق الذي لا يزال ضعيفاً، مثل أشعة الشمس عند شروقها، حتى يمكننا في النهاية، ومن خلال العطف الإلهي، أن نكون مثل صقور السماء، التي تتحمل شمس الظهيرة الساطعة"[١].

القبالاه والقباليون:

عرفت من قبل، أن أطروحات ديلا ميراندولا الحقيقية، من بين التسعمائة أطروحة التي جمعها، هي أطروحاته هو القبالية، وأن أساتذته من القباليين اليهود هم الذين أمدوه بمصادرها، وإنجاز ديلا ميراندولا الذي من أجله يوصف بأنه مؤسس القبالاه المسيحية، هو أنه مزج القبالاه بالعقيدة المسيحية، وأعاد فهم العقيدة المسيحية من خلال القبالاه.

وبيكو ديلا ميراندولا لم يكن في حقيقته سوى المحضن الذي غرس فيه القباليون اليهود بذور القبالاه، وأمدوه بالمصادر التي ترويها في ذهنه ونفسه، ثم كان فهمه القبالي للمسيحية الثمرة التي أثمرتها هذه البذور، كما هو شان اليهود عبر التاريخ كله، وفي جميع الأمم، فهم يبتكرون الأفكار، لا لكي يعلنوها في البشر ويبثوها من خلال أنفسهم، بل يجتهدون في التنقيب عن أصحاب الطاقات والمواهب، لكي يستوطنوا عقولهم ونفوسهم بها، ويتعهدونها فيهم، ويتركونها تنمو وتزدهر في داخلهم، حتى إذا ظهرت ثمار ذلك كله، يتصدر هؤلاء

---

1) Oration On The Dignity of Man, In: The Renaissance Philosophy of Man, P234-237.

الأميون كاميرات التاريخ وتُنسب لهم هذه الثمار، بينما اليهود الذين بذروا بذورها فيهم ورَوَوها، في قرارهم المكين في كواليس التاريخ وبعيداً عن أضوائه وكاميراته.

وهو ما من أجله لا يدرك الأميون، وهم جُل البشر، أين يوجد اليهود في التاريخ، وما الذي يفعلونه، وإذا رصدوهم في أي حدث أو فكرة، لم يفهموا صلتهم بهذا الحدث وهذه الفكرة، ودورهم في صناعته وصناعتها، وغايتهم منه ومنها.

يقول نيكولاس جودريك كلارك، أستاذ الباطنية والعلوم الخفية في الغرب، في جامعة إكستر البريطانية، في كتابه: التعاليم الخفية في الغرب:

"**بيكو كون أطروحاته وتعاليمه، بما فيها تلك التي عن المسيحية، من المزاوجة بين تعاليم هرمس المصرية والقبالاه اليهودية، فقد كان هذا الشاب المتحمس يعتقد أنه لا يمكن فهم المسيحية وعقيدة الخلود الإلهية من غير النصوص العبرية والتقاليد القبالية اليهودية، وأطروحاته القبالية الاثنتان والسبعون تؤكد على فهم الديانة المسيحية على أساس من الحكمة العبرية Hebrew Wisdom**"(١)

فإليك أولاً القبالاه في أفكار ديلا ميراندولا، وكيف مزجها بالمسيحية، قبل أن نعرفك بأساتذته.

عن القبالاه ومصادرها، يقول ديلا ميراندولا، في خطبته عن كرامة الإنسان، التي أعدها لتكون مقدمة لأطروحاته، ثم صارت دستور عصر النهضة:

"**القبالاه هي التفسير الحقيقي للشريعة، وقد أنزلها الإله إلى موسى مع الوصايا العشر، وفي كتب الحكمة القبالية، كما قال عزرا عن حق، ينابيع فهم اللاهوت وطبيعة الإله فائق الجوهر Supersubstantial Deity، وينابيع الحكمة، التي تختص بالملائكة والمخلوقات السماوية، وأفضل فلسفة لفهم الطبيعة، والعبريون لا يسمحون لأحد تحت سن الأربعين أن**

---

1) Nicholas Goodrick-Clarke, The Western Eesoteric Traditions A Historical Introduction, P43-44.

يطلع على هذه الكتب، ولا حتى أن يلمسها، وقد أنفقتُ من أجل الحصول عليها نفقة كبيرة، وقد اكتشفت فيها سر الثالوث، وإحياء العالم، وألوهية الهامشيحاه، وأورشليم السماوية، وسقوط الجن، وترتيب الملائكة، ووجدت فيها ما يقوله بطرس وديونيسيوس وجيروم وأوغسطين، واستمعت فيها إلى فيثاغورس وأفلاطون"[١].

وفي الأطروحات نفسها، قسم بيكو ديلا ميراندولا أطروحاته التي من آرائه الخاصة، إلى مجموعات، ووضع لكل مجموعة عنواناً، فهذه هي الأطروحة الأولى، من أطروحات ديلا ميراندولا الخاصة، التي وضعها تحت عنوان: أطروحات قبالية تدعم الديانة المسيحية باستخدام مبادئ الحكماء العبريين Cabalistic Conclusions Confirming The Christian Religion Using The Hebrew Wisemen's Principles:

"مهما كان ما يقوله القباليون الآخرون، فإني أُقسِّم علم القبالاه إلى قسمين، علم السفيروت/شجرة الحياة Sefirot، وعلم الشيموت/الأسماء والحروف Shemot، وإلى علم عملي Practical، وآخر تأملي Speculative "[٢].

وفي الأطروحتين الثانية والثالثة:

"أنا أقسم القبالاه التأملية، الخاصة بعلم الأسماء والحروف، إلى أربع طرق، الأول علم ثورة الأبجدية Revolution of The Alphabet، والثاني والثالث والرابع تختص بنوع خاص من الفلسفة، وهي التي تتعلق بالإله والطبيعة المحسوسة، أما علم القبالاه العملية فهو ممارسة كل ما يتعلق بالميتافيزيقا/ما وراء الطبيعة، وباللاهوت السفلي Inferior Theology"[٣].

---

1) Oration On The Dignity of Man, In: The Renaissance Philosophy of Man, P251-252.
2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P519.
3) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P521.

وفي الأطروحة الخامسة:

"كل قبالي عبري، يتبع مبادئ علم القبالاه، عليه أن يُقر بالعقيدة الكاثوليكية الخاصة بالثالوث الإلهي Trinity، الأب والابن والروح القدس"[١].

فإليك في الأطروحة التالية، كيف يكون الشخص قبالياً، ويؤمن في الوقت نفسه بالثالوث المسيحي:

"الضليعون من علم القبالاه، يمكنهم أن يدركوا أن الأسماء العبرية الثلاثة العظيمة للإله، التي هي من أسرار القبالاه، تناظر الأقانيم الثلاثة في الثالوث المقدس، هكذا: اسم إلوهيم אֱלֹהִים، هو الأب، واسم إهيه אֶהְיֶה، هو الابن، واسم أدوناي אֲדֹנָי، هو الروح القدس"[٢]،[ö].

وهذا هو الحساب القبالي لنهاية العالم، في الأطروحة التاسعة:

---

1) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P523.

2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P523.

ö) إلوهيم אֱלֹהִים: معناها الآلهة، بالجمع، وهو اسم الإله في سفر التكوين العبري.

وإهيه אֶהְיֶה: اسم الإله الذي كلم موسى في سفر الخروج العبري، ولا يُعرف معناه على وجه التحديد، وشراح التوارة يقولون إن معناه هو العبارة التي عرَّف بها الإله نفسَه لموسى في السفر، وهي في الترجمة الرسمية الأرثوذكسية والبروتستانتية: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ»، وفي الترجمة الكاثوليكية: "أنا هو من هو"، وكما لا يُعرف معنى إهيه، كذلك لا يُعرف نطقه الصحيح، لأنه الاسم الأعظم للإله عند بني إسرائيل، ويحرم التلفظ به، ولا ينطقه سوى حبر الأحبار، وداخل قدس أقداس الهيكل فقط.

وأدوناي אֲדֹנָי: معناه الرب، وهو اسم الإله الذي خلق آدم وطرده من الجنة، في سفر التكوين العبري.

"من خلال أشد طرق القبالاه سرية، يمكننا أن نكتشف أن نهاية العالم ستحدث بعد ٥١٤ سنة و٢٥ يوماً من الآن"(١).

وطبقاً لهذا الحساب، كان ينبغي أن تكون نهاية العالم في بداية شهر يناير سنة ٢٠٠٠م!

والهامشيحاه الذي ينتظره اليهود هو يسوع الإله وابن الإله، في الأطروحة الثلاثين:

"باتباع مبادئهم، يجب على القباليين أن يُقروا أن الهامشيحاه الحقيقي True Messiah، هو الإله وابن الإله"(٢).

والآن إليك أهم أطروحات ديلا ميراندولا القبالية، فهذه الأطروحة الثامنة والأربعون، يعرفك فيها بالتجليات أو الصفات الإلهية في السفيروت، أو شجرة الحياة القبالية، وما يقابلها من النجوم والكواكب:

"مهما كان ما يقوله القباليون الآخرون، فإنني أقول إن ترتيب البلورات العشرة وما يقابلها هكذا: التاج يقابلها المحرك الأول Primum Mobile، والحكمة يقابلها الأبراج الاثنا عشر، والفهم يقابلها زحل، والعطف والحنو يقابلها المشترى، والحكم والقوة يقابلها عطارد، والانسجام يقابلها الشمس، والنصر يقابلها الزهرة، والمجد يقابلها المريخ، والتكوين يقابلها القمر، والملكوت يقابلها العناصر الأربعة"(٣).

ولكي تفهم ما يعنيه ديلا ميراندولا، ينبغي أن تعلم أن السفيروت أو شجرة الحياة في القبالاه تصور الوجود كله، الذات الإلهية والإنسان والكون المادي المنظور، وتتكون من عشرة بلورات أو فيوضات نورانية، مرتبة ترتيباً هندسياً، في ثلاثة أعمدة متوازية، وتتصل بينها اثنتان

---

1) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P525.
2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P533.
3) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P541.

وعشرون قناة أو طريقاً، وكل بلورة تمثل فيضاً أو صفة في الذات الإلهية، وفلكاً أو كوكباً في الكون، وعضواً في الإنسان.

فالبلورة أو الفيض الأول: كتير Ketter، أي التاج، والثانية: حوخمة Chokhmah، أي الحكمة، والثالثة: بيناه Binah، أي الفهم، والرابعة: خيسد Chesed، أي الرحمة، والخامسة: جيفوراه Gevurah، أي الحكم والقوة، والسادسة: تيفيريت Tiferet، أي الانسجام والجمال، والسابعة: نيتزاه Netzah، أي النصر، والثامنة: هود Hod، أي المجد، والتاسعة: يسود Yesod، أي التكوين والتأسيس، والعاشرة: ملخوت Malkuth، أي الملكوت.

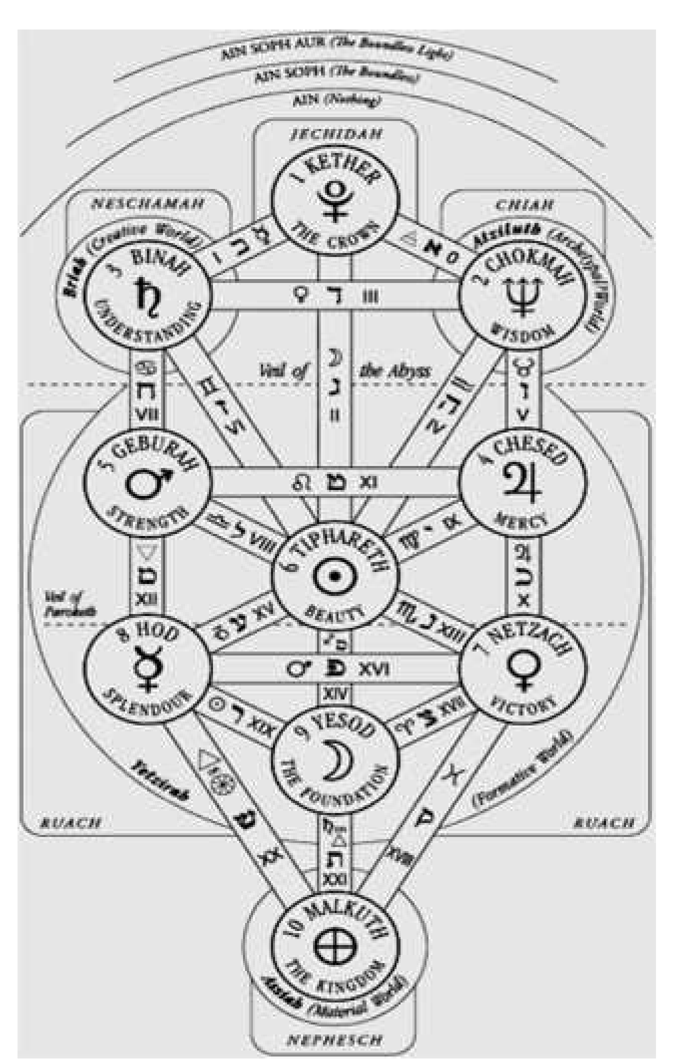
وإذا تأملت شجرة الحياة، وما يقابلها من الأفلاك السماوية، فستجد أن الشمس تقابل الصفة السادسة من صفات الإله: تيفيريت: Tiferet، أي الانسجام والجمال، وأن موقعها في العمود الأوسط، وفي قلب شجرة الحياة ومركز الكون المنظور، فهي تتوسط بقية الأفلاك التي تتحلق في البلورات والفيوض الأخرى من حولها، فعن يمينها: الأبراج الاثنا عشر والمشترى والزهرة، وعن شمالها: زحل وعطارد والمريخ، وأسفلها: القمر والعناصر الأربعة، وأما أعلاها فلا يوجد إلا المحرك الأول، أو الإرادة الإلهية.

فصورة الكون في القبالاه، حين كان داخل الإله ومتوحداً به، وقبل أن يصدر عنه، وهيئته المادية في العالم المنظور بعد أن صدر عن الإله، تقع فيها الشمس في المركز، وتقابل في أعضاء الإنسان القلب، وبقية الأفلاك من حولها وتتحرك بها، كما تقع أعضاء الإنسان حول القلب وتتحرك به.

وتنفرد بلورة الشمس عن بقية البلورات باتصالها عبر ممرات شجرة الحياة الاثنتين وعشرين بالبلورات الأخرى كلها، ولذا، في السفيروت أو شجرة الحياة القبالية، كما يقول القبالي والماسوني مانلي هول، في كتابه: التعاليم السرية عبر العصور: "**التفيريت، الشمس Tiferet, The Sun، هي مركز الكون، وبؤرة الاتصال بين الإله والطبيعة، والوصلة التي**

تتحول بها كِتير Kether، التاج أو الإرادة الإلهية، إلى يسود Yesod، أو تكوين الكون"[١].

فالشمس في القبالاه ليست فقط مركز الكون والأفلاك السماوية، بل هي مقابل الإله في الكون، والوسيط بين الإله والطبيعة، وأداة ظهور إرادة الإله غير المرئية في الكون المادي المنظور، بالضبط كما هي في متون هرمس، وفي كتاب الشمس لمارسيليو فتشينو، وهو أيضاً السبب الذي نص كوبرنيكوس نصاً في كتابه: حركة الأفلاك السماوية، على أنه وضع الشمس في مركز نموذجه للأفلاك من أجله!



السفيروت أو شجرة الحياة في القبالاه

---

1) Manly Hall: The Secret Teachings of All Ages, P124, Printed For Manly Hall, By: Crocker Company Incorporated, MCMXXVIII/1928. .

وفي الأطروحة الحادية والخمسين من أطروحاته القبالية التي تدعم الديانة المسيحية، يقول بيكو ديلا ميراندولا:

"كما أن القمر مكتملاً/البدر، كان في سليمان Solomon، فإن الشمس الساطعة كانت في الهامشيحاه الحقيقي True Messiah، الذي هو يسوع"(١)

وإذا كنت فطناً، وتذكرت وأنت تقرأ فرضية ديلا ميراندولا هذه، أن يسوع في المسيحية هو الإله، أو الإنسان الذي تجسد فيه الإله، فستدرك وحدك أنها ليست فقط فرضية قبالية تدعم المسيحية، بل هي في حقيقتها غلاف مسيحي لتمرير القبالاه وعقيدة ألوهية الشمس.

وهذا هو موقع مصر من القبالاه والقباليين، في الأطروحة الحادية والسبعين:

"حسب ما يقوله القباليون عن مصر، والتجربة تؤكده، يجب أن نؤمن أن أرض مصر تقابل السفيروت الخامسة، جيفوراه Gevurah، أي الحكم والقوة"(٢).

والآن جاء أوان أن تعرف أساتذة بيكو ديلا ميراندولا، الذين ضخوا في رأسه القبالاه والعقائد الباطنية والفلسفة الوثنية، وأمدوه بمصادرها، لكي تنمو فيها وتُزهر، ويكون ظهور ثمارها من خلال لسانه وقلمه.

وأول القباليين اليهود وأعمقهم أثراً في ديلا ميراندولا، إيليا ديل مديجو، وهو من جزيرة كريت، وكانت إذ ذاك تابعة لفينيسيا، وبها جماعة يهودية عريقة القِدم.

وحين وصل ديلا ميراندولا إلى جامعة بادوا، سنة ١٤٨٠م، وهو في السابعة عشرة، كان ديل مديجو قد اقترب من الثلاثين، ويدرس في الجامعة، ويلقي محاضرات عامة، وكان يجيد

---

1) Syncretism in the West, Pico's 900 Theses With Text, Translation and Commentary, P541.
2) Syncretism In The West, Pico's 900 Theses With Text, Translation And Commentary, P551.

العبرية والإغريقية، بالإضافة إلى اللاتينية، وكان مطلعاً على شروح ابن رشد على أعمال أرسطو، وكان اليهود هم الذين ترجموها إلى العبرية واللاتينية.

يقول دكتور فبليب إدج كومب هيوز، في أطروحته للدكتوراة، عن ديلا ميراندولا:

" في السنتين التي أقام فيهما بيكو في بادوا، لازَم ديل مديجو، وصارا صديقين، وكان ديل مديجو هو الذي علم بيكو العبرية ... واشترى لبيكو نسخة من كتاب: تعليقات على الأسفار الخمسة Commentary On The Pentateuch، لمناحم ريكاناتي Menahem of Recanati، وهو في الحقيقة تعليقات على الزوهار، فصار المصدر الرئيسي لمعارف بيكو القبالية"[١].

وبينما كان ديل مديجو يعلم بيكو ديلا ميراندولا العبرية، ويمده بمصادر القبالاه، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث، في كتابه: اليهود في عصر النهضة:

"طلب بيكو من ديل مديجو، أن يترجم له بعضاً من مؤلفات ابن رشد، خصوصاً تعليقاته على الميتريولوجي/ظواهر الطبيعة Meteorology، وما وراء الطبيعة Metaphysics، لأرسطو، بالإضافة إلى وضع مقالة عن مفهوم العقل عند ابن رشد"[٢].

وفي سنة ١٤٨٢م، اندلعت الحرب، ضمن سلسلة الحروب التي لا تنتهي بين المدن الدول في إيطاليا، فترك ديلا ميراندولا بادوا إلى فلورنسا، وتركها ديل مديجو إلى فينيسيا، دون أن تنقطع المراسلات بينهما.

وبعد أن انضم ديلا ميراندولا إلى الأكاديمية الأفلاطونية، وانغمس في فلسفة أفلاطون:

"أرسل إلى ديل مديجو، لكي ينضم إليه، وصار راعياً له، وكلفه أن يترجم له أعمالاً فلسفية كاملة، مثل تعليقات ابن رشد على جمهورية أفلاطون Plato's Republic، وبدأ

---

1) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P13, 15.
2) The Jews In The Renaissance, P113.

ديل مديجو في إلقاء محاضرات عامة في الأكاديمية، واشترك في النقاشات الفلسفية التي يقودها فتشينو، وثمة عمل فني مثير يسجل وجود ديل مديجو في فلورنسا وأكاديميتها، وهو لوحة الفريسكو التي رسمها بِنُوتسو جوتسولي Benozzo Gozzoli، وتحتل جدران قصر ريكاردي Palazzo Riccardi، أحد قصور أسرة دي مديتشي، واللوحة تصور رحلة الملوك الثلاثة إلى الطفل يسوع(õ)، ويظهر في اللوحة عدد من الأشخاص البارزين في فلورنسا، ومنهم لورنزو دي مديتشي، وبيكو ديلا ميراندولا، وديل مديجو، الذي يرتدي في اللوحة غطاء الرأس العريض الذي كان يميز اليهود الإيطاليين إذ ذاك(õ)"(١).

õ) الملوك الثلاثة: هم المجوس الثلاثة في إنجيل متى، وفيه: "١وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢قَائِلِينَ:«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» (متى: ١: ١-٢).

õ) لوحة رحلة المجوس Viaggio della Magia: لبِنوتسو جوتسولي، هي عدة لوحات فريسكو، تغطي جدران قصر مديتشي ريكاردي، وهو الآن كنيسة المجوس Cappella dei Magi، واللوحة تصور رحلة المجوس الثلاثة إلى الطفل يسوع، وقد بدأها سنة ١٤٥٩م، وأنهاها سنة ١٤٦٣م، في عهد كوسيمو دي مديتشي، ثم أجرى عليها تعديلات وإضافات في عهد لورنزو العظيم، والجزء الأصلي من اللوحة يظهر فيه كوسيمو وابنه بيرو، ومعهم الإمبراطور البيزنطي يوحنا بالايولوجوس، وبطريرك الكنيسة الشرقية جوزيف الثاني، أما لورنزو وفتشينو وبيكو وديل مديجو فيظهرون في التعديلات والجزء الذي أضافه إلى اللوحة.

1) The Jews In The Renaissance, P115.



جزء من لوحة رحلة المجوس، على الجدار الغربي من قصر مديتشي ريكاردي، ويظهر فيه ديل مديجو، على فرس، وينظر إلى الأمام. في يسار الصورة وأسفلها.

وفي سنة ١٤٨٥م، يقول فيليب إدج كومب هيوز:

"نشر ديل مديجو عمله: تحقيق الدين Bechinath Ha-Dath، ويُظهر فيه التوافق بين الدين والفلسفة، فأثار خيال الشاب بيكو، وظهر أثره في الأطروحات التسعمائة التي كتبها بيكو وعرضها للنقاش العام في السنة التالية، وكذلك كتب ديل مديجو رسالة عن: الوجود والجوهر والتوحد De Ente et Essentia et Uno، ويقول في مقدمتها إنه ناقش موضوعها مع بيكو، حين كانا معاً في بروجا Perugia، سنة ١٤٨٦م، ولا شك أن رسالة ديل مديجو ومناقشاته مع بيكو حولها، هي التي ألهمت بيكو عمله: الوجود والتوحد De Ente et Uno، الذي نشره سنة ١٤٩٢م"(١).

---

1) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P14.

وفي أواخر سنة ١٤٨٦م:

"رحل بيكو من فلورنسا إلى روما، من أجل عرض أطروحاته، وعاد ديل مديجو إلى بادوا، ولكنهما بقيا على اتصال، وظل ديل مديجو يمد تلميذه المتحمس Eager Pupil، بالخطابات والمقالات والكتب العبرية"(١).

وثاني أساتذة ديلا ميراندولا من القباليين اليهود، فلافيوس ميثريداتِس Flavius Mithridates، وهو يهودي تحول إلى المسيحية، وكان يقيم في روما، وفلافيوس ميثريداتس اسمه بعد التحول، ولا يُعرف اسمه الأصلي، وبعد تحوله إلى المسيحية، ترجم بعض أعمال موسى بن ميمون إلى اللاتينية، وكتب تفسيراً لنشيد الأنشاد، وألف كتاباً باللاتينية عن: مجاز اللغة العبرية De Tropis Hebraicis.

وفي سنة ١٤٨٦م، يقول فبليب إدج كومب هيوز:

"قضى بيكو فترة طويلة في بروجا مع ديل مديجو، وفي الوقت نفسه تعرف على قبالي يهودي آخر، هو فلافيوس ميثريداتس، فأقام ميثريداتس في ضيافته، وتحت إشرافه درس بيكو ثلاث لغات، ذكرها في خطابه إلى كورنيو Corneo، وبناءًا على طلب بيكو، ترجم له ميثريداتس عدداً من المخطوطات القبالية إلى اللاتينية"(٢).

ويقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث:

"وبالإضافة إلى ديل مديجو، كان لبيكو أستاذ آخر في العبرية والقبالاه، وكان يعيش معه في بروجا وفَراتا، وكان على اتصال أيضاً بمارسيليو فتشينو، وهو يهودي متحول، واشتهر باسم فلافيوس ميثريداتس، ويقال إنه ابن ربي، وهو في الغالب جوجليلمو ريموندا

---

1) The Jews In The Renaissance, P115.
2) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P47.

دا مونكادا Guglielmo Raimondo da Moncada، عبري من صقلية[õ]، وكان يكتب تحت أسماء مستعارة عديدة، وقد علم بيكو العبرية والآرامية، وترجم له أعمالاً قبالية عديدة إلى اللاتينية، وحين ذهب الشاعر جيرولامو بينيفيني Girolamo Benivieni، وهو أيضاً عبري، لزيارة بيكو، وجد فلافيوس يعطيه درساً، فانضم إليه"[١].

وثالث أساتذة بيكو ديلا ميراندولا من القباليين اليهود، الربي يوحنان أليمانو Jochanan Alemano، وعن أصوله وعلاقته بديلا ميراندولا، يقول المؤرخ اليهودي الألماني هينريش جريتز، في كتابه: تاريخ اليهود:

"يوحنان أليمانو من القسطنطينية، وهاجر إلى إيطاليا، وكان يعتقد أن القبالاه عريقة القِدم، وأنها تحتوى على حكمة جميع العصور، وكان أحد الذين قادوا بيكو ديلا ميراندولا في متاهة القبالاه Kabbalistic Labyrinth"[٢].

ويقول دكتور فيليب إدج كومب هيوز:

"في سنة ١٤٨٨م، كوَّن بيكو صداقة عميقة مع يوحنان أليمانو، وهو باطني يهودي Jewish Mystic، وصار أستاذه بعد رحيل ديل مديجو"[٣].

وهذا هو المؤرخ اليهودي سيسيل روث، يعرفك بتفاصيل العلاقة بين ديلا ميراندولا وأليمانو، والأطراف الأخرى فيها:

õ) في كتاب: الباطنية والعقائد الخفية في تاريخ الغرب، يقول البروفسور نيكولاس جودريك كلارك، إن ميثريداتس من إسبانيا The Western Esoteric Traditions, P42، ويمكن الجمع بينه وبين ما قاله روث، بأن صقلية كانت إذ ذاك تابعة للتاج الإسباني.

1) The Jews In The Renaissance, P117-118.

2) History of The Jews, Vol. IV, P291.

3) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P47.

"كان يحيل Jehiel، المعروف في المصادر العلمانية باسم فيتالي دا بيزا Vitale da Pisa، أكثر مقرضي الأموال في فلورنسا ثقافة واطلاعاً، في أواخر القرن الخامس عشر، وكان الماليون وأصحاب البنوك اليهود يستعينون بمعلمين يهود يقيمون معهم ليعلموا أولادهم، ولينسخوا لهم بعض الكتب، وقد وظف فيتالي دا بيزا شخصية مطلعة بارزة، هو يوحنان أليمانو، وأحضره سنة ١٤٨٨م إلى فلورنسا، ليقيم معه في بيته، فظل في فلورنسا حتى طرد اليهود سنة ١٤٩٧م (بعد طرد أسرة دي مديتشي)، وتواكب قدوم أليمانو إلى فلورنسا مع عودة بيكو إليها بدعوة من لورنزو دي مديتشي، فاستقبله بيكو بحرارة، وكان في حاجة إلى مرشد بعد رحيل ديل مديجو، وخلال السنوات الست التالية توثقت العلاقة بينهما، وأكمل أليمانو تعليم بيكو العبرية، وخاضا نقاشات فلسفية عديدة، مع الدائرة البارزة من أعضاء الأكاديمية، وفي بداية رسالته: رغبة سليمان Heshek Shelomo، وهو عمل فلسفي عن الحب الروحي والحب الإلهي استلهمه من نشيد الأنشاد، يقول أليمانو إن دافعه لتأليفه، أن بيكو سأله في إحدى المناقشات بينهما إن كان يوجد تفسير يهودي لسفر نشيد الأنشاد، فقال له أليمانو إن له رسالة في تفسير السفر بدأها ولم يتمها، فحثه بيكو على إتمامها"[١].

وبعد أساتذة بيكو ديلا ميراندولا من القباليين، الذين لازمهم لسنوات طويلة، هؤلاء هم بقية اليهود الذين كان لهم أثر في أفكاره:

"ويهودي آخر كان قريباً من دائرة الإنسانيين في فلورنسا، وسجل مارسيليو فتشينو، أنه كان يلقاه مع ديل مديجو في بيت بيكو ديلا ميراندولا، هو الفيلسوف أبراهام فاريسول Abraham Farisol، وكان مهاجراً إلى إيطاليا، من أفينيون في فرنسا، وكان لبيكو صلة بداتيلو Dattilo، وهو يهودي من صقلية، وكان يعلم العبرية في تورينو، ويمتلك مجموعة كبيرة من الكتب، فكان بيكو يزوره في فيرارا ويستعير منه الكتب لأسابيع ويعكف

---

1) The Jews In The Renaissance, P118-119.

على قراءتها، ويهودي شاب ذكره لورنزو في رسالة إلى أحد أصدقائه، وقال إنه كان يترجم الكتب ويحضرها إلى فلورنسا من أجل بيكو"[١].

عصر النهضة الألماني:

وبيكو ديلا ميراندولا كان البؤرة التي تدفقت منها القبالاه من إيطاليا إلى ألمانيا، عبر يوهانس ريوشلين، وبدأ بها عصر النهضة الألماني.

يقول فيليب إدج كومب هيوز، في أطروحته للدكتوراة عن ديلا ميراندولا:

"وكانت نهضة الدراسات الشرقية من سُباتها، بفضل حماسة بيكو، وجهود الألماني العظيم الخبير في العبرية، يوهان ريوشلين Johann Reuchlin، الذي زار إيطاليا مرتين في حياة بيكو، واستُقبل بحفاوة في أكاديمية فلورنسا، حيث أصبح صديقاً لبيكو، وأيضاً لفتشينو وبولتسيانو ولورنزو العظيم، وهناك بدأ طموحه في أن يتعلم العبرية، ويعمل على المسألة التي ألهب بيكو حماسه لها، كما يظهر من الرسائل التي بينه وبين إرازموس Erasmus"[٢].

ويقول أستاذ العقائد الخفية في تاريخ الغرب، نيكولاس جودريك كلارك:

"وباطنية عصر النهضة والقبالاه، دخلت ألمانيا عن طريق خبير العبرية الشهير ريوشلين، وكان من حاشية إبرهارد دوق فورتنبرج Duke Eberhard of Württemberg، وبعد أن التقى بيكو سنة ١٤٩٠م، تحول اهتمامه إلى دراسة القبالاه كنظام قوي للسحر مبني على اللغة العبرية، وفي عمله القبالي الأول: فِعلُ الكلمات العجيب De Verbo Mirifico، الذي نشره سنة ١٤٩٤م، أشار ريوشلين في مقدمته إلى أنه استلهمه من بيكو، وكان كتابه إسهاماً حيوياً في الخلاف الذي اندلع في عصر النهضة

---

1) The Jews In The Renaissance, P121-126.
2) Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, P51.

حول السحر وقوة الكلمات، وأثرت أفكاره بقوة في تريتيميوس Trithemius، وأجريبا Agrippa، وهما أهم ممثلي السحر في عصر النهضة في شمال أوروبا"[١].

وإليك المؤرخ اليهودي سيسل روث، يعرفك، في كتابه: اليهود في عصر النهضة، كيف تعلم ريوشلين العبرية، ومن الذي علمه إياها:

"كان ريوشلين أكبر من بيكو بسبع سنوات، وقدم إلى إيطاليا سنة ١٤٩٠م، مبعوثاً دبلوماسياً من دوق فورتنبرج، ورجع ريوشلين إلى ألمانيا، وهو يعتقد مثل بيكو أن عقيدة اليهود الباطنية Esoteric Doctrine of The Jews، تحوي الحقائق العليا عن الوجود الإنساني، ومن أجل فهم القبالاه انغمس في دراسة العبرية، أولاً في ألمانيا على يد ياكوب لوانز Jacob Loans، طبيب الإمبراطور فريدريك الثالث Frederick III، ثم على يد الربي عوفاديا سفورنو Obadiah Sforno، في إيطاليا، حين عاد إليها سفيراً، سنة ١٤٩٨م، وكتب ريوشلين في إحدى رسائله، إن سفورنو كان يأخذ منه دوكا واحدة في مقابل كل حصة، وفي سنة ١٥٠٦م، نشر ريوشلين كتابه: أصول العبرية De Rudimentis Hebraicis، وهو في نحو العبرية ومعجم كلماتها، وحين مُنعت الآداب العبرية في ألمانيا، تولى ريوشلين الدفاع عن القبالاه والتلمود، ثم انخرط في حركة الإصلاح، وهكذا كان لقاء ريوشلين وبيكو بداية حقبة جديدة في التاريخ"[٢].

وتقول أستاذة تاريخ عصر النهضة في جامعة لندن، فرانسيس ييتس، في كتابها: الفلسفة الخفية في عصر الملكة إليزابيث The Occult Philosophy In The Elizabethan Age:

"في سنة ١٥١٧م نشر ريوشلين، تلميذ بيكو، كتابه: فن القبالاه De Arte Cabbalistica، وهو أول دراسة وافية منظمة عن القبالاه يكتبها شخص غير يهودي، وعن طريقه تحركت القبالاه شمالاً واتصلت بحركة إصلاح الكنيسة في ألمانيا، وكانت

---

1) The Western Eesoteric Traditions A Historical Introduction, p49-50.
2)The Jews In The Renaissance, P118-128.

القبالاه المسيحية قوة هامة خلف بداية حركة الإصلاح، ومهدت لظهور لوثر، لأنها كانت نقداً للعقيدة المسيحية، ومحاولة لتقوية اللاهوت المسيحي بإيجاد أساس فلسفي له، والكتاب يمتلئ بعبارات مأخوذة من أفلاطون والأفلاطونيين وفتشينو وهرمس مثلث العظمة، ولذا كان أيضاً بداية عصر النهضة في ألمانيا"(١).

ومرة أخرى، نذكرك بحركة الروزيكروشان، فمما أخبرك به أستاذ العقائد الخفية في تاريخ الغرب، جودريك كلارك، وأستاذة عصر النهضة فرانسيس ييتس، والمؤرخ اليهودي سيسيل روث، تعلم أن نقل المسيحيين للقبالاه من الشرق، كان أولاً إلى إيطاليا، من خلال أسرة دي مديتشي وأكاديميتهم وفتشينو وبيكو، ثم انتقلت بعد ذلك إلى ألمانيا، من خلال يوهانس ريوشلين، وهو ما يؤكد لك فرضيتنا أن مولد حركة الروزيكروشان ومهدها كان في إيطاليا، وليس في ألمانيا، وأن أسرة دي مديتشي هي المؤسس الحقيقي للحركة، وأكاديميتهم الأفلاطونية كانت محفلها الأول.

وكانت ألمانيا منذ نهايات القرن الخامس عشر، تشهد حركة قادها بعض الرهبان والقساوسة الدومينيكان وأساتذة اللاهوت الكاثوليك في جامعات ألمانيا، وتدعو إلى تحويل اليهود إلى المسيحية، وتقول إن أفضل وسيلة لذلك هي إبعاد اليهود عن كتبهم وحرقها، خصوصاً التلمود، واندلعت معارك بين المؤيدين للحركة ومعارضيها، وفي سنة ١٥١٠م، كلف الإمبراطور الروماني ماكسيميليان الأول Maximilian I، عدة أشخاص بالتحقيق في المسألة ورفع تقرير له عنها، وكان ريوشلين أحدهم.

وفي ٦ أكتوبر ١٥١٠م، قدم ريوشلين تقريره للإمبراطور، فهاك خلاصته من دراستي الموسوعة اليهودية المطبوعة في الولايات المتحدة The Jewish Encyclopedia، والطبعة الحادية عشرة من الموسوعة البريطانية، عن ريوشلين:

---

1) Frances Yates: The Occult Philosophy In The Elizabethen Age, P5, Taylor & Francis, London, 2004.

"قسم ريوشلين الكتب اليهودية إلى سبعة أقسام، أحدها العهد القديم، وهو ضروري للمسيحية، ولم يدع أحد إلى إحراقه، ووصل إلى أن التلمود وكتب القبالاه، مثل الزوهار وشروح راشي Rashi وكمحي Kemhi وابن عزرا Ibn Ezra وغيرهم، ليس فيها هرطقة ولا ضرر بالمسيحية، وهي مهمة لدراسة اللاهوت، كما أن بعضها ضروري للعبادة اليهودية، التي سمحت بها قوانين الكنيسة والقانون الإمبراطوري، ولذا اقترحَ أن يُصدر الإمبراطور مرسوماً، بتخصيص كرسيين في كل جامعة من جامعات ألمانيا، للدراسات العبرية، ومن أجلهما يقوم اليهود بإصدار الكتب"[١]، [٢]!

وكانت التقارير الأخرى التي رُفعت للإمبراطور على خلاف تقرير ريوشلين، فاستعرت المعركة بين الجانبين، واتهمته الكنيسة وأساتذة اللاهوت بالهرطقة، وطالبوا بالتحقيق معه، وفعلاً خضع للتحقيق في ماينز Mainz، في ألمانيا، سنة ١٥١٣م، فأدانته المحكمة، ورد عليها بإصدار دفاع ضد من اتهموه Defensio Contra Calumniatores، ثم، يقول المؤرخ اليهودي سيسيل روث، في كتابه: تاريخ يهود إيطاليا:

"رفع ريوشلين التماساً إلى البابا ليو العاشر، يطلب المثول في روما، وكتب وهو المسيحي خطاباً بالعبرية، إلى طبيب البابا، اليهودي بونيت دي لاتِس Bonet de Lattes، يطلب مساندته، وفي النهاية تم تبرئته"[٣].

وربما يفسر لك تبرئة المحكمة البابوية لريوشلين، وتخطيها لقرار محكمة الكنيسة في ألمانيا، أن تعلم أن البابا ليو العاشر، الذي برأت محكمته ريوشلين، هو جيوفاني بن لورنزو العظيم، وهو نفسه، كما علمتَ من قبل، أصدر ترخيصاً رسمياً بطبع التلمود ونشره، مخالفاً مرسوم مجمع لاتران المقدس.

---

1) Gotthard Deutsch And Frederick Haneman: Reuchlin, Johann Von, The Jewish Encyclopedia, Vol. X, P389, Funk & Wagnalls, New York, 1905.
2) William Robertson Smith: Reuchlin, Johann, Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition, Vol. XXIII, P206, Cambridge, England, At The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.
3) The History of The Jews of Italy, P206.

وبعد تبرئة المحكمة البابوية لريوشلين، سنة ١٥١٥م، هدأت العاصفة ضده في ألمانيا، خصوصاً أنه كان قد تخطى الستين من عمره، ولأن الكنيسة وخصومه انشغلوا عنه بظهور مارتن لوثر وصراعه مع الكنيسة.

وفي يونيو سنة ١٥٢٢م، مات يوهانس ريوشلين، بعد أن غرس القبالاه، وقدح شرارة عصر النهضة القبالي في ألمانيا.

والآن جاء أوان أن نخرجك من بحار الأساطير والوثنية والباطنية والقبالاه، التي أغرقك فيها مارسيليو فتشينو وبيكو ديلا ميراندولا، ونذكرك أنه لولا اليهود الأخفياء من أسرة دي مديتشي وأموالهم ووصولهم بخفائهم إلى السلطة في فلورنسا، ما كانت هذه البحار، ولا كان فتشينو وبيكو، ولا ريوشلين.

لوحات وتماثيل

أفكار في أشكال

ولكي تفهم ما الذي تعنيه اللوحات والتماثيل في عصر النهضة، ولماذا كانت أسرة دي مديتشي تمول رسمها ونحتها في الكنائس والأماكن العامة، ينبغي أن تعلم أولاً مسألتين.

فأما المسألة الأولى، فهي أن أي لوحة أو تمثال، أو عمل فني، يتكون من شيئين، محتوى ورسالة وأفكار يعبر عنها، وشكل فني يترجم هذا المحتوى والرسالة والأفكار، ويبثها في أذهان من يرون العمل الفني وفي نفوسهم، ويسرب إليها منظومة العقائد والقيم والأخلاق التي تسري في ثنايا العمل الفني وتفاصيله، ودون أن يدرك عموم الناس وعوامهم هذا البث والتسريب، ولا أن هذا هو هدف صاحب العمل الفني ومن قام بتمويله.

فموضوع العمل الفني وعنوانه وتفاصيله، والأفكار والقيم والأخلاق والرسالة التي تسري في ذلك كله، تختلف في العمل الفني الذي ينجزه الفنان الوثني أو الباطني أو الملحد، عن ذلك الذي يبدعه الفنان المسيحي أو اليهودي، وجميعهم يختلفون عن الفنان المسلم.

وأما المسألة الثانية، فهي أن الكنائس والقصور المفتوحة، في العصور الوسطى وطوال عصر النهضة، وحتى بداية العصر الحديث في أوروبا، كانت وسيلة الإعلام الوحيدة، والطريقة التي لا طريقة غيرها لمخاطبة عموم الناس وعوامهم، وللتأثير فيهم وتغيير أفكارهم وأخلاقهم.

وحتى الطباعة والمطابع كانت في بدايتها، وجُل الكتب منسوخة وشحيحة، ومتاحة لأفراد وفئات محددة، والكتب القليلة المطبوعة لا يملك عموم الناس الطاقة ولا المهارات اللازمة لقراءتها والتعامل معها.

فاللوحات والتماثيل ووضعُها في الكنائس والقصور، في الزمن الذي نحدثك عنه طوال الكتاب الذي بين يديك، هي نظير الكتب المطبوعة على نطاق واسع، في المرحلة التالية،

والصحف والمجلات في التي تليها، والقصص والروايات، ثم المسرح والسينما، فالإذاعة والتليفزيونات، وصولاً إلى الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في زمانك.

وقد أخبرناك في عدد من كتبنا السابقة، أن اليهود ورجال الحركات السرية، هم أشد فئات البشر حساسية لوسائل الإعلام، وأنها مع المال والربا والبنوك مصدر قوتهم ووسيلتهم الرئيسية عبر التاريخ، وحين تظهر وسيلة إعلام جديدة في زمان ما، يكونون هم أول من يدرك أنه يمكن توظيفها في مخاطبة عموم الناس وتغييرهم وتحريكهم، وأول من يسعى لامتلاكها، ولتحديد موقعها من عموم الناس والسلطة، ووظيفتها في المجتمع، وما تبثه من محتوى وقيم وأفكار، ويمنحونها صبغتها وسماتها، ويجتهدون في تطويرها وتحسين كفاءتها، ثم يبدأ الأميون في تقليدهم في الغرب، وينقل عنهم بقر بلاليص ستان في الشرق، فيتعود عموم البشر عليها، ويصبح ما يسري فيها وتبثه ومَن يرونهم فيها، عيونهم التي يرون بها، وعقلهم الذي يفكرون به، وميزانهم الذي يحكمون به ويحددون الخطأ والصواب، ونموذجهم الأعلى الذي يحاكونه ويقلدونه في سلوكه وأخلاقه وأزيائه.

وهكذا تتحول جميع المجتمعات إلى الصورة التي يريدونها، والتي تجعلها محضناً لهم، وقابلة لأن يحركوها بالمال والإعلام في اتجاه غايتهم، بعد أن ذابت في جميع الأمم عقائدها، وفقدت غاياتها، ولم يعد لأحد غاية من التاريخ غير اليهود ومن يدورون حولهم من رؤوس الحركات السرية.

وإذا لم تكن أمياً، ممن يشغلهم الشكل عن الفحوى، واللباس عن لابسه، فسوف تدرك أن وسائل مخاطبة عموم الناس، منذ الكنائس والقصور في زمن أسرة دي مديتشي، وحتى هوليوود والإنترنت في زمن روتشيلد وروكيفلر وصندوق النقد والبنك الدولي والولايات المتحدة الماسونية، تختلف في أشكالها ولباسها، وكلٌ منها يناسب الزمن الذي كان فيه، وما هو متاح فيه من أدوات وتكنولوجيا، ولكنها جميعاً واحدة في روحها، وفي الرسالة ومنظومة الأفكار والقيم والأخلاق التي تبثها وتتوارث بثها، وتسعى لشمول عموم البشر بها.

فإذا فهمت ذلك ووعيته، لن يكون عسيراً عليك، وأنت ترى لوحات أسرة دي مديتشي وتماثيلها، أن تدرك أن فحوى هذه الأعمال الفنية ومضمونها، والرسالة السارية فيها، بث الوثنية والعقائد الباطنية والقبالية في أذهان من يرونها ونفوسهم، وزعزعة الوجود الإلهي بها، وتذويب المعيار والميزان المرتبط بالإيمان بالإله الخالق واجب الوجود، وتفكيك منظومة القيم والأخلاق والعلاقات القائمة عليه، وتربية من يرونها على الانحلال، وتعويدهم على الإباحية، واستنفار غرائزهم وشهواتهم، ليسهل امتطاؤهم وسوقهم في أي اتجاه بالشعارات الرنانة والرايات المزخرفة.

وكذلك لن يكون عسيراً عليك أن تدرك أن الفنانين الذين صنعوا هذه التماثيل واللوحات، إنما هم في الحقيقة يترجمون فيها العقائد والأفكار التي ضختها في أذهانهم أسرة دي مديتشي، عبر أكاديميتها الأفلاطونية، والمكتبات التي أنشأتها، وعبر المناخ العام الذي أشاعته في فلورنسا وإيطاليا كلها.

وهو ما يخبرك به صريحاً المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، في سيرته المفصلة لاسرة دي مديتشي، من باب الفخر بها، وليس نقدها:

"قيمة أي لوحة تكمن في الأفكار التي تعبر عنها، وليس فقط في مهارة الرسام الفنية، وهي قاعدة صحيحة في كل زمان، خصوصاً عندما نتكلم عن الأساتذة العظام، في العصر الكلاسيكي للرسم، الذين كانوا متعددي المعارف، وقد فحص راسكين Ruskin بعناية، لوحات الفريسكو التي رسمها بعض هؤلاء الأساتذة، وخلص منها إلى أن الفنان الذي رسمها يمتلك قدراً كبيراً من المعرفة بالطبيعة والتاريخ والفلسفة واللاهوت، ويُضمنها في عمله، وكما يقول اللورد ليندساي Lindsay، عن حق: "كل عمل لهؤلاء الأساتذة يحوي في ثناياه رسالة، والمتعة الحقيقية هي النفاذ إلى ما وراء العمل الفني، واكتشاف هذه الرسالة"، وقد كان التعليم والفن في هذا العصر يسيران جنباً إلى جنب، ويأخذ كل منهما بيد الآخر، ولولا التعليم، ما كان الفن ليجد شيئاً يقوله، وإذا قال شيئاً فلن ينتبه إليه أحد من

بني الإنسان، وإذا وقفنا داخل قصر مديتشي، وهو محضن التعليم، فسوف نفهم لماذا كانت أسرة دي مديتشي أعظم حاضن للفنانين شهده العالم في تاريخه"[١].

وقبل أن نعرفك بنماذج من لوحات أسرة دي مديتشي وتماثيلها، وما في تفاصيلها من خفايا، وما تدسه في أذهان من يرونها ونفوسهم من رسائل وأفكار، ينبغي أن ننبهك ألا يضللك ما يحيط به الأميون في الغرب وبقر بلاليص ستان في الشرق هذه اللوحات والتماثيل من أغانٍ، عن إبداعها وعبقرية صانعيها، وقدرتهم على تصوير جمال أجسام البشر، وهم يتعامون عما فيها من إباحية وانحلال، ووثنية وقبالاه.

وتراهم يحدثونك عن عبقرية الفنان وإبداعه في اللوحة أو التمثال، وهي وهو ليسوا سوى أجساد عارية تماماً، في أوضاع مثيرة للغرائز، فإذا استغربت ألَا يرون ما يمجدونه ويتغنون فيه، ردوا عليك في إباء وشمم أن هذا عمل فني، والحكم عليه بقدرة الفنان على الإبداع والتصوير فقط، بالضبط كما يحدثك المشخصاتية والمغنواتية عن فن توظيف الأحضان والقبلات والمشاهد الإباحية في العمل الدرامي، وكأنهم ملائكة لا تحركهم النهود المكشوفة والفروج العارية، وهؤلاء وأولئك في حقيقتهم ضالون مضلون، وهم أشد فئات البشر انحلالاً وانفلاتاً.

وقد أتيناك في مواضع مختلفة من كتابنا هذا بنماذج عديدة، من هذه الأغاني التي كتبها اليهود والأميون في الغرب، في لوحات أسرة دي مديتشي وتماثيلها، مثل المؤرخ البريطاني جورج فريدريك يونج، والمؤرخ اليهودي سيسيل روث، ومؤرخ الاقتصاد والبنوك الأمريكي نوبل هوجسون، وإليك هنا نموذجاً من بلاليص ستان في الشرق.

في الجزء الذي خصصه لفنون عصر النهضة، من موسوعته: تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، يقول المثقف الكبير، دكتور ثروت عكاشة:

---

1)) Young: The Medici, Vol. I, P146-147.

"ثمة فارق بين عُرِيَيْن، عُري يُنزَع فيه عن الجسد كل ما يواريه، فيبدو بمفاتنه وعيوبه Naked، وعُري يمليه خيال الفنان فيضفي منه على الجسد الإنساني ما يروع ويفتن Nud، ليكون نموذجاً فنياً، يتفق وقواعد النِسب ومعايير التوازن وتوزيع الكتل في الفراغ، وهكذا يأخذ العُري صفة جمالية تأسر الألباب، ومن هنا كان الجسد العاري خلال عهود ازدهار فن النحت والتصوير هو الملهم لأعظم الإنجازات الفنية ... وتمثال فينوس قصر مديتشي الشهير، المحفوظ بمتحف أوفتزي، فقد كمال إيقاعه نتيجة خطأ في ترميم وضع الذراع اليمنى، فتحولت فينوس الكابيتولينية البضة الجسد في فينوس مديتشي إلى نموذج للوقار المترفع، حيث يستدق الخط المحوِّط للجسد تدريجياً أثناء صعوده إلى أعلى حتى ينتهي إلى الرأس البراكستيلية الصغيرة، وإذا كان البعض قد أبى الاعتراف بجمال فينوس مديتشي، حتى لقد ذهب الشاعر ووردزْوُرث إلى أنه ما أن وقع بصره عليها حتى أدار لها ظهره وغلبه النعاس، فإن عدداً لا يستهان به من نقاد الفن، يأتي فنكلمان في طليعتهم، عدوا فينوس مديتشي نموذجاً للجمال الأنثوي"[١].

وكما ترى، لا يحتاج الشخص في بلاليص ستان، لكي يكون مثقفاً كبيراً، سوى أن يسير أعمى خلف اليهود والأميين في الغرب، ويلتقط عبارة مما قاله هذا، ليضعها بجوار جملة نزعها مما قاله ذاك، ويحشو ما لفقه من هنا وهناك ببعض الكلمات الأجنبية، دون ميزان ولا نقد ولا تمحيص.

وفينوس هي ربة الجمال والحب والخصوبة، في أساطير الرومان، وتقابلها أفروديتي، في أساطير الإغريق، وتمثال فينوس دي مديتشي، الذي يقول لك المثقف الكبير ثروت عكاشة، إنه: " **نموذج للوقار المترفع**"، تمثال من الرخام الأبيض، صُنع في القرن الأول قبل الميلاد، ويجسد الربة فينوس في وضع الوقوف عارية تماماً من الأمام والخلف، وتضع يدها اليمنى أمام أحد ثدييها، واليسرى أمام فرجها، فالمثقف الكبير تعامى عن أن التمثال يترجم عقيدة

---

١) دكتور ثروت عكاشة: موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، ص٦٦، ٧٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠١١م.

وثنية، ويجسد امرأة عارية، وأن الذي صنعه أوقف أمامه امرأة حقيقية عارية لكي تكون نموذجاً يحاكيه، ثم يوهم المغفلين الذين يخاطبهم بكلامه أنه لم ير في التمثال سوى الخط الصاعد من الجسد إلى الرأس الصغيرة!!

وإذا صدقه هؤلاء المغفلون، فماذا عن الرجال والشباب والأطفال الذين كانوا يرون التمثال في قصر دي مديتشي[ا]، ثم في متحف أوفيتسي Uffizi، ويتأملون تفاصيل جسد فينوس العاري، وهم يدورون حولها، فهل لن يروا فيه هم أيضاً سوى الخط الصاعد من الجسد إلى الرأس والوقار المترفع؟!

وقد أخبرناك من قبلُ، أن المركيز دي صاد هو الشخص الذي تبلورت فيه الثقافة الحديثة القائمة على إنكار الوجود الإلهي وميزانه في القيم والأخلاق، وأن الفرق بينه وبين جميع المفكرين والفلاسفة في العصر الحديث، ليس في الأفكار، بل أنه يكشف صراحة ودون تجميل ولا تمويه ولا مواربة، ما في نفوسهم ويخفونه ويموهونه في اللف والدوران، والعبارات والألفاظ المزركشة.

فإليك المركيز دي صاد الصريح، يخبرك بما أحس به ورآه في تمثال فينوس دي مديتشي، في يوميات رحلته وجولته في إيطاليا، وهو نفسه ما أحس به ورآه المثقف الكبير، ولكنه لفَّه في الوقار المترفع:

"وأول شئ ضرب بصرنا حين دخلنا الغرفة السادسة، تمثال فينوس الشهير، في آخر الغرفة، وهو أجمل عمل رأيته في حياتي، واجتاحتني مشاعر مقدسة من فرط إعجابي به، وحين تأملت تفاصيله لم أتعجب من الذين قالوا إن صانعه استخدم ٥٠٠ نموذج/امرأة عارية Model، من أجل إتمامه، ومن ثَم فهو نتاج المزج بين ٥٠٠ من أجمل نساء

ا) تمثال فينوس مديتشي، كان في قصر أسرة دي مديتشي، إلى سنة ١٦٧٧م، ثم نقله الدوق كوسيمو الثالث دي مديتشي، إلى قصر أوفيتسي، الذي شيده الدوق كوسيمو الأول، ثم تحول بعد خروج أسرة دي مديتشي من التاريخ إلى متحف أوفيتسي.

الإغريق[õ]، والتناسب في هذا التمثال السامي، وجمال وجهه الإلهي، ومنحنيات عنقه وصدره ومؤخرته البديعة، تجعله تحفة Masterpiece، تضاهي جمال الجسد الطبيعي، والتمثال يصور فينوس في وضع الوقوف مع انحناءة خفيفة إلى الأمام، لكي يُبرز ظهرها وأردافها، وتبدو وكأنها فوجئت بأحد يراها وهي عارية، فوضعت إحدى يديها أمام صدرها، والأخرى أمام الموضع الذي يمنعني الاحتشام من التصريح باسمه، ولكن يداها لا تلتصق بهذه المواضع ولا تخفيها، ولذا يمكن التمتع برؤية جمال هذه الأجزاء من جسمها"[١]!

ولا تؤاخذنا على كثرة السهو والنسيان، وما نسينا أن نخبرك به، ويفسر لك ما قرأته للمثقف الكبير دكتور ثروت عكاشة، أنه كان وزير الثقافة في عهد ثاني الآتين من الخلف، والآتون من الخلف في بلاليص ستان الشرق، ليسوا سوى نسخة مُعرَّبة من أسرة دي مديتشي في الغرب.

ومما قرأته تعرف ما الذي كانت تعنيه الثقافة في عهد ثاني الآتين من الخلف، ومن أين جاء تسمية الأفلام الإباحية بأنها أفلام ثقافية.

فنانو أسرة دي مديتشي:

وأسرة دي مديتشي في كل أجيالها، منذ كوسيمو الكبير، أول من يصل منها إلى السلطة في فلورنسا، في ثلاثينيات القرن الخامس عشر الميلادي، وحتى سقوط حكم الأسرة وانقراضها وخروجها من التاريخ، بعد موت الدوق جيان جاستوني، ابن كوسيمو الثالث، في ثلاثينيات القرن الثامن عشر، كانت تجمع اللوحات والتماثيل الإغريقية والرومانية الوثنية والعارية، وتغدق على الرسامين والنحاتين، وترعاهم وتمول أعمالهم التي هي إحياء للوثنية والإباحية، وبث للقبالاه والباطنية.

õ) تمثال فينوس مديتشي، روماني، وليس إغريقياً.

1) Marquis de Sade: Journey To Italy, P29, Translated By: James Steintrager, Ontario Arts Council, University of Toronto Press, Canada, 2020.

فإليك أسماء أشهر الرسامين والنحاتين في ذروة عصر النهضة القبالي، وهم الفنانون الذين احتضنهم كوسيمو دي مديتشي وأبناؤه وأحفاده في قصورهم وأكاديميتهم الأفلاطونية، وأغدقوا عليهم، ومولوا أعمالهم التي يترجمون فيها الوثنية والإباحية والباطنية والقبالاه التي ربوهم عليها، وأغلبهم كانوا رسامين ونحاتين في الوقت نفسه، وكانت أعمالهم هي التي غيرت أذهان عموم الناس وأفكارهم وأخلاقهم، كما أن الأكاديمية وفتشينو وبيكو كانوا أدوات صناعة النخب، ومنهم هؤلاء الفنانون أنفسهم.

ميكلوتسو دي بارتلوميو ميكلوتسي Michelozzo di Bartolomeo Michelozzi، دوناتو دي نيكولو دي باردي Donato di Niccolò di Bardi، الشهير بدوناتيللو Donatello، بِنوتسو جوتسولي Benozzo Gozzoli، جويدو بييترو Guido di Pietro، وشهرته فرا أنجيلكو Fra Angelico، فيليبو ليبي Filippo Lippi، أنتونيو ديل بولايولو Antonio del Pollaiuolo، أندريا ديل فِروكيو Andrea del Verrocchio، ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci، ساندرو بوتتشيللي Sandro Botticelli، دومنيكو جيرلانـدايو Domenico Ghirlandaio، مِيكل انجلو دي لودفيكو بوناروتي[1] Michelangelo di Lodovico Buonarroti.

وما هو أهم من أسماء هؤلاء الرسامين والنحاتين والمعماريين، لوحاتهم وتماثيلهم، التي كانت بما هو مبثوث في تفاصيلها الفنية من أفكار ورسائل، أداة تغيير وعي عموم الناس وأفكارهم وأخلاقهم، وهي في زمانها نظير أفلام هوليوود إمبراطورية اليهود في زمانك.

وهذه اللوحات والتماثيل تنقسم إلى أنواع مختلفة، فبعضها تصور الأجساد العارية، ذكوراً وإناثاً، وجميع فناني عصر النهضة، من رعايا أسرة دي مديتشي، كانوا إباحيين، وعدد كبير

---

[1]) مِيكل انجلو Michelangelo: يكتب عادة في الكتب العربية: مايكلانجلو، أو مايكل انجلو، وهو الرسم والنطق الإنجليزي للاسم، وهو بالإيطالية: مِيكلانجلو، بكسر الميم، وهي كلمة واحدة، ولكنَّا نكتبها مفرقة: مِيكل انجلو، لتسهيل نطقها على القارئ العربي.

منهم كانوا شواذاً، بسبب الحب الأفلاطوني، وسوف تلتقي بعد قليل بنماذج منهم، وترى كيف ترجموا شذوذهم في أعمالهم الفنية.

وبعض هذه اللوحات والتماثيل يجسد الأساطير الوثنية وشخوصها، ومنها ما يسرب في تفاصيله الأفكار الباطنية والقبالية، ومنها ما يجمع بين ذلك كله.

وبعضها يموه الشخصيات الوثنية في شخصيات الكتاب المقدس، فالرسام أو النحات يصور في عمله عقيدة أو قصة وثنية، ويقدمه على أنه يعبر عن فكرة أو قصة مسيحية، أو يجسد إحدى شخصيات الأساطير الإغريقية، ثم يسمي عمله باسم شخصية من الكتاب المقدس، لكي يمرره من الكنيسة، وتسمح بوضعه فيها، وأشهر عمل من هذا النوع، لوحة يوم الدينونة أو القضاء الأخير، التي موه فيها مِيكل انجلو، أبوللو إله الشمس عند الإغريق في المسيح نفسه!

وهذا التمويه لشخصيات الأساطير والفلسفة الوثنية، في شخصيات الكتاب المقدس، والدمج بينهما، تعلمه فنانو عصر النهضة من مارسيليو فتشينو، وهم إنما يحاكونه فيه.

يقول أستاذ تاريخ عصر النهضة في جامعة كاليفورنيا، جيمس هانكنز، في دراسته: كوسيمو دي مديتشي والأكاديمية الأفلاطونية:

"وكان فتشينو يمزج بين موسى وأفلاطون، وفي خطاب كتبه في سنة ١٤٨٥م، إلى براتشو مارتيللي Braccio Martelli، يقول: "عندما قرأ نيومِنيوس الفيثاغورسي Numenius The Pythagorean، وهو من أفضل الفلاسفة، كتب موسى وأفلاطون، قال إنه وجد موسى في أفلاطون، وأن أفلاطون لم يكن سوى موسى آخر يتكلم بلسان العَلي، والذين يدعونك، عزيزي براتشو، إلى الأكاديمية، يؤكدون لك أن تعاليم أفلاطون لا تختلف كثيراً عن شريعة موسى"[1].

---

1) Cosimo de' Medici And The Platonic Academy, Journal of The Warburg and Courtauld Institutes, Vol. 53, P153.

وإليك وثيقة فنية باقية، تثبت صلة فناني أسرة دي مديتشي بالأكاديمية الأفلاطونية وأعضائها، وهي لوحة الملائكة تظهر لزكريا Apparizione dell’Angelo a Zaccaria، وهي لوحة فريسكو، على أحد جدران كنيسة سانتا ماريا نوفيللا Santa Maria Novella، في فلورنسا، وقد أتمها دومنيكو جيرلاندايو، سنة ١٤٩٠م، ويظهر فيها أربعة رجال يتحدثون معا، ويرتدون زي مواطني فلورنسا .

في كتابه: حياة أبرع الرسامين والنحاتين والمعماريين Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects، وهو موسوعة في سيرة الفنانين وأعمالهم الفنية، يقول مؤرخ الفنون جورجو فاساري Giorgio Vasari، وهو نفسه من أبرز فناني أواخر عصر النهضة، وكان معاصراً لدوق توسكانيا كوسيمو الأول، وهو الذي صمم ضريح مِيكل انجلو وشيده، يقول فاساري:

"ولكي يُظهر ثراء عصره في جميع المواهب والمجالات، خاصة في مجال التعليم، وضع جيرلاندايو في اللوحة مجموعة من أربعة رجال يتحادثون معاً، ويمثلون أرقى الرجال تعليماً في فلورنسا، وأولهم، الذي يرتدي زياً كنسياً، مارسيليو فتشينو، والثاني يرتدي عباءة حمراء وشالاً أسود حول عنقه، وهو كرستوفورو لانديو Cristofano Landino، والثالث الذي يلتفت نحو لانديو، هو ديمتريوس اليوناني Demetrius The Greek، والذي يقف بينهم ويرفع يده قليلاً هو أنجلو بوليتسيانوAngelo Poliziano"[1].

وهؤلاء الرجال الأربعة، الذين سجلهم دومنيكو جيرلاندايو في لوحته، جميعهم من أعضاء أكاديمية دي مديتشي.

1) Giorgio Vasari: Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. III, P227, Translated By: Gaston du C. de Vere, Philip Lee Warner Publisher, To The Medici Society Limited, London, 1912-1915.

لوحة الملائكة تظهر لزكريا، لجيرلانـدايو، ويظهر فيها فتشينو وأعضـاء الأكاديميـة الأفلاطونيـة، فـي أقصى يسار اللوحة وأسفلها.



أعضـاء الأكاديميـة الأفلاطونيـة، فـي لوحة الملائكة تظهر لزكريا، وفتشينو في أقصى اليسار.

أبوللو وفينوس وباكوس

أبوللو:

وأكثر شخوص الأساطير الإغريقية وقصصها الوثنية، تجسيداً في أعمال فناني عصر النهضة من عبيد أسرة دي مديتشي، أبوللو، وفينوس، وباكوس.

فأما أبوللو، فهو إله الشمس والطب والموسيقى عند الإغريق، وأكثر شخصيات الأساطير الإغريقية شهرة في عصر النهضة، لأنه رمز الشمس وعقيدة الشمس الإله، أو الشمس نظير الإله في الكون المنظور، وهي كما رأيتَ، محور متون هرمس والقبالاه وفلسفة فتشينو وبيكو ديلا ميراندولا، والعقيدة التي كانوا يربون عليها تلاميذ الأكاديمية الأفلاطونية.

وأشهر عمل فني يجسد أبوللو صريحاً باسمه في عصر النهضة، هو تمثال أبوللو، لمِيكل انجلو، وكان ضمن مجموعة قصر الدوق كوسيمو الأول دي مديتشي، وهو الآن في متحف بارجيللو الوطني Museo Nazionale del Bargello، في فلورنسا، وسبب شهرته أمران، الأول أنه من أواخر أعمال مِيكل انجلو، ولم يضع عليه لمساته الأخيرة، بسبب الاضطرابات السياسية التي واكبت إخراج أسرة دي مديتشي من فلورنسا، سنة ١٥٢٩م.

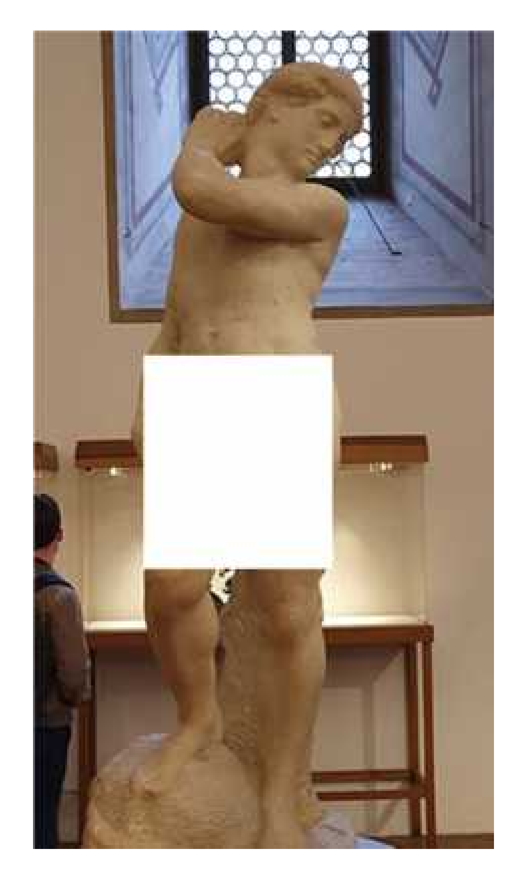
والأمر الثاني، وهو الأهم، والذي جئناك به من أجله، أن التمثال يجسد أبوللو الإغريقي ودافيد/داوود التوراتي في الوقت نفسه، وهي كما أخبرناك إحدى سمات مِيكل انجلو في عدد من أعماله، أن يجعل اللوحة أو التمثال تصويراً لإحدى شخصيات الأساطير الإغريقية الوثنية، وإحدى شخصيات الكتاب المقدس في الوقت نفسه، خصوصاً في الأعمال التي صنعها لتوضع في الكنائس!

والتمثال عار تماماً، وهي سمة أخرى من سمات أعمال مِيكل انجلو، وهو مشهور عند نقاد الفن، بأنه تمثال أبوللو– دافيد/داوود، والعكس: دافيد/داوود– أبوللو، وهذه هي بطاقة التعريف به، في متحف بارجيلو الوطني:

"**مِيكل انجلو، دافيد– أبولو** David – Apollo، **١٥٣٠م، رخام، ١٤٦ X ٤٦ X ٥٣ سم**"(١).

وفي مقالة موسوعة ويكيبيديا الإيطالية، عن التمثال، أنه:

"**طبقاً لفاساري، فهو تمثال أبوللو، ولكن في قائمة جرد محتويات قصر كوسيمو الأول، سنة ١٥٥٣م،** Inventario di Cosimo I**، أنه تمثال دافيد/داوود، ونقاد الفن يطلقون عليه اسماً مزدوجاً، أبوللو– دافيد، أو دافيد – أبوللو، وليس من المستبعد أن مِيكل انجلو نفسه بدأ العمل في التمثال على أنه دافيد/داوود، حوالي سنة ١٥٢٥م، ثم أنهاه بعد ذلك على أنه أبوللو**"(٢)!



تمثال أبوللو – دافيد، لمِيكل انجلو

---

1) National Gallery of Art Washington, Michelangelo's David-Apollo, December, 13, 2012.
2) Da Wikipedia, l'enciclopedia libera: David-Apollo.

فينوس:

وأما فينوس، فهي، كما علمتً، ربة الجمال والحب والرغبة الجنسية في أساطير الرومان، وأشهر من رسمها، ساندرو بوتتشيللي، وقد صورها في أربع لوحات، هي: مولد فينوس Nascita di Venere، وفينوس ومارس Venere e Marte، وفينوس والمحسنات الثلاث يقدمن هبة لامرأة شابة Venere e Le Tre Grazie Offrono Doni a Una Giovane، وبريمافيرا Primavera، أو الربيع.

وأشهر هذه اللوحات، لوحة مولد فينوس، ورسمها بوتتشيللي، في ثمانينيات القرن الخامس عشر، وكان تحت رعاية أسرة دي مديتشي، كغيره من فناني عصر النهضة، واللوحة رسمها بتكليف من راعيه لورنزو بيير فرانشيسكو دي مديتشي Lorenzo di Pierfrancesco de’ Medici، ابن عم لورنزو العظيم، لكي يزين بها قصره، فيللا دي كاستيللو Villa di Castello، واللوحة الآن من مقتنيات متحف أوفيتسي، في فلورنسا .

وفي اللوحة يصور بوتتشيللي أسطورة مولد فينوس وخروجها مكتملة من البحر، وتظهر فيها فينوس عارية، وشعرها متناثر في كل اتجاه، وهي تقف داخل محارة عملاقة مفتوحة تطفو على مياه البحر، وكأنها خرجت منها، وعن يمينها وإلى الخلف يطير في الهواء زفيروس Zephyrus، إله الرياح الغربية، وجالب الربيع، في أساطير الإغريق، حاملاً أورا Aura، ربة النسيم، وهما ينفخان معاً في فينوس من الخلف، لدفعها نحو الشاطئ، وعن شمالها وعلى الشاطئ قرب حافة الماء، تقف إحدى ربات الفصول Hora، حاملة معطفاً، وترفعه وكأنها تتأهب لتغطية فينوس به حين تصل إلى الشاطئ.

فإليك أولاً ما فهمه المثقف الكبير ووزير الثقافة في عهد ثاني الآتين من الخلف، من اللوحة:

"لوحة مولد فينوس، كان مقصوداً بها الإشادة بالعصر الكلاسيكي، حتى غدا المفهوم الطاغي عليها أوغل كلاسيكية من لوحة الربيع، فبدلاً من تكوينات النسجيات المرسمة التي

تتناثر شخصياتها زخرفياً أمام خلفية قوطية حافلة بالخضرة والأشجار والنباتات، نجد أن لوحة فينوس شديدة التركيز، تبرز شخوصها، كأنها لوحة من النقش البارز، فإذا بوتتشيللي يصور في اللوحة ... واختار بوتتشيللي الألوان الهادئة لتناسب هذا الموضوع الكلاسيكي، وإذا وضعات الشخوص باستثناء فينوس جانبية، وإذا الثياب رهيفة لتوحي بالخفة والحركة، ومما يلفت نظرنا بشدة رأس فينوس وشعرها الذهبي، ولعل أهم ما في اللوحة من ملامح تعبيرية، هي تلك الخطوط الراقصة الشبيهة بتصميمات راقصات الباليه، وما حملته من إيقاعات متناغمة"[١].

ولوحة بوتتشيللي، مولد فينوس، التي لم ير فيها المثقف الكبير سوى رأس فينوس وشعرها الذهبي، وراقصات الباليه، ليست سوى ترجمة فنية، لفلسفة فتشينو، عن الحب الأفلاطوني، ولعباراته الصريحة في أن مولد فينوس تعبير عن الحب الإلهي وثمرة له، وفتشينو كان أستاذاً لبوتتشيللي، في الأكاديمية الأفلاطونية، وأيضاً لراعيه والذي كلفه برسم اللوحة لورنزو بيير فرانشيسكو دي مديتشي.

في دراسته: أساطير بوتتشيللي، دراسة عن الرموز الأفلاطونية الجديدة في دائرته Botticelli's Mythologies, Study In The Neoplatonic Symbols In His Circle، والتي نشرها في مجلة معهد واربورج في جامعة لندن Journal of The Warburg Institutes، سنة ١٩٤٥م، ثم أعاد نشرها ضمن كتابه: دراسات في رموز الصور في فن عصر النهضة Symbolic Images Studies In The Art Of The Renaissance، يقول مؤرخ الفنون وأستاذ تاريخها في جامعة لندن، إرنست جومبريتش Ernst Gombrich:

"وفتشينو هو الذي أطلع لورنزو بيير فرانشيسكو، على الأهمية الروحية لمولد فينوس، وفي تعليقاته على محاورة فليبوس لأفلاطون Philebus، يقول فتشينو: "القصة كما رواها

---

١) موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، ص٢٣٨.

هزيود Hesiod، في ثيوجوني/مولد الآلهة Theogony[õ]، أن ساتورن Saturn[õ]، قام بإخصاء السماء، وألقى بالخصيتين في البحر، فوُلدت فينوس من زبد البحر الغاضب، ويجب أن نفهم أن القصة تشير إلى خصوبة جميع الأشياء، والكامنة في الروح الإلهية، فروح الإله تشرب وتنكشف داخله أولاً، ثم تصب في أرواح الأشياء ومادتها، أي البحر، وعندما تتخصب أرواح الأشياء تخلق الجمال في نفسها، بحركة صاعدة ومتحولة نحو الأشياء العلوية السامية، وبحركة أخرى هابطة تلد الجمال المحسوس في المادة، ومولد الجمال من الروح يسمى فينوس، ولأن المتعة كامنة في الجمال، وجميع الأجيال أتت من الروح، فإن فينوس عند جميع الأجيال هي نفسها المتعة"[١]، [٢].

والحب الأفلاطوني، كما علمتَ تفصيلاً، هو حب الروح أو الجوهر، التي هي من روح الإله، وسارية في جميع الموجودات، ومن ثَم فليس فيه فرق بين حب النساء وحب الرجال أو الصبيان، لأن الروح فيهم جميعاً واحدة، والحب الإلهي والتوحد بالإله هو أعلى درجة في سلم الحب الأفلاطوني، وحب الأجساد الجميلة أو الحب الجنسي درجة في هذا السلم، ولا يمكن الوصول إلى الدرجة العليا إلا بعبورها، ولذا فالرجل يحب الروح الإلهية السارية في امرأة أو

õ) هزيود Hesiod: هو الذي تُنسب له أساطير الإغريق، وعند المؤرخين الأميين أنه مؤلفها، وأنه في الوقت نفسه قروي ساذج!، وثيوجوني Theogony، أو مولد الآلهة، هي الملحمة التي ألفها هذا القروي الساذج وابتكر فيها الآلهة وأساطيرها، التي عبدها الإغريق، وأقاموا فلسفاتهم عليها، ثم أحيتها أسرة دي مديتشي في عصر النهضة، لتفاصيل أوسع ومعرفة حقيقة هزيود وملحمته، ارجع إلى كتابنا: شفرة سورة الإسراء.

õ) ساتورن Saturn: في أساطير الرومان هو إله الخصوبة والمتعة، ويقابله كرونوس Cronus، في أساطير الإغريق، وساتورن هو أيضاً اسم كوكب زحل في اللغات الأوروبية.

1) Ernst Gombrich: Botticelli's Mythologies, Study In The Neoplatonic Symbols In His Circles, Journal of Tthe Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 8, P54, 1945.

2) Ernst Gombrich: Botticelli's Mythologies, Study In The Neoplatonic Symbols In His Circles, In: Symbolic Images Studies In The Art Of The Renaissance, P72, Phaidon Publishers Inc., London, 1972.

رجل، ولكي يصل إلى الدرجة العليا والحب الإلهي، فعليه أن يعاشر جسد هذه المرأة أو هذا الرجل.

فإذا رجعت في الكتاب الذي بين يديك إلى الخلف، وذهبت إلى الحب الأفلاطوني وتيقنت من معناه وما يترتب عليه، ثم عدت إلينا، فلن تعجب إذا أخبرناك ان بوتتشيللي كان شاذاً جنسياً.

في كتابه: الشذوذ والحضارة Homosexuality And Civilization، يقول لويس كرومبتون Louis Crompton، وهو أستاذ في جامعة لندن، ومؤسس مجلة الشذوذ في بريطانيا Journal of Homosexuality، ورئيس تحريرها:

"في سنة ١٩٣٨م، اكتشف جاك مِسنيل Jacques Mesnil، في سجلات فلورنسا، ملخص تحقيق مع بوتتشيللي، بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٥٠٢م، وفيه اتهام واضح لبوتتشيللي باللواط Sodomy، ويقول: "ساندرو بوتتشيللي يحبس صبياً Si Ttiene Un Garzone"، والتحقيق يوحي بأن بينهما علاقة، وقد رفض مِسنيل هذا الاتهام، ولكن بوتتشيللي، مثل دوناتيللو ودافنشي ومِيكل انجلو، كان يكره الزواج، ويقول إن التفكير فيه يجلب له الكوابيس في نومه، ومرسمه كان يمتلئ بالصبيان من تلاميذه، وأحد الرسامين في مرسمه، بيتو بيالا Betto Pialla، حُوكم باللواط وأدين سنة ١٤٧٣م، وكان في الثامنة والعشرين من عمره، ورغم أن مِسنيل رفض التهمة الرسمية التي وُجهت لبوتتشيللي، إلا أنه لم ينكر أنه اتضح له من دراسة لوحاته أن حبه لم يكن موجهاً للنساء فقط، فلوحاته تمتلئ بالصبيان العراة"[1].

وإذا أدخلتك عبارات لويس كرومبتون في حيرة، وجعلتك تتساءل، كيف يكره بوتتشيللي الزواج ويجلب له الكوابيس، وحبه في الوقت نفسه ليس موجهاً للنساء وحدهم، أي أنه يحب النساء، فإليك الإجابة.

---

1) Louis Crompton: Homosexuality And Civilization, P284-285, Harvard University Press, 2003.

في الحب الأفلاطوني، حب الجسد ومعاشرته في أدنى السلم، للوصول إلى الحب الإلهي في أعلاه، لا علاقة له بالزواج والأسرة، ولا بكون المرأة التي يحبها الرجل ويعاشرها متزوجة من غيره أم لا، لأن الروح السارية في المتزوجة هي نفسها التي في الخالية من الزواج!

ولذا لن تعجب مرة أخرى، إذا علمتَ أن بوتتشيللي كان يكره الزواج ويجلب له الكوابيس، ولكن كان له عشيقات متزوجات وغير متزوجات.

وقبل أن نترك بوتتشيللي، نعرفك بشئ واحد بخصوص لوحته بريمافيرا، أو الربيع، لتستكمل صورة عصر النهضة القبالي، ومنظومة الأفكار والأخلاق التي أشاعتها أسرة دي مديتشي فيه.

لوحة بريمافيرا، تَظهر فيها فينوس، وفلورا **Flora**، ربة الزهور والربيع، وميركيوري **Mercury**، إله التجارة والمال واللصوص في أساطير الرومان!، وكيوبيد إله الحب، وربات الحُسن والإحسان الثلاث، وزفيروس إله الرياح، داخل بستان من الأشجار.

وميركيوري الذي في لوحة بريمافيرا، هو جوليانو دي مديتشي، أخو لورنزو العظيم، وفلورا في اللوحة هي عشيقته سيمونتّا فسبوتشي Simonetta Vespucci، وبوتتشيللي رسمهما في لوحته في صورة ميركيوري وفلورا، تخليداً لحبهما الأفلاطوني!

في دراستها: كشف الأنوثة الإلهية، لوحات بوتتشيللي بريمافيرا، ومولد فينوس Unveiling The Divine Feminine, Botticelli’s Primavera And The Birth of Venus، تقول أستاذة الدراسات الدينية في جامعة كِنت البريطانية، أنجيلا فوس:

"وميركيوري في بريمافيرا، هو جوليانو دي مديتشي، وفلورا هي سيمونتّا فسبوتشي، أجمل امرأة في فلورنسا، وقد وضعها بوتتشيللي في لوحته على شرف جوليانو، تذكاراً للحب اللطيف Courtly Love، أو الحب الأفلاطوني Platonic Love، وكانت سيمونتّا متزوجة، وكما سنرى، فإن الحب الجسدي الشهواني Erotic Love، يقع في قلب فلسفة

أفلاطون عن صعود الروح وتساميها، ولذا كان حب جوليانو لسيمونتًّا جزءًا من تعليمه الأفلاطوني، وكان هذا الحب مشهوراً في فلورنسا، وخلده الشاعر بوليتسيانو Poliziano، في ملحمة لاجوسترا/البطولة Epic La Giostra، سنة ١٤٧٨م"[1].





جوليانو دي مديتشي في صورة ميركيوري، وسيمونتًّا فسبوتشي في صورة فلورا، في لوحة بريمافيرا لبوتتشيللي

باكوس ويوحنا المعمدان:

وأما باكوس **Bacchus**، فهو إله الخمر وابن جوبيتر كبير الآلهة في أساطير الرومان، ويناظر ديونيسيوس **Dionysus**، في أساطير الإغريق.

وأشهر عملين يجسدان باكوس في عصر النهضة، تمثال باكوس، لمِيكل انجلو، ولوحة باكوس لدافنشي.

---

1) Angela Voss: Uveiling The Divine Feminine, Botticelli's Primavera And The Birth of Venus, P12, Wise Studies, Sep 22, 2020.

ولست في حاجة إلى أن نذكرك، بأننا نأتيك بهذه اللوحات والتماثيل، لا لتقف أمامها كالأبله وتتفرج عليها وأنت تائه في تفاصيلها، مثل الأميين في الغرب وبقر بلاليص ستان في الشرق، بل لنكشف لك الأفكار التي تترجمها والرسائل التي تنبعث منها، وما فيها من خفايا وأسرار لا يدركها هؤلاء الأميون والبقر، ولنعرفك بعلاقتها بأسرة دي مديتشي وما بثوه في عصر النهضة، وبتكوين الرسامين والنحاتين الذين قاموا بصنعها.

وتمثال باكوس لمِيكل انجلو، من الرخام، وكان قد صنعه من أجل أحد رعاته، وهو الكاردينال رافاييل رياريو Raffaele Riario، ولكن الكاردينال حين رآه رفضه، فاشتراه منه مِيسر جاكوبو جاللي Messer Jacopo Galli، وهو مرابي يهودي من روما، والتمثال محفوظ الآن في متحف باراجيلو الوطني في فلورنسا.

والتمثال:

"يصور باكوس شاباً عارياً في وضع الوقوف، وجسده يميل إلى الخلف، وفي يده اليسرى عنقود عنب وجلد نمر، إشارة إلى أن متعة شرب الخمر تفضي في النهاية إلى فقدان الحياة، وفي يده اليمنى كأس خمر يرفعها ليشرب منها، ورأسه مائلة إلى الأمام، وعيناه تحدق في كأس الخمر، وهي زائغة وداعرة Wandering And Wanton، كما تبدو في مدمني الخمر، من السُكر، وبطنه ممتلئة، وثدياه ممتلئان بارزان، وخلف جسد باكوس يجلس على جذع شجرة، وفي وضع جانبي صبي أو غلام لطيف الوجه وبض الجسد عارياً، هو ساتيروس Sátyros[١].

وساتيروس أحد أرواح الطبيعة في أساطير الإغريق، ويرتبط فيها بالشهوة العارمة وممارسة الجنس مع الأنثى نيمف **Nymph**، وهي روح أخرى من أرواح الطبيعة، ويرتبط أيضاً بالشذوذ، والصورة النمطية لساتيروس، في أساطير الإغريق، وفي أعمال عصر النهضة الفنية، على خلاف تمثال مِيكل انجلو، أنه رجل عارٍ خشن الملامح وله لحية، وفي بعض

---

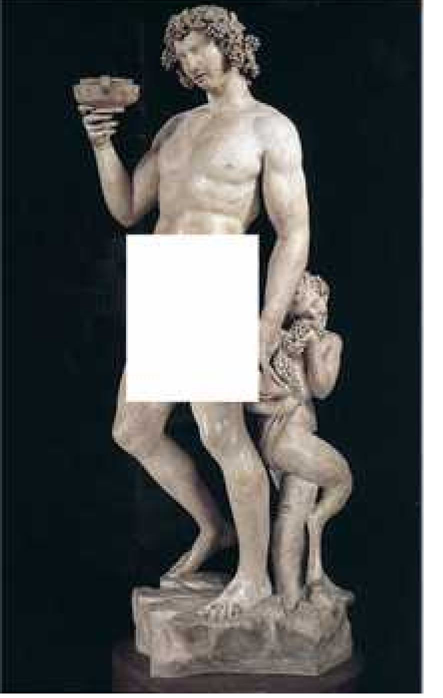
1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P13.

الأحيان له ذيل، وعضوه الذكري منتصب، وبعض هذه الأعمال تصوره في أوضاع جنسية، وهو يعاشر نيمف في الطبيعة، أي في العراء.

وفي الجزء التاسع من كتابه: حياة أبرع الرسامين والنحاتين والمعماريين، والذي خصص نصفه تقريباً لصديقه مِيكل انجلو، يقول مؤرخ الفنون جورجو فاساري، ضمن وصفه للتمثال:

"في هذا التمثال، من الواضح أن مِيكل انجلو يريد أن يصل إلى مزج رائع بين أجزاء مختلفة من الجسم، وتحديداً أن يعطيه نحول الذكر الشاب Slenderness، وامتلاء الأنثى واستدارتها Fleshiness And Roundness"(١).

والتفسير الحقيقي لتمثال باكوس إله الخمر العاري وجسده الذي يجمع بين الذكورة والأنوثة، ولساتير الغلام العاري البض الجسم، الذي يلتصق به من الخلف، وهو التفسير الذي حجبه فاساري، لكي يحفظ لصديقه صورة الفنان العبقري نقية خالية من الشوائب، أن مِيكل انجلو كان شاذاً ومدمناً للخمر، مثل غيره من فناني أسرة دي مديتشي.



تمثال باكوس، لمِيكل انجلو

1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P13.

وسوف نحدثك عن مِيكل انجلو وصلته بأسرة دي مديتشي، عند لوحته الشهيرة يوم الدينونة، لأننا في الحقيقة جئناك بباكوس، ليس من أجل مِيكل انجلو، بل من أجل دافنشي ولوحتيه باكوس ويوحنا المعمدان.

ولوحة باكوس، ثمة خلاف بين مؤرخي الفنون، هل هي من رسم دافنشي نفسه، أم أن أحد تلاميذه رسمها تحت إشرافه، وتلميذا دافنشي اللذان يعتقد هؤلاء المؤرخون أن أحدهما قد يكون هو الذي رسم لوحة باكوس، إن لم يكن دافنشي نفسه، هما شيزاري دي سيستو Cesare da Sesto، وشيزاري برنتسايو Cesare Bernazzano، ولكن لا خلاف بينهم على صلة دافنشي باللوحة، سواءاً برسمها، أو بالإشراف على من رسمها وتوجيهه، لأن الشخص الذي في اللوحة على أنه باكوس، هو نفسه يوحنا المعمدان في لوحة القديس يوحنا المعمدان، وهي من رسم دافنشي بلا خلاف.

فأما لوحة باكوس، فهي الآن من مقتنيات متحف اللوفر في باريس، وتصور باكوس في صورة شاب عارٍ إلا من جلد فهد حول وسطه، وشعره ناعم طويل وينسدل على رقبته وحتى أكتافه، وعليه تاج من ورق العنب، وهو جالس داخل منظر في الطبيعة، يستند إلى جذع شجرة، ويضع ساقه اليسرى على اليمنى، ويرفع يده اليمنى مثنية أمام صدره، ويشير بإصبعها السبابة في اتجاه كتفه الأيسر، أو إلى شئ أعلاه، ويده اليسرى تتدلى إلى جواره، ويمسك في قبضتها عصا طويلة يوقفها إلى جواره، وسبابتها تشير إلى الأرض.

وأما لوحة يوحنا المعمدان، فهي آخر لوحة رسمها دافنشي، وتوجد الآن في متحف اللوفر أيضاً، وهي لوحة نصفية، ويوحنا المعمدان فيها هو نفسه الشاب الذي في لوحة باكوس، ويظهر في اللوحة نصفه الأعلى فقط، في وضع الوقوف، وسط ظلال داكنة، وجسده ورأسه يميلان في دلال جهة اليسار، ويرفع يده وسبابته اليمنى إلى الأعلى، بالضبط مثل باكوس في لوحته.

وليوناردو دافنشي، كان يقوم برسم لوحات في الكنائس، وبتكليف منها، ويأخذ منها في مقابل ذلك مالاً كثيراً، وأشهر أعماله في الكنائس، لوحة العشاء الأخير، ولكنه كان يؤمن

بالوجود الذاتي للكون، أي أن الكون لا بداية له في الزمان ولا نهاية، ولم يكن يحضر القداس إلا إذا اضطر إلى ذلك، وكان يتعمد العمل يوم الأحد لكي لا يذهب إلى القداس، وكان ينبش القبور من أجل تشريح أجساد الموتى لمعرفة صفات الأجسام وتكوينها ونِسبها التشريحية لكي يوظفها في لوحاته.

وقد أخبرناك أن من سمات فناني أسرة دي مديتشي وعصر النهضة، تمويه شخصيات الأساطير الوثنية في شخصيات الكتاب المقدس، ولكن الوضع في لوحة باكوس معكوس، وباكوس في لوحته، هو في الحقيقة يوحنا المعمدان.

في دراسته: ترميم عمل لأندريا سارتو، مع ملاحظات على صلته بأسلوب ليوناردو A Recovered Work of Andrea del Sarto With Some Notes On a Leonardesque Connection، التي نشرها في مجلة بيرلنجتون للفنون The Burlington Magazine، وهي عن لوحة يوحنا المعمدان لسارتو، أحد فناني القرن السادس عشر، والتي يحاكي فيها لوحة دافنشي عن المعمدان، يقول أستاذ الفنون وتاريخها في جامعة هارفارد، سيدني جوزيف فريدبيرج **Sydney Joseph Freedberg**، عن لوحة باكوس لدافنشي:

"**ولوحة سارتو تقودنا حتماً إلى ليوناردو ... ولا يمكننا تجنب قراءة لوحة باكوس، على أنها خلط Conflation، بين يوحنا المعمدان وباكوس الوثني، واللوحة المثيرة المحفوظة الآن في اللوفر، ظهرت تاريخياً على أنها يوحنا المعمدان، ثم تغير اسمها، ربما في القرن السابع عشر، إلى باكوس، والشخص الذي في اللوحة، لا يبدو متسقاً مع شخصية يوحنا المعمدان التي يُفترَض أن يعبر عنها، ولا مع الصور المسيحية عموماً، فالشاب الذي فيها صغير وسيم بض الجسم، في العشرينيات من عمره، وملامحه وتاج ورق العنب الذي على**

رأسه، وجلد الفهد حول وسطه، تجعله تصويراً للجمال، مثل الأعمال الوثنية القديمة، وهو يشبه من عدة وجوه تمثال باكوس لمِيكل انجلو في روما، الذي سبقه بعشر سنوات"[١].

وإليك ما لم يخبرك به مؤرخ الفنون وأستاذ تاريخها، عن دافنشي ولوحاته والشاب الجميل الذي رسمه فيها.

مثل مِيكل انجلو وبوتتشيللي ودوناتيللو، وجل فناني أسرة دي مديتشي، كان دافنشي شاذاً جنسياً، وكان يختار تلاميذه ومن يتخذهم نماذج لرسمهم في لوحاته صبياناً وشباباً من ذوي الوجه الحسن والقوام الجميل، ليمارس معهم شذوذه الجنسي.

وقد صرتَ تدرك الآن أن وصف ما كانوا يفعلونه بالشذوذ من عندنا نحن، أما بالنسبة لهم هم فلم يكن شذوذاً ولا إثماً، بل كان تعبيراً عن حبهم الأفلاطوني لروح من يمارسون معهم الشذوذ، ودرجة في الطريق إلى الحب الإلهي!

وهو ما يخبرك به صريحاً أستاذ الفنون وتاريخها في جامعة مدينة نيويورك، جيمس ساسلو James Saslow، في كتابه: صور ومشاعر، تاريخ الشذوذ الجنسي في الفنون البصرية Pictures And Passions, A History of HomosexualityIn The Visual Arts، ضمن تفسيره للوحة يوحنا المعمدان لدافنشي:

"**وقد ترك ليوناردو ألفي صفحة من المذكرات والملاحظات، ومنها أعاد سيجموند فرويد Signund Freud، بناء شخصيته وعالمه الداخلي المعقد، خصوصاً فزعه من أن تؤثر عواطفه ورغباته على عقله وعمله وعلاقاته، ورغم ضعفه أمام الصبيان، كان يبتعد عن تصوير الأعضاء الجنسية الصريحة، وشخصية مثل القديس يوحنا المعمدان تستدعي**

---

1) Sydney Joseph Freedberg: A Recovered Work of Andrea del Sarto With Some Notes On a Leonardesque Connection, Burlington Magazine, Vol. 124, No. 950, May, 1982, P285.

مفهوم أفلاطون في سيمبوزيوم عن الحب ... وليوناردو كان يُعرِّف الشذوذ على أسس أفلاطونية Defined Sodomy On Platonic Ground"[١].

وفي كتابه: صداقة محرمة، الشذوذ وثقافة الذكور في فلورنسا في عصر النهضة Forbidden Friendships, Homosexuality And Male Culture In Renaissance Florence، يقول أستاذ دراسات عصر النهضة في جامعة هارفارد، مايكل روكي Michael Rocke:

"في سنة ١٤٧٦م، وجهت ضباط الليل Officers of The Night [õ]، اتهاماً لأربعة أشخاص، أحدهم دافنشي، بممارسة الشذوذ مع جاكوبو أندريا سالتاريللي Jacopo D'Andrea Saltarelli، وهو شاب في السابعة عشرة، وكان يعمل كموديل مع دافنشي، وهناك احتمال كبير بتورط دافنشي، رغم أن المحكمة برأته، وقبلها وفي السنة نفسها، كانت المحكمة قد أدانت شاباً في الرابعة والعشرين بممارسة الشذوذ مع سالتاريللي، وعِشق دافنشي للصبيان كان معروفاً حتى في زمانه في القرن السادس عشر"[٢].

وهذا هو نص الاتهام الذي تم توجيهه لدافنشي، يقول مؤسس مجلة الشذوذ في بريطانيا ورئيس تحريرها، لويس كرومبتون، في كتابه: الشذوذ والحضارة:

"في ٨ أبريل ١٤٧٦م، وقبل أسبوع من يوم ميلاده الرابع والعشرين، ظهر اتهام من مجهول في صندوق الشكاوى Tamburo، أمام مقر مجلس السيادة، ونصه: "جاكوبو سالتاريللي، شاب في السابعة عشرة، ويرتدي زياً أسود، كان موضعاً لأفعال فاحشة، ووافق على أن يشترك عدة أشخاص في التمتع به، وقد فعل ذلك مرات كثيرة مع عدد من

---

1) James Saslow: Pictures And Passions: A History of Homosexuality In The Visual Arts, P90, 114, Viking Publisher, New York, 1999.

õ) ضباط الليل Ufficiali della Notte: منظمة أسستها السلطات في فلورنسا، خصيصاً من أجل مكافحة البغاء والشذوذ الذي تفشى في المدينة.

2) Michael Rocke: Forbidden Friendships, Homosexuality And Male Culture In Renaissance Florence, P298, Oxford University Press, 1996.

الأشخاص، وهذه أسماء بعضهم: بارتلوميو دي باسكوينو Bartlomio De Pasquino، حدَّاد، ليونـاردو دي سـير بييـرو دافنشـي، الـذي يعـيش مـع أنـدريا دي فيروكيـو، باتشـينو Baccino، خيـاط، وإنـا أتقـدم لكـم بهـذه الشـكوى ضـد سـالتاريللي ومـن يمارسـون معـه الشذوذ"، واسم جاكوبو كان معروفاً لضباط الليل، منذ شهر يناير، عندما اعترف رجل آخر بممارسة الشذوذ معه، وبعد التحقيق مع دافنشي، أخلت المحكمة سبيله على ألا يظهر اسمه في هذا الموضوع مرة أخرى، ولكن الاتهام تكرر مرة أخرى في ٧ يونيو"[١].

ويضيف لويس كرومبتون:

"وفي كتاب الأحلام Libra Del Sogni، الذي كتبه سنة ١٥٦٠م، وضع مؤرخ الفنون والناقد جيان باولو لوماتسو Gian Paolo Lomazzo، محاورة تخيلها بين دافنشـي والنحـات الإغريقـي فيـدياس Phidias، عـن العلاقـة بـين دافنشـي وسـالاي Salai، أحد تلاميذه وموديلاته، وعنوانها: حب الذكور L'Amore Maschile، وفيها يسأله فيدياس: "هل فعلت الفعلة من الخلف، فالفلورنسيون يعشقون ذلك Did You Play The Game From Behind"؟ فرد عليه دافنشي: "ومرات عديدة And How Many Times"[٢].

وسالاي، الذي سأل لوماتسو، على لسان فيدياس، دافنشي، عن علاقته به، وهل كان يفعل به من الخلف، هو اسم التدليل الذي كان ينادي به دافنشي تلميذه وأقرب نموذج وموديل إلى قلبه، وقد قدِم إلى دافنشي سنة ١٤٩٠م، وهو في العاشرة، وكان دافنشي في الثامنة والثلاثين، ولازمه فـي مرسمه وبيتـه ورحلاتـه فـي إيطاليا وفرنسـا، إلـى أن مـات دافنشـي، سـنة ١٥١٩م، وسـالاي هـو الاسـم الـذي كـان هـو نفسـه يوقـع بـه لوحاتـه، واسـمه الحقيقـي جيـان جيـاكومو كابروتي دا أورينو **Gian Giacomo Caprotti da Oreno**.

---

1) Homosexuality And Civilization, P265.
2) Homosexuality And Civilization, P267.

ويقول مؤرخ الفنون جورجو فاساري، في وصف سالاي وعلاقة دافنشي به:

"وفي ميلانو، اتخذ مساعده سالاي، وكان غاية في الوسامة والجمال، وله شعر ناعم مجعد، وكان دافنشي مولعاً به In Which Leonardo Greatly Delighted، وعلَّمه أشياء كثيرة في فن الرسم، وبعض الأعمال الفنية كان يقوم بها سالاي، ثم يضع عليها دافنشي لمساته"[١].

وأشهر لوحة رسمها سالاي، هي لوحة الموناليزا، ويحاكي فيها لوحة الموناليزا الشهيرة لدافنشي، مع فرق واحد، أنه رسمها عارية!

وأهم من اللوحات التي رسمها سالاي، اللوحات التي رسمه دافنشي فيها، ومن هذه اللوحات، لوحة الملاك المتجسد Angelo Incarnato، ورسمها دافنشي بالفحم أو الطباشير الأسود، وهي محفوظة في متحف اللوفر، وفيها يصور النصف الأعلى من جسد سالاي عارياً، من رأسه حتى بداية ساقيه، وشعره طويل، ويقف متثنياً، ويبدو أقرب للأنوثة من الذكورة، لولا أن عضو ذكورته منتصب في أسفل اللوحة!

وقد ترك دافنشي سجلات عديدة Folios، تحوي اسكتشات أو رسومات بخط اليد، بعضها من رسمه، وبعضها من رسم تلاميذه الذين كانوا يقيمون في مرسمه، وفي أحد هذه السجلات اسكتش، يُرجح نقاد الفن أنه من رسم أحد تلاميذ دافنشي، والاسكتش ليس فيه أجسام ولا وجوه، ويظهر فيه فقط عضوان ذكريان منتصبان يتجهان نحو فتحة شرج!

وقد تسأل: ولماذا يكون الشخص العاري المنتصب الذكر في لوحة الملاك المتجسد هو سالاي تحديداً، فربما يكون أي شخص آخر، من تلاميذ دافنشي، أو

1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IV, P99.

مـن غيـر تلاميـذه، وكـذلك فتحـة الشـرج التـي تتجـه أعضـاء الـذكورة لاختراقهـا فـي الاسكتش، لماذا افترضوا أنها لسالاي تلميذ دافنشي ومويله المولع به؟

فإليك الإجابة:

فـي موسـوعته: المثليـون فـي التـاريخ، موسـوعة مشـاهير الشـواذ والسـحاقيات ومزدوجـي الجـنس والمتحـولين جنسـياً فـي التـاريخ Queers In History, The Comprehensive Encyclopedia of Historical Gays, Lesbians Bisexuals, And Transgenders، يقـول المـؤرخ الأمريكـي كيـث سـتيرن Keith Stern:

"وعلـى ظهـر لوحـة المـلاك المتجسـد يظهـر اسـم سـالاي Appears The Name of Salai"[١].

وأمـا فتحـة الشـرج التـي تتجـه نحوهـا أعضـاء الـذكورة، فليسـت بحاجـة إلـى مـؤرخين، لأنه مكتوب حولها في نصف دائرة اسم سالاي بخط دقيق!!

وبقـي أن تعلـم أن سـالاي، الـذي تعـرف الآن صـفته ومـن يكـون، هـو النمـوذج أو الموديل الذي رسمه دافنشي على أنه باكوس ويوحنا المعمدان!

في كتابه: صور ومشاعر، تاريخ الشذوذ الجنسي في الفنون البصرية، يقول أستاذ الفنون وتاريخها، جيمس ساسلو:

---

1) Keith Stern: Queers In History, The Comprehensive Encyclopedia of Historical Gays, Lesbians Bisexuals, And Transgenders, P276, BenBella Books, Texas, 2009.

"وصبَّ ليوناردو حساسيته الشديدة لجمال الذكور، في الخنوثة الغامضة **Mysterious Androgyny**، التي صور فيها الملائكة والقديسين والمسيح في لوحاته، وفي عدة لوحات صوَّر المسيح ويوحنا المعمدان كصبيان، وفي لوحته الأخيرة يوحنا المعمدان صور المعمدان أكبر سناً، ومزج فيه بين ملامح الذكورة واستدارة الأنوثة وامتلائها، وهو النموذج الأعلى للجمال، الذي يجسده سالاي، وجاذبية يوحنا المعمدان الحسية في اللوحة، تزيد منها الظلال الداكنة التي تحيط به، وشعره الطويل المتموج، وابتسامته الغامضة المشحونة بالفتنة والإغراء **Seduction**"(١).



الملاك المتجسد   يوحنا المعمدان   باكوس

ثلاث لوحات لدافنشي

---

1) Pictures And Passions: A History of Homosexuality InThe Visual Arts, P89-90.

وقبل أن نترك أبوللو وفينوس وباكوس، ينبغي أن تعلم أن المسألة لا تتعلق فقط بما تكشفه هذه اللوحات والتماثيل من عري من أبدعوها وإباحيتهم وشذوذهم، وهو الجانب الذي اقتصر عليه من نقلنا لك عنهم من المؤرخين الأميين، سواءً كانوا من مؤرخي الفنون، أو من مؤرخي الشذوذ، أو مؤرخي التاريخ العام.

فهذه اللوحات والتماثيل في زمانها، كما علمتَ، وسيلة لإزاحة مسألة الألوهية من أذهان من يرونها، وتذويب منظومة القيم والأخلاق التي ترتبط بها، وإحلال العقائد الوثنية محلها، ومعها منظومة القيم المنحلة التي تفرزها.

فعندما يدخل رجل أو شاب أو طفل إلى الأماكن التي توجد فيها هذه اللوحات والتماثيل، وقد كانت توضع في ساحات القصور وقاعاتها المفتوحة للزيارة، أو إلى المتاحف التي وُضعت فيها بعد ذلك، ويرى أبوللو وفينوس وباكوس، فسوف يسأل: مَن هؤلاء، فيكون الرد عليه بحكاية قصصهم وأساطيرهم، دون نقدها وبيان وثنيتها وما فيها من فساد أخلاقي، بل وبعرضها في صورة من التمجيد والتفخيم لمن أبدعوا هذه الأعمال وللشخوص التي تصورها، بالضبط كما ترى إذا دخلت أي متحف في زمانك، وهكذا يتم ضخ العقائد الوثنية في أذهان من يرون الأعمال الفنية، وإزاحة مسألة الألوهية بها، وكذلك استنفار غرائزهم وربطهم بالعري والإباحية التي تجسدها هذه الشخصيات، وتعويدهم وتربيتهم على منظومة القيم المنحلة والعلاقات المحرمة والشاذة التي في قصصها وبين شخوصها وتسري في تفاصيلها، كما تفعل أفلام هوليوود إمبراطورية اليهود، ومن يحاكونها من بقر بلاليص ستان.

العشاء الأخير

في سنة ٢٠٠٣م، صدرت رواية شفرة دافنشي **The Da Vinci Code**، للروائي الأمريكي دان براون Dan Brown، فأثارت ضجة هائلة، وتُرجمت إلى عشرات اللغات، وانتشرت في كل مكان من العالم، وبيع منها عشرات الملايين من النسخ، واندلعت بسببها معارك دينية وسياسية في عدة بلدان، وأصدرت كنائس المذاهب المسيحية المختلفة بيانات في إدانتها وتحريم قراءتها، ثم حولتها هوليوود إمبراطورية اليهود إلى فيلم، سنة ٢٠٠٦م.

والمسألة الرئيسية في الرواية، التي شهرتها وأثارت ما أثارته من معارك، أن المسيح كان متزوجاً من مريم المجدلية، وحين صُلب حسب الاعتقاد المسيحي، كانت حاملاً منه، ثم فرت بحملها إلى فرنسا، حيث أنجبت هناك ابنة، وأن نسل المسيح من المجدلية ظل موجوداً في فرنسا، وما زال موجوداً إلى زماننا هذا، وثمة منظمة سرية تقوم على حراسة هذا النسل وحفظ هذا السر، عبر التاريخ، ومنظمة فرسان الهيكل كانت التنظيم العسكري التابع لها، وليوناردو دافنشي كان رئيس هذه المنظمة السرية في زمنه، وفي لوحته العشاء الأخير وضع رموزاً يحفظ بها السر ويخبئه في الوقت نفسه، وأن مريم المجدلية نفسها، هي التي تجلس عن يمين المسيح في اللوحة.

ورواية شفرة دافنشي والفيلم، نموذج مثالي على ما أخبرناك به من قبل، مِن أن وسائل الإعلام والخطاب العام في كل عصر، ليست سوى أدوات في يد فئة واحدة تتوارثها جيلاً بعد جيل، وتتوارث تحديد وظيفتها وسماتها، وأن ما تفعله منذ زمان اللوحات والتماثيل وأسرة دي مديتشي، وحتى زمان هوليوود والإنترنت، ليس سوى إحياء الأفكار الوثنية والباطنية والطعنات الموجهة للمسيحية في الغرب، وللديانات الكتابية عموماً، وتجديدها، والجديد فيها هو فقط أساليب إحيائها ووسائل بثها والأغلفة التي تُلَف وتقدم فيها.

فأما فرضية أن لوحة العشاء الأخير لدافنشي تحوي رموزاً سرية، وأن الجالس عن يمين المسيح فيها، ليس يوحنا التلميذ، كما هي عقيدة المذاهب المسيحية التقليدية، فقد أخذها دان

براون، من كتاب: كشف سر فرسان الهيكل The Templar Revelation، الذي ألفه لين بيكنيت Lynn Picknett، وكلايف برنس Clive Prince، وصدر سنة ١٩٩٧م، واسم رواية دان براون: شفرة دافنشي، هو نفسه عنوان الباب الأول من كتاب بيكنيت وبرنس، وهو: شفرة دافنشي السرية The Secret Code Of Leonardo Davinci[١].

وأما أن المسيح تزوج من المجدلية وكان له منها ابنة ونسل، فقد أخذها دان براون من كتاب: الدم المقدس والكأس المقدسة The Holy Blood And The Holy Grail، الذي ألفه مايكل بيجينت Michael Baigen، وريتشارد لي Richard Leigh، وهنري لنكولن Henry Lincoln، وصدر سنة ١٩٨٢م[٢].

والقول بزواج المسيح من مريم المجدلية، مسألة عريقة، وأقدم من دان براون، ومن مؤلفي كتاب الدم المقدس والكأس المقدسة، وازدهارها كان في فرنسا، في عصر هيمنة فرسان الهيكل عليها!

وما ينبغي أن تعرفه أولاً، أن مريم المجدلية، حسب الأناجيل الرسمية وعقيدة المذاهب المسيحية التقليدية، امرأة خاطئة ثم تابت وآمنت بالمسيح، وكانت تتبعه لتسمع عظاته، وشهدت مع السيدة مريم العذراء صلبه ودفنه وقيامته من القبر، حسب الاعتقاد المسيحي، وليس في هذه الأناجيل أنه كان بينها وبين يسوع علاقة غير ذلك.

وفي إنجيل لوقا: "**١وَعَلَى أَثَرِ ذلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ. ٢وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ، و ...**"[٣].

---

1) Lynn Picknett And Clive Prince: The Templar Revelation, Transworld Publishers Ltd, UK, 1997.
2) Michael Baigen, Richard Leigh And Henry Lincoln: The Holy Blood And The Holy Grail, Jonathan Cape, London, 1982.
٣) لوقا : ٨: ١-٢.

وفي إنجيل يوحنا:

"١١أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، ١٢فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا. ١٣فَقَالاَ لَهَا:«يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا:«إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». ١٤وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ١٥قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ:«يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ». ١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. ١٧قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ:إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ»[١].

وأسطورة زواج المسيح من المجدلية، تستند إلى عبارات في إنجيل فيليب، وهو أحد الأناجيل غير القانونية، التي لا تعترف بها مذاهب المسيحية جميعها، وفيليب الذي ينسب له الإنجيل أحد تلاميذ المسيح.

وإنجيل فيليب كان معروفاً في العصور الوسطى، إلا أنه لم تكن له نسخة كاملة، وفي سنة ١٩٤٥م، اكتُشفت مخطوطة قبطية له، تعود إلى القرن الثالث الميلادي، ضمن عدد كبير من المخطوطات المسيحية المكتوبة بالإغريقية والقبطية، وتعرف باسم مخطوطات نجع حمادي، حيث تم اكتشافها، وقد نشر نصه القبطي مع ما يقابله من الترجمة إلى الفرنسية المؤرخ الكنسي وعالم اللاهوت الفرنسي جان إيف ليلوب Jean Yves Leloup.

وفي إنجيل فيليب:

"٣٢: كان هناك ثلاثة يمشون دائماً مع الرب، ماري/مريم أمه، وأخت أمه، ومريم التي من مجدالا التي تُعرف بأنها رفيقته Companion/Koinonos، فمريم بالنسبة له كانت

---

١) **يوحنا:٢٠: ١١-١٧.**

الأم، والأخت، والرفيقة ... ٥٥: ورفيقة الابن، مريم التي من مجدالا Miriam of Magdala، كان المعلم يحبها أكثر من جميع تلاميذه، وكان أحياناً يُقبلها على فمها "Often Kissed Her On The Mouth"[١].

وعبارات إنجيل فيليب، كما ترى، تصف المجدلية بأنها كانت رفيقة المسيح، وليست حتى زوجته، وأنه كان يقبلها من فمها علناً أمام تلاميذه، وهو ما يتنافى مع صفة المسيح عليه السلام في الإسلام والمسيحية معاً، ويؤكد أن إنجيل فيليب مكذوب، إذ لو كان كاتبُه تلميذَ المسيح لما وصفه بهذا الفعل الشائن، وهو يعلم أنه محرم في اليهودية التي وُلد المسيح فيها، وفي المسيحية التي جاء بها، ويحط من قدره كإنسان، فضلاً عن كونه في الاعتقاد المسيحي الإله أو ابن الإله.

ورغم عبارات إنجيل فيليب المبتذلة، عن علاقة المسيح بمريم المجدلية، فليس هو مصدر ازدهار هذه الأسطورة وذيوعها في أوروبا، بل جماعات الكاثار، في معقل منظمة فرسان الهيكل وتحت رعايتها، ثم توارثتها الحركات السرية عبر التاريخ، خصوصاً في فرنسا.

وإبان القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر، قرني فرسان الهيكل، تحولت مقاطعة لانجدوك Languedoc، جنوب فرنسا، وهي مقر فرسان الهيكل الرئيسي في أوروبا ودولتهم المستقلة، إلى مأوى للملحدين والمهرطقين والسحرة وعبدة الشيطان، واجتمعت فيها جميع الطوائف والجماعات الكافرة بالمسيحية والمتمردة على الكنيسة الكاثوليكية.

والكاثار Cathar، طائفة ملحدة ظهرت في جنوب أوروبا وشمال إيطاليا ووسطها، خلال القرن الثاني عشر، وواكب ظهورها ازدياد قوة منظمة فرسان الهيكل وسيطرتها على الحياة العامة في أوروبا، وكانت تضم خليطاً من الوثنيين والسحرة والمتمردين على الكاثوليكية، ثم ازدهرت ازدهاراً كبيراً، واستقرت جماعات كبيرة منها في لانجدوك جنوب فرنسا، معقل فرسان

---

1) Jean-Yves Leloup, The Gospel of Philip, Translated From Coptic With Commentry, P65, 83, Translated From French By: Joseph Rowe. Inner Traditions, Rochester, Vermont, 2004.

الهيكل، فاستشرى فيها الإلحاد، وتفشت الهرطقة، وانتشرت الإباحية، وتهاوى سلطان الكنيسة على أهلها، وكانت ديانتهم تنقض المسيحية وتمتلئ بالرموز والطقوس الوثنية، وتؤمن بإلهين منفصلين، وبتناسخ الأرواح، وابتكروا القداس الأسود Messe Noire، وهو قداس كانوا يقيمونه في جوف الغابات وبطون الوديان ورؤوس الجبال، ويعبدون فيه الشيطان، ويسبون المسيح، ويبصقون على الصليب، ويمارسون كل صنوف الفاحشة والشذوذ.

ومع استشراء الإلحاد والهرطقة وفقدان الكنيسة لنفوذها، شن سيمون دي مونتفورت Simon de Montfort، إيرل ليسستر في انجلترا Earl of Leicester، سنة ١٢١٠م ، حملة صليبية على الكاثار، بأمر من البابا إنوسنت الثالث Innocent III، ولم تتوقف الحملة إلا سنة ١٢٤٤م ، وانتهت بتشتيت جماعات الكاثار وإبادة فرسانها وسادتها في جنوب فرنسا.

وإحدى معتقدات ديانة الكاثار، أن المسيح كان متزوجاً من مريم المجدلية، وأنها قدِمت بعده إلى جنوب فرنسا، حيث ماتت ودفنت، وقد انتشرت هذه الرواية، وشاعت في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا والمناطق المتاخمة لها، حتى بعد القضاء على الكاثار، وصارت عقيدة راسخة عند العوام، وواكبها زعم اكتشاف رفات مريم المجدلية، في أماكن مختلفة من جنوب فرنسا.

في كتابها: أصول بيوت المجدلية Origins Of The Magdalene Laundries[١]، تقول ريبيكا لي مكارثي Rebecca Lea Mccarthy، وهي باحثة في جامعة فلوريدا الأمريكية:

"في سنة ١٠٥٨م، بدأت كنيسة فيزلاي Vézelay، في زعم أن رفات المجدلية موجودة بها، وكان ذلك، كما يقول جانسن Jansen، من أجل رفع شأن الكنيسة وزيادة مواردها،

---

[١]) بيوت المجدلية، أو مصحات المجدلية Magdalene Laundries: مؤسسات أقامتها الكنائس الكاثوليكية في أوروبا، منذ القرن الثامن عشر، لتأهيل النساء الفقيرات والمشردات للعمل، ولتكون أماكن إيواء لهن، وكذلك اللاتي يمارسن البغاء ويرغبن في التوبة وليس لهن مورد رزق.

وهو ماحدث بالفعل، فخطب فيها برنار دي كليرفو Bernard De Clairvoux، إبان الحملة الصليبية الثانية، سنة ١١٤٦م، وزارها الملك لويس التاسع Louis IX أربع مرات، وشهد سنة ١١٦٧م عرض الرفات، وفي ٩ ديسمبر ١٢٧٩م، أعلنت كنيسة سان ماكسيمان Saint Maximin، في جنوب فرنسا أيضاً، العثور على رفات المجدلية في قبو الكنيسة، وعند نهاية القرن الثالث عشر، كان عدد جثث المجدلية التي أُعلن عن اكتشافها قد وصل إلى خمس جثث، وكان ملك نابولي، كارلو الثاني Carlo II، وكانت أجزاء من جنوب فرنسا تتبع مملكته، قد أمر في ديسمبر ١٢٧٩م، باستكشاف قبو كنيسة سان ماكسيمان، واشترك هو نفسه في حفر القبو بيديه، وحسب المؤرخ الرسمي الذي كان مصاحباً لكارلو الثاني، تم العثور على الرفات في قبر تحت القبو، وأقر الملك ومن يستكشفون معه أنها للمجدلية، لِما صاحبَ اكتشاف الرفات من أعاجيب عديدة، مثل انبعاث رائحة لطيفة عند فتح القبر"[1].

وفي سنة ١٢٠٨م، قبل حملة دي مونتفورت، كتب إرمنجو دي بيزييه Ermengaud de Béziers، أحد مؤرخي الكنيسة، رسالة باللاتينية عن الكاثار، عنوانها: ضد الهراطقة Contra Haereticos، وترجمها كاملة إلى الإنجليزية والتر ويكفيلد Walter Wakefield، وأوستين إيفانز Austin Evans، أستاذا تاريخ العصور الوسطى في جامعة كولومبيا الأمريكية، ضمن كتابهما: الهرطقة في العصور الوسطى Heresies of The High Middle Ages.

فإليك وصف دي بيزييه، في رسالته للكاثار ومعتقداتهم وطقوسهم:

"المجموعة من المهرطقين التي توجد في منطقتنا، أعني أبرشية ناربوني، وبيزييه، وكاركاسون، وتولوز، وألبي، ورودز، وكاهور، وأجِن، تعتقد ويقولون إنه يوجد إلهان، أحدهما للخير، والآخر للشر، وكلاهما أزلي وأبدي وحاكم على العالم والسموات والمخلوقات،

---

1) Rebecca Lea McCarthy: Origins of The Magdalene Laundries, P50, McFarland Publisher, North Carolina , 2010.

والعالم المرئي كله شر، ولذا فإله الشر هو الذي صنعه، ويتكلمون باستهزاء عن الزواج، ويقولون إنه لا حياة بعد الموت، لأن القديس بولس قال إن اللحم والدم ليس لهما مكان في مملكة الإله، وفي لقاءاتهم السرية يقولون إن الإله الخبيث أرسل بعد الخلق ابنه إلى إله الخير، وكان اسمه سير/سعير **Seir** أو لوسيفر **Lucifer**، فأعجب إله الخير بذكائه وجماله، ونصَّبه أميراً على البشر وكاهناً لهم ... وسير/سعير هو الذي منح إسرائيل الشريعة، لأن الشريعة تقول: "الرب ظهر من سيناء، ومن سعير وُلد لنا"[õ]، ويقولون إن المسيح ليس من هذا العالم، ولم يولد فيه، وأنه عبَر سبعة عوالم حتى وصل إلينا، ويقولون إن الإله له زوجتان، كولّام **Collam**، وكوليبام **Colibam**، وأنجب منهما أولاداً، مثل البشر، ويعتقدون أن الروح عندما تترك الجسد تحل في مخلوق آخر، إنساناً أو حيواناً، إلا من كان منهم وآمن بهذه المعتقدات، فإن روحه تذهب إلى أرض جديدة أعدها الإله لهم، وأنه سيتم بعثهم جميعاً إلى أرض الحياة الجديدة، ولكن ذلك لن يحدث إلا بعد خلاص إسرائيل(!)، ويدرسون في اجتماعاتهم السرية أن مريم المجدلية كانت زوجة المسيح، وأنها المرأة السامرية التي قال لها: "ادعي زوجك[õ]"[١].

õ) في سفر التثنية في التوراة: "وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، ٢فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ" (التثنية: ٣٣: ١-٢)، وسعير بلدة في فلسطين، شمال شرق الخليل، وأما فاران، ففي سفر التكوين: "٩وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، ١٠فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ ... ١٩وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا (هاجر) فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ. ٢٠وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. ٢١وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ" (التكوين: ٢١: ٩، ١٩-٢١)، وعلى ذلك فاران هي مكة! .

õ) في إنجيل يوحنا أن المسيح: "٣تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضًا إِلَى الْجَلِيلِ. ٤وَكَانَ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ ... ١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا» ١٧أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ:«لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ:«حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، ١٨لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ" (يوحنا: ٤: ٣، ١٦-١٨).

وبعد إذ علمتَ من أين أتت قصة زواج المسيح بمريم المجدلية، أو علاقته بها، وصلتها بفرسان الهيكل والكاثار، تكون قد تأهبت لأن تنتقل إلى دافنشي ولوحته العشاء الأخير.

ولوحة العشاء الأخير Ultima Cena، أو العشاء الرباني، ليست لوحة مرسومة على قماش أو ورق، بل هي لوحة جصية أو فريسكو Fresco، رسمها دافنشي على أحد جدران القاعة المواجهة للمذبح في كنيسة سانتا ماريا دي لاجراتسي في ميلانو Sainta Maria De La Grazi، وهي القاعة التي يجتمع فيها الرهبان ويتناولون الطعام، ورسمها بتكليف من الكنيسة، ومول رسمها وأجر دافنشي عنها، دوق ميلانو، لودفيكو سفورتسا Ludovico Sforza، حفيد فرانشيسكو سفورتسا، حامي كوسيمو دي مديتشي، والذي مكنه بجيشه من الاستيلاء على السلطة في فلورنسا.

واستغرق دافنشي في رسم لوحة العشاء الأخير الجدارية أربع سنوات كاملة، فبدأها سنة ١٤٩٥م، وانتهى منها في سنة ١٤٩٨م، وكان يقضي ساعات طوالاً في رسمها والعمل بها، ويجلس ساعات أطول يتأملها وينظر إليها دون أن يفعل شيئاً.

ووجود لوحة العشاء الأخير في كنيسة، ورسمها على أحد جدرانها بتكليف منها، وكونها تصور موضوعاً مأخوذاً من الإنجيل مباشرة، وهو لقاء المسيح الأخير بتلاميذه، ووداعه ووصاياه لهم، هو مصدر إثارة اللوحة وغرابة ما وضعه فيها دافنشي من تفاصيل لا تتفق مع موضوعها ومكان رسمها ووجودها والجهة التي طلبتها، ولا مع القصة كما روتها الأناجيل، وتجعل دافنشي يبدو وكأنه أراد بهذه التفاصيل الغريبة والمثيرة نقض القصة والأفخارستيا أو سر القربان الذي تحمله، وليس تصويرها.

فقبل مسألة وجود مريم المجدلية في اللوحة أم لا، المفترض أن التلاميذ في العشاء الأخير، حسب وصف الأناجيل، كانوا يجلسون حول المسيح منصتين لعظته ووصاياه، في

---

1) Walter Wakefield And Austin Evans: Heresies of The High Middle Ages, P231-234, Columbia University Press, New York, 1969.

حزن ووجل، وقد أخبرهم أنه سيغادرهم، وأن أحدهم سيخونه ويسلمه للرومان، وليس معقولاً حسب هذا الوصف أن يكونوا مشغولين بأي شيء آخر.

وفي إنجيل متى:

"**٢٠وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. ٢١وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ:«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». ٢٢فَحَزِنُوا جِدا، وَابْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ:«هَلْ أَنَا هُوَ يَارَبُّ؟»**[1].

وأول الغرائب في لوحة العشاء الأخير، أن دافنشي صوَّر الجالسين حول المسيح مشغولين عنه، ولا ينظرون نحوه، وكل مجموعة منهم في نقاش يبدو عاصفاً، وجميعهم يظهرون وكأنهم في خلاف حاد أو معركة حول شيء ما، وليسوا في حضور سيدهم ومعلمهم الذي على وشك أن يرحل عنهم.

والثلاثة الذين عن يسار المسيح في اللوحة، والوحيدون الذين ينظرون نحوه، ملامحهم غاضبة، وأحدهم يقف خلف الجالس عن يسار المسيح مباشرة، ولا يظهر منه سوى وجهه المقطب وسبابته اليمنى التي يرفعها إلى أعلى أمام وجه المسيح، وكأنه يهدده، والذي يجلس أمامه عن يسار المسيح، يشيح بوجهه وعينيه في اتجاه المائدة بعيداً عنه، وهو يمد كفه وأصابعه اليمنى نحو وجه المسيح، وكأنه يبعده عنه، والثلاثة كأنهم يعترضون على المسيح أو على خلاف حاد معه، والمسيح نفسه يجلس في وسط الصورة في سكون، وعيناه تنظر في اتجاه المائدة، ويداه ممدودة أمامه ويضعها على المائدة، وملامحه يكسوها مزيج من الحزن والضعف.

وثاني غرائب اللوحة، أن الخمسة الجالسين في يسار اللوحة، تبدو علاقتهم بالشخص الذي يجلس عن يمين المسيح، شبيهة بعلاقة الثلاثة الجالسين عن يسار المسيح بالمسيح، فالخمسة غاضبون، وأحدهم ينظر للجالس عن يمين المسيح وهو يرفع يديه أمام صدره في استنكار،

---

١) **متى:** ٢٦: ٢٠-٢٢.

وأقربهم للجالس عن يمين المسيح يقف في الخلف ويميل بجسده كله نحوه، حتى يكاد يلامس وجهه بوجهه، وفي الوقت نفسه يمرر كفه مبسوطة أمام عنقه وكأنه سيذبحه!

والذي يجلس عن يمين المسيح نفسه، يبدو مثل المسيح، ساكناً، ويُسبل عينيه في اتجاه المائدة، ولا يلتفت نحو الغاضبين عن يساره، ومن يمرر يده أمام عنقه، وكأنه لا يشعر بهم.

وثالث غرائب اللوحة، وأشد ما فيها غرابة، أنه بين زحام أجسام الجالسين في يسار اللوحة وأسفلها، تظهر يد مجهولة ممدودة تأتي من خلفهم، وليست لأي أحد من الموجودين في اللوحة، وكأن صاحبها شخص خفي، واليد تحمل سكيناً أو خنجراً، وتوجهه من بين الأجساد المتلاصقة، وتطعن به الهواء فوق المائدة مباشرة، بصورة تتنافر تنافراً حاداً مع موضوع اللوحة وأنها رُسمت في دار للعبادة.

ورابع غرائب اللوحة، أنه حسب نص الأناجيل، شرب المسيح في العشاء الأخير من كأس ثم مررها إلى تلاميذه، فشربوا منها جميعاً، وهو ما يحاكيه الكاهن في طقس العشاء الرباني أثناء القداس:

"٢٢وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ:«خُذُوا كُلُوا، هذَا هُوَ جَسَدِي». ٢٣ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ"(١).

ومع ذلك تجاهل دافنشي رواية الأناجيل، وهي عقيدة مسيحية، ومصدر طقس القربان، وأحد أسرار المسيحية المقدسة، فليس في لوحته العشاء الأخير كأس مطلقاً، بل ثلاثة عشر كوباً، بعدد الجالسين في اللوحة، أمام كل جالس كوب.

وخامس غرائب لوحة العشاء الأخير، الشخص الجالس عن يمين المسيح، فطبقاً لنصوص الأناجيل الأربعة، كان الحاضرون في العشاء الأخير ثلاثة عشر رجلاً، هم المسيح وتلاميذه الاثنا عشر، ولا ذكر في أي مصدر مسيحي رسمي ولا منحول

---

١) مرقس: ١٤: ٢٢-٢٣.

أن العشاء الأخير كان فيه امرأة، وفي التقاليد الكاثوليكية، الذى كان يجلس إلى يمين المسيح في العشاء الأخير يوحنا التلميذ كاتب الإنجيل.

أما في لوحة دافنشي، فالجالس إلى يمين المسيح له ملامح أنثوية واضحة، وجه أمرد، وملامح ناعمة، وشعر طويل ينسدل على الكتفين والنحر، وجلسة لينة مع ثني العنق وإلقاء الرأس إلى جانب، وجميع الأشخاص في اللوحة، ما عدا الجالس عن يمين المسيح، رجال لا تخطأ عينٌ رجولَتهم، ملامح خشنة، ولحية طويلة أو قصيرة، وأجسام قوية منتصبة.

والجالس عن يمين المسيح، ذو الملامح الأنثوية في لوحة العشاء الأخير، هو الذي قال لين بيكنيت، وكلايف برنس في كتابهما: كشف سر فرسان الهيكل، ودان براون في روايته، إنه مريم المجدلية.

وهي فرضية، تعلم الآن أنها مطروحة وتحتمل التصديق، ليس بسبب ما حشده بيكنيت وبرنس في كتابهما من معلومات لا دليل عليها، وقد أقاموه على أن زواج المسيح من المجدلية حقيقة تاريخية، ولا بسبب ما ابتكره دان براون من تفاصيل روائية خيالية، بل بسبب شيوع قصة زواج المسيح من المجدلية ورسوخها في مناطق الكاثار، جنوب فرنسا، وشمال إيطاليا، قرب فلورنسا، وبسبب شخصية دافنشي المتمردة على المسيحية والخارجة على تعاليمها وقيمها، وبسبب لوحة العشاء الأخير نفسها التي تمتلئ بالغرائب، والرسالة التي تحملها، ألا وهي نقض قصة العشاء الرباني وأصل سر القربان والطقس المسيحي الذي يرتبط به.

وما يزيد احتمال صحة هذه الفرضية، أن مريم المجدلية في الأناجيل هي المرأة التائبة بعد الخطيئة، وليست الخاطئة، وفي الكاثوليكية هي القديسة مريم المجدلية، ولوحات العصور الوسطى، وحتى بعض أعمال عصر النهضة، تصورها في كامل ثيابها، كرمز للفضيلة وليس للخطيئة، ولكن دافنشي وتلاميذه، ضمن نقضهم في لوحاتهم لروايات الأناجيل وعقائد

المسيحية وشخصوها، هدموا في إحدى لوحاتهم صورة مريم المجدلية التائبة الفاضلة، وأحلوا مكانها المجدلية البغي الخاطئة.

فأحد تلاميذ دافنشي، الذين كانوا يقيمون في مرسمه، ويعملون تحت إشرافه، ويضع دافنشي لمساته على لوحاتهم، وهو جيامبييترينو Giampietrino، رسم لوحة نصفية لمريم المجدلية، وصورها فيها عارية من شعرها إلى نهاية بطنها، وهي تقف وقفة بغي، وسط ظلال داكنة، وحول عنقها سلسلة، يتدلى منها صليب في وسط صدرها وبين نهديها!

وبعد أن رأيت لوحة العشاء الأخير لدافنشي، وعرفت ما فيها من غرائب، ومخالفتها الصريحة لرواية الإنجيل، إليك الأوهام التي رآها فيها المثقف الكبير ووزير الثقافة في عهد ثاني الآتين من الخلف:

"**ففي الحق إن هذه الصورة التي رسمها ليوناردو، لم يسبق لمصور أن رسم ما يماثلها دقة وصدقاً، حتى نكاد نقول إن هذا الموضوع لا يمكن تصويره إلا على هذا النحو**"[١]!

ولست بحاجة إلى أن نخبرك أن المثقف الكبير ووزير ثقافة ثاني الآتين من الخلف، لم ير أصلاً الخنجر واليد التي تمسكه، وقد أخفاهما دافنشي بين أجسام الجالسين إلى المائدة في أسفل اللوحة، وهو يعلم أن جُل من سيرَون لوحته من طراز المثقف الكبير ولن يفطنوا لوجوده.

---

١) **موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، ص٢٠٧.**

لوحة العشاء الأخير لدافنشي



الخنجر ويد تذبح في اللوحة

موسى وداوود

دافيد/داوود:

وبعض أعمال فناني أسرة دي مديتشي وعصر النهضة، كما رأيت، تصور موضوعات الأساطير الإغريقية وشخوصها وأبطالها مباشرة وبأسمائهم الصريحة، وتسعى من خلالها لإحياء الوثنية وبثها، وملء رؤوس من يرون هذه الأعمال بها، وبعضها الآخر يصور الأساطير الوثنية ويجسد أبطالها في صورة مُقنَّعة، يمرر بها لوحته أو تمثاله، عبر رسمها ونحتها بصفاتها ووصفها في الأساطير، وتسميتها بأسماء شخصيات الكتاب المقدس.

وأكثر شخصية في الكتاب المقدس، وظَّفها فنانو أسرة دي مديتشي وعصر النهضة، في تغليف أعمالهم التي تجسد شخصيات وثنية، ويحاكون فيها أعمال فناني الإغريق، دافيد أو داوود التوراتي.

وأشهر تمثال يحمل اسم دافيد/داوود، لفناني أسرة دي مديتشي، هو الذي نحته دوناتيللو، يليه تمثال مِيكل انجلو.

فأما دوناتيللو فهو من أوائل فناني أسرة دي مديتشي، وتمثاله دافيد/داوود، صنعه من البرونز، بتمويل من راعيه كوسيمو دي مديتشي، ليوضع في قصره، وبالفعل بعد أن أتمه دوناتيللو، وضع كوسيمو التمثال في ساحة قصره الخارجية، وصار متاحاً لكل من يزورون قصره من أعضاء الأكاديمية الأفلاطونية، ومن ساسة فلورنسا ونخبها، ثم نقله إلى قصر مجلس السيادة، وهو الآن في متحف بارجيللو الوطني في فلورنسا.

فإليك أولاً المثقف الكبير ووزير ثقافة ثاني الآتين من الخلف، يختصر لك الطريق، وقد وجد من عرفه بالشخصية الحقيقية التي يعبر عنها التمثال وغلفها دوناتيللو في اسم دافيد/داوود:

"كما يوحي الوقار الكلاسيكي الطاغي على التمثال ووضعته وتجسيمه، بتأثير النماذج المتأغرقة على دوناتيللو ... على أن المفاجأة الرائعة التي تجلت في هذا التمثال هي التجديد الذي أتى به دوناتيللو واحتذاه غيره من بعده خلال عصر النهضة، وأعني به تحويل الملك العبراني إلى إله إغريقي(!)، ولم لا وقد كان داوود في شبابه وسيماً جذاباً، وعلى نهج أبوللو، قضى على خصم مهول مرعب، فضلاً عن أنه كان على غراره راعياً للشعر والموسيقى، وكانت صورة داوود المألوفة في فنون العصور الوسطى هي صورة الشيخ المسن الملتحي المتوج، إلا أن خيال دوناتيللو العبقري الجامح هو الذي رآه في صورة إله كلاسيكي"[١].

وكما ترى، المثقف الكبير ووزير ثقافة ثاني الآتين من الخلف، وجد من يعرفه بالشخصية الحقيقية التي يجسدها التمثال، لكنه لم يصل، لا هو ولا الأميون الذين يَغرف منهم، إلى إدراك ما يعنيه تجسيد شخصية نبي في الكتاب المقدس، في صورة إله وثني، وما يترتب في أذهان من يرون التمثال على أنه دافيد/داوود، وفي نفوسهم وأخلاقهم، رجالاً ونساءًا وأطفالاً.

فتمثال دافيد/داوود، الذي يقول لك المثقف الكبير إنه يوحي بالوقار الكلاسيكي، جسَّد فيه دوناتيللو، دافيد/داوود عارياً تماماً، وظاهر العورة من الأمام، ومكشوف المؤخرة من الخلف، وليس عليه أي شيء ينتمي للباس، سوى خوذه فوق رأسه، التي تتدلى منها ضفائر شعره، وحذاء طويل/بوت، وهو يمسك بيده اليمنى سيفاً، ويدليه نحو رأس جوليات/جالوت، التي قطعها، ويضع قدمه اليسرى فوقها، وهو أول تمثال عارٍ في تاريخ أوروبا بعد انتهاء عصر الوثنيين الإغريق والرومان، وتحول أوروبا إلى المسيحية.

فهلا تيقنت أن فنون عصر النهضة، التي كان تمولها وترعاها أسرة دي مديتشي، ويؤلف فيها الأميون في الغرب الأغاني، وينقلها عنهم بقر بلاليص ستان في الشرق، لم تكن سوى إحياء للوثنية والانحلال والإباحية، ووسائل لبثها وتعويد عموم الناس عليها، وعلى ما تحمله من معتقدات وقيم.

---

١) موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، ص١٢٦.

ودونـاتيللو، لـم يكـن يتـرجم فـي تمثـال دافيـد/داوود، الوقـار الكلاسيكي الـذي توهمـه المثقـف الكبير، أو أوهمـه بـه الأميون فـي الغرب، بل كـان يتـرجم شذوذه الجنسـي، وحبـه الأفلاطونـي، مثل غيره من فناني أسرة دي مديتشي.

فـي دراستها: تمثـال دافيـد البرونـزي لـدوناتيللو Donatello's Bronze David، التـي نشرتها فـي مجلـة الفنـون The Art Bulletin، التـي تصـدرها رابطـة الفنـون فـي الولايـات المتحدة الأمريكية، تقول أستاذة تاريخ الفنون في جامعة مدينة نيويورك، لوري شنايدر Laurie Schneider:

"كان دوناتيللو على صلة وثيقة بكوسيمو دي مديتشي والأفلاطونيين الجدد، ويمكن فهم المعاني التـي يترجمهـا التمثـال، ولمـاذا جسَّد دونـاتيللو، دافيد فـي شكل صبي جميـل، مـن خـلال فكرتين فـي سيمبوزيوم أفلاطون/محـاورة عن الحب، فيقول فيـدروس Phaedrus، فـي كلمتـه فـي سـيمبوزيوم، إن إيروس/الحـب الجسـدي الشـهواني يُلهم الجنـود الشـجاعة عندما يكونون محبين بالمعنى الأفلاطوني، وهو كذلك يرعاهم ويحميهم فـي المعارك، وبعد كلمة فيدروس مباشرة يفرق بوسانياس Pausanias، بين قوانين أثينا بخصوص المحبين وقوانين بقية مدن اليونـان، ويقول إن الطغاة يمنعون العلاقات التـي مصدرها الحب الكوني Celestial Eros، ألا وهو الحب بين الرجال Love Between Men، بينما لا يُعد هذا الحب جُرماً في قوانين أثينا الحكيمة، ولا يخجل منـه المحبون، وهاتان الفكرتـان لهمـا علاقـة بالحالـة السياسية وازدهـار النزعـة الإنسـانية فـي فلورنسـا، فـي النصـف الأول مـن القـرن الخامس عشر، وتجسيد دافيد وهو ينتصر علـى جوليات/جالوت، فـي صـورة صبي جميـل، يعنـي أولاً أن انتصـاره، وانتصـار فلورنسـا علـى الطغـاة، تـم برعايـة الحـب الكـوني، وثانيـاً مضـاهاة فلورنسـا التـي صـارت مـدن إيطاليـا الأخـرى تعتبرهـا سـدوم الحديثـة Modern

Sodom[ة]، بأثينا، فتجسيد دافيد في صورة صبي جميل، دفاع عن قوانين فلورنسا التي تشجع الحب الأفلاطوني بين الرجال"[١].

وفي كتابه: صور ومشاعر، تاريخ الشذوذ الجنسي في الفنون البصرية، يقول أستاذ الفنون وتاريخها في جامعة مدينة نيويورك، جيمس ساسلو، عن دوناتيللو وتمثاله دافيد/داوود:

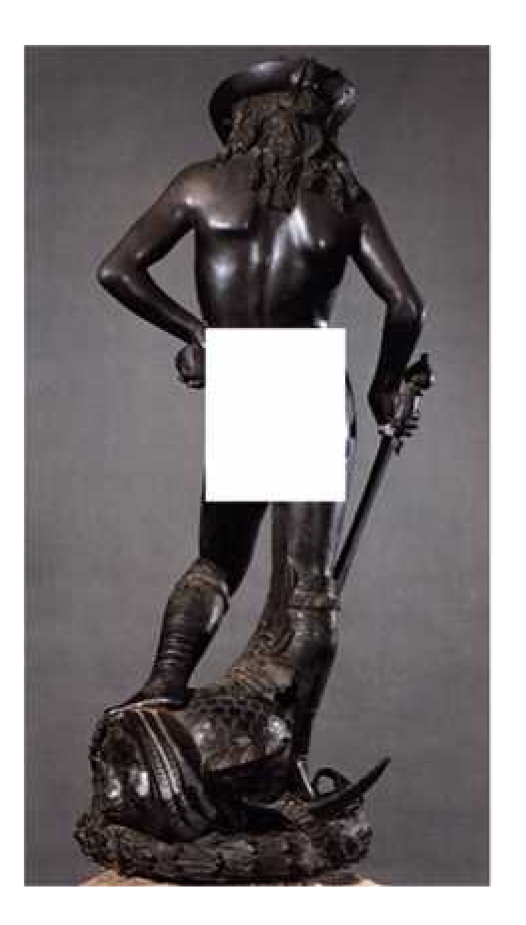
"ونظام التلمذة والتدريب، الذي يعيش فيه المراهقون مع الفنانين، كان يخلق بيئة مثالية للشذوذ، ودوناتيللو لم يتزوج أبداً، وكان الأولَ من بين فنانين كثيرين، الذي عُرف عنه أنه يختار تلاميذه من أجل جمالهم وليس من أجل مواهبهم For Beauty Than For Talent، وكثير من أعمال دوناتيللو يظهر فيها صبيان في أوضاع مثيرة، على أنهم ملائكة، وتمتزج جاذبيتهم الجسدية مع المعاني الروحية، ومِثل دوناتيللو، كانت توجد دوائر واسعة تفهم تمثال دافيد بهذه الطريقة، وهي الدوائر التي مركزها كوسيمو دي مديتشي، صاحب البنك وراعي الفنون وحاكم فلورنسا من وراء ستار، والذي مول عمل التمثال، وكوسيمو لم يكن يخجل من أن يظهر في الأماكن العامة وهو بصحبة أصدقاء يشتهرون بأنهم من الشواذ، ومنهم دوناتيللو، الذي كان رفيقه ويشترك معه في حب الفنون والفلسفة الإغريقية ... وأصحاب النزعة الإنسانية/الإنسانيون Humanists يمكنهم أن يلتحموا معاً في الشوارع العامة وأروقة الكنائس Church Porticos، مع ثقافة عامة متزايدة تتقبل الشذوذ وتتفهم ما يعبر عنه من مشاعر، فالرجال يتزوجون متأخراً، وغالباً في الثلاثينيات من عمرهم، والمراهقون يبحثون عن إشباع رغباتهم، ولا يوجد احتشام ولا فواصل بين الرجال والنساء، بمن فيهم الرجال الشواذ والنساء العاهرات، وفترة الشباب كلها تضيع في ممارسة الشذوذ مع المحيطين، في أماكن عمل الحرفيين، وفي أماكن النخبة، مثل المدارس وأماكن ممارسة الرياضة وعزف الموسيقى، ورغم أن كثيراً من الرجال يتزوجون في النهاية،

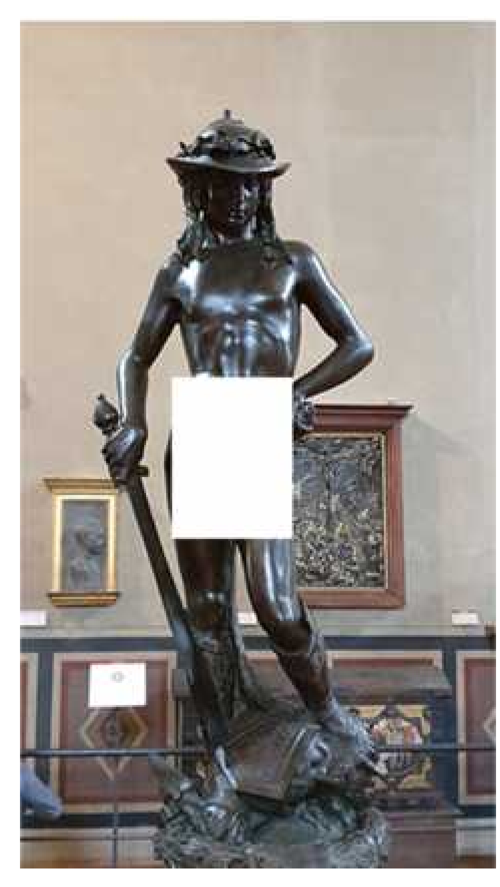
ة) سدوم Sodom: هي قرية قوم لوط في سفر التكوين، ومن اسمها جاء اسم الشذوذ الجنسي بين الرجال في اللغات الأوروبية Sodomy.

1) Laurie Schneider: Donatello's Bronze David, The Art Bulletin, Vol. 55, No. 2, June, 1973, P 215.

إلا أن ذلك يحدث بعد أن يمروا بهذه المرحلة، حتى صارت فلورنسا مضرب الأمثال في الشذوذ Proverbial For Sodomy، ووصفها أحد رجال الكنيسة في زيوريخ بأنها بؤرة الرذيلة"(١).

وكما ترى، صورة فلورنسا، بؤرة الرذيلة، في عهد أصحاب البنوك الذين يحكمونها من وراء ستار، من أسرة دي مديتشي، قد صارت هي نفسها صورة العالم كله في زمانك، بعد أن وصلت دورة إفساد بني إسرائيل الثانية إلى ذروتها، وصار خلفاء أسرة دي مديتشي يحكمونه كله، غرباً وشرقاً، من وراء ستار الواجهات التي يضعونها في كراسي الحكم ويُصَدرونها للأميين وكاميرات التاريخ.





تمثال دافيد لدوناتيللو

---

1) Pictures And Passions: A History of Homosexuality InThe Visual Arts, P83-84.

والآن ننتقل بك إلى تمثال دافيد/داوود، لمِيكل انجلو، وقد نحته من الرخام الأبيض، بتكليف من كاتدرائية سانتا ماريا في فلورنسا Fanta Maria Del Fiore، ليوضع مع تماثيل أخرى تجسد الأنبياء، في الجناح الشرقي من الكنيسة، ولكن بعد انتهائه منه، سنة ١٥٠٤م، وُضع في الطريق العام أمام جدار قصر الحكم ومقر مجلس السيادة، وظل في موضعه هذا إلى أن نقل في أواخر القرن التاسع عشر إلى متحف أكاديمية فلورنسا Galleria Dell'accademia.

والتمثال الذي نحته مِيكل انجلو ليوضع في كاتدرائية فلورنسا، هائل الحجم، ويتعدى ارتفاعه خمسة أمتار، ويجسد دافيد/داوود في وضع الوقوف عارياً تماماً، وشعره جعد متموج وبه خصلات مستديرة كالحلقات، ويبدو كالتاج على رأسه التي يديرها إلى اليسار، حيث ينظر بعينيه، ويرفع يده اليسرى بحمالة سيف يضعها فوق كتفه الأيسر، وتتدلى من خلف ظهره، حتى فخذه الأيمن، حيث يمسكها بأصابع يده اليمنى التي يدليها إلى جواره.

وقد علمتَ من قبلُ، أن مِيكل انجلو له تمثال عارٍ آخر، بدأ العمل فيه على أنه دافيد/داوود، وأنهاه على أنه أبوللو، وسجله مؤرخ الفنون جورجو فاساري في موسوعته عن حياة الفنانين وأعمالهم، وهو صديق مِيكل انجلو ومعاصر له، على أن اسمه دافيد/داوود، ولكنه كان من مقتنيات قصر الدوق كوسيمو الأول على أن اسمه أبوللو، ولذا يسميه نقاد الفنون ومؤرخوها تمثال أبوللو- دافيد، أو دافيد-أبوللو.

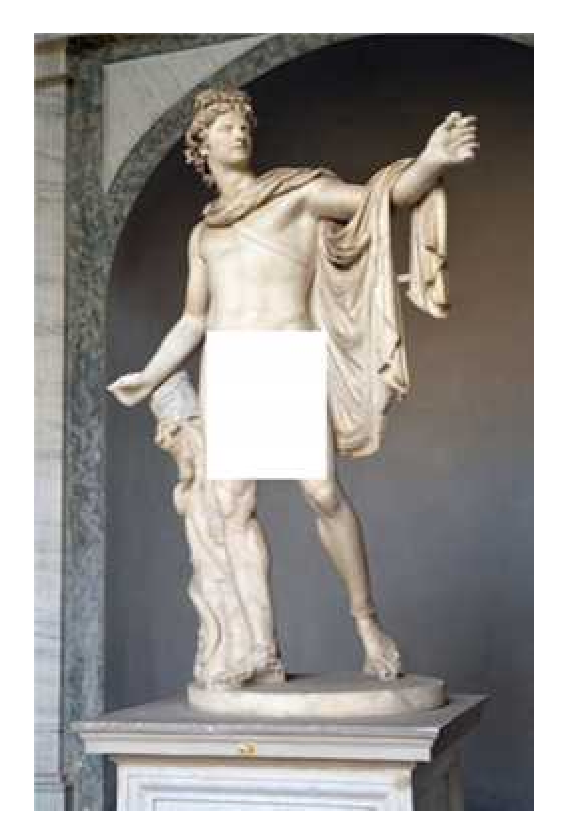
فإليك ما لم نعثر عليه عند جورجو فاساري، صديق مِيكل انجلو ومعاصره، ولا عند غيره من نقاد الفنون ومؤرخيها، تمثال مِيكل انجلو، الذي يحمل اسم دافيد/داوود فقط، يجسد في الحقيقة أبوللو، وليس دافيد/داوود، ومِيكل انجلو يحاكي فيه أحد أشهر التماثيل التي جسدت أبوللو، وهو تمثال أبوللو بلفيديري Apollo Del Belvedere، وهو تمثال روماني، صُنع بين القرن الأول الميلادي والقرن الثاني، واكتُشف في القرن الخامس عشر، ثم وُضع في ساحة بلفيديري في الفاتيكان Cortile Del Belvedere، وهي ساحة مفتوحة لعموم الناس، وهو الآن في متحف الفاتيكان.

وتمثال أبوللو بلفيديري ارتفاعه متران وربع المتر، ويصور أبوللو في وضع الوقوف، عارياً إلا من رداء يضعه على كتفه، ويتدلى على ذراعه اليسرى، التي يرفعها موازية لكتفه، ولا يستر شيئاً من جسده على الإطلاق، ويده اليمنى تتدلى إلى أسفل ويضعها على جذع شجرة إلى جواره، وجعبة سهامه معلقة على كتفه اليسرى، وشعره جعد متموج وبه خصلات مستديرة كالحلقات، ويبدو كالتاج على رأسه التي يديرها إلى اليسار، حيث ينظر بعينيه.

فإذا تأملت تمثال دافيد/داوود لمِيكل انجلو، وتمثال أبوللو بلفيديري، ستجدهما قريبين في كثير من التفاصيل، فالوقفة هي هي، وكذلك الشعر المتموج الذي تلتف خصلاته كالحلقات، واتجاه الرأس والعينين إلى اليسار، وحمالة السيف التي وضعها مِيكل انجلو في تمثاله مكان جعبة السهام في تمثال أبوللو بلفيديري.



تمثال دافيد لمِيكل انجلو



تمثال أبوللو بلفيديري

وأما لماذا سمى مِيكل انجلو تمثاله دافيد/داوود، مع أنه صور فيه أبوللو، فلأنه صنعه في الأصل ليوضع في كاتدرائية فلورنسا، حيث لا يمكن وضع تماثيل تحمل أسماء آلهة الإغريق الوثنية، وهو نفسه ما فعله مِيكل انجلو في لوحته الشهيرة الدينونة أو القضاء الأخير التي رسم فيها أبوللو على أنه المسيح!

موسى ذو القرنين:

ومن تمثال دافيد/داوود إلى تمثال موسى، لمِيكل انجلو أيضاً، ونأتيك به لأنه نموذج مثير على الطرائف والغرائب التي تنتجها الأخطاء في ترجمة النصوص المقدسة من لغة إلى أخرى، وتعرف منها لماذا تكفل عز وجل بحفظ بيانه الخاتم إلى البشرية في لغته التي أنزله بها، وأن هذا الحفظ ليس حفظ النص فقط، بل وأيضاً حفظ هذه اللغة التي لا يمكن فهم بيان الإله فهماً صحيحاً إلا بها ومن خلال قواعدها ومعجم ألفاظها وكلماتها.

وتمثال موسى، من الرخام، ويعلو ضريح البابا جوليوس الثاني Julius II، في كنيسة سان بييترو/القديس بطرس San Pietro، في روما، وكان البابا نفسه قد كلف مِيكل انجلو بتشييد ضريحه، فصنع مِيكل انجلو التمثال كجزء من معمار الضريح وزخرفته.

والبابا جوليوس الثاني، كما علمتَ من قبل، كان حليف أسرة دي مديتشي، وهو الذي أعادها إلى حكم فلورنسا، بمساعدة الجيش الإسباني، سنة ١٥١٢م، وكان أحد الأبواب التي دخلت منها القبالاه والوثنية إلى الكنيسة، فقد كان من محبي التماثيل واللوحات، وقام برعاية مِيكل أنجلو ورفاييللو، وسمح لهم بتزيين الكنيسة بأعمالهم.

وفي تمثال موسى صور مِيكل انجلو، موسى التوراتي جالساً في وقار، ويدير رأسه جهة اليسار، وله لحية كثيفة طويلة تتدلى خصلاتها المتموجة حتى أسفل صدره، ويحتضن الألواح بين جانبه وذراعه اليمنى، وله قرنان في مقدمة رأسه.

وهذان القرنان هما ما أتيناك بتمثال موسى من أجله.

في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج عبارتان تصفان موسى عليه السلام وهو نازل من الجبل بعد أن تلقى الألواح من الإله، ونصهما في الترجمات العربية الرسمية:

٢٩وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلاَمِهِ مَعَهُ. ٣٠فَنَظَرَ هَارُونُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ، فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ"[١].

والعبارة في التوراة العبرية نص ترجمتها الحرفي:

"**أن موسى لم يعلم أن جِلد وجهه صار مُشرقاً أو مشعاً بالضياء**"

وفي أوائل القرن الخامس الميلادي، ترجم القديس جيروم St. Jerome، الكتاب المقدس إلى اللاتينية، وهي الترجمة الكاثوليكية الرسمية للكتاب المقدس، الشهيرة بالفولجاتا Biblia Vulgata، والمستخدمة طوال العصور الوسطى وعصر النهضة، وحتى أوائل القرن السابع عشر.

وفي سفر الخروج، اختلطت على القديس جيروم كلمة: مُشرق أو مشع بالضياء العبرية: **קורן**، بكلمة: **קרניים**، التي تشبهها كتابة ونطقاً، وتعني: قرون، فترجم عبارتي سفر الخروج إلى اللاتينية في الفولجاتا هكذا:

"**Et Ignorabat Quod Cornuta Esset Facies Sua Ex Consortio Sermonis Dei, Videntes Autem Aaron Et Filii Israhel Cornutam Mosi Faciem Timuerunt Prope Accedere**"[2].

---

١)**سفر الخروج: ٣٤: ٢٩-٣٠.**

2) Exudi: 34: 29-30, Biblia Sacra Vulgatae, P76, Friderici Pustet & Co., Ratisbonae et Romae, MCMXIV/1914.

وكلمة: Cornuta اللاتينية معناها قرون، فصارت ترجمة نص العبارة في سفر الخروج اللاتيني هكذا:

"ولم يعلم موسى أن وجهه تقرَّن، أو صار به قرون، وهو يتكلم مع الإله، ولما رآه هارون وبنو إسرائيل والقرون في وجهه خافوا أن يقتربوا منه".

ومايكل انجلو صنع تمثال موسى وفي مقدمة رأسه قرنان، بناءًا على وصف القديس جيروم له في ترجمته لسفر الخروج، ضمن الفولجاتا، الشائعة في عصر النهضة والمعتمدة لدى الكنيسة.



ضريح البابا جوليوس الثاني يعلوه تمثال موسى



تمثال موسى لمِيكل انجلو

الدينونة أو القضاء الأخير

مِيكل انجلو ربيب أسرة دي مديتشي ورمز عصر النهضة:

ومِيكل انجلو وُلد في ٦ مارس سنة ١٤٧٤م(١)، وكان أبوه لودفيكو دي ليوناردو بوناروتي سيميوني Lodovico Di Lionardo Buonarroti Simoni، بودستا Podestà أو حاكم قلعة كيوزي وكابريسي Chiusi E Caprese، في كوميونة أريتسو Arezzo.

وفي موسوعته: حياة أبرع الرسامين والنحاتين والمعماريين، يقول مؤرخ الفنون في عصر النهضة، وصديق مِيكل انجلو، جورجو فاساري، إنه:

"عندما وصل مِيكل انجلو إلى سن الدراسة، أرسله أبوه ليدرس الآداب في مدرسة فرانشيسكو دا أوربينو Francesco Da Urbino، في فلورنسا، وكان دا أوربينو من ذوي النزعة الإنسانية، ولكن مِيكل انجلو كان مغرماً بالرسم، فكان يقضي أغلب وقته فيه، ثم تعرف على فرانشيسكو جراناتشي Francesco Granacci، وهو شاب صغير في سنه، وكان تلميذاً للرسام دومنيكو جيرالاندايو Domenico Ghirlandaio، فانضم مِكيل انجلو إليه وصار تلميذاً معه في مرسم جيرالاندايو"[1].

وفي سنة ١٤٨٩م:

"قرر لورنزو دي مديتشي أن ينشئ مدرسة للنحت في حديقة قصره في سان ماركو St. Marco، فأرسل إلى جيرلاندايو، أن يرسل إليه اثنين من أمهر تلاميذه في النحت، لكي

õ) حساب مولد مِيكل انجلو أنه في سنة ١٤٧٤م، طبقاً لتقويم تجسد الملاك جبرائيل لمريم العذراء Incarnatione، الذي كانت تستخدمه فلورانسا، وهي تناظر سنة ١٤٧٥م، في تقويم ميلاد المسيح Nativitate، وهو التقويم الروماني العام.

1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P5.

يشرف بنفسه على تدريبهما، على يد الفنانين القدامى، ويعهد إليها بإنجاز أعمال عظيمة في فلورنسا، فيكون جيرلانـدايو قد حاز بذلك الشرف لـه ولمدينتـه، فأرسل إليـه جيرلانـدايو أفضل تلاميذه، مِيكل انجلو وفرانشيسكو جراناتشي، وكان مِيكل انجلو إذ ذاك فـي الرابعة عشرة من عمره"[١].

وبعد أن مضت عدة أسابيع، ظهرت خلالها براعة مِيكل انجلو ومواهبه:

"أرسل لورنزو العظيم إلى والد مِيكل انجلو، يقول له إنه يود أن يبقيه معه كأحد أبنائـه، ومنحـه لـورنزو غرفـة فـي قصره، وصـار يأكل معـه علـى مائدتـه، ومكث مِيكـل انجلـو مـع لورنزو في قصره أربـع سنوات، وبنـاءاً علـى نصائح بوليتسيانو Poliziano، صنـع تمثـالاً من الرخام لـهرقل Hercules"[٢].

والكاتب أنجلو بوليتسيانو، الذي كان يوجه النصائح لمِيكل انجلو، قد مر بك من قبل عدة مـرات، وهـو أحـد أشـهر أعضـاء أكاديميـة أسـرة دي مديتشـي الأفلاطونيـة، ورفيـق مارسـيليو فتشينو، فتدريب مِيكل انجلو الفني على النحت والتصوير في حدائق قصر أسرة دي مديتشـي، كان يواكبه تكوين ذهنه ونفسه في الأكاديمية الأفلاطونية، في قصرهم أيضاً، ليترجم معتقداتها وأفكارها في ما يصنعه من لوحات وتماثيل، ومارسيليو فتشينو مدير الأكاديمية ومعلمها كان مثل مِيكل انجلو يقيم في بيت ملحق بقصر لورنزو العظيم ويأكل على مائدته.

وثمة وثيقة تثبت انتماء مِيكل انجلو إلى الأكاديمية الأفلاطونية، فهاك هي.

فـي كتابـه: حياة مِيكـل انجلـو من سـجلات أسرة بونـاروتي فـي فلورنسا The Life of Michelangelo Buonarroti Based On Studies In The Archives Of The

---

1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P8.
2) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P9.

Buonarroti Family At Florence، يقول المؤرخ البريطاني المتخصص في تاريخ عصر النهضة، جون أدينجتون سيموندز John Addington Symonds:

"**أرسل أعضاء أكاديمية فلورنسا Florentine Academy، رسالة باللاتينية، إلى البابا ليو العاشر/جيوفاني دي مديتشي، يلتمسون فيها أن يسمح بنقل عظام دانتي أليجييري Dante Alighieri، من رافينَّا إلى مسقط رأسه، وبين الموقعين عليها مِيكل انجلو، وقد كتب اسمه بالإيطالية**"(١).

وبالفعل، وكما خطط لورنزو دي مديتشي، كانت لوحات مِيكل انجلو وتماثيله، ترجمة لما ضخته في عقله ونفسه أسرة دي مديتشي، وأكاديميتهم الأفلاطونية، ووسيلة لبث الأساطير الإغريقية، والفلسفة الوثنية، والحب الأفلاطوني، وعقيدة الشمس الإله أو نظير الإله في الكون المرئي.

فلن تعجب بعد ذلك، إذا علمتَ أن مِيكل انجلو، مثل بقية فناني أسرة دي مديتشي، كان إباحياً وشاذاً جنسياً.

في كتابه: صور ومشاعر، تاريخ الشذوذ الجنسي في الفنون البصرية، يقول أستاذ الفنون وتاريخها في جامعة مدينة نيويورك، جيمس ساسلو:

"**وصار بوليتسيانو مرشد مِيكل انجلو بوناروتي، أشهر فنان شاذ في هذه الفترة، وفي جميع العصور Most Renowned Homosexual Artist**"(٢).

---

1) John Addington Symond: The Life of Michelangelo Buonarroti Based On Studies In The Archives Of The Buonarroti Family At Florence, Vol. I, P334-335, John Nimmo, London, MDCCCXCIII/1893.
2) Pictures And Passions: A History of Homosexuality InThe Visual Arts, P87.

وإليك الأستاذ في جامعة لندن ومؤرخ الشذوذ، لويس كرومبتون، يخبرك في كتابه: الشذوذ والحضارة، أن شذوذ مِيكل انجلو، لم يكن سوى تطبيق للحب الأفلاطوني الذي تلقاه في أكاديمية أسرة دي مديتشي:

"الأكاديمية حولت سيمبوزيوم أفلاطون/محاورة عن الحب، إلى ديانة، وصار حب أجسام الشباب تعبيراً عن حب أرواحهم، وفتشينو نفسه أحب جيوفاني كافلكانتي Giovanni Cavalcanti، أحد أعضاء الأكاديمية الشباب، وكتب إليه رسائل عشق، ونُشرت باللاتينية سنة ١٤٩٢م، بعنوان: إبستيولي/رسائل Epistulae، وفي هذا الوسط الذي يقدس الجسد ويعبد الأجسام الجميلة، التقط المراهق مِيكل انجلو جذوة النار، بعد أن أخذه لورنزو إلى بيته، ودخل في دائرة فتشينو وبوليتسيانو وبيكو ديلا ميراندولا، ومثلهم صار سيمبوزيوم أفلاطون كتابَه المقدس"(١).

وكان مِيكل انجلو يعشق الصبيان والغلمان الذي يدربهم، ويترجم فيهم الحب الأفلاطوني بممارسة شذوذه الجنسي معهم، ولكنه مثل دافنشي ومعشوقه سالاي، كان له معشوق مفضل لازمه لسنوات طويلة.

يقول مؤرخ الفنون جيمس ساسلو:

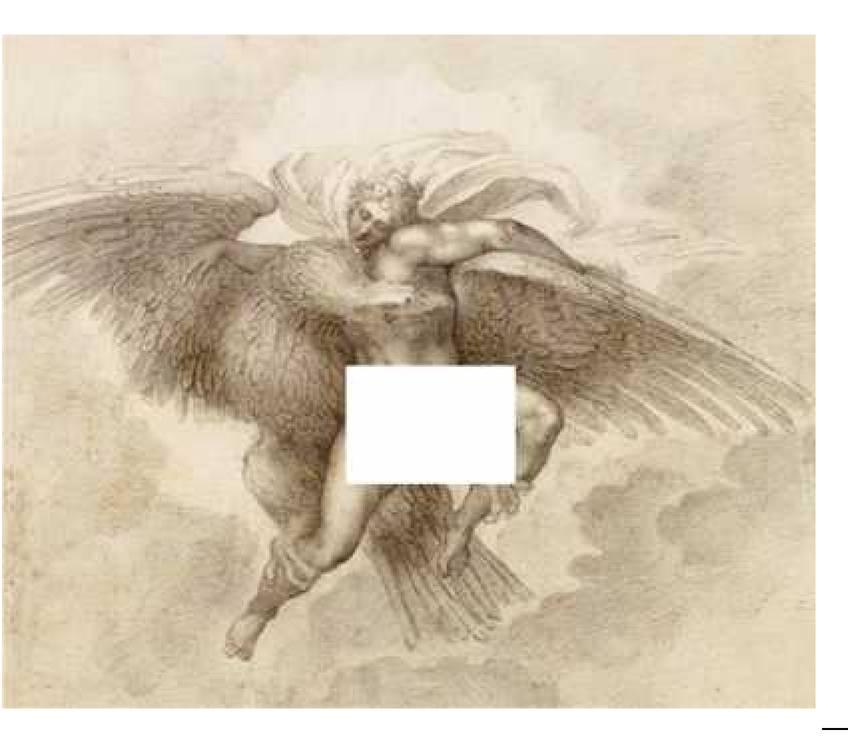
"وقام مِيكل انجلو بالتنفيس عن عواطفه، في هدايا خاصة إلى توماسو دي كفالييري Tommaso De' Cavalieri، وهو شاب وسيم من روما، أصبح الحب الكبير في حياته، وهذه الهدايا مجموعة من الرسومات والرسائل والقصائد يكشف فيها عن حبه البصري له Visual Love، ويعترف بمشاعره المتناقضة، ومنها لوحة اغتصاب جانيميدRape of Ganymede، التي يعبر فيها عن متعة الحب ولوعته، ويترجم فيها القصيدة رقم ٨٩ التي كتبها له"(٢).

---

1) Homosexuality And Civilization, P269-270.
2) Pictures And Passions: A History of Homosexuality InThe Visual Arts, P99.

ويقول مؤرخ الشذوذ لويس كرومبتون:

"في سنة ١٥٥٣م، ومِيكل انجلو في الثمانين من عمره، نشر أحد تلاميذه، أسكانيو كونديفي Ascanio Condivi، سيرة مِيكل انجلو الذاتية، ومس فيها عشقه للشباب الصغار ... وعلى خلاف أغلب فناني عصر النهضة، ترك مِيكل انجلو نفسه كتابات كثيرة تلقي الضوء على اهتماماته الشهوانية، ومنها ٤٨٠ رسالة بتوقيعه، و٨٠٠ رسالة أُرسلت إليه، و٣٠٠ قصيدة من تأليفه، ومنها يتبين انجذاب عواطفه نحو الرجال، وأشهر حب في حياته، وكان معروفاً لكافة الناس في زمنه، حبه لتوماسو كفاليري، وفي القصيدة رقم ٨٦، يتغنى بجمال وجه كفاليري، وأنه يتوق إلى علاقة جسدية حميمة معه For Physical Intimacy، وأن يحمله بين ذراعيه إلى الأبد، وفي القصيدة رقم ٩٢، يقول له إنه يتمنى أن يكون دودة قز/حرير Silkworm، لكي يبقى تحت ملابسه، ويتمتع بالتعلق بثديه الجميل(!)، وفي القصيدة رقم ٨٩ يقتبس عبارة من فيدروس، ويقول له إنه من أجل حبه له يهبه أجنحة لكي يصعد بها إلى السموات"[١].



لوحة اختطاف جانيميد لمِيكل انجلو

---

1) Homosexuality And Civilization, P270-272-274.

فلا غرابة أن مِيكل انجلو هو فنان العري والعراة، رجالاً ونساءًا، وهو ما يخبرك به في فخر المثقف الكبير ووزير ثقافة ثاني الآتين من الخلف:

"ومنذ إغريق القرن الرابع قبل الميلاد، لم يظهر فنان أحس بالسمات الجليلة التي ينطوي عليها جسد الإنسان العاري مثل مِيكل انجلو، الذي كان على نهجهم مفتوناً في أعماقه بجمال الرجل العاري، فجاء تصويره للعري فريداً ... كان مِيكل انجلو أول فنان بعد عصر النحت الإغريقي يدرك عن وعي هوية العري في فن تصوير الشخوص، فقبله كان العري يُدرس بوصفه وسيلة علمية تعين على تصوير الإنسان المكسو بالثياب، فجاء هو ليكشف أهمية العري كغاية في ذاته وهدفاً نهائياً لتعبيره الفني، فالفن والعري عنده مترادفان ... وفي لوحة الأنبياء والعرَّافات، يتجابه فوق إطار عروش الأنبياء غلمان عراة، يُعدون أهم ابتكارات مِيكل انجلو المشوبة بالغموض، واتسمت صور هؤلاء الغلمان باتخاذ وضعات وإيماءات وحركات بالغة التنوع، تكشف عن القدر الهائل من التحرر الذي كان يتمتع به مِيكل انجلو، ولعل رغبة مِيكل انجلو في جعل الغلمان العراة يجسدون المستوى الحسي، هو الذي دفعه إلى تصويرهم على هذا النمط الفريد الذي يجمعون فيه من السحر والفتنة ما يستطيعون به منافسة أجمل الكواعب الأتراب، لا في بشراتهن المجلوة ولا في رقة ملامحهن ولا في استدارات مناكبهن ولا في رشاقة سيقانهن ولا في نهود أثدائهن وإنسدال شعورهن فحسب، بل كذلك في قدرتهن على التثني والتأود، وفي اتخاذ الوضعة المثيرة واللفتة المترددة بين الجسارة والحياء"[١].

وهاك أسماء بعض أعمال مِيكل انجلو، التي رسم شخوصها عارية تماماً، وبعضها قد مر بك من قبلُ وعلمتَ تفاصيله: تمثال أبوللو –دافيد، تمثال دافيد، تمثال باكوس، تمثال كيوبيد، تمثال صلب المسيح، تمثال امرأة عارية، تمثال رجل عار، تمثال عبد يحتضر، لوحة ليدا

---

١) موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، ص٢٥٥، ٢٩١، ٣٣٨.

والبجعة، لوحة اغتصاب جانيميد، لوحة شاب عار، لوحة معركة كاسكينا، لوحة سُكر نوح، لوحة هبوط آدم وحواء، لوحة الأنبياء والعرافات.

كنيسة وقبور وتماثيل عارية:

أما أغرب أعمال مِيكل انجلو العارية، فضريح جوليانو بن لورنزو العظيم، وضريح لورنزو دي بييرو دي مديتشي، ومصدر الغرابة، أولاً أنهما ضريحان، أي قبران، وثانياً أنهما داخل كنيسة!!

والضريحان في كنيسة دي مديتشي Cappelle Medicee، وهي جزء من بازيليكا سان لورنزو في فلورنسا San Lorenzo، وهي كنيسة رومانية قديمة، وقام جيوفاني دي مديتشي، مؤسس البنك، بتجديدها على نفقته، سنة ١٤١٩م، ثم صارت مكاناً لدفن أفراد أسرة دي مديتشي، من أول كوسيمو دي مديتشي الكبير.

وبعد أن اعتلى جيوفاني بن لورنزو العظيم، عرش الكنيسة الكاثوليكية، باسم البابا ليو العاشر، سنة ١٥١٣م، بدأ في مشروع لإنشاء مجموعة من الأضرحة في كنيسة دي مديتشي لدفن أفراد الأسرة فيها، بالاشتراك مع ابن عمه الكاردينال جوليو دي مديتشي، الذي أصبح سنة ١٥٢٣م البابا كليمنت السابع، وهو الذي أتم إنشاء الأضرحة.

وعهد البابا والكاردينال بتصميم الأضرحة وإنشائها إلى ربيب أسرة دي مديتشي، مِيكل انجلو، فأتم فعلاً ضريحين، داخل قاعة المقدسات، استغرقه العمل فيهما حوالي خمس سنوات، وهما ضريح لورنزو دي بييرو دي مديتشي، حفيد لورنزو العظيم، وضريح جوليانو دي مديتشي، دوق نيمورس Nemours.

والضريحان ملاصقان للجدار خلفهما، وكل ضريح يتكون من مصطبة حجرية، يعلوها عمودان قصيران، يرتكز عليهما تابوت حجري، جوانبه منحدرة، وفي الجدار الملئ بالزخارف أعلى كل تابوت كوة كبيرة وعميقة، فيها تمثال لصاحب الضريح بزي الحرب، فضريح لورنزو

يعلوه تمثاله، وكذلك ضريح جوليانو يعلوه تمثاله، وأسفل كل تمثال وعلى الجانبين المنحدرين لكل تابوت شخصان، بحجم أكبر من الطبيعي، أحدهما رجل والثاني امرأة، وكل منهما يستلقي مائلاً على جنبه، وهو يثني إحدى رجليه، ويفرد الأخرى، وهؤلاء الأربعة، رجالاً ونساءًا، رموز للزمن وأوقات اليوم المختلفة، فالرجل والمرأة اللذان يستلقيان فوق تابوت لورنزو دي مديتشي هما الشروق والغروب، واللذان فوق تابوت جوليانو دي مديتشي هما النهار والليل، وجميعهم عراة.

يقول مؤرخ الفنون، وصديق مِيكل انجلو، جورجو فاساري:

"**والضريحان محاطان بأربعة تماثيل، فاثنان أحدهما للنهار والآخر لليل، والآخران أحدهما للفجر Dawn والثاني للغروب Twilight، والفجر امرأة عارية، لكي تُخرج الكآبة من الروح، وفي وضعها يمكن أن نرى جهدها وهي تنهض مثقلة بالنوم، وترفع نفسها من فراشها الوثير، وتبدو وكأنها استيقظت ورأت عيون الدوق مغلقة بالموت، فأصبحت تتألم في حزن مرير، وتبكي في جمال أخاذ، وما الذي يمكن أن أقوله عن تمثال الليل، إنه تمثال فريد، لم يُر مثله في أي عصر، قديماً أو حديثاً، ونرى في رقدة المرأة ليس فقط سكون النوم، بل نرى حزناً عميقاً على فقد شيء عظيم وشريف، يجعلنا نوقن أن هذه هي الليلة الظلماء التي حجب ظلامها كل شيء**"[١].

ونريدك الآن أن تتصور هذا الموقف، وتسأل هذا السؤال، ثم تجيب عليه بنفسك: إذا دخل شاب أو طفل أو فتاة الكنيسة على أنها دار عبادة، يصلون فيها للإله ويسمعون عظات القس عن الفضائل والأخلاق، ثم رأوا هذه التماثيل العارية وعوراتها الظاهرة فوق القبور داخل الكنيسة، ونشأوا على ذلك واعتادوه، فماذا سيكون موقع العري والإباحية من تكوينهم، وما الذي سيفهمونه من معنى العبادة ودارها، وعلاقة هذه التماثيل بها، وما الذي سوف تعنيه في عقولهم ونفوسهم الفضائل والأخلاق التي يكلمهم القس عنها؟

---

1) Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Vol. IX, P46.

فإذا تصورت وسألت وأجبت، فسوف تدرك على الفور أن المسألة في زمانها، هي بالضبط مثل أن تتحول دور العبادة في زمانك إلى مكان لعرض الأفلام الإباحية.

وبقي أن تعلم أن مِيكل انجلو صور جميع شخوص لوحاته وتماثيله عراة كما ولدتهم أمهاتهم، سواءًا كانوا من الرجال أو من النساء، وسواءًا كانوا من أبطال الأساطير الوثنية أو من شخصيات الكتاب المقدس، بمن فيهم المسيح نفسه، ما عدا رعاته من أسرة دي مديتشي، وشخصية أخرى واحدة وحيدة، جسَّدها جالسة في سكون ووقار، وبكامل ملابسها، وهو موسى التوراتي.

الدينونة والمسيح أبوللو:

والآن وبعد أن تعرفت على مِيكل انجلو، وتدريبه في قصر لورنزو دي مديتشي، وتعليمه في الأكاديمية الأفلاطونية الوثنية، وحبه الأفلاطوني وشذوذه، ونماذج من أعماله، يكون قد جاء موعدك مع لوحته الشهيرة، وأكبر لوحة أنتجها فنانو أسرة دي مديتشي في عصر النهضة، وإحدى أشهر اللوحات في تاريخ العالم، لتعرف حقيقتها وخفاياها الوثنية، وكيف ترجم فيها ما تم ضخه في عقله ونفسه في قصر أسرة دي مديتشي وأكاديميتهم.

في ١٧ يوليو سنة ١٥٣٣م، وصلت رسالة إلى مِيكل انجلو، تخبره أن البابا كليمنت السابع يرغب في لقائه، من أجل مشروع عظيم يريد أن يكلفه به، وفي ٢٢ سبتمبر من السنة نفسها، التقى مِيكل انجلو البابا كليمنت السابع في سان ميناتو San Miniato ، قرب مدينة بيزا في إيطاليا، فكان هذا المشروع العظيم هو لوحة يوم الدينونة، في كنيسة سيستينا Cappella Sistina، التي تقع في المقر البابوي داخل الفاتيكان.

ولوحة يوم الدينونة، أو القضاء الأخير Il Giudizio Universale، لوحة جدارية جصية أو فريسكو، أنشأها مِيكل انجلو على ارتفاع أربعة عشر متراً، وتغطي الجدار المجاور للمذبح في كنيسة سيستين، وبدأ عمله فيها في صيف سنة ١٥٣٦م، في عهد البابا كليمنت السابع،

وانتهى منها بعد أربع سنوات، وكان البابا كليمنت السابع قد مات، فقام بتسليمها، سنة ١٥٤١م، لخلفه البابا باولس/بولس الثالث Paulus III.

ولوحة يوم الدينونة، كما قدمها مِيكل انجلو، وكما يتوهم من يرونها، تصور في ظاهرها العقيدة الكاثوليكية، عن قدوم المسيح الثاني، بعد فناء العالم، ليقضي بين البشر وقد بُعثوا أحياءًا، فمن ناله الخلاص من هؤلاء كان مع المسيح، ويحيط به الملائكة والقديسون، ومن أدانه المسيح فهو في الجحيم، يتخطفه الجن والشياطين ويعذبونه.

ولوحة يوم الدينونة، التي تقع داخل المقر البابوي في الفاتيكان، معقل الكاثوليكية، تصور العقيدة المسيحية في الدينونة والخلاص في ظاهرها، لأنها في حقيقتها، وفي رموزها الخفية، ليست سوى تصوير لعقيدة ألوهية الشمس وما يرتبط بها من أساطير وثنية!

فإذا ذهبت إلى لوحة يوم الدينونة وتأملتها، فستجد من يُفترض أنه المسيح يتوسطها، وبجواره السيدة مريم العذراء، وقد صور مِيكل انجلو المسيحَ في صورة رجل قوي البنيان، مفتول العضلات، أمرد من غير لحية، وشعره ملفوف حول رأسه، ويحيط بأعلى جسمه قرص الشمس!

وفي كتابها: رمزية الشمس والكون في لوحة الدينونة لمِيكل **انجلو** Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment، وهو أطروحتها التي حصلت بها على درجة الدكتوراة من كلية جريشام في لندن، تقول دكتورة فاليري شريمبلين Valerie Shrimplin، وهي محاضرة في الفنون في جمعية الفنون الأمريكية، ومتخصصة في آثار التنجيم وصورة الكون في الفنون، تقول عن هذه الصورة التي رسمها مِيكل أنجلو للمسيح إنها:

"ليست هي صورة المسيح المعروفة في الكتابات التقليدية لآباء الكنيسة، وكما هي موجودة في الأيقونات المسيحية، بل هي الصورة الكلاسيكية Classical Image لأبولو، إله الشمس عند الإغريق، التي شاعت إبان عصر النهضة، في إيطاليا، خصوصاً في روما

وفلورنسا ... ويقول دي تولناي De Tolnay إن مِيكل انجلو عبر في جداريته عن المسيحية بصورة وثنية Pagan"[1]!

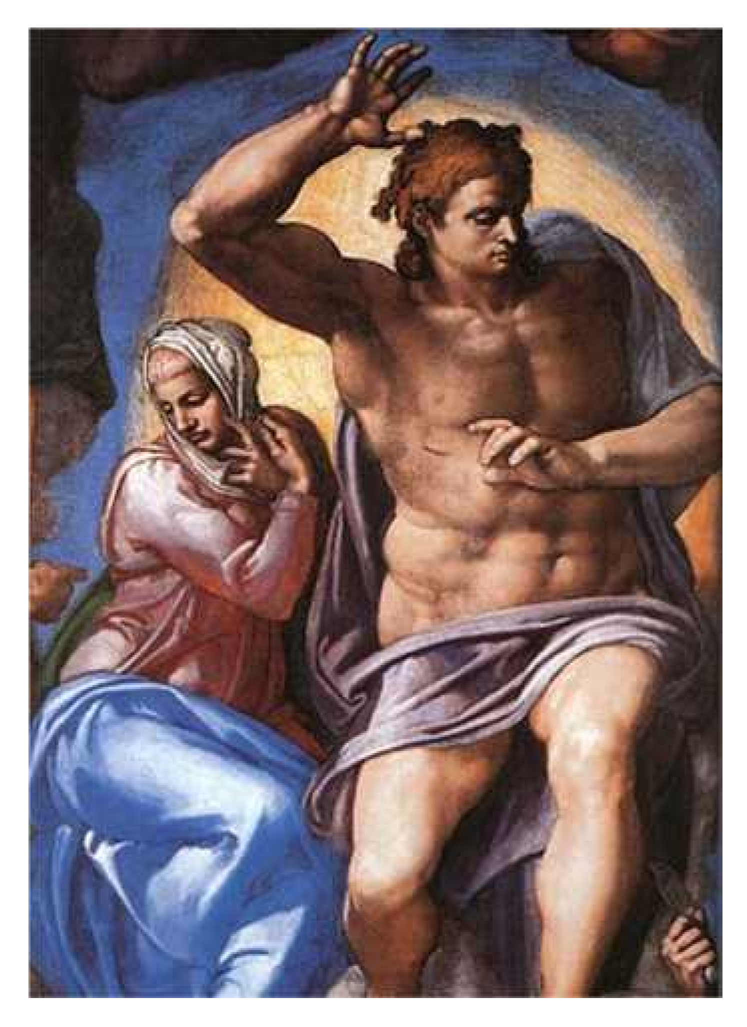
وكارل دي تولناي، المصدر الرئيسي لشريمبلين عن حياة مِيكل انجلو وأعماله، هو أستاذ تاريخ الفنون في جامعة هامبورج الألمانية، ثم في جامعة كولومبيا الأمريكية، في النصف الأول من القرن العشرين، وهو متخصص في مِيكل انجلو، وخبير في أعماله، وله كتاب، هو موسوعة في سيرة مِيكل أنجلو أنجلو وأعماله، ويقع في خمسة أجزاء ضخمة.

وتنقل شريمبلين عن دي تولناي، أن مِيكل انجلو صوَّر الوجود في لوحة يوم الدينونة في صورة دائرية Circular، حول المسيح والشمس، وهو ما يخالف التصور التقليدي في العقيدة المسيحية، والصورة الشائعة ليوم الدينونة في الفنون والعمارة الكنسية، فجدارية مِيكل انجلو:

"تصميمها دائري بشكل مثير Dramatic، وتركيزه فيها كان على المسيح والشمس في وسطها، وجمع فيها بين السماء والأرض والجحيم، وهي أجزاء الوجود المعروفة، في مستوى واحد، حول المسيح والشمس، خلافاً للصورة التقليدية التي توجد في ما لا يُحصى من الأعمال عن يوم الدينونة، في العصور الوسطى وبواكير عصر النهضة، والتي تصور مكونات الوجود الثلاثة في طبقات رأسية، وفي ترتيب هرمي Hierarchical Design، السماء أسفلها الأرض ثم الجحيم، وفي أعلى الهرم وعلى قمته يوجد المسيح، وهذا الترتيب الهرمي للوجود في طبقات، مستلهم في الرسوم المسيحية من وصف الكتاب المقدس للأرض بأنها منبسطة Flat، وأن خيمة السماء تغطيها من فوقها، ومن العقيدة الراسخة في أن الدخول إلى ملكوت السماء يكون بالصعود إلى أعلى، وأن الدخول في الجحيم يكون بالهُوي إلى أسفل تحت الأرض"[2]

---

1) Valerie Shrimplin: Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment, P140, 164, Truman State University Press, Missori, 2000.
2) Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment, P220



المسيح تحيط به الشمس على هيئة أبوللو في لوحة الدينونة أو القضاء الأخير

وربما قلت إن مِيكل انجلو كان معاصراً لكوبرنيكوس، فلعله تأثر بالثورة التي أحدثها كتاب: حركة الأفلاك السماوية، واقتبس منه الهيئة الدائرية للكون، والشمس في وسطها، والأفلاك من حولها، كما رسمها كوبرنيكوس في كتابه؟

فإليك كارل دي تولناي، الخبير في أعمال مِيكل انجلو، يخبرك، في الجزء الخامس من موسوعته، أن فرضيتك مستحيلة:

"الصورة التي وضع مِيكل انجلو فيها الشمس، وقد جعلها تمثيلاً للإله، المسيح-أبولو Christ-Apollo، في المكان المركزي من مكونات جداريته يوم الدينونة، تعني أن الفنان له تصور للكون يشبه بصورة مدهشة الهيئة التي ابتكرها معاصره كوبرنيكوس، ولكن تأثر مِيكل انجلو في تصميمه لجداريته بكوبرنيكوس يبدو مستحيلاً، لأن كتاب كوبرنيكوس نُشر سنة ١٥٤٣م، بعد أن وضع مِيكل انجلو تصميم جداريته بسبع سنوات على الأقل، وبعد أن أتمها وقام بتسليمها للبابا فعلاً بسنتين"[١]!

فإذا كان مِيكل انجلو قد انتهى من جداريته قبل أن يظهر كتاب كوبرنيكوس، فمن أين أتى بمركزية الشمس من الوجود التي صورها فيها؟

والإجابة: من المعين نفسه الذي أتى منه كوبرنيكوس بهذه المركزية، فأحدهما قام بإدخالها في العلوم وتركيبها على هيئة الأفلاك، والآخر دسها في الفنون وركبها على العقيدة المسيحية!

فهاك ما وصلت إليه فاليري شريمبلين، بعد أن نقبت عن المصدر الذي أتى منه مِيكل انجلو بالعقيدة الشمسية، وبمركزية الشمس من الوجود:

"من بين كل الكتابات التي شاعت في عصر النهضة، وكان لها أثر مباشر على تصور مِيكل انجلو للكون يتوسطه الإله God Centered Cosmology، واستعارته الشمس الأفلاطونية للتعبير عن المسيح، كتاب الشمس لمارسيليو فتشينو"[٢]!!

وكما ترى، كل شيء في عصر النهضة خرج من بؤرة واحدة ويدور حولها، وعبارة فاليري شريمبلين تعيدنا مرة أخرى إلى أكاديمية أسرة دي مديتشي الأفلاطونية، وكتاب الشمس لفتشينو، فهاك المسيح يناظر الشمس في يوم الدينونة، في الباب التاسع من كتاب الشمس، وعنوانه: الشمس صورة الإله The Sun Is The Image of God:

---

1) Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment, P4.
2) Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment, P227.

"فنأمل أن يأتي المسيح في النهاية إلى مملكته، ليبعث أجساد البشر من الأرض بنور جسده، كما نتطلع بعد الشتاء الميت Dead Winter إلى نزول الشمس في برج الحمل، لكي تُعيد الحياة في بذور كل شيء على الأرض، وتبعث الموتى أو نصف الأحياء من الحيوانات إلى الحياة والجمال"(١)، (٢).

وما فات فاليري شريمبلين، أن ثمة مصدراً آخر يوحد بين المسيح والشمس، وهو أطروحات بيكو ديلا ميراندولا القبالية، وقد طُبعت، كما علمتَ، في روما في شهر ديسمبر سنة ١٤٨٦م، وأرسل ديلا ميراندولا نسخة منها إلى فتشينو، فكان يدرسها ويشرحها في الأكاديمية الأفلاطونية، ومِيكل انجلو صار من أعضائها، وعلى صلة وثيقة بفتشينو وبديلا ميراندولا نفسه.

وقد أتيناك من قبلُ بنص الأطروحة القبالية الحادية والخمسين، من أطروحات بيكو ديلا ميراندولا، فها هي نذكرك بها:

"كما أن القمر مكتملاً/البدر كان في سليمان Solomon، فإن الشمس الساطعة كانت في الهامشيحاه الحقيقي True Messiah، الذي هو يسوع"(٣) .

وكما ترى، جدارية يوم الدينونة لمِيكل انجلو، التي جعل فيها المسيح في صورة أبولو إله الشمس، ثم وضعه مع الشمس في وسط الوجود، وفي تصميم دائري، خلافاً للتصور المسيحي التقليدي، ليست سوى تصوير جمع فيه مِيكل انجلو بين فرضية ديلا ميراندولا القبالية الحادية والخمسين، التي جعل فيها الشمس صورة للمسيح، وبين مجيء المسيح في يوم الدينونة كالشمس من كتاب الشمس لفتشينو.

---

1) The Book Of The Sun, In: Sphinx, Journal For Archetypal Psychology And The Arts, Vol.6, P117.

2) The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, P204.

3) Syncretism in the West, Pico's 900 Theses With Text, Translation and Commentary, P541.

وقد تتساءل في عجب: وأين كان البابا كليمنت السابع، وهو صاحب مشروع الجدارية، والذي وضع مِيكل انجلو تصميمها ومكوناتها الرئيسية في عهده، وكيف لم يفطن إلى مخالفة هذا التصميم والمكونات للتصور المسيحي، واحتوائها على عناصر وثنية، والجدارية أمام عينيه داخل المقر البابوي، وكذلك البابا بولس الثالث الذي تسلم الجدارية من مِيكل انجلو؟!

وسوف تجد الإجابة على سؤالك حين تعلم أن البابا بولس الثالث، الذي تسلم جدارية يوم الدينونة من مِيكل انجلو، من أسرة فارنيسي Farnese، التي تحكم دوقية بارما وبياسنزا Parma e Piacenza، وأن أسرته وثيقة الصلة بأسرة دي مديتشي، وبينهما روابط ومصاهرات عديدة، والبابا بولس الثالث نفسه نشأ في بلاط لورنزو دي مديتشي في فلورنسا، وتلقى تعليمه في أكاديمية دي مديتشي الأفلاطونية، وفي جامعة بيزا، التي تتبع فلورنسا، وكانت هي أيضاً إحدى بؤر أسرة دي مديتشي لبث الأفكار القبالية والفلسفات الوثنية.

وسوف يزول عجبك، وتعرف لماذا لم ير البابا بولس الثالث في جدارية مِيكل انجلو شيئاً غريباً عليه ليستنكره، إذا علمتَ أن الرجل الذي افتتح كوبرنيكس كتابه: حركة الأفلاك بإهداء الكتاب إليه، هو نفسه البابا بولس الثالث!

وأما البابا كليمنت السابع، فقد علمتَ أنه كان كاردينال فلورنسا، ثم بزغ نجمه في الكنيسة الكاثوليكية، وصعد إلى منطقة السلطة وصنع القرار في الفاتيكان، مع اعتلاء ابن عمه البابا ليو العاشر العرش البابوي سنة ١٥١٣م، ليصبح وزيره ومستشاره وأمين سره، وبعد وفاة ابن عمه البابا ليو العاشر، سنة ١٥٢١م، كان هو الذي صعد بخلفه المسن البابا أدريانوس/أدريان السادس Adrianus VI إلى عرش الفاتيكان، ليعتلي هو نفسه العرش البابوي بعد موت أدريان السادس سنة ١٥٢٣م.

والبابا كليمنت السابع، الذي وضع مشروع جدارية يوم الدينونة، وشهد تصميم مِيكل انجلو لها وبدايات عمله فيها، مثل خلفه البابا بولس الثالث، نشأ في كنف لورنزو دي مديتشي، وتلقى تعليمه في أكاديميته الأفلاطونية، غير أنه يزيد على البابا بولس الثالث شيئاً، وهو أن

اسمه الأصلي قبل أن يغيره إلى اللقب البابوي كليمنت السابع، هو جوليو دي جوليانو دي مديتشي Giulio di Giuliano de’ Medici!!

فالبابا كليمنت السابع هو حفيد كوسيمو دي مديتشي، مؤسس أسرة دي مديتشي وأول من يحكم فلورنسا منها، وأبوه جوليانو دي مديتشي كان شريك لورنزو العظيم في حكم فلورنسا، إلى أن مات، لينفرد لورنزو بحكمها، وأبوه كان شريكاً في الحكم مع لورنزو، لأنه أخوه، فلورنزو العظيم الذي ربى البابا كليمنت السابع وعلمه، هو عمه!!

وأما البابا ليو العاشر، الذي وضع مفاتيح القرار البابوي في يد ابن عمه البابا كليمنت السابع، ووطأ له عرش الفاتيكان، ومهد له الطريق إلى اعتلائه ليخلفه فيه، فهو نفسه جيوفاني دي لورنزو دي مديتشي ، ثاني أبناء لورنزو العظيم!

فالبابا ليو العاشر والبابا كليمنت السابع، كما علمتَ تفصيلاً، ليسا سوى اثنين من البابوات الأربعة، الذين اعتلوا عرش الفاتيكان، ووصلوا إلى سدة الحكم في الكنيسة الكاثوليكية ورأس المسيحية الغربية، إبان عصر النهضة، وهم من اليهود الأخفياء من أسرة دي مديتشي، التي صنعت أفكار عصر النهضة وعلومه وآدابه وفنونه بالقبالاه والأساطير والعقائد الوثنية، وصبغتها بالإلحاد والإباحية!

أغلق الدائرة

وبعد أن وصلت إلى نهاية السِفر الذي بين يديك، نريدك الآن أن تعيد قراءة الباب الأول منه، حركة الروزيكروشان، ليكون ما عرفته عن أسرة دي مديتشي وأعمالها وآثارها برهاناً لك على صحة النصف الأول من فرضيتنا، وهو أنها المؤسس الحقيقي لحركة الروزيكروشان، وأن أكاديميتها الافلاطونية لم تكن سوى محفلها الأول، ثم أعد قراءة أعمال أسرة دي مديتشي وآثارها مرة أخرى، ليكون ما عرفته عن حركة الروزيكروشان برهاناً لك على صحة النصف الثاني، وهو أنها من اليهود الاخفياء.

المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ: البداية والنهاية، تحقيق: دكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢) أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، المؤرخ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣) أحمد حمروش، الأستاذ: قصة ثورة يوليو، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٤) أحمد حمروش: نسيج العمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٥) بهاء الأمير، دكتور: شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٥م.

٦) بهاء الأمير: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م.

٧) بهاء الدين بن شداد، القاضي: النوادر اليوسفية والمحاسن السلطانية، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٨) برتراند رسل، الفيلسوف: تاريخ الفلسفة الغربية ج١ الفلسفة القديمة، ترجمة : دكتور زكي نجيب محمود، مراجعة: أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

٩) تيموثي فريك وبيتر غاندي: متون هرمس وحكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة: عمر الفاروق محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠) ثروت عكاشة، دكتور: موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، فنون عصر النهضة، الرينيسانس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠١١م.

١١) جيل بيرو، المؤرخ الشيوعي: هنري كورييل رجل من طراز فريد، عربه وقدم له: كميل داغر، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.

١٢) خالد محي الدين، الأستاذ: والآن أتكلم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٣) دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٤) رفعت السعيد، دكتور: تاريخ الحركة الشيوعية، ج٣، ١٩٤٠م-١٩٥٠م، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٥) عوض الخوري، الأستاذ: تبديد الظلام أو أصل الماسونية، مطبعة الاجتهاد، بيروت، ١٩٢٩م.

١٦) والاس بدج، المؤرخ البريطاني: آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٧) وِل ديورانت، المؤرخ الأمريكي: قصة الحضارة، ج١٥، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، ١٩٧٥م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Albert McKey: Encyclopedia of Freemasonry And Its Kindred Sciences, Puplished By The Masonic History Company, New York And London, 1914.

2) Albert Pike: Morals And Dogma of The Ancient And Accepted Scottish Rite of Freemasonry, Prepared For The Supreme Council of The Thirty Three Degree For The Southern Jurisdiction of The Uunited States And published by Its Authority, Charleston, 1871.

3) Angela Voss: Magic, Astrology And Music, The Background To Marsilio Ficino Astrologic Music Therapy And His Role As Renaissance Magus, City University, London, June, 1992.

4) Angela Voss: Uveiling The Divine Feminine, Botticelli’s Primavera And The Birth of Venus, Wise Studies, Sep. 22, 2020.

5) Arthur Edward Waite: The Holy Kabbalah, A Study of The Secret Tradition in Israel, Williams And Norgate, London, 1929.

6) Arthur Edward Waite: The Real History of The Rosicrucians, George Redway, London, 1887.

7) Biblia Sacra Vulgatae, Friderici Pustet & Co., Ratisbonae et Romae, MCMXIV/1914.

8) Cecil Roth: The History of The Jews of Italy, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1946.

9) Cecil Roth: Venice, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1930.

10) Christopher Hibbert: The Rise And Fall of The House of Medici, William Morrow And Co., New York, 1975.

11) Confessio Fraternitatis Or The Fame And Confession of The Fraternity of The Rosie Cross, Translated By: Eugenius Philalethes, Printed By: T. M. For Giles Calvert, London, 1653.

12) David Passigli, Tipografo-Editore: Dizionario Biografico Universale, Ferinzi, MDCCCXLIX/1849.

13) David Werner Amram: The Makers of Hebrew books in Italy, Julius Greenstone, Philadelphia, 1909.

14) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Antipapa Giovanni XXIII.

15) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Bardi Famiglia.

16) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Battistero di San Giovanni Firenze.

17) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: David-Apollo.

18) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Francesco Sforza.

19) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Giovanni Pico della Mirandola.

20) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Medici.

21) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Otto di Guardia e Balia.

22) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Papa Eugenio IV.

23) Da Wikipedia, l’enciclopedia libera: Tavole Genealogiche della Famiglia Medici.

24) Delphi Complete Works of Giotto (Illustrated), Delphi Classics, 2016.

25) Edgcumbe Staley: The Guilds of Florence, Methuen And Co., London, 1906.

26) Edward Goldberg: Jews And Magic In Medici Florence, University of Toronto Press, 2011.

27) Elena Bellomo: The Templar Order In North West Italy (1142 – 1330), Translated By: Gruppo Logos, Brill, Leiden, Boston, 2008.

28) Elizabeth Livermore Forbes: Of the Dignity of Man: Oration of Giovanni Pico Della Mirandola, Count of Concordia, Journal of The History of Ideas, Vol. 3, No. 3, Jun., 1942.

29) Ephraim Russell: The Societies of The Bardi And The Peruzzi And Their Dealings With Edward III, In: Finance And Trade Under Edward III, Manchester University Press, 1918.

30) Ernst Gombrich: Botticelli’s Mythologies, Study In The Neoplatonic Symbols In His Circles, Journal of The Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 8, 1945.

31) Fama Fraternitatis Or A Discovery of The Fraternity of The Most Laudable Order of The Rosy Cross, Translated And Prefaced By: Eugenius Philalethes, Printed by F. M. For Gila Calvert, London, 1653.

32) Francis Yates: Giordano Bruno And The Hermetic Tradition, Routledge And Kegan Paul, London, 1964.

33) Frances Yates: The Occult Philosophy In The Elizabethen Age, Taylor & Francis, London, 2004.

34) Frederic Lane: Venice A Maritime Republic, The Johns Hopkins University Press Ltd., Baltimore And London, 1973.

35) George Frederick Young: The Medici, John Murray, London, 1913.

36) Georg Holmes: How The Medici Became The Pope’s Bankers, In: Florentine Studies, Politics And Society In Renaissance Florence, Faber and Faber Ltd., London, 1986.

37) Giorgio Vasari: Lives of The Most Excellent Painters, Sculptors, And Architects, Translated By: Gaston du C. de Vere, Philip Lee Warner Publisher, To The Medici Society Limited, London, 1912-1915.

38) Giovanni Francesco Pico: Giovanni Pico Della Mirandola, His Life, Translated From The Latin By: Sir Thomas More, Edited With Introduction And Notes By: James Macmullen Rigg, Published By: David Nutt, London, MDCCCXC/1890.

39) Giovanni Pico Della Mirandola: Oration On The Dignity of Man, Translated From The Latin BY: Elizabeth Livermore Forbes, In: The Renaissance Philosophy of Man, Phoenix Books, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1948.

40) Gotthard Deutsch And Frederick Haneman: Reuchlin, Johann Von, The Jewish Encyclopedia, Vol. X, Funk & Wagnalls, New York, 1905.

41) Gotthard Deutsch And Max Schloessinger: Delmedigo, The Jewish Encyclopedia, Vol. IV, Funk And Wagnells, New York, London, 1905.

42) Heinrich Graetz: History Of The Jews, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1894.

43) Herbert Vaughan: The Medici Popes, Methuen & Co., London, 1908.

44) Israel Abrahams: The Jewish Life In The Middle Ages, The Macmillan Company, London, New York, 1919.

45) James Hankins: Cosimo de’ Medici And The Platonic Academy, Journal of The Warburg And Courtauld Institutes, Vol. 53, 1999.

46) James Hankins: The Myth of The Platonic Academy of Florence, Renaissance Quarterly, Vol. 44, No. 3, Autumn, 1991.

47) James Saslow: Pictures And Passions: A History of HomosexualityinThe Visual Arts, Viking Publisher, New York, 1999.

48) James William Gilbart : The History And Principles of Banking, Longman, London, 1834.

49) Janet Ross: The Lives of Early Medici, Richard Badger Publishing, Boston, MCMXI/1911.

50) Jean-Yves Leloup, The Gospel of Philip, Translated From Coptic With Commentry, Translated From French By: Joseph Rowe. Inner Traditions, Rochester, Vermont, 2004.

51) John Addington Symond: The Life of Michelangelo Buonarroti Based On Studies In The Archives Of The Buonarroti Family At Florence, John Nimmo, London, MDCCCXCIII/1893.

52) John Ankerberg And John Weldon: Encyclopedia of New Age Believes, Harvest House Publishers, Oregon, U S, February 1996.

53) John Everard: The Divine Pymander, Printed by Robert White, for Thos. Brewster & Greg. Motile, At The Three Bibles In The Poultry, Tinder Mildred’s Church London, 1650.

54) John Najemy: A History of Florence 1200-1575, Blackwell Publishing, Oxford, 2006.

55) John Padget And Paul McLean: Economic Credit In Renaissance Florence, Working Papers. Southern Illinois University, Paper 9, 2009.

56) John Robinson: Proofs of Conspiracy Against All Religions And Governments of Europ, Printed For: T. Cadell, Jun. And W. Davies, And W. Creech, Edinburgh, 1798.

57) Joseph McCabe: Crises In The History of The Papacy, G.P. Putnam’s Sons, New York And London, 1916.

58) Julie Lee Mell: Religion And Economy In Pre Modern Europe, The Medieval Commercial Revolution And The Jews, A Dissertation Submittted To The Faculty of The Univesity of North Carolina, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy, Chapel Hill, North Carolina, 2007.

59) Katharine Dorothea Ewart: Cosimo de Medici, Macmillan And Co., London, 1899

60) Keith Stern: Queers In History, The Comprehensive Encyclopedia of Historical Gays, Lesbians Bisexuals, And Transgenders, Ben Bella Books, Texas, 2009.

61) Laurie Schneider: Donatello's Bronze David, The Art Bulletin, Vol. 55, No. 2, June, 1973.

62) Lester Crocker: An Age of Crisis. Man and World In Eighteenth Century French Thought, Johns Hopkins University Press, 1959.

63) Louis Crompton: Homosexuality And Civilization, Harvard University Press, 2003.

64) Ludwig Von Pastor: The History of The Popes From The Close of The Middle Ages Drawn From The Secret Archives of The Vatican, Vol. I, Kegan Paul, Trench Trubner & Co., Second Edition, London, 1899.

65) Luigi Pascaliy: Banks And Development: Jewish Communities In The Italian Renaissance And Current Economic Performance, Universitat Pompeu Fabra And Barcelona, March 23, 2012.

66) Lynn Picknett And Clive Prince: The Templar Revelation, Transworld Publishers Ltd, UK, 1997.

67) Magus Icognito: The Secret Doctrine Of The Rosicrucians, Advanced Thought Publishing company, Chicago, 1918.

68) Manly Hall: The Secret Teachings of All Ages, Printed For Manly Hall, By: Crocker Company Incorporated, MCMXXVIII/1928. .

69) Marco Fazzini, Luigi Fici, Alessandro Montrone, Simone Terzani: A Modern Look At The Banco De' Medici, Governance And Accountability Systems In Europe's First Bank Group, International

Business & Economics Research Journal, Volume 15, Number 6, November/December 2016.

70) Marcus Arkin: Aspects of Jewish Economic History, Varda Books, USA, 2002.

71) Maristella Botticini And Zvi Eckstein: From Farmers To Merchants, Voluntary Conversions And Diaspora, Working Paper No. 27-2005 ,The Foerder Institute For Economic Research And The Sackler Institute of Economic Studies, Tel Aviv University, 2005.

72) Marquis de Sade: Journey To Italy, Translated By: James Steintrager, Ontario Arts Council, University of Toronto Press, Canada, 2020.

73) Marsilio Ficino: The Book of The Sun, In: Angela Voss: Marsilio Ficino, North Atlantic Books, Berkeley, California, 2006.

74) Marsilio Ficino: The Book of The Sun, Translated To English by: Geoffrey Cornelius, Darby Costello And Angela Voss, In: Sphinx, Journal for Archetypal Psychology And The Arts, Vol.6, 1994.

75) Masilio Ficino: Three Books On Life, Translated With Introduction BY: Carol Kaske And John Clark, Center for Medieval And Early Renaissance Studies, State University of New York, In Conjunction With The Renaissance Society of America, 1998.

76) Michael Baigen, Richard Leigh And Henry Lincoln: The Holy Blood And The Holy Grail, Jonathan Cape, London, 1982.

77) Michael Rocke: Forbidden Friendships: Homosexuality And Male Culture In Renaissance Florence, Oxford University Press, 1996.

78) Michele Fratianni, Franco Spinelli: Italian City-States And Financial Evolution, European Review of Economic History, 10, Cambridge University Press, 2006.

79) Moses Avigdor Shulvass: The Jews In The World of The Renaissance, Translated From Hebrew By: Kose Elvin, E. J. Brill, Leiden, 1973.

80) Moses Samuels: Memoirs of Moses Mendelsohn, The Jewish philosopher, Including The Celebrated Correspondence, On The

Christian Religion, With J.C. Lavater, Minister of Zurich, Printed By: Saintsbury And Co., For Longman And Co., London, 1827.

81) National Gallery of Art Washington, Michelangelo's David-Apollo, December, 13, 2012.

82) Niccolò di Machiavelli: History of Florence, Translated With Introduction By: Hugo Albert Rennert, M. Walter Dunne Publisher, New York And London, 1901.

83) Noble Foster Hoggson: Banking Through The Ages, Dodd, Mead And Co., New York, 1926.

84) Pasquale Villari: The Life And Times of Girolamo Savonarola, Translated by: Linda Villari, T. Fisher Unwin, London, MDCCCXCVII /1898.

85) Paul Oskar Kristeller: Renaissance Thought, Harper & Row, Publishers, New York, Evanstoa And London, 1961.

86) Paul Oskar Kristeller: The Philosophpy of Marsilio Ficino, Columbia University Press, 1943.

87) Pearl Kibre: The Library of Pico Della Mirandola, Columbia University Press, New York , 1936.

88) Peter Serracino Inglott: Ficino The Priest, In: Marsilio Ficino His Theology, His Philosophy, His Legacy, Brill, Leiden, Boston Koln, 2002.

89) Philip Edgcumbe Hughes: Pico della Mirandola, 1463-1494, Thesis, University of Cape Town, 1958.

90) Pier Cesare Bori: Pico della Mirandola: Oration On The Dignity of Man, A New Translation and Commentary, Cambridge University Press, 2011.

91) Pierre Des Essars: Banking In Italy, In: A History of Banking In All The Leading Nations, Vol. III, Published BY The Journal Of Commerce And Commercial Bulletin, In 4 volumes, Beaver Street, New York, 1896.

92) P. N. R. Zutshi: Avignon Papacy, In: The New Cambridge Medieval History, Vol. VI, 1300-1415, Edited by: Michael Jones, Cambridge University Press, 2000.

93) Pompeo Litta: Famiglie Celebri Italiane, Vol. III, Medici di Firenze, Presso P.E. Giusti, Milano, 1819.

94) Raymond de Roover: The Rise And Decline of The Medici Bank, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, 1963.

95) Rebecca Lea McCarthy: Origins of The Magdalene Laundries, McFarland Publisher, North Carolina , 2010.

96) Richard Goldthwaite: The Economy of Renaissance Florence, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, 2009.

97) Richard Hildreth: The History of Banking, Hillard, Gray And Co., Boston, 1837.

98) Robert Chazan: The Jews of Medieval Western Christendom, 1000-1500, Cambridge University Press, London, 2007.

99) Robert Gregg Bury: The Symposium of Plato, With Introduction And Commentry, Heffer And Sons, Cambridge, 1909.

100) Robin Hard: Greek Mythology, Routledge Publishing, London, New York, 2004.

101) Rowan William Dorin: Banishing Usury The Expulsion of Foreign Moneylenders In Medieval Europe, 1200-1450, Harvard University, July 2015.

102) Scipione Ammirato: Famglie Nobili Florentine, Apprefso Gio: Donato, e Bernardino Giunti & Compagni, In Ferinze, MDCXV/1615.

103) Sharon Mintz And Gabriel Goldstein: Printing The Talmud From Bomberg To Schottenstein, Center For Jewish History, Yeshiva University, 2005.

104) Stephen Alan Farmer: Syncretism In The West, Pico’s 900 Theses With Text, Translation And Commentary, Medieval & Renaissance Texts & Studies, Printed In USA, 1998.

105) Sydney Joseph Freedberg: A Recovered Work of Andrea del Sarto With Some Notes on a Leonardesque Connection, Burlington Magazine, Vol. 124, No. 950, May, 1982.

106) The Holy Bible, King James Version, Printed At London, By: Robert Baker, Printer To The Kings, Anno Domini 1611.

107) Theodore Bent: Genoa, How The Republic Rose And Fall, Kegan Paul And Co., London, 1881.

108) Thomas Keightley: Secret Societies of The Middle Ages, Charles Knight & Co., London, 1837.

109) Umberto Cassuto And Josef Levi: Florence, Encyclopedia Judaica, Vol. VII, Thomson Gale, USA In Association With Keter Publishing House Ltd. Jerusalem, Second Edition, 1977.

110) Valerie Shrimplin: Sun Symbolism And Cosmology In Michelangelo's Last Judgment, Truman State University Press, Missori, 2000.

111) Walter Wakefield And Austin Evans: Heresies of The High Middle Ages, Columbia University Press, New York, 1969.

112) Wikipedia, the free encyclopedia: Genealogical Tables of The House of Medici.

113) Wikipedia, the free encyclopedia: House of Medici.

114) William Robertson Smith: Reuchlin, Johann, Encyclopædia Britannica, Eleventh Edition, Vol. XXIII, Cambridge, England, At The University Press, New York, 35 West, 32nd Street, 1911.

115) William Roscoe: The Life of Lorenzo de Medici Called The Magnificent, Tenth Edition, George Bell & Sons, London, 1902.

فهرس الصور

الرقم	الصورة	ص
١	شعار حركة الروزيكروشان، الصليب الوردي، أو الصليب والوردة	١٨
٢	شعار حركة الروزيكروشان	٢٣
٣	شعار مارتن لوثر على زجاج كنيسة كوبشتاد	٢٣
٤	شعار أسرة دي مديتشي	٤٦
٥	شعار البوبولو، أو مؤسسات عموم الناس في فلورنسا	١٢١
٦	الفلورين دولار عصر النهضة	١٣٣
٧	علم فلورنسا سنة ١٣٤٠م، وفيه الصليب الأحمر وزهرة الزنبق	١٣٦
٨	بورتريه لديلا بللا، رسمه له في حياته فنان مجهول، وفيه يرتدي شعاره، صليب فرسان الهيكل الأحمر	١٤٤
٩	لوحات الفريسكو التي تصور حياة يوحنا المعمدان على الجدار الشمالي لكنيسة بيروتسي ، ورسمها الرسام جوتو بطلب من جيوفاني دي بيروتسي .	١٥٤
١٠	شعار نقابة الصوف في فلورنسا، في عهد أسرة دي مديتشي	١٦٨
١١	شعار مجلس الثمانية أو محكمة فلورانسا	٢٢٥
١٢	تحوت إله الحكمة والمعرفة في أساطير مصر القديمة	**٢٩٤**
١٣	نموذج فتشينو للكون، والشمس الملك على عرشها في منتصفه	**٣٠٤**
١٤	السفيروت أو شجرة الحياة في القبالاه	**٣٤٧**
١٥	جزء من لوحة رحلة المجوس، على الجدار الغربي من قصر مديتشي ريكاردي، ويظهر فيه ديل مديجو، على فرس، وينظر إلى الأمام. في يسار الصورة وأسفلها.	**٣٥١**
١٦	لوحة الملائكة تظهر لزكريا، لجيرلاندايو، ويظهر فيها فتشينو	**٣٧٣**

	وأعضاء الأكاديمية الأفلاطونية، في أقصى يسار اللوحة وأسفلها.	
١٧	أعضاء الأكاديمية الأفلاطونية، في لوحة الملائكة تظهر لزكريا، وفتشينو في أقصى اليسار.	٣٧٣
١٨	تمثال أبوللو – دافيد، لمِيكل انجلو.	٣٧٦
١٩	جوليانو دي مديتشي في صورة ميركيوري، وسيمونتًا فسبوتشي في صورة فلورا، في لوحة بريمافيرا لبوتتشيللي.	٣٨٢
٢٠	تمثال باكوس، لمِيكل انجلو.	٣٨٤
٢١	باكوس ويوحنا المعمدان والملاك المتجسد، ثلاث لوحات لدافنشي.	٣٩٢
٢٢	لوحة العشاء الأخير لدافنشي.	٤٠٧
٢٣	الخنجر ويد تذبح في اللوحة.	٤٠٧
٢٤	تمثال دافيد لدوناتيللو.	٤١٣
٢٥	تمثال دافيد لمِيكل انجلو.	٤١٥
٢٦	تمثال أبوللو بلفيديري.	٤١٥
٢٧	ضريح البابا جوليوس الثاني يعلوه تمثال موسى.	٤١٨
٢٨	تمثال موسى لمِيكل انجلو.	٤١٨
٢٩	لوحة اختطاف جانيميد لمِيكل انجلو.	٤٢٣
٣٠	المسيح تحيط به الشمس على هيئة أبوللو في لوحة الدينونة أو القضاء الأخير	٤٣٠

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
حركة الروزيكروشان	١٣
أصل الروزيكروشان وإشهارها	١٥
أم العلوم الطبيعية ومحضن علمائها	١٩
خلف حركة الروزيكروشان	٢٥
ثاني الآتين من الخلف	٣٩
أسرة دي مديتشي	٤٥
فرسان الهيكل	٤٩
من فرسان الهيكل إلى بنوك إيطاليا	٦١
اليهود والربا والبنوك	٦٣
اليهود والربا	٦٣
واحتكار التجارة	٧٥
المرابون اليهود والحركات السرية من الشرق إلى الغرب	٨٤
البنوك الأولى في العالم	٨٩
بنك فينيسيا	٨٩
بنك جنوة	١٠٤

فلورنسا بؤرة المرابين وفرسان الهيكل واليهود الأخفياء	١٠٩
بؤرة المرابين	١١١
نقابات المرابين وفرسان الهيكل	١١٧
الفلورين دولار عصر النهضة والبصمة الخفية	١٣١
حكومات التجار والمرابين	١٣٩
ربا ومرابون في كل مكان	١٤٩
بنك فلورنسا وأول دين قومي في التاريخ	١٥٩
ثورة شيوعية	١٦٤
اليهود الأخفياء دي مديتشي	١٦٩
الأصول	١٧١
روتشيلد عصر النهضة	١٨٧
دي مديتشي والبابا القرصان	١٩٧
في السلطة	٢١١
كوسيمو، أبو فلورنسا ومورطها في الحروب	٢١٢
بييرو المريض	٢٢٩
لورنزو العظيم بالقبالاه والتماثيل	٢٣١
بييرو المنحوس، وطرد أسرة دي مديتشي	٢٣٩
جيوفاني دي مديتشي، كاردينال وجنرال	٢٤٢
على عرش فلورنسا والكنيسة	٢٤٥

دي مديتشي واليهود	٢٤٩
كوسيمو يفتح فلورنسا للمرابين اليهود	٢٤٩
لورنزو حامي المرابين وحاضن القباليين	٢٥٠
معاً في النفي والعودة	٢٥٣
جيوفاني دي مديتشي، البابا التلمودي	٢٥٤
دوقات توسكانيا واليهود	٢٥٧
عصر النهضة القبالي	٢٦٣
أسرة دي مديتشي في التاريخ	٢٦٥
الأكاديمية الأفلاطونية	٢٧١
فيلسوف الوثنية مارسيليو فتشينو	٢٨١
وحدة الوجود والتوحد بالموجود	٢٨١
هرمس ومتونه	٢٩٣
كتاب الشمس	٣٠٠
الحب الأفلاطوني	٣٠٥
كتاب الحياة والسحر والتنجيم	٣١٢
القبالي بيكو ديلا ميراندولا	٣٢١
بيكو روح كوسيمو	٣٢١
أطروحات وثنية قبالية	٣٢٥
خطبة عن كرامة الإنسان	٣٣٣
القبالاه والقباليون	٣٤١

عصر النهضة الألماني ٣٥٥

لوحات وتماثيل ٣٦١

أفكار في أشكال ٣٦٣

فنانو أسرة دي مديتشي ٣٦٩

أبوللو وفينوس وباكوس ٣٧٥

أبوللو ٣٧٥

فينوس ٣٧٧

باكوس ويوحنا المعمدان ٣٨٢

العشاء الأخير ٣٩٥

موسى وداوود ٤٠٩

دافيد/داوود ٤٠٩

موسى ذو القرنين ٤١٦

الدينونة أو القضاء الأخير ٤١٩

مِيكل انجلو ربيب أسرة دي مديتشي ورمز عصر النهضة ٤١٩

كنيسة وقبور وتماثيل عارية ٤٢٥

الدينونة والمسيح أبوللو ٤٢٧

أغلق الدائرة ٤٣٥

المصادر والمراجع ٤٣٦

فهرس الصور ٤٤٧

دكتور بهاء الأمير ٤٥٣

دكتور بهاء الأمير

õ المؤلفات المطبوعة:

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب، مدبولي للنشر والتوزيع.
١٢	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز، مدبولي للنشر والتوزيع.
١٣	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٤	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٥	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٧	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٨	أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٩	بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٠	اليهود والماسونية في المغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.

٢١	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية، مطبوع على نفقة المؤلف.
٢٢	اليهود والحركات السرية في عصر النهضة، مطبوع على نفقة المؤلف.

دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت[õ]:

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.
٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.

õ) **روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.**

٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.
٢٢	رد على نقد بخصوص كتاب شفرة سورة الإسراء:١ ،٢ ، ٣.
٢٣	اليهود الأخفياء.
٢٤	رسم المصحف وكلمات القرآن.
٢٥	اليهود والاشتراكية.
٢٦	المملكة وأردوغان.
٢٧	حفظة الأكلشيهات.
٢٨	اليهودي كرستوفر كولمبس ومشروع المارانو.
٢٩	يهود الخزر.
٣٠	الأزمة في الجزائر وأزمة الشرعية في الدول العربية.
٣١	أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣٢	الأرض المسطحة.
٣٣	آل عثمان حماة مياه الإسلام.
٣٤	الإسلام والحركات الإسلامية والثورات
٣٥	حوار مع كائن فضائي.
٣٦	الخلافة والمُلك والدولة العثمانية وبلاليص ستان.
٣٧	جوته والإسلام والماسونية.
٣٨	نقد كتاب السامري الساحر المصري الذي أسس الماسونية.
٣٩	السلطان عبد الحميد وعبد الرحمن الكواكبي.
٤٠	القبالاه روح عصر النهضة والتنوير.
٤١	العراقيل أمام دراسة المسألة اليهودية في بلاليص ستان.
٤٢	حكماء صهيون وبروتوكولاتهم.
٤٣	اليهود والسُلطة وحكم العالم.
٤٤	الفرق بين المماليك والآتين من الخلف.

٤٥	السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
٤٦	بريطانيا واليهود.
٤٧	نابليون الماسوني واليهود.
٤٨	مستوطنة في جزيرة العرب ومستوطنة في سيناء.
٤٩	مقدمة وتعليقات على كتاب: المؤامرة الكونية، ليان فان هيلسنج، وترجمة: م/أحمد حمدي.
٥٠	درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.
٥١	الترك وقتالهم.
٥٢	القسطنطينية وآخر الزمان.
٥٣	أخطاء الإسلاميين في الثورة.
٥٤	حكم قتل الكافر الحربي.
٥٥	كورونا.
٥٦	اليهود في الصين.
٥٧	نصيحة بخصوص تربية الأبناء.
٥٨	هارون الرشيد وشارلمان العظيم.
٥٩	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٦٠	الأرض والمقدسات بين التفسير الإسلامي والتفسير اليهودي.
٦١	القومية والعلمانية في التوراة.
٦٢	إلى أنصار الأرض المسطحة.
٦٣	الأسباط، شيطان بني إسرائيل، بنو إسرائيل واليهود، قابيل والمسيخ الدجال.
٦٤	أردوغان والمعمار القومي لبلاليص ستان.
٦٥	الرقيق والاسترقاق في هذا الزمان.
٦٦	الدولة العثمانية والمغرب.
٦٧	مفتاح الشفرة اللغوية في صدر سورة الإسراء ومن يكون العباد.

٦٨	الخلافة الإسرائيلية.
٦٩	تطبيع وتدليس.
٧٠	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٧١	حوار مع مبتدئ في كار التخفي.
٧٢	النبي العربي.
٧٣	مصادر الدراسات الماسونية.
٧٤	شبهات حول العربية والقراءات والقرآن وهلوسة وهذيان.
٧٥	ثاني الآتين من الخلف.
٧٦	الحب الأفلاطوني.
٧٧	لوحات وتماثيل.

قصص قصيرة:

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

المرئيات(õ):

<u>أولاً:</u> مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

õ) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

<u>ثانياً:</u> مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.
١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

<u>ثالثاً:</u> مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

<u>رابعاً :</u> مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.

٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث:

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

سابعاً: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

ثامناً: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.

١٢	الهندوسية.
١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

<u>تاسعاً</u>: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.

١٤	علميها رمي الحجر.
١٥	اليهود في الماسونية ج١ الطقوس والرموز.
١٦	اليهود في الماسونية ج٢ درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر ومعانيها.
١٧	أبو خربان.
١٨	تطبيع وتدليس.
١٩	خلف ماكرون وشارلي إبدو.
٢٠	اليهود والماسونية في المغرب، ج١، اليهود في المغرب، العلم القبالي.
٢١	اليهود والماسونية في المغرب، ج٢، الصهيونية في المغرب، تطبيع من قديم.
٢٢	اليهود والماسونية في المغرب، ج٣، الماسونية في المغرب.
٢٣	الأمازيغ والفتوحات الإسلامية: سبعة مقاطع.
٢٤	ثاني الآتين من الخلف.
٢٥	مقدمة كتاب الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب.
٢٦	مقدمة كتاب درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر والرموز.

ل السمعيات:

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

اليهود والحركات السرية في عصر النهضة

- نعلم من ذلك أن الحكماء الذين نتكلم عنهم وبَقيّة إشهار حركة الروزيكروشان، والذين هم في الحقيقة مصدر فلسفة الحركة وتعاليمها ونظامها، ومن صنعوا مؤسسها، ليسوا سوى اليهود.
- وقد أسهبنا في سيرة المرابين اليهود في إيطاليا وبنوكها الأولى، لأن هذه هي اللحظة التي شهدت تغيير مسار أوروبا، ثم العالم كله من بعدها، وتم فيها إدخال الربا والبنوك الربوية في أنسجة المجتمعات، وتحويلها إلى نظام عام يمتزج بالسلطة ويتحكم في مكونات المجتمع وجميع مناحي الحياة.
- وصول أسرة دي مديتشي إلى السلطة في فلورنسا، وسيطرتها ببنكها على اقتصاد أوروبا، كانت هي اللحظة التي تمت فيها النقلة التاريخية التي نقل بها المرابون اليهود والحركات السرية تمركزهم ومجال نشاطهم الرئيسي من الشرق إلى الغرب
- وأسرة دي مديتشي هي الوريث الكامل لمنظمة فرسان الهيكل، والتي آل إليها ميراثها في كل شيء، التجارة والربا والشبكة البنكية، وبث القبالاه وإحياء العقائد الوثنية، وإشاعة الإلحاد والإباحية، وتكوين الحركات السرية، وتغليف ذلك كله في غلاف الكاثوليكية ومعاونة كنيستها وإمدادها بالمال.
- وبعض اللوحات والتماثيل يجسد الأساطير الوثنية وشخوصها، ومنها ما يسرب في تفاصيله الأفكار الباطنية والقبالية، ومنها ما يجمع بين ذلك كله، وبعضها يموه الشخصيات الوثنية في شخصيات الكتاب المقدس، فالرسام أو النحات يصور في عمله عقيدة أو قصة وثنية، ويقدمه على أنه يعبر عن فكرة أو قصة مسيحية، أو يجسد إحدى شخصيات الأساطير الإغريقية، ثم يسمي عمله باسم شخصية من الكتاب المقدس، لكي يمرره من الكنيسة، وتسمح بوضعه فيها.
- **اقرأ في هذا الكتاب:**
- حقيقة حركة الروزيكروشان
- المرابون اليهود والحركات السرية من الشرق إلى الغرب
- من فرسان الهيكل إلى بنوك إيطاليا والبنوك الأولى في العالم
- الفلورين دولار عصر النهضة والبصمة الخفية
- اليهود الأخفياء دي مديتشي
- عصر النهضة القبالي
- لوحات وتماثيل، أفكار في أشكال

دكتور بهاء الأمير